شرح العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام/ ابن تيمية

من الشريط 1 إلى الشريط 13

والبقية قريباً إن شاء الله

شرح فضيلة الشيخ العلامة

سليمان بن ناصر العلوان

فرج الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط (1)

الواسطية سميت بهذا الاسم؛ لأنها كتبت في واسط وهى إحدى مدن بلد العراق، كالحموية و التدمورية وغير ذلك من مسميات مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم الذين يكتبون الكتاب فى بلد ثم ينسبونه إليه.

وقيل سميت الواسطية؛ لأنها متوسطة بين مذاهب أهل الضلال، وهى متوسطة بين مذهب الجهمية والأشاعرة والمعتزلة والماتريدية و الكرامية والمرجئة والخوارج والجبرية والقدرية وغير هؤلاء من المنحرفين، لأن التوسط أو الوسط هو التوسط بين الشيئين.

استفتح رحمه الله تعالى رسالته المختصرة التى ضمنها معتقد أهل السنة والجماعة الذى اتفقوا عليه؛ لأنه يوجد أشياء لم يذكرها شيخ الإسلام وهو يراها، كما فى فتاواه وفى رسائل متعددة، لكن لأن الخلاف قد جرى ولم يحصل فى ذلك إجماع ولا اتفاق لخص رحمه الله تعالى فى هذه الرسالة ما اتفق عليه العلماء فى أشياء قد يكون متفقًا عليها، وليس معنى هذا أن ما لم يذكره غير متفق عليه، لكن هو أتى للأصول العامة التى اتفق

عليها أهل السنة والجماعة.

نبدأ بالبسملة أولا ً اقتداء بالكتاب العزيز وتأسيًا بالنبى فى مكاتباته ومراسلاته، والأصل فى المكاتبات البداء بالبسملة بخلاف المحادثات الكلامية، فالأصل فى ذلك البداء بالحمدلة ، وهذا هو الثابت عن النبى ، وإن كان بعض العلماء يرى استفتاح الكتب بخطبة الحاجة (الحمد لله نحمده) ولكن لم يرد فى ذلك دليل.

وفى حديث ابن مسعود وإسناده صحيح: كان رسول الله يعلمنا خطبة الحاجة كما كان يعلمنا السورة من القرآن : "إن الحمد لله نحمده ... " إلى آخره، وهذا لم يثبت أنه فى المكاتبات، وبالتالى نزل على المخاطبات لفعله فى خطبه، بدليل فعله فى مكاتباته.

وحين كتب إلى هرقل اقتصر على البسملة، «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم» وغير ذلك من الأدلة، ثم ثنى رحمه الله تعالى بالحمدلة فحمد لله جل وعلا، والألف واللام فى الحمد، استغراق لجميع المحامد، وربما لا أركز على قضية الفردية، ونأخذ الشرح مجملا ً لنأخذ أكبر قدر ممكن إن شاء الله فى المستقبل.

الشيخ رحمه الله تعالى في هذه الرسالة ذكر الأ صول المتفق عليها بين أهل السنة والجماعة من الإ يمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره وهذا لا يختلف فيه العلماء لأن الله جل وعلا قال: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ، وقال الله جل وعلا: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ... إلى آخر الآية.

وقال الله جل وعلا: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ ... إلى آخر الآيات، والأدلة على هذا كثيرة، ولا يختلف في ذلك المسلمون، ومعنى الإيمان بالقدر أنك تؤمن بأن ما شاء الله وأراده فإنه يقع فما يمكن أن يتخلف ذلك، لأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن القلم جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنه لا يمنع عن قدر الله شيء لذل ك قال ابن عقيل رحمه الله تعالى كما حكى عنه ابن القيم في نونيته:

وحقيقة القدر الذي حار الورى
في شأنه هو قدرة الرحمن

هذا قول الإمام أحمد أن القدر هو قدرة الرحمن، ومعنى قدرة الرحمن: أي لا يمنع من قدر الله

شيء.

وحقيقة القدر الذى حار الورى
في شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد
لما حكاه عن الرضا الربانى
وقال الإمام: شفا القلوب بلفظة
ذات اختصار وهى ذات بيان

ثم شرع رحمه الله تعالى يبين معتقد أهل السنة والجماعة فى باب الأسماء والصفات أن أهل السنة يؤمنون بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن الرسول على مراد رسول الله ، يثبتون لله ما أثبته لنفسه وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه، فيثبتون لله الأسماء والصفات لقول الله جل وعلا: وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وذكر الصفات جاء فى الصحيحين فى قوله حيث سأل الرجل عن السبب والسر فى كونه يقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فى كل صلاة، فقال لأنه صفة الرحمن.

وفى حديث ابن عباس عند عبد الرزاق حين سمع حديثًا فى الصفات فعلم أن هذا وارد ، وليس كما يدعى ابن حجر رحمه الله تعالى بأن ذكر الأ سماء جاء فى القرآن وإنما الصفات لم يرد لا فى

الكتاب ولا فى السنة هذا غير صحيح. ورد فى السنة وورد على لسان الصحابة.

أما فى السنة ففى الصحيحين، وأما عن لسان الصحابة فبأصح إسناد رواه عبد الرزاق من رواية عبد الله بن طاووس عن أبيه عن ابن عباس ، مما يدل دلالة واضحة أن ذكر الصفات جاء، وأن لفظ ا لأسماء والصفات هما لفظان شرعيان واردان فى الكتاب والسنة، فأهل السنة يؤمنون بذلك، ويسوقون الأدلة على ما أثبته لنفسه إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل، لأن الله ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله وهو السميع البصير.

وقد نظم عقيدة أهل السنة والجماعة ابن القيم فى نونيته فقال:

لسنا نشبه وصفه إن المشبه عابد الأ

كلا ولا نخليه من إن المعطل عابد

من شبه الرحمن فهو الشبيه بمشرك

أو عطل الرحمن عن فهو الكفور وليس ذا ا

والذى ينبغى أن نفهمه قبل أن نشرع فى تفاصيل ما يذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن شيخ الإسلام قدم مقدمة مجملة، ثم يشرع بعد

ذلك رحمه الله تعالى فى التفصل ، فنجمل حيث أجمل ونفصل حيث فصل، ليكون أوعى وأخصر فى الشرح.

وأول الأشياء التى ينبغى أن نفهمها: أن الأسماء مشتقة، وأنها ذات مدلول وذات معنى، وإلى هذا المعنى أشار ابن القيم فى النونية قال:

أسماؤه أوصاف مدح مشتقة قد حملت

خلافًا للمعتزلة الذين يقولون أن الله سميع بلا سمع، عليم بلا علم، وخلافًا للمفوضة الذين يقولون نثبت لله ما أثبته لنفسه ونمرها كما جاءت وهم لا يمرونها كما جاءت فى المعنى، يمرنها كما جاءت فى اللفظ، فهم يثبتون اللفظ دون المعنى.

فهناك لا يقولون لاسم الله السميع اشتقاق السمع، وفى هذا الباب قال العلماء أن المفوضة شر من المعطلة، وهم معطلة، لأنهم يأتون بألفاظ موهنة فأهل السنة والجماعة يثبتون لله جل وعلا اللفظ والمعنى دون تكييف ودون تمثيل، كما قال نعيم بن حماد رحمه الله تعالى: من شبه الله بخلقه فإنه كافر، وقال عنه رحمه الله تعالى، فإنه شبه الله جل وعلا بالمخلوقات، من نفى عن الله ما أثبته لنفسه فقد شبه الله بالمعدومات، ولذلك قال العلماء عن المعطلة، حين وجد فى قلوب المعطلة

تشبيه يقولون: ورد لله السمع، ورد لله البصر هذا كله متواتر بنص القرآن، فيقولون إن أثبتنا هذه الأ مور يعنى هذا مشابهة المخلوق للخالق، هم يتصورون ذلك ولذلك يقولون: لا نثبت لله هذه الأ مور حتى نبتعد عن مشابهة المخلوق للخالق، فوقعوا فى أسوأ مما فروا منه، شبهوا الله ب المعدومات، فحين يقولون أن الله لا سميع لا بصير ولا يرضى ولا يغضب إذا بمنزلة الجمادات و المعدومات، ولذلك حين قال إبراهيم لأبيه: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا لم يقل آزر وهو كافر: وربك لا يسمع ولا يبصر.

فقد كان مشركا ولكن مؤمن بأن الله سميع وبصير، وإلا لم يكن لقول إبراهيم معنى واعترض عليه المشركون حين دعاه بأنه لا يسمع ولا يبصر، ولم يقولوا ربك كذا لا يسمع ولا يبصر ، فمثل هذا مما أجمعت عليه الرسل ولذلك حماد بن زيد، حين ناظر أحد الجهمية فقال له: فى بيتك نخلة قال: نعم، قال: لها جذع، قال: لا، قال فيها فرع، قال: لا، قال فيها سعف، قال: لا، قال فيها ثمرة، قال: لا، ق ال: إذن هى ليست نخلة،ولا تسمى نخلة، كذلك أنتم نقول لكم: لكم رب، تقولون: نعم، يسمع: لا، ق

ال، يبصر: لا، يرضى: لا، ينزل: لا، استوى على العرش: لا، إذن لا رب لكم.

كذلك الجهمية قيل لهم هل لكم رب قالوا نعم، قيل يسمع؟ قالوا لا، قيل يبصر؟ قالوا لا قيل ينزل قالوا لا قال فكيف لكم رب، لأن الرب إذا لا يتصف بالبصر ولا بالسمع ولا يرضى ولا يغضب فليس برب، فلذلك أهل السنة متفقون على إثبات هذه الأ مور وهم مؤمنون أيضا بأنهم لا يشبهون ولا يمثلون.

والتشابه فى الأسماء بين الخالق والمخلوق ليسا تشابهًا فى المعانى، الله وصف المخلوق بأنه سميع، ووصف نفسه بأنه سميع بصير، لكن ليس هذا كهذا لأن هذا الخالق وهذا المخلوق والله قال عن نفسه: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ .

والمخلوق مآله إلى الله، والله جل وعلا يقول: كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، وقال: وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى العقيدة الواسطية: (وهو سبحانه قد جمع حين وصف وسمى به نفسه بين النفى والإثبات وهذه طريقة الرسل، يجمعون بين النفى والإثبات،

ويأتون بالنفى المجمل، والإثبات المفصل، كما شرح هذا شيخ الإسلام ابن تيمية فى رحمه الله تعالى فى كتاب (التدمرية) وهم متبعون فى ذلك لكتاب ربهم فإنه جل وعلا يجمع بين النفى والإثبات فلا عدول إذا كان الأمر هكذا فلا عدول لأهل السنة و الجماعة عما جاء به المرسلون فإن من عدل عن طريقتهم واعترض على هديهم فقد ضل ضلالا ً مبينًا.

و الذين يسعون جاهدين للتخلى عن طريقة السلف وتسمية كتبهم بالكتب الصفراء ودراسة الكتب الفكرية والعقلية والكتب التى تعتمد على الرأى ومخالفة ما جاءت به الرسل هؤلاء منحرفون ، وهذا الانحراف حقيقة لا يتمثل فقط فى دينهم حتى فى عقولهم وتفكيرهم لأنهم كان يسمون أنفسهم أهل عقل ويسمون كتبهم فكرية والحقيقة أنهم ليسوا من الفكر فى شىء لأن الفكر الصحيح لا يناقض النقل الصحيح فدل هذا على أن العقول فاسدة ومارجة، وأنهم لا يحملون من العقل شيئًا وليس معنى هذا محاربة كل كتب الفكر لأن بعضها مبنيا على الكتاب والسنة ولكن العدو يسمونها كتب فكرية أنا أتحدث عن أمثال كتب الجابرى وأمثال هذه الكتب المنحرفة التى تدعو للتخلى

عن النقل ودعوة إلى العقل، كأمثال الطائفة المسماة بالعقلانية، وأمثال كثيرين من المسمين الآ ن بالعصرانيين.

قوله: (فإنه الصراط المستقيم): الصراط خبر إن صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، بدل، وبدل المرفوع مرفوع، ومن دعاء المؤمنين فى صلاتهم حين يقولون فاتحة الكتاب اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

فلا يستغنى العبد عن ربه طرفة عين فهو بحاجة إلى سؤاله الصراط المستقيم، وكان من دعاء النبى فى صلاة الليل: «**اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم**»، ويتأكد هذا الدعاء حين تشتبه عليه المسائل وتختلط عليه الأوراق ويتشتت ذهنه فى الآراء، فنسأل الله جل وعلا الهداية لما اختلف فيه من الحق.

ثم شرع المؤلف رحمه الله تعالى يتحدث عن سورة الإخلاص وما جاء فيها من الإثبات والنفى وأنها تعدل ثلث القرآن، وكون هذه السورة تعدل ثلث القرآن هذا محل إجماع لأن الأحاديث فى

ذلك متواترة عن رسول الله ، قال رسول الله : «والذى نفسى بيده إنها تعدل ثلث القرآن »، قيل تعدل ثلث القرآن بالثواب، وقيل إن القرآن متمثل بثلاثة أمور لا رابع لها: توحيد، وأحكام، وقصص، وقد جاءت سورة الإخلاص بكل أنواع التوحيد، فعدلت من هذه الحيثية ثلث القرآن فقوله جل وع لا: قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ هذا فيه توحيد الربوبية؛ لأنه إقرار بوجود الله، وفيه أيضًا توحيد الإلهية، وفيه توحيد الأسماء والصفات (الله) فإن أثبت اسم الله فإنه أثبت أن لله أسماءً وصفات، وهذا يعنى باللازم أن تفرد الله لأن الله مأخوذ من أله يأله، ومن عبد يعبد، ما معنى الإله، هو المألوه والمعبود محبة وتعظيمًا وإجلالا ً.

اللهُ الصّمَد الصمد اسم من أسماء الله جل وعلا فيه إثبات الأسماء والصفات، وأصح ما قيل فى معنى الصمد إما أن يقال: السيد، الذى قد كمل فى سؤدده أو الذى تصمد إليه الخلائق فى حوائجهم.

لَمْ يَلِدْ هذا نفى وَلَمْ يُولَدْ . وهذا تنزيه لله جل وعلا.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ . أى مثيلا ً ونظيرًا ولا شبيهًا أى مكافئًا من البشرية، ولا من غيرها، لم

يكن له مكافئ مطلقًا.

قال الله جل وعلا: . مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ثم قال: (وما وصف الله به نفسه من أعظم آية جاءت فى كتاب الله)

أعظم آية ما هى ؟ هى آية الكرسى، والأحاديث فى ذلك صحيحة فإن آية الكرسى أعظم آية فى كتاب الله، وفيه الدلالة على التوحيد والدلالة على عظمة الله، بل كل آية ، بل كل حرف فى هذه السورة يدل على توحيد الله، وكل كلمة تدل على التوحيد وعلى عظمته فقوله جل وعلا: . اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فيها التوحيد كله اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .نفيا لجميع ما يعبد من دون الله، فمن صرف العبادة لغير الله، فإنه مشرك كافر، - كثير من الناس يقرأ هذه السورة - كثير من المسلمين يحفظ هذه السورة، ولكن الذين لا يفهمون معناها أكثر من الذين يفهمون حقيقتها، وما ورائها من الأسرار، النبى يقول: «من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». رواه النسائى فى عمل اليوم والليلة وسنده صحيح من طريق الحميرى عن الألهانى عن أبى أمامة .

فالذى يقول: (اللّه لا إله إلا هو) وهو يطوف على القبور ويدعو غير اللّه.

وأنتم ترون الملايين قبل ثلاثة أيام فى كربلاء وفى العراق يحتفلون بعاشوراء ويدعون غير اللّه عند قبر الحسين وعند المعظمين فى نفوسهم وقد يكونوا معظمين فى حقيقة الأمر ولكنهم يدعون غير اللّه عز وجل، هؤلاء كلهم وثنيون، كلهم وثنيون ومشركون لأنهم يدعون غير اللّه جل وعلا ويسألونهم المدد والنصرة والاستقرار وحلول الأمن فى بلادهم، وهم يقولون (لا إله) ولكنهم لا يفهمون هذا الكلام ولا يعرفون معناها.

الحَيُّ القَيُّومُ .إثبات اسمين من أسماء اللّه جل وعلا.

الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ أى لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، الشفاعة لا تحل لأحد إلا بأمرين: إذن اللّه للشافع، ورضاه عن المشفوع، واللّه لا يرضى من الأقوال والأعمال إلا الأعمال الخالصة التى تكون لله لا يشوبها شىء من الابتداع.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

. إطلاق صفة العلم لله جل وعلا.

وهو العليم أحاط علمًا بالذى

في الكون من سر ومن إعلان

وبكل شىء علمه سبحانه

هو العليم وليس ذا نسيان

قوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ أى: إلا بما يعلمهم الله جل وعلا.

قوله: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قال ابن عباس: «الكرسى موضع القدمين» رواه الدارمى بسند على شرط الشيخين.

قوله: وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا أى لا يكرثه ولا يثقله، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

فيه .إثبات أسماء الله جل وعلا والصفات :

أسماؤه أوصاف ألفاظ مدح

كلها مشتقة قد حملت لمعانى

ولذلك من قرأ هذه الآية فى ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، روى ذلك البخارى معلقًا ورواه النسائى بسند صحيح فى الحث على قراءة هذه الآية فى الليل قبل أن ينام ليكون محفوظًا ويبتعد عنه الشيطان ولا يقترب منه.

شرع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى هذه العقيدة المختصرة فى سرد وذكر الآيات الدالة على أسماء الله وصفاته وقد ذكر رحمه الله تعالى آيات كثيرة فى إثبات الصفات لله جل وعلا، وذكر فى أدلة كل صفة، ثلاثة أدلة، أو أربعة أدلة، أو خمسة أدلة، تارة يزيد وتارة ينقصه فهو رحمه الله تعالى ابتدأ بسرد الآيات ثم ثنى بذكر الأ حاديث ليبين أن عقيدة أهل السنة والجماعة قائمة على الوحيين قائمة على الكتاب وعلى السنة وأنهم يعتمدون فى إثبات الأسماء والصفات على آيات القرآن وعلى الأحاديث الثابتة عن النبى ، لا يعتمدون فى ذلك على مجرد عقولهم ولا على ما يستحسنونه، ولذلك حكى ابن تيمية رحمه الله تعالى اتفاق أهل السنة على أنه لا مجال للعقل فى إثبات الأسماء والصفات، وإن جوز هذا بعض أهل البدع كالأ ِشاعرة وغيرهم ممن يقحمون العقل فى إثبات الأسماء والصفات، فأهل السنة لا يقحمون العقل فى هذا الباب ويقولون بأن هذا الباب باب توقيفى آية أو حديث، شرع رحمه الله تعالى يتحدث عن إثبات اسم العليم وصفة العلم لله جل وعلا:

القاعدة فى هذا الباب أن كل اسم يشتق منه ص

فة، ما هناك اسم لا يؤخذ منه صفة كل اسم يشتق منه صفة، فلذلك من أسماء الله جل وعلا (العليم) يؤخذ منه إثبات صفة العلم لله جل وعلا، قال ابن ا ليقم رحمه الله تعالى فى النونية:

أسماؤه أوصاف مدح كلها

مشتقة قد حملت لمعانى

فقوله: (أسماؤه أوصاف مدح): إذا لم يكن صفة مدح ويطلق على الله فهو ليس باسم، ک الحديث المشهور : «إن الله هو المسعر»، المسعر ليس اسم من أسماء الله لأن هذا ليس بمدح.

وفى قوله : «إن الله هو الدهر»، الدهر ليس من أسماء الله لأن الدهر ليس بصفة مدح لابد أن يكون ذلك وصف مدح، حتى نجعله اسمًا من أسماء الله جل وعلا، هذا المعنى ذكره ابن القيم.

(أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة): لا بد أن يشتق منه صفة.

(قد حملت لمعانى): ردًا على المفوضة وعلى المعتزلة، المعتزلة يقولون سميع بلا سمع، إذن ليس له معنى، والمفوضة يقولون نجرى هذه الأسماء و الصفات على ظواهرها دون إثبات حقائقها.

أورد المؤلف رحمه الله قول الله جل وعلا: هُوَ

الأَوّلُ وَالآَخِرُ وَالظّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلّ شَىْءٍ عَلِيمٌ

(هو الأول): لا يفسر هذه الآية أحد أبلغ ولا أشمل معنى من رسول اللّه ، قال رسول اللّه - و الخبر فى الصحيح مسلم: «أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء»، والخبر فى صحيح مسلم.

وهذه كلها أسماء من أسماء اللّه جل وعلا، فنثبت لله جل وعلا اسم الأول والآخر والظاهر و البطن.

ثم قال اللّه جل وعلا: وَهُوَ بِكُلّ شَىْءٍ عَلِيمٌ نثبت صفة العلم لله جل وعلا: وأهل السنة و الجماعة يثبتون ذلك إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل؛ لأن اللّه جل وعلا ليس كمثله شىء، لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله وهو السميع البصير.

وقال ابن القيم رحمه اللّه تعالى فى نونيته:

وهو العليم أحاط علمًا بالذى

فى الكون من سر ومن إعلان

وبكل شىء علمه سبحانه

فهو العليم وليس ذا نسيان

والأ ِشاعرة يشاركون أهل السنة فى إثبات صفة العلم لله جل وعلا لأنهم يثبتون سبع صفات ومن ذلك: العلم، وكررت مرارًا أن إثبات الأشاعرة ليس كإثبات أهل السنة، حينما نقول بأن الأشاعرة يثبتون سبع صفات ليس معنى ذلك أنهم يثبتونها كإثبات أهل السنة لأنهم لو كانوا يثبتونها كإثبات أهل السنة لآل بهم الأمر إلى إثبات ما عداه؛ لأن الدليل الذى دلهم على إثبات السبع هو الدليل الذى يصلح أن يكون دليلا ً وحجة على إثبات ما عداه ، والدليل الذى دلهم على إثبات معنى السبع هو ما نحتج به عليهم على نفى ما عدا السبع أيضًا.

ثم يأتى قوله جل وعلا: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ

قول لله جل وعلا: الْحَيُّ الْقَيُّومُ نثبت لله عز وجل صفة الحى ومن لوازم الحى أن يكون سميعا بصيرًا عليمًا؛ لأنه هو المدبر وهو المتصرف فى أمور الكون وهو العليم الحكيم، وهو الحكيم الخبير، هذه كلها تفيد إثبات الأسماء والصفات لله جل وعلا.

ما معنى الحكيم فى أسماء اللّه ؟ لا بدأن نفهم أسماء اللّه جل وعلا ونتأمل فى الصفات لأن هذا يزيد فى الإيمان والخشية، فالحكيم هو الذى يضع

الأمور مواضعها، وقيل الحكيم الذى لا يخفى عليه شىء، يعنى لا يضع الشىء إلا لحكمة، ولا يخلق إ لا لحكمة ولا يفعل إلا لحكمة، والخبير، ما معنى الخبير هو المحيط ببواطن الأشياء وظواهرها.

وقوله جل وعلا: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ فيه إثبات صفة العلم هو العلم المطلق الذى لا يعلمه إلا الله؛ لأن علم المخلوق علم نسبى.

قل للذى يدعى فى العلم فلسفة

حفظت شيئًا وغابت عنك أشياء

هذا فى بعض العلوم الشرعية لأنه لا يوجد شخصية محيطة بكل العلوم الشرعية فكيف تحيط بالعلوم الأخرى وفى نفس الوقت يعلم أشياء وتغيب عنه أشياء، فى نفس الوقت لا يعلم أمور الكون أيضًا ولا يعلم ما يجرى فى المجتمع، الله جل وعلا الناس يدعونه فى موطن واحد بالم لايين، بالمليارات، يسألونه حوائجهم، على تعدد اللغات، الهند فيها ما لا يقل عن خمسائة لغة ومع ذلك لا تختلف عليه الأصوات، ولا تختلف عليه الأ سماء ولا تختلط عليه اللغات ولا الحاجات، يعلم الجميع، يعلم ماذا دعاه فلان وبأى لغة، ويعلم ما هو أعظم من ذلك، الحقيقة هذا هو المألوه حقيقة المعبود بصدق؛ ولذلك إبراهيم الخليل بماذا احتج على أبيه المشرك قال: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ

وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا لم يقل أبو إبراهيم: وربك لا يسمع ولا يبصر، بل أذعن لذلك.

الله سميع بصير: . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ففيه إثبات صفة العلم لله جل وعلا: فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته يقرر أمور التوحيد، بعضها بدلالة المطابقة، وبعضها بدلالة التضمن، وبعضها بدلالة الالتزام، ما معنى هذا ؟

دلالة المطابقة هى دلالة الدليل على كل المعنى.

ودلالة التضمن هى دلالة الدليل على بعض المعنى.

ودلالة الالتزام، دلالة الدليل على أمر خارج لازم للمعنى.

بعد ذلك نرى شيخ الإسلام رحمه اله تعالى يورد الآيات الدالة على إثبات الأسماء والصفات لله جل وعلا، وذلك لبيان وتوضيح أصول أهل السنة والجماعة وأنهم يعتمدون فى إثبات ذلك على الكتاب والسنة، فإنهم لا يأتون بشىء من آرائهم ولا عقولهم ويفهمون ذلك على فهم الصحابة فإنهم هم الذين عايشوا التنزيل وصحبوا رسول الله .

فكان فهمهم أقوى من غيرهم، فقوله جل وعلا: إِنّ اللّهَ هُوَ الرّزّاقُ ذُو الْقُوّةِ الْمَتِينُ .فيه إثبات اسم الرزاق لله جل وعلا أى كثير الرزق، قال اللّه جل وعلا: إِنّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ

فاللّه جل وعلا يرزق من يشاء من عباده ويعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، فمن أنعم اللّه عليه بدنيا فلا يعنى هذا حب اللّه له، فقد ينعم اللّه جل وعلا على شر البرية، ولكنه جل وعلا لا يعطى الإيمان إلا من يحب، فمن أسبغ عليه نعمة ا لإسلام ومن عليه بالهداية فقد أحبه اللّه،. فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ وهذه النعم التى أعظمها نعمة الإسلام إذا شكرت قرت، وكثير من الناس لا يعرف نعمة اللّه عليه إلا فى مأكله ومشربه، وإذا ربح فى تجارة بدأ يرفع يده ويحمد اللّه، ولكنه ينسى نعمة اللّه عليه فى كونه صلى مع المسلمين وفى كونه أدى الصلاة، فى كونه جل وع لا عافاه من المنحرفين، ومن ضلال الضالين، من كفر المتمردين ينسى نعمة اللّه عليه، كان لبيد كثيرًا ما يتمثل بقوله:

الحمد لله أن لم يأتنى أجلى

حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وقوله ذُو أى صاحب القوة، فيه إثبات صفة

القوة لله جل وعلا قوله الله جل وعلا: ﴿هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ﴾.، العزيز الذى لا يرام جنابه، ولذلك ثلاث معانى أشار إليها ابن القيم فى النونية:

وهو العزيز فلا يرام جنابه
أنى يرام جناب ذو السلطان
والعزيز القاهر الغلاب لم
يغلبه شىء هذه صفتان
والعزيز بقوة هى وصفه
العز حينئذ ثلاث معانى

وقوله: ﴿الْمَتِينُ﴾ أى الشديد، وقد قال لوط: ﴿أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ يعنى ربه جل وعلا، فإذا كان الله هو الرزاق وعُلم بأن الله هو القوى المتين فهذا يدعو إلى التعلق بالله وطلب الرزق منه، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ كثير من الخطباء بل والعلماء يقولون: إن أمر الله بين الكاف والنون، وهذا غلط، ليس أمر الله بين الكاف والنون، لأن الله قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ إذن متى يكون، بعد النون، ليس بين الكاف والنون كن فيكون.، هذا قول الله جل وعلا إذا أمر الله بالشىء كان، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

قال الله جل وعلا: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ف الله جل وعلا فرق بين الخلق وبين الأمر، فالأمر أمره، والخلق خلقه، وهذا يبعث على قوة التعلق ب الله وعدم تهيب المخلوقين، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا.

تأمل فى إبراهيم من قوة تعلقه بالله ودراسته ل لأسماء ليست دراسة نظرية لمجرد أنه يثبت، هذا واقع بلا شك ولكن معنى ذلك أيضًا أنه يتأثر بذلك ويعايش هذه القضايا فى واقعه وتتدفق هذه الأمور فى عروقه ودمه، يعرف أن الله هو الرزاق، إذن يستحضر هذا المفهوم، ليس مجرد نظرى وإذا جاء يطلب الرزق طلب من المخلوق.

يقول إن الله جل وعلا هو القوى، ثم يتوسل بغيره، يقول: إن الله هو السميع البصير، ويعتمد على مخلوق خلقه رب العالمين، ولذلك إذا طلع عليه مخلوق لا يفعل المعصية، وإذ اطلع عليه رب العالمين يفعل المعصية، ويجعل الله أهون الناظرين إليه، إذن ما استفدنا منه، كونك تثبت الأ لفاظ وتنفى المعانى، إذن دراسة الأسماء دراسة تكون نظرية وعملية نعايشها فى واقعنا حتى يزداد إيماننا وتعلقنا بالله، كثير من الناس لا يفهم المعانى، كثير من الناس يبتعد عن دراستها، وتفهم

معانيها وتحقيق آثارها ومعرفة ذلك بالحق و الصدق.

إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم حين ألقى فى النار، ماذا قال: حسبنا اللّه ونعم الوكيل. فمن كان باللّه أعرف كان منه أقرب، تعلق باللّه؛ لأنه يعرف أن اللّه هو الذى يستطيع وهو الذى قدره عليه وهو القوى وهو القادر على إنقاذه، وهو القادر دفع الضرر عنه فتراه هنا تعلق باللّه وقال: (حسبنا اللّه ونعم الوكيل).

اللّه جل وعلا يقول: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ

إذا انقطعت أطماع عبد عن الورى
تعلق بالرب الكريم رجاؤه
فأصبح حرًّا عزة ومناعة
على وجهه أنواره وضياؤه
وإن علقت بالخلق أطماع نفسه
تباعد ما يرجو وطال عناؤه
فلا ترج إلا اللّه فى الخطب وحده
ولو صح فى خل الصفاء صفاؤه

قوله جل وعلا: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . هذا نفى، اللّه جل وعلا نفى عن نفسه

المثلية، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، نثبت لله هذين الوصفين فالله سميع والله بصير والجهمية لا يثبتون ذلك، حتى قال بعض أئمة الجهمية لو أستطيع ان أحذف هذه الآية من كتاب الله لحذفتها.

إذن نفهم معنى السميع نثبت لله السمع، ونبتعد عن آراء الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونؤمن أن الله سميع بسمع، يسمع ويبصر، ويبصر النملة في ظلمة الليل على صفاة سوداء، وهذا للتقريب للأفهام وإلا فالأمر أعظم من ذلك، إذا كنا نؤمن أن الله هو السميع .إذن لماذا نتورع عن الغيبة والنميمة مثلاً في حضرة مثلاً من لا نحب أن يسمعه، والله يسمعنا ويرانا، . بصير يبصر ، الإنسان ينظر إلى امرأة لا تحل له لا يستطيع بحضرة شيخه أو بحضرة طالب علم ينظر إليها، ولكن ربما ينظر حين لا يراه أحد، هذا من ضعف إيمانه بالغيب ومن ضعف تحقيق معاني الأسماء و الصفات في القلوب، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ في إثبات صفة السمع لله ويثبتون صفة البصر لله، وأهل السنة و الجماعة يثبتون ذلك إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا

تعطيل.

لسنا نشبه ربنا إن المشبه عابد الأ

كلا ولا نخليه من إن المعطل عابد

من شبه الرحمن فهو الشبيه بمشرك

أو عطل الرحمن عن فهو الكفور وليس ذا ا

فقوله جل وعلا: وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ . فيه إثبات المشيئة لله جل وعلا، يشرع لكل مسلم إذا دخل جنة أو بستان أو زراعته وإذا أنعم الله عليه نعمة أو دخل بيته وداخله إعجاب ببستانه، أو ببيته أو ولده أو أهله، أو ماله أن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، فإن العين حق، وقد يعين العبد نفسه ، فإذا قال ذلك حصن نفسه بكلام الله جل وعلا: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فيه إثبات لمشيئة الله جل وعلا، لا قوة إلا بالله فيه إثبات القوة لله جل وعلا، وأهل السنة والجماعة لا يختلفون فى إثبات المشيئة لله جل وعلا والمشيئة مرادفة للإرادة الكونية القدرية، فإن الإرادة نوعان: كونية قدرية، وشرعية دينية.

أشار المؤلف رحمه الله تعالى إليهما فى قوله جل وعلا: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ نثبت لله عز وجل الإرادة يقول الله جل وعلا: إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ نثبت لله جل وعلا الإرادة

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ نثبت لله جل وعلا الإرادة.

والإرادة نوعان:

النوع الأول: إرادة كونية قدرية، وهذه الإرادة ملازمة ومرادفة للمشيئة وهذه لا بد أن تقع وقد يحبها الله وقد لا يحبها، فقد أراد الله كفر إبليس، وأراد الله كفر فرعون، وأراد الله وجود الشر فى المجتمعات، فنؤمن بذلك ونؤمن بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « **والشر ليس إليك**» أى ليس إلى الله، أى لا يدخل فى أسمائه ولا فى صفاته، ولكن الشر مخلوق الله بإجماع أهل السنة و الجماعة لأن الله خالق كل شىء، ليس كقول الطائفة القدرية الذين يقصون خلق الشر عن خلق الله، إذن يجعلونه خالقًا مع الله تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

النوع الثانى: إرادة شرعية دينية، وهذه أحبها الله جل وعلا وأرادها، أحبها وأرادها، لكن لا يلزم من ذلك وقوعها، الله جل علا يقول: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . الله جل وعلا أراد ذلك لكن هل يلزم من ذلك أن الناس كلهم يعبدون الله، الله أوجب عليهم لكن لا يلزم من الإرادة أن الناس يوجد منهم هذا الأمر، لكن هذا محبوب لله، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ، بر

الوالدين، أراده الله من كل عبد وأحبه الله لكن لا يلزم أن كل شخص يبر بوالديه فالإرادة الشرعية الدينية محبوبة لله جل وعلا والله جل وعلا يحبها ولكن لا يلزم وقوعها، إذن نثبت لله جل وعلا الإ رادتين، الإرادة الكونية القدرية، والإرادة الشرعية الدينية.

الحمد لله رب العالمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى الحديث عن أسماء الله وصفاته، وذكر الآيات الدالة على ذلك، ولا يختلف أهل السنة أن باب الأسماء والصفات توقيفى فلا يجوز إثبات اسم ولا صفة لمجرد القياس، ولا بـ المرادف فى أصح قولى العلماء، وأهل السنة يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له رسوله محمد فيما جاء عنه فى الأ حاديث الصحاح.

قال الله جل وعلا: وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا فقد جاء ذكر الأسماء فى كتاب الله جل وعلا ، وجاء ذكر الصفات فى الأحاديث والآثار عن الصحابة رضى الله عنهم، كالحديث المتفق على صحته إنها صفة الرحمن، وكحديث ابن عباس فى الصفات، والمعنى ذكر لفظ الصفات، فالقرآن جاء بذكر صفات الله جل وعلا كقوله تعالى: ثُمَّ

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وكقول الله جل وعلا: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ، وكقول الله جل وعلا: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ .وغير ذلك.

تقدم فى بداية شرح الكتاب أن شيخ الإسلام عنى بذكر الأسماء والصفات المتفق عليها بين العلماء، وفيه أسماء ثابتة على الصحيح لم يذكرها لوجود الاختلاف وفيه صفات ثابتة وهو يراها فى مواضع من كتبه لم يذكرها لوجود الاختلاف.

قوله جل وعلا: وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ :

وَأَحْسِنُوا : أمر الله جل وعلا بالإحسان، ووضح النبى معنى الإحسان وأنه فى كل شىء، فقال فى حديث شداد بن أوس: «إن الله قد كتب الإحسان على كل شىء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته» الشاهد قوله: «إن الله قد كتب الإحسان على كل شىء»، كتب الإحسان على الآدميين وكتب الإحسان على الدواب والبهائم والحشرات، ولذلك نهى النبى عن تعذيب الإنسان أو الحيوان أو الحشرات بالنار فقال: «لا يعذب بالنار إلا رب النار» رواه البخارى وغيره.

قوله: «إن الله يحب» وهذا الشاهد من الآية للباب فقد سرد شيخ الإسلام رحمه الله الآيات الواردة أو بعض الآيات الواردة فى إثبات صفة المحبة الله جل وعلا، وقد شرق بذلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأ ِشاعرة وغيرهم.

فامتنعوا عن إثبات صفة المحبة وزعم الجعد بأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ً، ولم يكلم موسى تكليمًا فضحى به خالد بن عبد الله القسرى بفتوى من علماء أهل السنة وحين صنع ذلك شكروا سعيه وحمدوا أمره، وأشار إلى هذا الإمام ابن القيم رحمه الله فى نونيته فقال:

ولأجل ذا قام بفعل خالد
قسرى يوم ذبائح القربان
إذا قال إبراهيم ليس خليله
كلا ولا موسى الكليم الدانى
فترى الضحية كل صاحب سنة
لله درك من أخٍ قربان

وفى رواية «لله درك من إمام قربان».

وقد زعم بعض المنحرفين فكريا وعقديا أن هذا قتل سياسة ولم يقتل دينًا وينادون بذات

كثرة مبطلين مضايقة ومحاصرة أهل البدع فى أقوالهم وأفعالهم وفى نفس الوقت يمارسون أسلوب القمع مع التيارات والمذاهب الأخرى التى لا تتماشى مع أقوالهم ولا مذاهبهم.

وقد قاموا بالأمس بممارسة نفس أسلوب القمع فى قمع شيخ الإسلام ابن تيمية وفى قمع شيخ الإ سلام محمد بن عبد الوهاب، وفى قمع أهل السنة الحقيقيين فى هذا العصر، وينادون بالقمع الفكرى، وهم فى نفس الوقت يمتنعون من قمع أهل البدع.

والصواب ما جاء به مالك أن كل من دعاٍ إلى بدعة مخالفة للكتاب والسنة يجوز لأهل الحل و العقد التضييق عليه واستتابته فإن تاب وإلا قتل تعذيرًا، ومرجع هذا إلى العلماء الصادقين، وإلى الفقهاء المعنيين بضبط الحلال والحرام وإلى أهل التقوى والورع، حتى لا يحصل فى ذلك تسيب بين إفراط وتفريط بين أهل البدع ينادون بتمكين أهل الضلال من طرح ما يريدون تحت مسمى روح التسامح، والحرية وبين آخرين ينادون بقمع كل من لا يسايرهم فى أهوائهم وشهواتهم لا يختلف أهل السنة فى إثبات صفة المحبة لله جل وعلا، فقد قال الأ ِشاعرة إن المحبة علامة على الرضا، وهذا اثر من أثر المحبة وليس هذا هو معنى المحبة.

وقال آخرون: إن الله يحب بمعنى إن الله يقبل ويعطى، وهذا غلط، فهؤلاء يفصلون عن الله صفة المحبة، وهم على مراتب منهم من ينفى ذلك بـ الكلية، كجعد بن درهم والجهم بن صفوان، الجهم أخذ هذه البدعة عن الجعد فنسبت إليه، وإلا فالأ صل هى نسبة إلى الجعد، فإن الجعد قبل الجهم.

والجعد بن درهم تلقى هذه البدعة عن اليهود و الجهم تلقى ذلك عن الجعد وإليه نسبت طائفة الجهمية فهؤلاء لا يثبتون المحبة مطلقًا والأشِاعرة يتأولون المحبة يثبتون اللفظ لكن يتأولون المعنى، ولو لم يرد من أدلة الكتاب والسنة لإثبات صفة المحبة إلا دليل واحد لقيل لعل المعنى يقصد بكذا ولكن فى آيات القرآن مئات الأدلة وجاء فى السنة مئات الأدلة فهى صريحة فى إثبات صفة المحبة لله جل وعلا، فإن الله جل وعلا يحب، يحب الطائعين يحب المخلصين، يحب الآمرين بـ المعروف والناهين عن المنكر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط (2)

فيه إثبات صفة المحبة لله جل وعلا، فإن الله جل وعلا يحب الطائعين، يحب المخلصين، يحب ا

لآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص، ولذلك قال بعض السلف: ليس الشأن أن تحب -هذا فرض عليك- إنما الشأن أن تُحب؛ لأن الله إذا أحبك هذا يعنى أنه رضى الله عليك، يدخلك جنته، أيضًا يحب المحسنين، المحسنين فى أقوالهم، وأفعالهم، وأحكامهم

وقوله: وَأَقْسِطُوا القسط يقصد به العدل، بخلاف القاسط يعنى به الجائر؛ لذلك قال الحجاج لبعض الأئمة: ما تقول فىّ ؟ قال: أنت أمير قاسط، فقال لمن حوله: ماذا يقصد، فقالوا: مدحك أيها الأمير، قال: ما مدحنى، هذا ذمنى؛ أما سمعتم قول الله: وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا بخلاف المقسط فهو العادل، وقد تفطن لذلك وعلم أنه ما أراد مدحه، لكن غيره لا يتفطن لذلك.

فالقاسط الجائر بخلاف المقسط، الله جل وعلا أمر بالقسط وهو العدل، والعدل محبوب من الله فى كل شىء، وتحبه النفوس، واتفق عليه العقلاء، والعالم كله وإن كانوا يمارسون الظلم فى حياتهم، ولكن حين يظلمون يبحثون عن العدل، ولذلك قال المتنبى:

والظلم من شيم ذا عفة فلعلة لا يظلم

ولقبح الظلم حرمه الله على نفسه، وقد جاء فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم من حديث أبى ذر: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرم فلا تظالموا»، ولذلك نفى الله عن نفسه الظلم فى قوله: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ، وفى قوله: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ، وغير ذلك من الأدلة.

أمر الله بالقسط الذى هو العدل فى أقوالكم وأفعالكم وأحكامكم, و فى كل حياتكم وشؤونكم وشجونكم مع أولادكم ومع زوجاتكم ومع جيرانكم ومع بنى جنسكم، ومع من تتفقون معه فى ذات المنهج، ومع من تختلفون معه، العدل مطلوب فى كل شىء, فلا قرار فى العالم إلا بالعدل، به قامت السموات والأرض، قال تعالى: وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ لم يقل الله: القاسطين، قال: المقسطين، ففيه إثبات ذات الصفة (المحبة)وذلك فى قوله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

ولا يختلف أهل السنة فى إثبات صفة المحبة لله جل وعلا، وأهل السنة فى باب الأسماء و الصفات يثبتون الصفة لله إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بـ

لا تعطيل, ثم يذكرون بعد ذلك أثرها ولوازمها، من لوازم المحبة أن الله يرضى، من لوازم المحبة أن الله يدخل المؤمن ويجازيه بالجنة، ولكن ليس هذا معنى المحبة، فهذا أثر من آثارها وأحد لوازمها، الله يحب المقسطين، كما يحب المحسنين كما تقدم فى أقوالهم وأفعالهم وأحكامهم، والمقسطين فى كل شىء، لا يجورون إذا غضبوا، ولا ينتصرون بالباطل حين يقدرون، يعفون ويصفحون ويتجاوزون، الله جل وعلا قال: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [آل عمران: 133-136].

قوله: فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ، الشاهد أن الله يحب المتقين، التقوى فعل المأمور واجتناب المحظور، وقال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من

اللّه ترجو ثواب اللّه، وأن تترك معصية اللّه على نور من اللّه تخشى عقاب اللّه. فالتقوى فعل الحلا ل واجتناب الحرام، إلى غير ذلك، وكلها معان متقاربة.

مؤدى هذه المعانى إلى فعل ما أمرك اللّه به واجتناب ما نهاك اللّه عنه، فلا يفتقدك حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك.

وقوله: إِنّ اللّهَ يُحِبُ التّوّابِينَ وَيُحِبُ المُتَطَهّرِينَ ، التوابين صيغة مبالغة أى كثيرو التوبة، وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «إن اللّه يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل»، التوبة محمودة مطلقًا، سواء كان يستحضر ذنبًا، أو لا يستحضر ذنبا؛ لأنه مهما كان العبد ففيه شىء من النقص، فليس بشرط أن يقول الإنسان–أستغفر اللّه- حين يستحضر ذنبًا، هذا إعجاب بالنفس، من تصور هذا فى نفسه فهو معجب بنفسه،عليه أن يداوى قلبه؛ لأنه ذو قلب مريض، أبو بكر وهو أبو بكر- وحسبك به جلالة وقدرًا هو من أهل الجنة بإجماع المسلمين وهو أفضل البشرية بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من هذه الأمة-حين قال يا رسول

الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى، قال:« قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم» والنبى صلى الله عليه وسلم هو خير من وطئ على الأرض كان إذا فرغ من صلاته ماذا يقول؟ أستغفر الله.. ثلاثا، اللهم أنت السلام ،ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، والله جل وعلا قال لنبيه: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .

وجاء فى الصحيحين فى حديث عائشة: كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر ما يقول فى ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لى»، يتأول القرآن.

وكل ذلك فى إثبات صفة المحبة، ومن لم يثبت ذلك فما عرف الله حق المعرفة وألحد فى أسماء الله وآياته، والله يقول: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ أى: يزيغون عن الحق.

وقوله: وَيُحبُ المُتَطَهّرِينَ ، أى من الذنوب وا لآثام، والمتطهرين: الطهارة الحسية، يسبغون الوضوء حيث أمرهم الله ويغتسلون حيث يوجد سبب الغسل، فلا يتخلفون عن ذلك، ولسان حال هؤلاء يقول: وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ، فهؤلاء لا يسارعون إلى الطاعة، أو هم يعيدون كل البعد عن الوقوع فى الآثام، و مخلفات الجاهلية ،وإذا وجد من أحدهم ذنب سارع إلى الاستغفار والتوبة و الصدقة والذكر خوفًا من الله، وخوفًا من ضرر الذنوب والآثام، فإن هذه الآثام تجتمع على القلب، وتهلكه والعياذ بالله وقد تؤدى به إلى سوء الخاتمة، وقد ذكر ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى بأن أكل الربا مسوغ وعلامة على سوء الخاتمة، نسأل الله السلامة والعافية – وكذلك الغيبة و النميمة وبهت الناس، وهذا كله مجرب فى سوء الخاتمة، فالناس المولعون بأعراض الناس، المتتبعون لعثراتهم الذين يبهتون وينمون بدون حق، فلان فيه كذا،بدون خجل يتندرون بشينه، وعيبه، هؤلاء قد يصيبهم الله فى أخريات أيامهم بـ الخبال، ويقعون فى سوء الخاتمة.

قوله: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ ، أى إن كنتم تدعون وتقولون بألسنتكم نحن نحب الله فهذا اختبار لكم وامتحان، فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ، هذه

الآية تسمى آية المحنة وتسمى آية المحبة، حيث ادعى قوم محبة اللّه، فامتحنهم باتباعه، ويؤخذ من ذلك أن العمل داخل فى مسمى الإيمان ففيه الرد على المرجئة.

ويؤخذ من ذلك أن الدعوة ليست بالأقوال وهو الرد على الكرامية، والجهمية، وغلاة المرجئة، والأ شاعرة ، وغيرهم من أهل البدع الذين يقولون بألسنتهم ولا يباشرون ذلك بأفعالهم، ويدعون محبة اللّه، لو كانت الدعوة باللسان لما امتحن اللّه هؤلاء الداعين ، ولكانت دعواهم كافية عن العمل، ولكن حين يدعون ويقولون بألسنتهم اختبرهم اللّه بالفعل فهو المحك بين المؤمنين الصادقين وبين المنافقين أو غلاة الجهمية والمرجئة والأشاعرة و الكرامية والسالمية وطوائف أهل البدع.

فالذين يقولون: نحن آمنا وأسلمنا وهم مقيمون على الشرك، وخرق الشريعة وعلى التحاكم إلى منظمة الأمم و مجالس الحقوق الدولية، إلى غير ذلك ويدعون الإسلام- هؤلاء كذبة، الإسلام ليس مجرد كلمة، لو كان الإسلام كلمة لقالها أبو ط الب وقالها أبو لهب، وقالها أبو جهل،لو كانت مجرد كلمة لقالها هؤلاء جميعا ،ولنالوا بها رحمة اللّه ، قبح اللّه أبا جهل لقد كان أعلم منهم بكلمة لا إله إلا

الله.

امتنع أبو طالب عن قول لا إله إلا الله وهو يعلم أن قولها لا يعنى التبرؤ من ملة عبد المطلب، وملة عبد المطلب خير من مؤسسات الحقوق الدولية ، وخير من تشريعات هيئة الأمم الكفرية، يقول النبى صلى الله عليه وسلم:«يا عمى، قلها كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال له أبو جهل:أترغب عن ملة عبد المطلب؟ عرف أنه إن قالها موقناً تبرأ من ملة عبد المطلب ؛ولذلك الحديث فى صحيح مسلم قال: : «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز جل»، قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: فى مسائل كتاب التوحيد على هذا الحديث قال: وهذا من أعظم ما يبين معنى : " لا إله إلا الله " فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه ، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها

للمنازع.

فهؤلاء ادعوا محبة الله فامتحنهم الله جل وعلا، والشاهد من الآية (يحببكم الله) فى إثبات صفة المحبة لله تعالى.

فعلى كل مسلم أن يسعى إلى نيل هذه المرحلة العظيمة والمنزلة الرفيعة ويتقرب إلى الله جل وعلا بما يمكنه ليحظى بهذه المحبة، وقد جاء فى صحيح البخارى عن سليمان بن بلال عن الشريف عن عطاء عن أبى هريرة أن النبى قال: «قال الله تعالى: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه،فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى عليها، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض عبدى المؤمن يكره الموت، و أكره مساءته».

وقوله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ الله جل وعلا يحب الذين يجاهدون ويقاتلون عدو الله، ويواجهونه

بعزيمة الصادقين وقوة المؤمنين،ويوحدون الصفوف فى مواجهة التحديات الخارجية، ويقاتلونه فى فلسطين، ويقاتلونه فى العراق، ويقاتلونه فى كشمير ويقاتلونه فى الشيشان، ويقاتلونه فى كل مكان تعلى فيه كلمة الله ولتكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

الله سبحانه جل وعلا يحب هؤلاء، وكثير من أبناء هذا العصر جعل هؤلاء مبغضين إرهابيين مكروهين، يلصقون بهم كل تهمة، ويتحدثون عنهم بما لا يتحدثون عن اليهود والنصارى،لا مانع إذا رأى الإنسان على إخوانه غلطا أن يوجه وأن يصحح لكن بالعدل والقسط الذى قامت به السموات والأرض،مع إظهار المحبة والنصح.

أما أن يتخلف الإنسان عن نصرتهم ثم يسكت ويتباكى من أحداث سبتمبر إلى عاشوراء، فيبكى على النصارى ويبكى على مشركى عاشوراء فى كربلاء، وما أدراك ما كربلاء وهكذا،ولا يتباكون على الضحايا الذين يسقطون فى كل يوم، ويتباكون على المشركين الوثنيين من الرافضة و اليهود والنصارى.

هؤلاء مخذولون منهزمون فكريا وعقديا

وسياسيا وفى نفس الوقت هؤلاء يكتبون أشد الأ لفاظ، هناك ألفاظ لا يطلقونها على أعداء الدين، كدعوى أن هؤلاء فجرة، أو أن هؤلاء لايسترشدون بآراء العقلاء، أو أن هؤلاء سفهاء، ، وهذه الصفات لا يطلقونها على مشركى عاشوراء،ولا على المشركين القائمين على لعن الصحابة فى هذه الأ ماكن، وإنما يطلقون هذه الألفاظ على الموحدين، ونحن لا نمنع كون الإنسان ينقد،بل هذا حق مشروع له،مادام يسير على الكتاب والسنة،ولكن لماذا يكون هؤلاء الذين يفتكون بالمشركين فجرة،؟لماذا هذا فاجر وذاك ليس بفاجر؟ لولا الظلم والبغى والعدوان وسوء المنهج لما قيل ذلك.

قوله جل وعلا: وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ الودود شديد المحبة، وفى ذلك إثبات لصفة الحب لله جل وعلا.

هكذا تحدثنا عن إثبات صفة المحبة ولا يختلف فى ذلك أهل السنة، وشرق بذلك أهل البدعة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

وهؤلاء مراتب، المرتبة الأولى: الذين ينكرون الأ سماء والصفات مطلقًا، وهؤلاء كثيرون من الباطنية والإسماعيلية والرافضة والجهمية ونحو

هؤلاء، وكثير من الناس حين يتحدث عن النفاة يربط ذلك بالجهمية، وهذا حق لكن لا يختصون بذلك.

الرافضة أخبث من الجهمية فى باب الأسماء و الصفات.

النوع الثانى: الذين يثبتون الألفاظ دون المعانى، وهؤلاء طوائف كثيرون منهم المعتزلة، يقولون بأن الله سميع بلا سمع، عليم بلا علم، رحيم بلا رحمة، وهذا مناقض للمنقول ومكابرة فى المعقول، فلا يصح أن يوصف أحد بأنه سميع ولكن لا سمع له، فلا يصح أن يسمى زيد ويصح أن يقال ليس فى شخص.

وانحرف فى هذا الباب المفوضة حيث يؤمنون بالأسماء والصفات ولا يثبتون المعانى, أهل العلم يعتبرون المفوضة شر من المعتزلة على اعتبار أن المفوضة موهمون بعباراتهم وكلامهم أنهم على مذهب أئمة السلف، لأنهم يقولون نثبت هذه الأسماء والصفات ولكن لا يثبتون المعانى ، ولذلك يقولون تقرأ ولكن لا تفهم أى بمنزلة الأميين الذين يقرؤون ولا يعون.

طوائف من هؤلاء ليس كلهم يقولون: ولا بأس أن الإنسان لا يقرأ آيات الأسماء والصفات حتى لا يقع فى قلبه شىء من حقائقها، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى كتابه (الرد على الملاحدة والزنادقة) وهو مطبوع (المجلد السادس من الفتاوى المصرية) وهو كتاب عظيم ومهم، فهذا يقتضى أن النبى أخطأ حين قال: من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت،أو يقتضى أن يكون الخطاب خاص بالعلماء دون غيرهم، وكلا الاحتمالين ضلال وانحراف فى الفكر والمنهج و العقيدة.

سبب ضلال هؤلاء سوء مصادر التلقى عندهم، والحقيقة أن مصادر التلقى هى سبب ضلال هؤلاء، كما أن هداية أهل السنة والجماعة سببها حسن التلقى عندهم، ولا ينفى وجود انحرافات فردية لدى طوائف من أهل السنة، الكلام على الأصول وليس كلام على الفرديات.

أهل السنة يقولون أن مصادر التلقى هى الكتاب والسنة، الأشاعرة والمتكلمون وغيرهم يقولون بأن مصادر التلقى هى العقل ثم النقل

فيقدمون العقل على النقل، وهؤلاء أيضًا فى تناقض آخر يجوزون التناقض فى العقل والنقل، وأهل السنة لا يؤمنون بذلك؛ يقولون بأن العقل الصحيح لا يخالف النقل السليم.

وإذا تعارض نص لفظ والعقل حتى ليس فالعقل إما فاسد الرائى صحيحا وهو بِ أو أن ذاك النص ليس ما قاله المعصوم بِ

القسم الثالث: الذين يؤمنون بالألفاظ ويحرفون المعانى، كالأ ِشاعرة والكرامية و الماتردية ، وآخرين -يقولون نثبت لله هذا اللفظ ولكن معناه كذا وكذا، يقولون: نقول بقوله الله جل وعلا: فَاتبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ولكن المحبة علامة على القبول، يقولون نثبت لله الرحمة ولكن علامة على إرادة الإحسان والجزاء، وهذا تحريف للكلم عن مواضعه لعدة أمور:

الأمر الأول: أنهم يقولون ذلك تحاشيًا عن مماثلة صفات المخلوق للخالق، وهم فى الحقيقة يشبهون أولا ً ثم يعطلون ثانيًا ثم يشبهون ثالثًا، الأمر الذى أدى بهم إلى هذا التأويل الفاسد لغة وشرعًا هو أنهم يظنون أنه إذا وافق اللفظ اللفظ وجد التماثل، وهذا جهل، حتى بعض أهل السنة

يجهل القضية،وهى أن المنفى فى القرآن هو التماثل لم ينف التشابه ،وهذا وضحه شيخ الإسلام بقوة فى مناظرة العقيدة الواسطية، المنفى التماثل ولم ينف التشابه؛ لأن التشابه نسبى.

الأمر الثانى: لما شبهوا- وجد فى النفوس هذا التشبيه- عطلوا، نفوا حقائق هذه الأسماء والصفات عن اللّٰه، ثم وقعوا حين فروا منه ثالثاً وقعوا فى التشبيه، شبهوا اللّٰه بالجمادات والمعدومات؛ لأن الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يرحم ولا يغضب وليس بمستو على عرشه هذا ليس بإله ولا بخالق.

تقدم بالأمس أن طوائف من المشركين يؤمنون بهذا سواء كان من مشركى قريش أومن مشركى القرون الأولى، والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى حين قال إبراهيم لأبيه: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا ، لم يقل آزر وهو مشرك مع أنه يريد أن يحاج ابنه إبراهيم لم يقل: وربك لا يسمع ولا يبصر، فكان إبراهيم يحتج عليه بأن اللّٰه هو السميع البصير ولم يكونوا يعارضونه بشىء من ذلك،فيقول إبراهيم عن آلهتهم بأنها لا تسمع ولا تبصر،إذاً لا يعبد الذى لا يسمع ولا يبصر إنما يعبد الذى يسمع ويبصر، لم

يكن أحد منهم يعترض و يقول: وربك لا يسمع ولا يبصر ،كانوا يؤمنون بذلك، ولكن يأتون بحجج أخرى.

قوله جل وعلا: بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ الباء للاستعانة، أى أبدأ مستعينًا بالله متوكلا ً عليه، متعلقًا به ،مفوضًا الأمر إليه، والبسملة فيها كل معانى التوحيد، إذا قال العبد (بسم الله) هو أقر بوجود الله، إذن هذا هو توحيد الربوبية، وفى نفس الوقت آمن بتوحيد الأسماء والصفات، وذلك فى ثلاثة أمور: لفظ الجلالة : الله، الأمر الثانى : الرحمن،الأمر الثالث: الرحيم

وفى البسملة توحيد الإلهية، لأنه قال بسم الله، لم يقل باسم الشيطان ولم يقل باسم الآلهة ک المشركين والباطنيين وغيرهم. هو قال: بسم الله، وإله من إله يأله إلهة، أى عبد يعبد عبادة، والإله حقيقة هو المألوه حبا وتعظيما، وإجلالا ً، ولا يختلف العلماء فى أن معنى كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) أى لا إله يعبد بحق إلا الله ومن قال: لا إله لنا، أو لا إله معبود، أولا إله موجود فقد غلط، وهذا قول المتكلمين، - وقد وقع فى ذلك كثير من النحاة- حين يعربون كلمة الإخلاص، لا نافية

للجنس إله اسمها، إلا أداة حصر، الاسم الشريف يكون بدلا من خبر محذوف تقديره معبود، ومنهم من يقول لنا، ومنهم من يقول موجود، وهذا كله غلط، الخبر المحذوف تقديره حق، لأن الآلهة المعبودة كثيرة، قال الله جل وعلا: ذَلِكَ بِأَنّ اللَّهَ هُوَ الْحَقّ ، أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ ، وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَا هُوَ الرّحْمَنُ الرّحِيمُ .

وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ربوبية وألوهية وأسماء وصفات أمر اجتهادي مأخوذ من أدلة القرآن والسنة، والأكثرون من العلماء يجعلونه ثلاثة أقسام، وذهب ابن تيمية وابن القيم وجماعة إلى أنه قسمان، فيدخل أحدهما في الآخر.

بعث الله الرسل بتوحيد الإلهية، وكانت الخصومة بين الرسل وأممهم في توحيد الإلهية، ولم يكن هؤلاء ينكرون وجود الله، فقد أخبر الله عنهم في مواطن أنهم يقرون بأن الله هو الخالق و الرازق ولكن لا يفردون الله بالعبادة، ولا ينفي هذا وجود طوائف لا يؤمنون حتى بوجود الله ك الدهرية الذين يقولون: أرحام تدفع وأرض تبلع، أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ .

إذن نأخذ من ذلك ،من الآية: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [سورة النمل] إثبات اسمى الله جل وعلا (الرحمن الرحيم) فالرحمن اسمه وصفته ولا يطلق إلا على الله، والرحيم اسمه وصفته ولكن يطلق الوصف على غير الله ،لا بأس أن تقول: زيد رحيم، كما قال الله عن نبيه بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ لكن لا يجوز بالإجماع أن تقول: فلان رحمن فهذا اللفظ لا يطلق إلا على الله، ومن تسمى به أو اتصف به ألبسه الله جلباب الكذب والخذلان، فحين تحركت نفس مسيلمة إلى التسمى بذلك -علق به (مسيلمة الكذاب) وهو يسمى نفسه (رحمن اليمامة) ،ولا يكاد يعرفه البشر إلا بمسيلمة الكذاب، فمن نازع الله فى أسمائه وصفاته علق به اسم آخر، ك المشرعين الآن الذين ينازعون الله فى اسمه (الحكم): إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ إن الله هو الحكم، وينصبون أنفسهم مشرعين، هذا رئيس لجنة التشريع وهذا نائبه، وهذا وزيره، ولذلك علق بهم اسم الطاغوت، لا يعرفون إلا بالطواغيت، ولذلك أمر الله بالكفر بهم وأرسل الرسل فى ذلك، وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ هذا اسمهم وهذا وصفهم فى القرآن.

وقوله جل وعلا: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً

وَعِلْمًا فالله واسع الرحمة وواسع العلم، وتقدم الحديث عن العلم وأن الله موصوف بالعلم، وأن الأ شاعرة يشاركون أهل السنة فى ذلك، وأن إثبات الأ شاعرة يختلف عن إثبات أهل السنة، ففيه إثبات لصفة الرحمة.

وجاء فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: فيما يروى عن ربه: «إن رحمتى سبقت غضبى» وقال تعالى: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

والرحمة نوعان: رحمة مخلوقة مذكورة فى قول الرسول : «إن الله خلق مائة رحمة أنزل واحدة واختبأ عنده تسعة وتسعين» النوع الثانى: الرحمة التى هى صفة من صفات الله، من قال بأنها مخلوقة فإنه كافر، وهى صفة كمال، الأ شاعرة يفسرون الرحمة بالرقة، ثم لا يجوزون هذا على الله ،ثم يضطرون إلى نفى صفة الرحمة عن الله فهم فى الحقيقة أتوا من التشبيه، فهم يشبهون ثم يعطلون، ثم يشبهون ثالثًا.

ولله در بعض أئمة السلف وهو حماد بن زيد، حين ناظر أحد الجهمية فقال له: فى بيتك نخلة ق ال: نعم، قال: لها جذع، قال: لا، قال فيها فرع، ق

ال: لا، قال فيها سعف، قال: لا، قال فيها ثمرة، قال: لا، قال: إذن هى ليست نخلة،ولا تسمى نخلة، كذلك أنتم نقول لكم: لكم رب، تقولون: نعم، يسمع: لا، قال، يبصر: لا، يرضى: لا، ينزل: لا، استوى على العرش: لا، إذن لا رب لكم.

لأن الذى لا يتصف بهذه الصفات ليس ربا ، اللّٰه هو الموصوف بالسمع والبصر، والرحمة والغضب و المحبة والنزول والاستواء ونحو ذلك من الصفات المجمع عليها ،وتواترت بها الأدلة.

وقوله جل وعلا: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ بخلاف الرحمن، رحمن فى الدنيا والآخرة، والرحمة لا تكون إلا للمؤمنين، ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بخلاف الكافرين، قال اللّٰه جل وعلا: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ، فإن اللّٰه غضب على هؤلاء، نثبت رحمة اللّٰه للمؤمنين ، وغضبه على اليهود والنصارى والكافرين من المشركين وغيرهم، فالرحمة للمؤمنين، ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولذلك يقول النبى صلى اللّٰه عليه وسلم: «إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله، ولن يغضب مثله أبدا».

فنثبت لله جل وعلا صفة الرحمة وصفة

الغضب، الرحمة بالمؤمنين والغضب على الكافرين، وهذه الصفات صفات كمال وهى حقائق تثبت على حقائقها فلا يجوز تحريفها ولا العدول بها عن حقائقها ومعانيها.

وتجب البراءة من الممثلة الذين يقولون رحمة الله كرحمة المخلوق، ومن المعطلة الذين ينفون عن الله ذلك.

تحدثت بالأمس عن وجود طوائف فى القرن الرابع والخامس والسادس وأوائل السابع وإلى عصرنا هذا، لكن يقلون ويكثرون، وكان لهم فى نفوذ فى القرن الرابع والخامس والسادس يحكون مذهب الأشاعرة على أنه اعتقاد أهل السنة، وهذا تقرؤه فى كتاب الفرق بين الفرق لأبى بكر البغدادى، وتقرؤه فى كتب القرطبى، وتقرؤه فى كتب النووى، يقول: قال أهل السنة، يقصدون بذلك الأشاعرة، فوجب التنبه لذلك، للذين لا يعرفون، يظنون أن هذا يقصدون به حكاية مذاهب أهل السنة المتمسكين بما عليه النبى وعليه الصحابة من الخلفاء الراشدين وبقية العشرة المبشرين بـ الجنة وآخرين.

قوله: وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلّ شَىْءٍ ففيه إثبات

صفة الرحمة وفى هذا أن الرحمة وسعت كل شىء ، ولكن قال الله عز وجل: فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ إذن فلا تنال الكافرين ،ولا تنال المشركين، إذن فمن أراد رحمة الله فليسع إلى طاعة الله وطاعة رسله، وقد جاء فى صحيح البخارى من رواية فليح بن سليمان، عن هلال بن على عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى».

وتقدم قبل قليل أن الرحمة تطلق على الرحمة المخلوقة كقوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق مائة رحمة ...» وقول الله جل وعلا للجنة: «أنت رحمتى» ، والرحمة صفة من صفات الله جل وعلا كالمذكور فى هذه الآيات فلا يختلف فى ذلك أهل العلم.

فأهل السنة يثبتون لله جل وعلا صفة الرحمة إثباتًا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل، لأن الله ليس كمثله شىء ولا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله وهو السميع البصير.

وقال تعالى: كتَبَ رَبُكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرّحْمَةَ كتب بمعنى أوجب، فالله جل وعلا أوجب على نفسه ولم يوجبه عليه مخلوق، والناس مختلفون فى هذا ، فمنهم من قال : إن هذا واجب أوجبه المخلوق على الله، وهذا مذهب المعتزلة ومذهب طائفة من المبتدعة، ومنهم من قال إن الله لا يوجب على نفسه شيئا وهذا ضلال وانحراف مخالف للقرآن.

هدى الله أهل السنة والجماعة لما اختلف فيه فيقولون بأن الله يوجب على نفسه ولا يوجب عليه المخلوق، والله يوجب على نفسه إنعامًا وتفضلا ً:

ما للعباد عليه حق كلا ولا سعى لديه
إن عذبوا فبعدله أو فبفضله وهو الكريم

كتَبَ رَبُكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرّحْمَةَ فى ذلك إثبات توحيد الأسماء والصفات وهذا بدلالة المطابقة، وفيه إثبات توحيد الربوبية بدلالة التضمن، الدليل على بعض معناه، وفيه إثبات توحيد الإلهية بدلالة الالتزام، ما معنى ذلك؟

الدلالات ثلاث :دلالة المطابقة وهى دلالة الدليل على كل معناه، دلالة تضمن: وهى دلالة الدليل على

بعض معناه، دلالة التزام، دلالة الدليل على أمر خارج لازم للمعنى.

وقوله جل وعلا: وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فيه إثبات اسمين الغفور اسمه وصفته، والرحيم اسمه وصفته.

فنثبت لله صفة المغفرة، ونثبت لله صفة الرحمة، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، ولكن ينبغي كما تقدم بالأمس حيث تحدثت بتوسع وقبل الأمس أيضًا أن نعلم أن هذه الأسماء ليست مجرد ألفاظ نثبتها ونؤمن بمعانيها دون تطبيق ذلك فى أرض الواقع، الأسماء والصفات لها آثار، فحين نؤمن بأن اللّٰه هو الغفور ونثبت لله صفة المغفرة، لا بد أن نتصف نحن أيضًا بصفة المغفرة و التجاوز عن آفات المخلوقين، نثبت لله صفة الرحمة، فنتصف بالرحمة، فإن اللّٰه قد كتب الإحسان على كل شىء، فإذن الرحمة ممتدة على البهائم والطيور والحشرات، فليس من الرحمة فى شىء أن نسلط ألسنتنا على الآخرين بدون حق، ليس من الرحمة فى شىء أن نعذب بالنار حتى الحشرات، ليس من الرحمة فى شىء أن نوجع ظهور العباد بالسياط، ليس من الرحمة فى شىء

أن نقتات بلحوم العلماء والدعاة والمصلحين، ليس من الرحمة فى شىء أن نبهت المخلوقين وإن كنا نختلف معهم فى الفكر والمنهج ،ليس من الرحمة فى شىء أن نظلم العباد.

إذن لا بد أن يكون لذلك أثر، فكوننا نؤمن ولا نجد أثرا هذا هو انحراف ،كالذين يؤمنون باللفظ هم سيان فى الضلال والانحراف طائفة لا يؤمنون بالألفاظ، وطائفة يؤمنون بالألفاظ ولا يؤمنون ب المعانى المثبتة لله ولا تتمثل فيهم حقيقة ذلك فى واقعهم، وطائفة يؤمنون بالألفاظ والمعانى ولكن لا تتمثل حقيقة ذلك فى واقعهم، هؤلاء ضالون وهؤ لاء منحرفون وإن كان الضلال والانحراف يتفاوت من شخص إلى آخر.

قوله: فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فالله خير حافظا لجوء إلى الله واتكال عليه وتفويض الأمر إليه، فمن علم بأن الله هو الحافظ، وأن الله هو الحكيم، فهذا يجعله يتوكل عليه أكثر ويفزع إليه أكثر من غيره، ويقدر ما ينقص فى قلب العبد من تحقيق هذا المعنى بقدر ما يقل توكله على الله والاعتماد على الله وتفويض الأمر إلى الله، فالله جل وعلا خير حافظًا وهو أرحم

الراحمين.

وفيه إثبات الرحمة للمخلوق، ولكن الله هو أرحم الراحمين، ولكن لم ينف الله جل وعلا عن الآ خرين الرحمة، ولكن رحمة المخلوق نسبية، وغير معتدلة، قد يرحم فى شىء ويجور ويظلم فى شىء آخر، لكن الله جل وعلا حكم عدل يقوم ب القسط وهو أرحم الراحمين، ورحمته وسعت كل شىء فالله جل وعلا: «هو خير حافظًا» فنؤمن بذلك ونتوكل عليه ونفوض أمرنا إليه؛ ولا نؤمن بمجرد الألفاظ، وفى نفس الوقت نستحكم غيره ونستنصر بغيره ونلجأ إلى غيره، الإمام ابن عقيل رحمه الله تعالى، ابن عقيل رحمه الله هو نموذج من هذا، نموذج من الذين يؤمنون بالألفاظ ونموذج أيضًا من الذين لا يؤمنون بمعتقدات أهل السنة و الجماعة فى إثبات المعانى فيحرف المعانى، ويقول عن الرحمة إرادة الإنعام،ويقال إنه تاب فى آخره، لكن ماذا يقول فى المعانى، هو مؤمن ب المعانى حقيقة ، مؤمن بأثر هذه المعانى وبأثرها على المخلوق فهو يقول: أنا لا أنظر ولا أقيس إيمانى بالازدحام عند باب المساجد ولا فى قول لبيك اللهم لبيك، ولكن أنظر وأقيس إيمانى أين يفزع قلبى عند حدوث النكبات والشدائد.

بعض الناس حين تحصل له نكبة أو شدة وله واسطة أو مكانة أو ارتماء فى أحضان مخلوق يفزع قلبه إلى هذا المخلوق وأنه هو الذى يتوسط له أو ينجيه من هذا الكرب فيخذل.

وبعض الناس يلجأ إلى اللّه ويتوكل عليه وينيب إليه ولسان حاله يقول: فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ .

إذا انقطعت أطماع عبد تعلق بالرب الكريم رجاؤه
فأصبح حرا عزة وقناعة على وجهه أنواره وضياؤه
و إن علقت بالخلق أطماع تباعد ما يرجو وطال
فلا ترج إلا اللّه فى ولو صح فى خل الصفاء

إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة و التسليم، حيين ألقى فى النار ماذا قال؟ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ لم يلجأ إلى مخلوق ولا من يتوسم فيه خيرًا فى نصرته، فلم يبعث وسائط للقوم المجرمين يخفقون عنه العقوبة، لجأ إلى اللّه فلذلك نجاه اللّه من القوم الظالمين قال: حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ أى كفيلى اللّه ونعم الوكيل وله نفوض أمرنا، فقال جل وعلا: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ .

نبينا محمد حين قيل له إِنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا

لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ماذا قال؟ قال: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

والنماذج الحية الموجودة المتمثلةفى أئمة الهدى ومصابيح الدجى إلى عصرنا هذا كثيرة من الذين يلجؤون إلى الله ولا يلجؤون لمخلوق.

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حين ذهب على البلاد المصرية، وتواطأ أهل مصر على قتله، فتوجه إليه بعض المحبين له وقالوا له: إنهم قد أعدوا لك عددهم وعددهم يريدون قتلك، وكان متوسداً على طرف من الحصى ،لو قيل ذلك لبعض الناس ربما احمر وجهه واصفر، وربما أغمى عليه فى مكانه،لكنه استقعد وأخذ ترابًا ثم نفخ فيه وقال:إن هم إلا كالتراب،وقيل إنه قال:إن هم إلا ك الذباب ...

وحين سجن ماذا قال؟ قال: (ما يصنع بى أعدائى)، ليس كالواحد منا حين يسجن يبحث عن واسطة لتخرجه ويقول: (رب أخرجنى) قل: (رب ثبتنى)، الناس الذين سجنوا وقال الواحد منهم (رب أخرجنى) غلط ، قل(رب ثبتنى): كم شخص دخل السجن، وخرج منحلا ً عن عقيدته منحرفًا ضالا ً أو زنديقا أو فاسقًا أو عارًا على أهل الحق،

فسل اللّه الثبات، ولا حرج أن تسأل بعد ذلك المخرج، لكن سل اللّه الثبات، كم شخص سجن ودعا اللّه أن يخرج فخرج ،وخرج منحرفًا ،كم شخص سجن وسأل اللّه الخروج فخرج وصار خبيثًا ووبالا ً على هذه الأمة، سل اللّه الثبات... يقول الإمام:(ماذا يصنع بى أعدائى إن سجنونى فسجنى خلوة)، هذا أثر من آثار الإيمان بالأسماء و الصفات، فإذاً لا بد أن ندرس الأسماء والصفات وأن نطبق ذلك على أرض الواقع، وتتمثل آثاره فى واقعنا، إذا كنا نؤمن بالألفاظ دون المعانى،ولا تتمثل آثار ذلك فى واقعنا - إذاً ما استفدنا من الإ يمان بالأسماء والصفات، الإمام بعد ذلك يقول: (إن سجنونى فسجنى خلوة، وإن قتلونى فقتلى شهادة ، إن أخرجونى فإخراجى سياحة).

نقف على هذا واللّه أعلم.

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط رقم (3)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى الحديث عن صفات الله جل وعلا: صفة الرضا وصفة الغضب وصفة الكره والمقت.

فلا يختلف أهل السنة والجماعة فى إثبات ذلك وهذه الصفات من الصفات الفعلية الاختيارية.

وصفات الله جل وعلا نوعان:

صفات ذاتية، كالوجه واليدين ونحو ذلك، وصفات فعلية اختيارية كالرضا والغضب والمقت والكره والانتقام ونحو ذلك، وأهل السنة والجماعة لا يختلفون فى إثبات هذا وذاك، ولا يحرفون الكلم

عن مواضعه يؤمنون بكل ما جاء عن الله على مراد الله، وبكل ما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله .

ويؤمنون بأن هذه الصفات صفات كمال لله جل وعلا.

ويؤمنون بغيرها مما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة أو أحدُهما.

قوله جل وعلا: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ}، أى عن الصحابة ففيه إثبات صفة الرضا، وهى من الصفات الفعلية الاختيارية، فالله جل وعلا يرضى عن القوم المؤمنين، {وَرَضُوا عَنْهُ} أى حيث حباهم وأكرمهم ونصرهم وأعزهم وأدخلهم جنته.

وقال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} للذين أحسنوا: أى قاموا بأمر الله وأمر رسوله ، الحسنى: أى الجنة. وزيادة: النظر إلى وجه الرب جل وعلا.

فيؤخذ من ذلك إثبات صفة الرضا، ويؤخذ من ذلك إثبات الصفات الفعلية لله جل وعلا، ويؤخذ من ذلك إثبات الصفات الاختيارية لله جل وعلا، ففيه الرد على المعتزلة وعلى الجبرية وعلى الأ شاعرة وغيرهم من أهل البدع، وفيه الرد على

الرافضة حيث رضى الله على الصحابة أجمعين وهؤلاء يلعنون من ويمدحون من سخط الله عليه من دعاة الشرك كنصير الشرك الطوسى يمدحونه ويثنون عليه وكنصير التتر ابن العلقمى ويعتبرون تواطؤه ومؤامرته على الإسلام أو يمتدحون تواطؤه ومؤامرته مع التتر على الإسلام والمسلمين.

فتاريخ الرافضة اليوم أخبث من تاريخهم بالأمس فهم فى كل عصر وفى كل جيل حمير لليهود والنصارى.

ويؤخذ من ذلك إثبات القدرة للعبد والمشيئة للعبد، فمشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الخالق، قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا تشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ قوله: ﴿وَمَنْ﴾ من صيغ العموم اسم شرط لازم تجزم فعلين: الأول: فعل الشرط، والثانى: جوابه وجزاؤه ، ولا يتحقق جواب الشرط إلا بتحقق فعل الشرط.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ القتل هو: إزهاق النفس، بحديدة أو غيرها، قوله: ﴿مُؤْمِنًا﴾ خرج من ذلك الكافر؛ لأن الكافر ليس له حرمة كحرمة المسلم، و

لأن الكفار يدعون إلى الإسلام، فحين يجيبون تعصم دمائهم وأموالهم، وحين يمتنعون يدعون إلى الجزية فحين يجيبون تقبل منهم ويكف عنهم، وحين يمتنعون يقاتلون بإجماع المسلمين، وهذا يسمى عند الفقهاء بجهاد الطلب، وهو أن تطلب الكفار فى عقر ديارهم وتبحث عنهم فى أماكنهم لتكون كلمة الله هى العليا، يستثنى من ذلك المستأمن والمعاهد الذى يأتى لمصالح المسلمين أى يأتى بأمان ليؤدى مهمة دنيوية ولا ينقض العهد ولا ينكثه فلا يجوز الاعتداء عليه بإجماع؛ لقوله : «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة».

المؤمن له حرمة عظيمة وقد قرن الله جل وعلا قتله بغير حق بالشرك بالله، فقال الله جل وعلا: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}، وقال النبى : «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الشرك بالله والقتل»، حديث جيد.

وهذا الكعبة على عظيم منزلتها عند الله وكبير قدرها فى قلوب المؤمنين، هى لا تقارن فى

القداسة والعظمة والحرمة بحرمة المسلم، وحين نظر ابن عمر إلى الكعبة قال: (ما أعظم حرمتك عند الله، ووالله للمؤمن أعظم حرمة منك).

وقال والخبر فى الصحيحين: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، و الثيب الزانى، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

قوله: {مُتَعَمِّدًا} خرج من ذلك قتل الخطأ، {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ}.

وقوله: {فَجَزَاؤُهُ} الفاء رابطة لجواب الشرط، {فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا}، الخلود هو المكث الطويل، وجاء الخلود فى القرآن على نوعين، النوع الأول، التأكيد بأبدا، وهذا يختص به الكفار، فإنهم ماكثون فى جهنم أبد الآبدين ودهر الداهرين.

قال الله جل وعلا: {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}، وقال تعالى: {لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، قال الحسن البصري وغيره من العلماء: كلما مضى حقب، أتى حقب آخر، وهكذا يعذبون إلى غير أمد، ولا يختلف فى ذلك العلماء والفقهاء.

والنوع الثانى: الحكم بالخلود دون تأكيده بأبدا ، الأول جاء فى الكفار، والثانى جاء فى عصاة

المسلمين قال الله جل وعلا فى المؤمنون: {فَأُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، هذا لا يعنى التأبيد ولا يعنى الكفر، قال الله جل وعلا فى لعنة من قتل مؤمنا {فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا} وهذا لا يعنى أنه كافر لأنه لم يقل أبدا.

فالذين يريقون دماء المسلمين بغير حق معرضون للوعيد الشديد، ولا يحكم عليهم بأعيانهم لأنهم فى النار، لأن الذى لا يختلف فيه أهل السنة والجماعة أنهم لا يحكمون على أهل الكبائر لا بجنة ولا نار، بل لا يحكمون على المسلمين لا بجنة ولا بنار، ولكنهم يرجون للمحسنين ويخافون على المسيئين، ويقولون فى مثل قوله : «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»، ونحو ذلك أن هذا من نصوص الوعيد، ويقولون بأن الله جل وعلا لا يخلف وعده ولكن قد يخلف وعيده؛ لأن إخلاف الوعيد صفة كمال بخلاف إخلاف الوعد.

قوله: {وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ} هل الشاهد من ذكر هذه الآية فى هذا الباب إثبات أن الله جل وعلا يغضب ويلعن، يغضب على من يستحق الغضب ويلعن من يستحق اللعن ويستوجبه، قال الله جل وعلا: {غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} فالغضب صفة كمال لله جل وعلا، وقال النبى كما يروى عن ربه: «إن

رحمتى سبقت غضبى»، وقال النبى : «إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله، ولن يغضب بعده» وغير ذلك من الأحاديث المتواترة عن رسول الله فى إثبات صفة الغضب، فالجهمية و المعتزلة والأشاعرة والماتردية وغيرهم، ينكرون صفة الغضب ولا يثبتون ذلك لله، ويرون أن إثبات هذه الصفة يعنى تماثل صفات الخالق بالمخلوق، وتقدم مرارا بأن هؤلاء يشبهون أولا ثم يعطلون ثانيا ثم يشبهون ثالثا، فالذى حدى بهم إلى إنكار صفة الغضب هو التشبيه المستقر فى قلوبهم، والإلحاد المتمكن من أدمغتهم، حين نتحدث عن الإلحاد فى باب الأسماء والصفات نقصد الميل دائما، ليس هو الإلحاد بمعناه الشمولى الذى هو إنكار وجود الخالق، أو الملاحدة التى تقول: إنما هى أرحام تدفع وأرض تبلع، نتحدث عن الإلحاد فى باب الأسماء والصفات وما أعنيه هو الميل لقول الله جل وعلا: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ} أى يميلون، وهو من اللحد فى القبر لأنه مائل.

الأشاعرة يعتذرون عن إثبات صفة الغضب لله بأمور:

الأمر الأول: يقولون: إن الغضب غليان الدم هذا فى المخلوق والله منزه عن ذك.

والأمر الثانى: لا يعتبرون الغضب صفة كمال.

الأمر الثالث: يقولون: حين نثبت لله صفة الغضب فنحن نشابه المخلوق بالخالق.

وإلا فهم يقرون بأن الله أطلق على نفسه فلا ينكرون القرآن.

الجواب عن هذا أمور:

الأول: أن الغضب لم يثبت فى حق المخلوق أنه غليان فى الدم؛ لأن الغضب يأتى للمخلوق فى عدة أمور عدة أسباب فقد يكون هذا وقد يكون لسبب آخر، والناس يتفاوتون فى الغضب، فالذين يغضبون حين تنتهك حرمات الله، غير الذين يغضبون حين تخالف أوامرهم.

الأمر الثانى: أنه حين يكون الغضب للمخلوق لا يؤدى هذا إلى تماثل الخالق مع المخلوق، لأن الله جل وعلا نفى عن نفسه المماثلة فقال: {ليس كمثله شىء وهو السميع البصير} فالله جل وعلا سمى بعض عباده ووصف بعض عباده بالسمع والبصر وسمى نفسه سميعا بصيرا، سمى عباده أحياءًا وسمى نفسه حيًا فلا يلزم من وجود السمع والبصر والحياة للمخلوق أن تكون مماثلة أو مشابهة للخالق، لأن هذا الخالق وهذا المخلوق، والله جل

وعلا جعل فى عباده قدرة وله صفة القدرة وقدرة المخلوق تختلف عن قدرة الخالق.

والدليل الذى دلل الأشاعرة عليه لنفى صفة الغضب عن الله هو الحقيقة دليل نستطيع أن نستدل به على نفى الصفات السبع التى يثبتونها لله، فحين يثبتون لله صفة العلم، نقول فيه مشابهة لأن علم المخلوق مثل علم الخالق، الحين يقولون لا، يختلف، نقول الدليل الذى يُستدل به على الاختلاف هو نفس الدليل الذى يستدل به على الاختلاف فى صفة الغضب، والدليل الذى يستدل به على إثبات صفة العلم لله هو نفس الدليل الذى يستدل به على صفة الغضب لله لا يختلف هذا عن ذاك، إلا الذين يكابرون ويجمعون بين متناقضات ويفرقون بين المتناقضات هؤلاء خارجون عن نطاق الخطاب لأنهم ليسوا فى عداد العقلاء، وهؤلاء الأشاعرة يدعون العقل ودائما ينادون بالعقل، يقدسون العقل أمام تقديس النقل.

وهؤلاء الذين ينادون بالعقل هم أجهل الناس بـ المعقولات، وهم أبعد الناس عن الهدى وكثيرا إذا رأيت الرجل ينادى بشىء فهو يريد أن يغطى عيبه ونقصه، كواقع كثير الآن من هذا العصر المنتسبون للدعوة وإن كان لهم فضل يختلفون عن هؤلاء لكن

حين يوجد عندهم نقص فى مناقشة قضايا المسلمين ينادون الآن بالحكمة والتريث والعقل فهم يخذلون أو عندهم خذلان كبير للدين فيريدون تغطية الخذلان بالمناداة بالتريث والعقل والحكمة وبعد النظر، هم ما عملوا شيئًا من العقل و الحكمة وبعد النظر، هم ما عملوا شيئا من ذلك، هم يسارعون فى إدانة الأحداث المتعلقة بالوثنين وباليهود والنصارى، وأين العقل ؟ ولا يسارعون بإدانة الأحداث المتعلقة بالمسلمين، هذا يأتى العقل ، ولا يأتى العقل عند الوثنيين.

فهؤلاء من هذا الباب يعتبرون أهل بدع وأهل ضلال، وإن لم يشابهوا هؤلاء ولم يضلوا كما ضلوا لكن فى ضلال فى أبواب أخرى وانحرافات، ولعل التأسيس الفكرى والمنهجى هو الذى يؤدى بالعبد إلى هذا الضلال، والانحراف، فالذى لا يبنى الأ صول ولا التمسك ولا فكره ولا دينه ولا عقيدته على الكتاب والسنة فأتصور والعلم عند الله بأن يكون مآله كمآل هؤلاء، والذى يبنى ثقافته وعلمه على مجرد الجرائد والمجلات والبحوث العامة و الثقافة العامة ونحو ذلك يكون ملجأ وبؤرة للمتناقضات والبعد عن التماثل.

قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا

رِضْوَانَهُ}:

أى هؤلاء الذين غضب الله عليهم وتتخطفهم الملائكة السر فى ذلك أنهم اتبعوا ما أسخط الله، ويأخذ من ذلك إثبات صفة السخط لله، وهذه الصفة من الصفات الفعلية الاختيارية.

{وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ} يأخذ من ذلك إثبات صفة الكره لله، وهما من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأخذ من ذلك إثبات صفة الرضا لقوله: {رِضْوَانَهُ} وقد تقدم {رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} وقال تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ} وأهل السنة يثبتون ذلك إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل، فلا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون فى أسماء الله آياته ولا صفاته، لأن الله موصوف بصفات الكمال، ومن لم يستقر فى ذهنه وفى فطرته بأن صفات المخلوق لا تماثل صفات الخالق وعنده قاعدة واضحة فى التفريق بين الخالق والمخلوق لا يقع فى ذهنه ما يقع فى قلوب الأشاعرة أبدا، لأ ن هؤلاء يقع فى أذهانهم بسبب التعاليم الفاسدة. من ذلك أن الأشاعرة يقدمون العقل على النقل فهذا أدى بهم إلى التناقض، ومن ذلك التربية فهم يتربون على كتب المتكلمين فإن هذه الكتب مؤداها أنه لا يصح إيمانًا حتى يحصل شك

واضطراب وتناقض ونحو ذلك، ولذلك قال بعض أكابرهم: يا ليتنى أموت على عقيدة إحدى عجائز نيسابور.

وقال آخر وهو الشهرسانى:

لعمرى لقد طفت المعاهد

وسيرت طرفى بين تلك

فلم أر: إلا واضعًا كف

على ذقن أو قارع سن نادم

وقال الرازى:

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وحشة من

وغاية دنيانا أذً ووبالُ

ولم نستفد من بحثنا

سوى أن جمعنا فيه قيل

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ً، ولا تروى غليلا ً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.

أقرأ فى الإثبات: {الرّحمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى} {إلَيْهِ يَصْعَدُ الكلِمُ الطّيّبُ}، وفى النفى: {لَيْسَ كمِثْلِهِ شَىْءٌ}، {وَلَا يُحيطُونَ بِهِ عِلمًا}، ومن جرب مثل

تجربتى عرف مثل معرفتى.

وقوله جل وعلا: {فَلَمَّا آسَفُونَا} أى: أغضبونا، فيه إثبات صفة الغضب لله جل وعلا. ويثبت النص لا حرج منه، إثبات صفة الأسف.

{انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} فيه إثبات صفة الانتقام لله جل وعلا.

وقد قال بعض أهل السنة: المنتقم اسم من أسماء الله فهو اسمه وصفته، وأنكر شيخ الإسلام ابن تيمية مثل هذا، وأنكر أن يكون المنتقم اسما لله لأن لم يرد دليل فى ذلك فهو صفة لله، لأنه لم يرد إلى على وجه الإثبات، أو مضاف {إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} فقد جاء مضافًا.

فالله ينتقم ممن يستحق الانتقام، كما أن الله يمكر بما يستحق المكر، ويستهزئ بما يستحق الا ستهزاء، {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ} وسيأتى الحديث عن ذلك.

{سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ} {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا}.

وقوله: {وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ} فيه إثبات صفة الكره لله جل وعلا، وفيه أن الله جل وعلا ثبط هؤلاء فهذا اللفظ يطلق على الله جل وع

لا، فهذه صفات كمال لله جل وعلا.

فيطلق لله ما أطلقه على نفسه، ولا نتحاشا شيئًا من ذلك، لأن القلوب لم تألف ذلك أو لم تسمعه من قبل، ما أطلقه اللّه على نفسه يجب إطلاقه والإيمان به، من وقع فى قلبه شىء من ذلك فليعرضه على من يعلم، يرشده إلى الصواب ويدله إلى الهدى.

وقوله: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ} مقتًا: نصب على التمييز، أى كبر من المقت.

اسم بمعنى من مبين نكرة

ينصب تمييزا بما قد فسره

{أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} فهذا عظيم عند اللّه، وكبير، وممقوت، أن يقول العبد ما لا يفعل، فيه إثبات صفة المقت لله جل وعلا، فهذه بقية الصفات الفعلية الاختيارية، ويأتى إن شاء اللّه زيادة تقرير للصفات الفعلية الاختيارية وللصفات الذاتية.

واللّه أعلم



بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط (4)

ما زال ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية في سرد الآيات الدالة على إثبات الأسماء والصفات لله تعالى، فإن أهل السنة يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسنة فيثبتون لله الأسماء والصفات إثباتا بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل؛ لأن الله جل وعلا ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهو السميع البصير، فيخالفون أهل البدع من المعطلة والمؤولة و المفوضة.

ما الفرق بين التعطيل والتأويل ؟ التعطيل :نفي الصفة ، والتأويل : إطلاق اللفظ ، واستبدال المعنى بغيره . المعتزلة يقولون أن الله - جل وعلا - سميع بلا سمع، عليم بلا علم، والأشاعرة يطلقون الألفاظ ،ويستعيضون عن إثبات المعاني بمعان أخرى فهذه تسمى الألفاظ المجردة.

هل كل اسم نفهم منه صفة؟

مثال ذلك: وهو السميع البصير؛ نشتق من الاسم صفتين وهما السمع والبصر، طيب أسماء الله مشتقة أم لا؟

يقول بن القيم - رحمه الله تعالى - في النونية:

أسماؤه أوصاف مدح مشتقة قد حملت

يشترط لكي نثبت لله اسماً شروط: أن يدل على معنى،يجب أن يدل على معنى،مثلا الدهر، النبي يقول «إن الله هو الدهر» هل نقول عن الدهر أنه اسم من أسماء الله أو لا؟ اتفق أهل السنة على أن الدهر ليس اسماً من أسماء الله

لماذا ؟ مع أنه يطلق على اللّه؛ لأنه اسم لا يدل على معنى،فمعناه :يصرف الليل والنهار

وأيضاً لو كان الدهر اسماً من أسماء اللّه لكان قول المشركين وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ صحيحاً، لأن الدهر هو اللّه - لو قيل هذا - فالدهر ليس اسماً من أسماء اللّه، واتفق أهل السنة على أن الدهر ليس اسماً من أسماء اللّه، وخالفهم بن حزم - رحمه اللّه .

الشرط الأول: أن تكون دالة على معان، وهذا معنى قول بن القيم:

أسماؤه أوصاف مدح كلها

الشرط الثاني: أن تدل على مدح كلها، ولذلك اختلف أهل العلم في المسعر ، فقال البعض: إن المسعر ليس اسما من أسماء اللّه.

الشرط الثالث: أن تكون مشتقة، وأشار إلى هذا بقوله: مشتقة قد حولت لمعاني.

في هذا البيت رد أيضاً على المعتزلة ورد على

الجهمية ورد على المفوضة وهذا في قول بن القيم قد حولت لمعاني .

ما الفرق بين الاسم والصفة؟

الفرق الأول: أن الصفات تشتق من الأسماء ، فكل اسم تؤخذ منه صفة.

الفرق الثاني :أن الأسماء دالة على الذات.

والصفات نوعان:

1- صفات فعلية اختيارية،

2- وصفات ذاتية.

الفرق الثالث: أنّ التعبيد في الأسماء للمخلوقين يكون للأسماء دون الصفات ما لم تضف إلى الذات فلا يصح أن تقول : عبد الوجه، هذا حرام؛ لأن الوجه صفة من صفات اللّٰه وليس اسماً ، في غير ذلك يكون .

نتحدث الآن عن الأدلة التي ذكرها شيخ الإسلا م بن تيمية - رحمه اللّٰه تعالى - في إثبات الصفات الفعلية الاختيارية.

قوله - جل وعلا - هَلْ يَنْظُرُونَ فيه إثبات صفة المجيء لله تعالى، يخاطب اللّٰه المؤمنين ليعتبروا بالأمم السابقة؛ لأن الأصل في المؤمن أن يستفيد ويتعظ بما حدث للأمم السابقة، فما جاء في القرآن من خطاب اليهود، ومن خطاب النصارى، ومن خطاب المشركين – هو في الحقيقة خطاب

لنا ، لنبتعد عن خصالهم ونتأى بأنفسنا عنهم، فقوله - جل وعلا - قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ،هذا يعني أن المسلمين ليسوا على شيء حتى يقيموا كتاب الله ويتبعوا سنة رسول الله

فقوله - جل وعلا - هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فيه إثبات المجيء لله - جل وعلا - فإن الله - جل وعلا - يأتي يوم القيامة لفصل القضاء، وهذا من الصفات الفعلية الاختيارية، وأهل السنة يؤمنون بذلك.

وخالف في ذلك أهل البدع؛ من الجهمية و المعتزلة والأشاعرة وغيرهم؛ ويقولون عن المجيء بأنه مجاز وهذا غلط من وجوه:

الوجه الأول: أن الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز؛ فقد حكى ابن عبد البر- رحمه الله - في المجلد السابع من التمهيد الاتفاق، ولو لم تكن الحقيقة هي الأصل في الكلام لكن الناس في اضطراب، يتحدثون ويقولون نعني المجاز؛ فلا يكون للحقيقة معنى.

الأمر الثاني: أن المجاز لم يكن له أصل في كلا م الله ولا كلام رسوله، ولم يكن معروفاً في القرون المفضلة، وقد حدث بعد ذلك و يعبرون عنه بمعنيين؛ الأول ما أمكن نفيه، الثاني هو ما ليس له حقيقة، وله أكثر من معنى أيضاً عند من يقولون بـ

المجاز.

الأمر الثالث: أن الله - جل وعلا - أخبر عن مجيئه في أكثر من آية وهذا يتعذر معه المجاز فحين تخبر عن شخص تقول قدم زيد ثم بعد قليل تقول جاء زيد ثم بعد قليل تقول أقبل زيد، هل يتأتى المجاز في ذلك؟ أنت تخبر عن مجيئه في ثلاثة مواضع بألفاظ مترادفة؛ تقول جاء زيدٌ، أقبل زيد، أتى زيد، يتعذر المجاز في هذه الحالة؛ لأ ن هذا تأكيد لهذا وهذا تأكيد لهذا، لكن لو جاء في موضع واحد لربما احتمل - مع أنه باطل في باب ا لأسماء والصفات - فحينما يأتي في أكثر من آية و لا سيما حين يقرن الله - جل وعلا - مجيء الملا ئكة ومجيء الآيات بمجيئه، فهذا يبطل كل قول وكل دعوى في المجاز ،فإن الله جل وعلا يقول: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ وقول الله - جل وعلا - وجاء ربك والملك صفاً صفاً فأخبر الله - جل وعلا - عن مجيئه وعن مجيء الملائكة، ولم يختلف الصحابة والتابعون والأئمة المتبوعون في أن المعنى في قول الله - جل وعلا - هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ أي لفصل القضاء يوم القيامة.

قوله وَالْمَلَائِكَة فيه إثبات الملائكة؛ ف المؤمنون يثبتون ذلك ،ويؤمنون بأن لله ملائكة؛ يثبتون ذلك إجمالا ً بالإجمال وتفصيلا ً ب

التفصيل، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ،فمن الإجمال حديث الرسول «هذاالبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون» يختص الإ يمان بجبريل وميكائيل وإسرافيل ،وغيره من المسمين في كتاب اللّه، وعلى لسان رسول اللّه ، فقد قال النبي «أذن لي أن أحدث عن ملك من م لائكة اللّه، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة خمسمائة عام» رواه أبو داود وغيره.

قوله وَقُضِيَ الْأَمْرُ أي بالفصل بينهم، وجاءهم ما كانوا يوعدون، فريق في الجنة وفريق في السعير وقوله - جل وعلا - هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أي لقبض أرواحهم ، أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أي لفصل القضاء يوم القيامة، أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ من عذاب وبطش وبراكين وزلازل وفيضانات وغير ذلك يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ فإن التوبة لا تقبل في موطنين؛ فالأول حين تطلع الشمس من مغربها فلا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل؛ فلا ينفع نفساً أسلمت وآمنت لم تكن آمنت من قبل، الأ مر الثاني :حين تبلغ الروح الحلقوم، فلا تقبل توبة أحد؛ فلا يقبل إسلام الكافر ولا توبة العاصي،هناك قول ثالث في المسألة: أنه إذا خرج الدجال فلا توبة لأحد، وهذا جاء في صحيح مسلم من حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص، ولكن الأدلة في الأمر الأول أكثر وأشهر وأصح؛ فإن التوبة بخروج

الدجال مقبولة، فلا تمتنع التوبة إلا في الأمرين الماضيين.

وتمضي هذه الآية في إثبات الصفات لله - جل وعلا – ويؤخذ من ذلك إثبات الصفات الفعلية، وبؤخذ منها إثبات الصفات الاختيارية، فالصفات قائمة بـالله - جل وعلا.

وقوله - جل وعلا - كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ الأصل في اللفظ حمله على حقيقته، وأن المجيء هو لله يوم القيامة لفصل القضاء ، وقال الأشاعرة وجاء أمر ربك.

وبعض النحاة المتأثرين بمذهب الأشاعرة حين يُمَثِّلون للمضاف الذي حل المضاف إليه مقامه يمثلون بهذه الآية؛ يقولون: إن الأصل" وجاء أمر ربك" فحذف المضاف وأقيم المضاف مقامه ، فصارت الآية "وجاء ربك " وهي في الأصل : "وجاء أمر ربك". وذلك على قول ابن مالك :

وما يلي المضاف يأتي خلفا عنه في الإعراب إذا ما حذفا

يجاب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا نفي لمدلول الكلمة، وهب أن المعنى كما يزعمون،؛ فما يصنعون بالآية الماضية أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ الله - جل وعلا - ذكر هذا، وذكر ذاك في موضع واحد؛ فعلم أن المعنى (وجاء ربك)

أي جاء بنفسه لفصل القضاء ،وأنه ليس مجيء أمره .

الوجه الثاني: أن أمر الله - جل وعلا - يكون بكن، كما في قول الله - جل وعلا - ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا يحتاج إلى إدراج "وجاء" .

الوجه الثالث: أن التقدير يحتاج إلى دليل، ولا دليل في ذلك ولا قرينة.

يؤخذ من الآية إثبات الصفات لله - جل وعلا - ؛ إثبات الصفات الفعلية والاختيارية، وإثبات مجيء الرب؛ فننثبت لله - جل وعلا - ذلك إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل.

وقوله ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ يلحق هذا بما قيل في الآية السابقة من إثبات المجيء لفصل القضاء ، ويفهم منها كذلك إثبات صفة العلو لله - جل وعلا -، ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ أي أن الله - جل وعلا - فوقهم، وأهل السنة يؤمنون بكل ذلك؛ فلا يكيفون ولا يمثلون ولا يلحدون ولا يعدلون عن الإيمان بالألفاظ والمعاني بدون دليل، لأن الأصل حمل الألفاظ على حقائقها ، ولا يجوز إخراج اللفظ عن حقيقته؛ لأن هذا يفتح باب شر، ويفتح باب اعتداء على الأدلة ويفتح باب السطو على النصوص؛ فلا بزدجر مبتدع لا يعجبه شيء من القرآن إلا وادعى فيه

المجاز، أو تقدير حذف المضاف، أو أن اللفظ ليس عليه ظاهره، والله - جل وعلا - خاطب العرب بما يفهمون وبما يعون ؛ولذلك حين كان مشركو قريش وغيرهم من العرب والعجم يسلمون لم يكن الواحد منهم يستشكل هذه الآيات الدالة على أسماء الله وصفاته؛ لم يكن الواحد منهم يحرف الأسماء أو لا يؤمن بالصفات؛ فكانوا يفهمون ذلك ويؤمنون به ، وكان النبي يحثهم على حفظ الآيات –كآية الكرسي- الدالة على أسماء الله وصفاته وقال «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» رواه النسائي وغيره في عمل اليوم والليلة وإسناده صحيح.

ولم يكن الواحد منهم يستشكل شيئاً من المذكور فى هذه الآية من أسماء الله وصفاته، و السبب فى ذلك أنهم كانوا من قبل على الشرك، وكانوا على الوثنية، وكانوا على الكفر،لم تكن لهم أفكار يؤصلون عليها نفى الأسماء عن الله و الصفات، فحين يسلم الواحد منهم ينقاد للكتاب و السنة، وكان الشرك يعنى إما عدم الإيمان بالرسالة أو الإيمان بغير بالله، وكانوا فى الجملة يؤمنون با لأسماء والصفات ، حتى آزر والد إبراهيم حين قال له إبراهيم ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾،لم يقل له آزر: وربك لا يسمع ولا يبصر، بل كانوا يؤمنون بذلك ، وكانوا يتجاوبون

مع هذه الأدلة؛ يؤمنون بأن اللّه سميع بصير، ما كانوا يستشكلون شيئاً من ذلك ، وعلى هذا درج الصحابة كلهم،كما جاء من بعدهم التابعون لهم بإحسان، ووجد فى أواخرهم من كان يستشكل بعض الأمور ، كما فى حديث ابن عباس حين نقل حديثا فى الصفات، فوجد عند ذلك شيئا فقال " ما أردت هؤلاء ، يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه "ولا يعنى ذلك أن الأسماء والصفات من المتشابه ، ولكن هذا التشابه نسبى بمعنى أنه يشتبه علىّ، وليس بأصله مشتبها ؛ هو فى أصله محكم بيّن بدليل أنه لم يكن أحد يستشكل شيئاً من ذلك فى واقع الصحابة رضى اللّه عنهم.

ثم خرج أهل البدع كالجعد بن درهم؛ الجعد بن درهم تلقى بدعته عن لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ثم بدأ يتحدث في الأسماء والصفات ، ويشيع ذلك، ويلبس على الآخرين، فتلقى بدعته عنه الجهم بن صفوان ونسبت بدعة الجهمية إليه، وإلا فالأصل أن الذي أسس هذه البدعة هو الجعد بن درهم، وعنه أخذ هذه البدعة الجهم بن صفوان لكنها نسبت للجهم لأسباب:

السبب الأول: أنه أثار ذلك في أكثر من بلد،

الأمر الثاني: أنه كان يؤصل لهذا بأكثر من الجعد.

الأمر الثالث: أنها اشتهرت عنه ، ولم تشتهر عن الجعد.

الأمر الرابع: أنه توسع في ذلك أكثر من توسع الجعد .

ولذلك حين يتوب بعض هؤلاء لا تكون توبته موفقة ،مثلا أبو الحسن الأشعري على جلالة قدره وعلو منزلته كان على مذهب المعتزلة ، ثم أسس المذهب الأشعري ، والأشاعرة قسمان غلاة وغير غلاة، ثم إنه حين تبين له الحق ،وأعلن توبته على الملأ من المنبر، لم تكن توبته موفقة من كل وجه، وفي نفس الوقت الذين ينتسبون للمذهب الأشعري هم لا يأخذون بآراء أبي الحسن الأشعري المتأخرة، هم باقون على آراء أبي الحسن الأشعري المتقدمة، ولذلك فيهم من ينفي العلو، مع أن أبا الحسن الأشعري ذاته كان يؤمن بالعلو، لا يؤمن بالأسماء و الصفات دون تحديد لذلك ،عند الخوض في مسألة الجبر والقدر ومتعلقاته، لكنه في نهاية الأمر أثبت العلو، وبين ذلك بالأدلة ، وقال إن القرآن هو كلام الله ، وأثبت لله جملة الأسماء والصفات وأثبت لله الأفعال الاختيارية ،لكن هؤلاء بقوا على ما كان عليه من قبل، ولم يأخذوا بما صار إليه من بعد ، فهؤلاء ينتسبون إلى أبي الحسن ظلماً وزوراً ، لا ينتسبون حقيقة ، وفي نفس الوقت لا يحل لأحد أن يقول أنا أشعري ولو كان على مذهب أبي الحسن المتأخر؛ لأن هذا يحدث لبساً في الأمة ،

وتحريفاً للكلم عن مواضعه ، والله أعلم.

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط (5)

ما زال - رحمه الله تعالى - يتحدث عن الصفات الذاتية حين تحدث عن الصفات الفعلية الاختيارية ولا يختلف العلماء في إثبات هذا وذاك فإن الله - جل وعلا - موصوف بصفات الكمال، منعوت بنعوت الجلال والموصوف بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال هو المستحق للعبودية وحده لا شريك له، أفمن يخلق كمن لا يخلق؟ أفمن يرزق كمن لا يرزق؟ أفمن يحيي ويميت كم لا يحيي ولا يميت؟ أفمن يدبر الأمر في السماء والأرض كمن لا يدبر شيئاً، وكثيراً ما يستدل الله - جل وعلا- على عباده بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية وهذا كثير في كلام الله، كقوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى الله - جل وعلا - يستدل

على العباد بخلقهم ورزقهم على إفراد الله بالعبادة وأنه المألوه المعبود حقاً دونما سواه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ والإله هو المألوه محبة وتعظيماً وخوفاً ورجاءاً، والصواب في الإله أنه وصف الله - جل وعلا - ولا يختلف العلماء في إطلاق ذلك على الرب، وإن كانوا يختلفون في التسمية بهذا، ولكن الأسماء المتعدية لا مانع من التعبيد بها، ولكن هناك فرق بين التعبيد وبين اتخاذه اسماً، فلا حرج من التسمي بعبد الإله لأنه الإله حين يعرف بالألف واللام ينصرف الذهن إلى الرب - جل وعلا - هذا مجرد استطراد، فـ الحديث الآن عن الصفات الذاتية لله - جل وعلا - لا يختلف العلماء أن الصفات لله تثبت بالكتاب أو السنة الصحيحة، ولا يدخل في ذلك القياس؛ فإن القياس في المسائل الفقهية المعللة ، هناك مسائل فقهية غير معللة لا يدخلها القياس أيضاً، أما الأسماء والصفات فلا قياس فيها، وتقدم مراراً أنه يجب التقيد باللفظ في باب الأسماء والصفات دون المرادف؛ لأن المرادف قد يكون أقل معنى فقوله - جل وعلا -: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي كل مخلوق على هذه الحياة كتب عليه الفناء ولا يبقى إلا من استثناه الرب - جل وعلا - كالجنة والنار والملائكة وقد استثنى الله - جل وعلا - نفسه فقال ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ففيه إثبات صفة الوجه لله - جل وعلا - إثباتا بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل؛ فإن الله لا يقاس بخلقه؛ فلا سمي له ﴿هَلْ

تعلمُ له سمياً ، ولا كفء له وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، ولا ند له فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

فقوله (وجه ربك) فيها مغايرة بين الوجه وبين الذات، ففيها الرد على الجهمية والمعتزلة، والأشاعرة والكرامية الماتريدية وعامة طوائف أهل البدع الذين يمتنعون عن إثبات صفة الوجه ويقولون أن الوجه المراد به الذات، اللّٰه في هذه الآية أ ضاف الوجه للذات، وهذا نصٌ صريح بالمغايرة ، يؤكد هذا قوله «أعوذ باللّٰه العظيم وبوجهه الكريم» وهذا رواه أبو داود في سننه من حديث عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص وإسناده جيد في دعاء الدخول إلى المسجد.

ولا يختلف أهل السنة في إثبات صفة الوجه لله - جل وعلا - إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، الجهمية ينفون ذلك مطلقاً، والأشاعرة يحرفون هذا، وينادون بالمجاز، والمجاز ما يمكن نفيه، ولذلك هم ينفون ذلك عن اللّٰه؛ تارة يفسرون الوجه بالذات، وتارة يطلقون لفظ المجاز، وتارة يقولون بأن الوجه يقصد به الثواب.

ويجاب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن ما يضاف إلى لله نوعان،

النوع الأول: أعيان قائمة بنفسها فهذه إضافة المخلوق إلى خالقه كقول اللّٰه - جل وعلا - نَاقَةَ

اللهِ وَسُقْيَاهَا وكما تقولون هذا بيت الله وكعبة الله، إضافة المخلوق إلى الخالق لأن هذه الأعيان قائمة بنفسها.

النوع الثاني: أعيان قائمة بغيرها، النوع الثاني صفات قائمة بغيرها؛ الوجه قائم بنفسه أم قائم ب الله؟ إذاً صفات قائمة بالله، هذه إضافة الصفة إلى الموصوف، **وصفات الله من الله ليست بمخلوقة بإجماع المسلمين** ولقد قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - ومن زعم أن شيئاً من الله مخلوق فإنه كافر؛ يعني من صفاته؛ أو أسمائه ، لكن الله موصوف بصفة الخلق يسمى باسم الخالق.

الوجه الثاني: أن إضافة الوجه إلى الذات تبطل قول من قال بأن المقصود بالوجه هو الذات فإن الله - جل وعلا - قال ويبقى وجه ربك لا يصح أن تقول ويبقى ذات ربك؛ هذا باطل لغة وشرعة وعقلاً .

الوجه الثالث: أن الذين يقولون أن الوجه هو السواد، لا يصح أن يقال ويبقى سواد ربك، لأن هذا ليس بصفة مدح، ولا يصح أن تقول ويبقى سواد ربك ذو الجلال والإكرام؛ لأن (ذو) للوجه وليس للرب؛ لو كان للرب لقال الله ذي الجلال والإكرام؛ الله قال (ويبقى وجه ربك ذو) إذاً الصفة لمن؟ للوجه وليس للرب (الذات)؛ فالبتالي لا يصح أن تقول ويبقى سواد وجه ذو الجلال والإكرام؛

الصواب ذو الجلال والإكرام؛ فعلم أن المقصود بذلك هو وجه الرب - جل وعلا - وأنها من الصفات الذاتية التي أجمع عليها المسلمون.

وقوله - جل وعلا - كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ أي مما كتب عليه الهلاك؛ أخبر اللّٰه في كتابه أنه لن يكتب الهلاك لا على الجنة ولا على النار، وغير ذلك مما هو مستثنى كالعرش والقلم ونحو ذلك، إذاً هذا من ألفاظ العموم يراد به الخصوص كقول اللّٰه - جل وعلا - تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا أي مما يقبل التدمير، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هل أوتيت كل شيء؟ هذا باطل شرعاً وعقلاً ؛ هي أوتيت كل شيء مما يحتاجه الملوك، الشاهد في هذه الآية (إلا وجهه) اللّٰه - جل وعلا - لم يقل إلا وجهاً؛ قال إلا وجهه، الهاء تعود على من؟ على اللّٰه - جل وعلا - فأضيف الوجه إلى الذات، ومن لوازم ذلك أن يبقى ما أريد به وجه اللّٰه، ولكن ليس هو معنى الآية؛ هذا من باب اللوازم.

والمعنى الصحيح للآية أن نثبت الوجه لله - جل وعلا - ولا يبقى إلا ما أريد به وجهه من الإخلاص لله - جل وعلا - والحذر من الرياء ومراءاة الناس وتطلب مدحهم وثناءهم؛ هذا لا يبقى؛ وقد قال : **«حق على اللّٰه ألا يرتفع شيء من أمر الدنيا إلا وضعه اللّٰه»** وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فهذا الذي يبقى؛ فعليه يحاسبون ويجازون بأعمالهم؛ إن خيراً فخيرٌ وإن

شراً فشرٌ.

وقد ذكر الشيخ - رحمه اللّه تعالى - آيتين في إثبات صفة الوجه، وهو الآن في سياق سرد الآيات ، ويأتي إن شاء اللّه تعالى سياق سرد الأحاديث و التعليق على أصول أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات؛ وأهل السنة لا يختلفون في إثبات ما أثبته اللّه لنفسه أو أثبته له رسوله .

وحكيت بالأمس كلام ابن عبد البر في المجلد السابع من التمهيد أن الأصل في ذلك الحقائق وحكى اتفاق العلماء على ذلك؛ الأصل في ذلك الحقيقة دون المجاز؛ فما أطلقه اللّه على نفسه أو أطلقه عليه رسوله فنؤمن بذلك حقيقة ونؤمن بأن اللّه ليس كمثله شيء.

نظم بن القيم في نونيته اعتقاد أهل السنة و الجماعة في هذا الباب فقال:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا
إن المشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه من أوصافه
إن المعطل عابد البهتان
من شبه الرحمن العظيم
فهو الشبيه بالمشرك
أو عطل الرحمـن عن
فهو الكفور ولـيـس ذا الإ

شرع رحمه الله تعالى يتحدث ويورد الآيات الدالة على إثبات صفة اليدين لله - جل وعلا - والأدلة في ذلك متواترة؛ فقوله - جل وعلا - مخاطباً إبليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وحين حاج آدم موسى قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده.

الأشاعرة يحرفون ذلك؛ يقولون أن معنى اليد القدرة، يجاب على ذلك يقال: إذن لا يتميز آدم على غيره؛ الناس كلهم حتى إبليس مخلوق بقدرة الله، إذاً ما فيه تميز بين إبليس الملعون المبعد عن رحمة الله وبين أنبياء الله ورسله، تباً لقولٍ يؤول بالناس إلى هذا الاعتقاد الفاسد.

الأشاعرة يقولون أيضاً ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي بنعمتى، وهذا ظلال؛ لأن نعم الله متعددة، ولماذا يخلق آدم بنعمتين؟ والله يقول ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ وقد امتن الله على آدم بذلك، والقرآن صريح فى إثبات صفة اليدين لله - جل وعلا -.

وقوله - جل وعلا - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ اليهود؛ يطلق الكل ويراد به البعض، وهذا كثير فى كلام الله - جل وعلا - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ هل كل اليهود يقولون عزير ابن الله؟

الجواب: لا، كقول الله - جل وعلا - ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ هل كل الناس يقولون ذلك؟ هذه حفنة من كفار قريش، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾، فكان فارس والروم لم يقولوا، الذى قال ذلك بعض كفار قريش، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ هل النصارى كلهم يقولون أن المسيح ابن الله؟ لا؛ هذا إطلاق الكل يراد به البعض، ومثل هذا كثير فى كلام الله وكلام رسوله ، وفهم هذا يعين على فهم القرآن ويعين على فهم السنة ويعين على فهم المراد، فقوله - جل وعلا - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ يريدون بذلك بأن الله بخيل، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فرد الله عليهم بقوله ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ قطعاً لا يراد بذلك النعمة؛ فلا يصح أن تقول للنعمة مبسوطتان، إذاً أين النعمة الأخرى؟ فبالتالى قطعاً يراد بذلك إثبات صفة اليدين لله - جل وعلا - يوضح ذلك قوله «وكلتا يدى ربى يمين»، وقال «إن الله يضع السماوات على ذه والأراضين على ذه والشجر

على ذه... إلى آخر الحديث ثم يأخذهن بيده فيقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون» الحديث متفقٌ على صحته.

وقال الله - جل وعلا - وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ إذا لا يصلح أن تقول مطويات بقدرته؛ لأن كل شيء تحت قدرته؛ لا يخرج شيء عن قدرة الله - جل وعلا - والأدلة على هذا كثيرة في إثبات صفة اليدين لله - جل وعلا - فنثبت ذلك لله إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، ونؤمن بكل ما جاء عن الله على مراد الله وبكل ما جاء عن رسول اله على مراد رسول الله لا نحرف ولا نكيف ولا نمثل؛ بل نؤمن بكل ذلك، وهذه حقيقة ا لإيمان آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

الأشاعرة قالوا سمعنا وعصينا، لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويخرجون هذه الأسماء و الصفات عن حقائقها تحت مسمى الهرب والبعد عن التشبيه؛ ألا فى الفتنة سقطوا، ألا فى الفتنة و التشبيه سقطوا، هم يعتقدون أنهم حين يثبتون ذلك يشبهون المخلوق بالخالق، لما وقع ذلك فى قلوبهم أرادوا أن يتخلصوا من هذا الاعتقاد الفاسد نفوا ذلك عن الله فوقعوا فى التعطيل؛ عطلوا، ثم

لما عطلوا وقعوا فى التشبيه؛ شبهوا الله - جل وعلا - بالجمادات والمعدومات، ولهذا قال بعض السلف؛ كنعيم بن حماد الخزاعى وجماعة: من عطل الله عن أسمائه وصفاته فهو يعبد عدماً ومن شبه الله بخلقه فهو يعبد صنماً.

وتقدم بالأمس وأكرر أن إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - حين دعا أباه إلى التوحيد قال: يا أبت لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر، لم يقل أبوه المشرك وربك لا يسمع ولا يبصر؛ لم يقل ذلك، بل كان مقراً بذلك، مؤمناً بذلك، حتى بعض المشركين يؤمنون بأن الله سميع بصير، ولذلك لم يقل آزر وربك لا يسمع ولا يبصر، ومثل هذا كثير . إذن الشيخ - رحمه الله تعالى - تحدث عن الصفات الفعلية الاختيارية وتقدم الحديث عن ذلك، شرع الآن يتحدث عن الصفات الذاتية بإيراد الأدلة من كتاب الله على إثبات صفة الوجه وعلى إثبات صفة اليدين.



بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط (6)

الحمد لله رب العالمين

قال شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله تعالى - في الحديث عن صفتي العينين لله - جل وعلا - و السمع؛ فلا يختلف العلماء - رحمهم الله تعالى - في إثبات ذلك فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات ذلك، وأن هذا من الصفات الذاتية وتقدم الحديث عن الصفات الفعلية الاختيارية وأن الله - جل وعلا - يفعل متى شاء إذا شاء، تقدم الحديث عن صفة الرحمة والغضب وأن الله - جل وعلا - يرحم الرحماء، يرحم الذين آمنوا ويغضب على الذين كفروا.

أورد المؤلف - رحمه الله تعالى - ثلاث آيات في إثبات صفة العينين لله جل وعلا؛ أورد الآية الأ ولى: وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا .

والآية الثانية: وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا .

والآية الثالثة: وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي الأولى و الثانية بلفظ الجمع، الثالثة بلفظ الإفراد، وقد

وضحت السنة ذلك بأن لله عينين، وأجمع على ذلك أهل السنة؛ لم يخالف في ذلك أحد منهم.

قال والحديث متواتر عنه في الصحيحين وغيرهما: ثم ذكر الدجال وأنه أعور قال «وإن ربكم ليس بأعور» فعلم أن العين الواحدة عور لأن النبي قال عن الدجال له عين واحدة وأنه أعور إذا هو يقصد الواحدة دون الأخرى وسماه النبي أعور ثم قال وأن ربكم ليس بأعور، وهذا خبر متواتر عن النبي وأجمع عليه أهل السنة و الجماعة وجاء في الحديث الآخر الوارد عن النبي «إذا قام أحدكم يصلي فإنه يكون بين عيني الله» ولكن هذا الخبر تفرد به إبراهيم الخوزي وهو متفق على ضعفه، وليس في الباب دليل احتجوا به سوى الحديث السابق الذي اتفق على معناه أهل السنة.

قوله جل وعلا: وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ للصبر ثلا ث مراتب:

النوع الأول: صبر على طاعة الله.

النوع الثاني: صبر عن فعل المعاصي.

النوع الثالث: صبر على الأقدار المؤلمة؛ من الأ مراض ونحوها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُو وقال تعالى: وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَأْمُرْ أَهْلَكَ

بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ، إنمَا يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

قوله: لِحُكْمِ رَبِّكَ فيه إثبات صفة الحكم لله - جل وعلا - قال تعالى: إن الحكم إلا لله نقول معنى الحكم هنا بمعنى القدر أي اصبر لقضاء ربك.

وحكم الله نوعان:

النوع الأول: حكم قدري.

النوع الثاني: حكم شرعي ديني، قوله فإنك بأعيننا يثبت من ذلك صفة العينين لله - جل وعلا - ولازم هذا يكون بمرئى من الله وحفظ وكلاءة ونصر.

وقد قال بعض المفسرين: فإنك بأعيننا أي بمرئى منا، فأثبت الرؤية ولكن لو أتى بإثبات الصفة لكان أولى ثم يأتي بعد ذلك الرؤية ولوازمها ، الأصل في باب الأسماء والصفات إثبات الصفة ثم التحول إلى إثبات لوازمها والحديث عن آثارها.

وقوله عز وجل (وحملناه) يعني نوحاً، (على ذات ألواح) أي خشب، (ودسر) أي مسامير، (تجري بأعيننا) تجري السفينة، (بأعيننا) أي بمرئى منا، وهذا يدل على إثبات صفة الرؤية لله - جل وعلا - والآية صريحة في إثبات العينين لله - جل وعلا - فالله - جل وعلا - ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، قوله: جَزَاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ أي نصرة ومجازاة لهؤلاء المؤمنين الذين كفر بهم قومهم

ولم يؤمنوا بهم ولم يتبعوهم ونصبوا لهم العداوة والبغضاء، يأخذ من ذلك إثبات معية الله - جل وعلا - لعباده المؤمنين، ويؤخذ من ذلك نصر الله - جل وعلا - للموحدين، ويؤخذ من ذلك أن الجزاء من جنس العمل، فمن قام بنصر دين الله ووحد الله وأفرده، وبلغ دينه لمن لا يعلمه، وقضى بالحق وعدل، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فإن الله ينصره ويحفظه، وليس معنى النصر كما يتوهمه البعض أنه لا يطال بأذى هذا غير صحيح، فالله - جل وعلا- قال ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ ومن الأنبياء من قتل وسماه الله نصراً؛ قال تعالى ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ النصر الحقيقي ليس هو النصر العسكري؛ النصر العسكري أحد معاني النصر، أعظم أنواع النصر هو انتصار المبادئ؛ أن تبقى المبادئ، وأن تثبت القلوب أمام طوفان الفتن والشبهات و المتسلطين؛ فحين امتحن الناس في عصر الإمام أحمد - رحمه الله - ولم يبق من الأئمة من لم يجب إلا القليل، وهؤلاء القليل حين زاد البلاء منهم من أجاب؛ كيحيى بن معين وعلي بن المديني وأبي معمر وأحمد بن منيع وآخرين، ومنهم من قتل كالخزاعي ومنهم من مات كمحمد بن نوح، فلم يبق إلا الإمام أحمد فقال بعض أصحابه "يا أبا عبد الله! ألم ترى كيف انتصر الباطل على الحق؟" قال كلا كلا ما انتصر الباطل على الحق، ما دامت القلوب ثابتة فالحق هو المنتصر.

من رام نيل العز لقاء المنايا واقتحام
فإن تكن الأيام رنقن وثلمن حدى بالخطوب
فما غيرتنى محنة عن وما حولتنى خدعة عن
ولكنـنى بـاق على ما ويغضـب أعدائى وىـ

لم يرد في القرآن وذلك الفوز الكبير إلا آية واحدة؛ في سورة البروج، ما فيه ذلك الفوز الكبير، فيه وذلك الفوز العظيم، ذلك هو الفوز العظيم، وذلك هو الفوز العظيم، وبكثرة لكن وذلك هو الفوز الكبير؛ قيلت في أصحاب الأخدود الذين أبيدوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد، لأن هؤلاء انتصروا لمبادئهم؛ حتى إن المرأة لما أرادوا إلقاءها في النار وتقاعست أنطق الله صبيها قال يا أماه أثبتي فإنك على الحق؛ فألقت بنفسها، فهذا النصر وهذا الفوز الحقيقي، لأن الدنيا ساعة فلابد أن نجعلها طاعة، وقوله - جل وعلا - وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي (وألقيت عليك) أي على موسى.

(محبة مني) قال بعض السلف: ليس الشأن أن تُحِب، ولكن الشأن أن تُحَب، لأن أن تحب الله هو فرض عليك؛ لأنه من لا يحب الله ليس بمسلم، لكن الشأن أن يحبك الله هل رضي قولك وعملك أم لا؟ لذلك في الحديث القدسي الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة قال فيما يروي عن ربه - جل وعلا - «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى

أحبه» قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ لذلك قال «لأعطين الراية غداً رجلا ً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

وفيه فضيلة لموسى فهو كليم الرحمن، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا وأمته أكثر الأمم تابعاً بعد نبينا محمد ، قوله (ولتصنع) أي ولتخلق وتتم تربيتك، (علي عيني) فيه إثبات صفة العينين لله - جل وعلا - وبمعنى على مرئى مني؛ فلا يغيب عن الله شيء؛ لا صغير ولا كبير، وقد خُصّ موسى بالذكر لعظيم قدر موسى فيه إثبات معية الله - جل وعلا -.

والمعية نوعان:

1- معية بالعلم وهذه عامة وسيأتي الحديث عن ذلك.

2- ومعية خاصة معية حفظ نصر تأييد وتكون للأنبياء والمسلمين وأتباعه إلى يوم الدين.

الأشاعرة ومن قبل المعتزلة ومن قبل الجهمية يحرفون ذلك ولا يؤمنون بإثبات صفة العين لله - جل وعلا - ويصرفون اللفظ عن ظاهره؛ فمنهم من يقول بالمجاز، وتقدم الحديث عن المجاز وأنه ليس في القرآن مجاز، وأن ما وجد مما يوهم ذلك هي ألفظ عربية كقول الله - جل وعلا - وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ وأن الجناح في اللغة يطلق على الجانب، الأسلوب العربي له أكثر من معنى؛ فحين

يكون اللفظ له أكثر من معنى لا يعلم له مجاز، فإن هذا من الأساليب العربية المشهورة في لغات العرب، وتقدم الحديث أن من قال بالمجاز من أهل السنة في القرآن لا يقول بالمجاز في الأسماء و الصفات؛ لأن المجاز هو ما يمكن نفيه، أو ما ليس بحقيقة؛ ألفاظها ومعانيها، ولا يختلف العلماء في إثبات البصر لله - جل وعلا - قال تعالى وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إثبات الرؤية الَّذِي يَرَاكَ وفيه إثبات الرؤية، إثبات البصر، إثبات العينين، وأهل السنة يثبتون ذلك حقيقة؛ ولا ينفون عن اللّٰه صفة جاءت في الكتاب لشناعة شنعت وأهل البدع يسمون أهل السنة مجسمة، يسمونهم حشوية؛ يريدون التنفير عنهم، وهذا لا يعني التنازل عن الحقائق لأجل أهل البدع وأهل الضلال وهذا عام في كل قضية؛ سواء في ا لأسماء والصفات أو في باب السير والسلوك أو في باب الفكر أو في باب التصور أو في غير ذلك، حينما تعظم الحملة على أهل الحق لا يجوز التنازل عن المبادئ لمثل هذه الحملات، وفي مثل هذه الحملات يتميز المؤمنون الصادقون من الآخرين الذين يعبدون اللّٰه على حرف.

وقوله - جل وعلا - قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (قد) حرف تحقيق، (قد سمع اللّٰه) فيه إثبات صفة السمع لله - جل وع

لا -، (قول التي تجادلك في زوجها) تجادلك وهي خولة (في زوجها) أوس بن الصامت.

تقول عائشة - رضي اللّه عنها - الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات؛ لقد جاءت المجادلة إلى رسول اللّه وأنا قريبة من الحجرة ويخفى عليّ بعض كلامها، وسمع اللّه شكواها من فوق سبع سماوات، قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا أكرر دائماً أنه لا يكفي مجرد الإيمان بالألفاظ والمعاني حتى نؤمن أيضاً ونطبق ذلك في الآثار، فإذا كنا نثبت لله السمع وأنه يسمع ونؤمن بذلك ولا نحرف، إذاً إذا أردنا أن نعصي اللّه يجب أن نعلم أنه يسمعنا، إذا أردنا أن نتناجى بالباطل نستحضر سمع اللّه، إذا أردنا أن نغتاب نستحضر سمع اللّه، حين تريد أن تغتاب شخصاً وهو قريب منك لا تغتابه، قد تهمس في أذن صاحبك، طيب اللّه يراك ويسمعك، فلا تجعل اللّه أهون الناظرين إليك، والذين يؤمنون بذلك حقيقة كلما قوي إيمانهم كلما تمثل هذا في آثارهم وسلوكهم وواقعهم ولا تصلح المجتمعات إلى بذلك، ولذلك كان أئمة السلف يعنون عناية كبيرة بدراسة الأسماء والصفات، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بتوسع في دروس ماضية وواقع أمة السلف في هذا الباب وأن هذا يتمثل في أعمالهم وجوارحهم وسلوكهم وهذا الذي ميز الصحابة عن غيرهم، كانوا يؤمنون بذلك وفي نفس الوقت لم يكن

حديثهم عن هذا الباب كحديث المتأخرين، ومع ذلك يطبقون ذلك عملياً ترى هذا عملياً في واقعهم، فلذلك لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم حيث أمرهم فهم يتسابقون إلى الخيرات ويتنافسون على فعل الطاعات.

قوله - جل وعلا - وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تأكيد في إثبات السمع؛ الأول للماضي وهذا للمضارع، (والله يسمع تحاوركما) أي تخطابكما والمجادلة بينكما، (إن الله سميع بصر) أكد الله ذلك، سميع لكلامكم، مهما تسرون ومهما تعلنون، أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بلى نسمع وفي نفس الوقت وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ فقوله (سميع بصير) كقوله - جل وعلا - لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فيه إثبات صفة السمع لله، وإثبات صفة البصر لله - جل وعلا -.

وقد ثبت عند أبي داود من حديث أبي هريرة « أن النبي قرأ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ووضع إصبعاً على أذنه وإصبعاً على عينه» .

قال العلامة بن القيم - رحمه الله تعالى - يراد من ذلك إثبات الحقيقة، وقد اختلف العلماء - رحمهم الله تعالى - في فعل ذلك بعد النبي ؛ منهم من قال ذلك بالجواز فيهم أبو هريرة وكان يفعله، والأعمش؛ وكان الأعمش إذا حدث إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يشير بإصبعيه، يريدون إثبات الحقيقة وأن الأصابع حقيقة؛ لا يريدون

التشبيه ولا التمثيل - حاشاهم من ذلك-.

القول الثاني في المسألة: أن هذا لا يجوز مطلقاً وأن هذا خاص بالنبي ؛ الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - حين رأى رجلا ً يقرأ قول الله - جل وعلا - وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ بسط يده وقبضها غضب عليه وقال: قطع الله يدك، قطع الله يدك، قطع الله يدك، ثم نهض الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - من المجلس وتركه.

القول الثالث في المسألة - هذه الأقوال كلها من أقوال أهل السنة -: التفصيل؛ ما جاء النص به فلا حرج من فعله بشرطين:

1- أن يقصد إثبات الحقيقة.

2- أن يكون في مجتمع يفهمون ويعوون، وأما إذا كان في مجتمع لا يفهمون ولا يعوون أو في أخ لاط أو فيهم عامة أو قد يفتن الإنسان في دينه، أو في عقيدته أو لا يعلمون هذه الأحاديث فإنه يبتعد عن ذلك، ويتكلم بلسانه دون فعله.

وقوله - جل وعلا - لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ اليهود يقولون حين أنزل الله - جل وعلا - مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يقولون: أن الله يستقرضنا فهو فقير ونحن أغنياء، فلا يفهمون معنى (من ذا الذي يقرض الله) وأن المعنى تصدق وابذل الخير وأن الله ينميه له ويزيده وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ

يُخْلِفُهُ أي في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالأجر الجزيل والثواب الكبير، فأنزل الله - جل وعلا - لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ .

قول الله - جل وعلا - عن اليهود غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ عطاءه كلام وعذابه كلام؛ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

وقال تعالى: إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ

وقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ .

ولذلك جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر عن النبي فيما يروي عن ربه «يقول الله - جل وعلا - يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» والله - جل وعلا - لا تختلط عليه الأصوات، اللغات الآن موجودة في المجتمعات بالآلاف؛ الآن فيه ما لا يقل عن خمسمائة ألف لغة؛ يسألون الله في صعيد واحد لا تختلط عليه أصواتهم؛ يسمعهم، ويجازيهم، وهم بمرئى من الله؛ هذا دليل على عظمة الله - جل وعلا - وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الكرسي الذي هو موضع القدمين وسع كرسيه السماوات والأرض وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا أي

لا يثقله وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وهو العلي الكبير، ألا له الخلق والأمر؟.

وقوله - جل وعلا - أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ أي أيحسب هؤلاء حين يسرون أننا لا نسمع سرهم وحين يرفعون أصواتهم نسمعهم، لذلك قال بعض اليهود: إن كان اللّه يسمعنا إذا جهرنا سيسمعنا إذا أسررنا؛ دلهم على ذلك عقلهم؛ إن كان اللّه يسمعنا إذا جهرنا سيسمعنا إذا أسررنا، لأنه لا فرق بين هذا وذاك، ولذلك قال اللّه - جل وعلا - (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلي) أي نسمعهم وفي نفس الوقت (ورسلنا لديهم يكتبون)دليل على عظمة اللّه، دليل على إثبات صفة السمع لله - جل وعلا - وهذا يبعث على البعد عن المعاصي، نؤمن بآثار ذلك؛ يعني لا نؤمن بمجرد اللفظ ونثبت لله السمع وفي نفس الوقت نعصي اللّه في نفس الوقت على رؤيا من اللّه وعلى مسمع من اللّه، إذاً من هم بمعصية فليستحضر رؤية اللّه له، من هم بغيبة فليستحضر سمع اللّه له فيرعوي عن هذا وذاك، وذلك المرأة حين قالت للرجل حين جلس بين فخذيها اتق اللّه ولا تفض الخاتم إلا بحقه - متفق على صحته - قام وتركها خوفاً من اللّه.

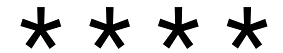
إذا خلوت بريبة بظلمة

والنفس داعية إلى

فاستحيى مـن نظـر الإله وقل

إن الـذى خلـق الظـلام يـران

وقوله - جل وعلا - ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ فيه إثبات المعية؛ معية حفظ ونصر وتأييد وكلاءة ، (أسمع وأري)؛ فيه إثبات صفة الرؤية، إثبات صفة السمع لله - جل وعلا - وأهل السنة لا يختلفون في إثبات ذلك؛ خلافاً لأهل البدع يؤولون ذلك إما بالمجاز وتقدم الجواب عن ذلك، أو يحرفون الكلم عن مواضعه؛ ويَعدلون بلفظ عن لفظ آخر؛ فهم يشبهون أولاً ثم يعطلون ثانياً ثم يشبهون ثالثاً.



بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط رقم (7)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى العقيدة الواسطية.

إثبات صفة السمع والبصر، ولم يقل واحد وربك لا يسمع ولا يبصر.

وقوله جل وعلا: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} فيه إثبات صفة الرؤيا لله جل وعلا، ولم يقل أبو جهل: وربه لا يرى، بل كانوا يؤمنون بذلك، ويمتنعون عن الإيمان بمحمد ويجعلون لله شركاء، ووسائط، يسألونهم إغاثة اللهفان وإزالة الكربات ومعافاة ذوى البليات، فيه إثبات صفة الرؤيا لله جل وعلا، وفيه أنه يذكر العبد العاصى برؤية الله له، وبأن الله مطلع عليه وراء لعمله وسامع لقوله حتى يؤدى به هذا الأمر إلى ترك الذنب والإقلاع عنه.

والمتأمل فى القرآن يجد الله جل وعلا يذكر العباد بربهم، حين يقعون فى المعصية، {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} فربط الناس بالآخرة أولى ، يعنى بعض الناس الآن إذا أراد أن يتكلم عن حرمة الفاحشة، يتكلم عن مرض الإيدز وأنه كذا وكذا، هذا جيد لا حرج منه، لكن يكون قبل ذلك التذكير بـ الآخرة، باليوم الآخر لأنه إذا لم يردعه اليوم الآخر

لا أظن أن يرتدع بهذا المرض؛ لأنه قد يكون هذا المرض يشفى فلا يرتدع بهذا المرض فبالتالى يظل على هذا الذنب، لكن لو يعلم أن اللّه مجازيه وأن اللّه جل وعلا الذى خلقه يميته ويبعثه وأن اللّه جل وعلا يعاقب على ذلك وأن اللّه رتب على هذا الذنب عقوبة عظيمة كذا وكذا، إذا لم يرتدع بذا، قد لا يرتدع بالمرض، نعم قد يرتدع فى المرة الأ خرى لكن سرعان ما يعاود الذنب إذا علم أنه لا يصاب بكذا وكذا، فلذلك يتأمل فى دعوة الأنبياء يخوفون قومهم باللّه واليوم الآخر، وهذا الأصل فى الدعوة، ولا مانع أن تورد الأمور الأخرى التى يعقلونها ويفهمونها بأن هذا يسبب كذا ويسبب كذا ، هذا لا حرج منه.

وقوله جل وعلا: {الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} فيه إثبات صفة الرؤيا لله جل وعلا وأن اللّه يرى وأن اللّه يبصر ولا يختلف أهل السنة فى ذلك، ومن فسر الرؤيا بالعلم، فقد خالف كتاب اللّه، وخالف سنة رسوله ؛ لأن الأشاعرة يثبتون العلم، على تحريف بينهم فى ذلك واضطراب فى هذا الباب، {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا}.

هو العليم أحاط علما بـ

فى الكون من سر ومن
وبكل شىء علمه سبحانه
فهو العليم وليس ذا

فالذين يقولون أن المعنى بالرؤيا العلم، يخالفون ظاهر القرآن يخالفون السنة يخالفون العقل ويلحدون فى أسماء اللّه وآياته؛ لأن المعنى يكون إننى معكم أسمع وأعلم، وهذا ظلال، ومكابرة فى صرف الأدلة عن ظواهرها لأن اللّه عليم ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، ثم أن هذا صرف للفظ عن ظاهره، ثم إن الرؤيا غير العلم، ثم أنه لا يكون فى السياق بلاغة وفصاحة وأتى معنى مغاير، ثم أنه لا يختص بهذا واحد عن الآخر بالعلم، فهذا يقول فى تفسير قوله جل وعلا: {الَّذِى يَرَاكَ}: الذى يعلم حين تقوم، يعلم ويعلم غيره لا يختص بذلك، وكذلك فى الرؤيا، يراك ويرى غيره، ولكن هذا لإثبات المعية المقتضية للحفظ والنصر والتأييد وفى نفس الوقت هى إشارة إلى أن اللّه جل وعلا يرى كل من يدب على وجه الأرض، فالذى يفعل شيئا فإن اللّه يراه، ولا يخفى عليه شىء لا فى الأرض ولا فى السماء.

قوله: {وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ}فيه إثبات صفة السمع وإثبات صفة العلم.

وقوله: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ}فيه إثبات صفة الرؤيا.

{عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}والله أعلم.

الحديث عن الصفات الفعلية الاختيارية و الصفات الذاتية، وتقدم **منهج شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فى هذه العقيدة وأنه يورد المتفق عليه بين أهل العلم**، وله أراء أخرى لم يودعها فى هذه الرسالة لوجود الاختلاف بين العلماء، وأنا وضحت ذلك بالأمس على كون شيخ الإسلام لم يورد فى صفة الوجه {فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} لأن العلماء مختلفون فى معنى هذه الآية، فأورد الأدلة الدالة على إثبات صفة الوجه التى لا يختلف فيها العلماء وأهل السنة.

قوله جل وعلا: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}: وهو أى الرب جل وعلا، شديد المحال: أى الأخذ بقوة وبشدة، والله جل وعلا موصوف بصفات الكمال، منعوت بنعوت الجمال، فما أطلقه الله على نفسه فهو صفة كمال، لا يلحقه عيب ولا نقص بأى وجه من الوجوه، وفى تفسير قوله : «والشر ليس

إليك»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما رحمة الله: أي: لا يدخل في أسماءك وصفاتك.

ولا يختلف العلماء ، أن الشر مخلوق لله كالخير، خلافًا للقدرية وطوائف من أهل البدع.

ولكن الله جل وعلا يحب الخير، ولا يرضى لعباده الكفر والشر، {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}، وقال: {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}، فالرب جل وعلا شديد المحال أي الأخذ بقوة: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ}.

فالله جل وعلا يوصف بأنه شديد المحال، أي الأخذ بقوة وبشدة وقد قال لوط ما ذكره الله عنه: {أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} يعني: ربه جل وعلا.

يؤخذ من هذه الآية إثبات توحيد الربوبية، ويؤخذ من ذلك إثبات الصفات لله جل وعلا، وهذا بدلالة التضمن، ويؤخذ من ذلك توحيد العبادة بدلالة الالتزام؛ لأن القوي الشديد الذي لا يعجزه شيء لا في الأرض ولا في السماء، {وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا} لا

يثقله، {وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ} هو المستحق للعبادة لا يستحق العبادة غيره، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

تقدم الحديث عن دلالات المطابقة وهى ثلاث: دلالة الالتزام، ماذا دلالة الالتزام ؟ دلالة تدلنا على معنى خارج لازم بالمعنى.

ودلالة تضمن: دلالة تضمن ماذا ؟ وهى دلالة على بعض منه، دلالة المطابقة : دلالة تدل على كل المعانى، صحيح.

وقوله تعالى: {وَمَكرُوا} الإشارة إلى الذين سعوا جاهدين لقتل عيسى وصلبه، فهم يمكرون ويكيدون ويريدون قتل أنبياء اللّه، وتحويل بلاد المسلمين على حسب أهوائهم وأمزجتهم، ويعبدون الهوى، فهم يمكرون فى ذلك قال اللّه جل وعلا: {وَمَكرُوا وَمَكرَ اللّهُ} حين كانوا يمكرون مَكرَ اللّه بهم، فـاللّه جل وعلا يمكر على وجه المجازاة للآخرين.

قال ابن القيم رحمه اللّه تعالى: المكر والاستهزاء والكيد منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، ولا يطلق على اللّه من ذلك إلا ما هو محمود، فـاللّه جل وعلا موصوف بصفات الكمال. أمر آخر قرره ابن القيم: أن اللّه جل وعلا لا

يوصف بلفظ أو بوصف المكر المطلق إلا على وجه المجازاة والمقابلة.

قوله: {وَمَكَرَ اللهُ} أى قابلهم وجزاهم على صنيعهم بمكرهم، وأهل السنة يطلقون هذا اللفظ على الله بهذا المعنى وتقدم قبل قليل أن ما أطلق الله على نفسه فهو صفة كمال.

وقوله جل وعلا: {وَمَكَرُوا مَكْرًا}، وَمَكَرُوا مَكْرًا: مكرًا توكيد الأول، إشارة إلى توغل المكر فى نفوسهم، وإلى السعى الحثيث فى إيجاد المكر بأولياء الله وأنبياء الله ورسله والصالحين من عباد الله فلذلك وصف مكرهم بالمصدرية فقال الله جل وعلا: {وَمَكَرُوا مَكْرًا}، لكن ماذا قال الله جل وعلا: {وَمَكَرُوا مَكْرًا} أكبر وأشد وأنكى من مكرهم، ومن كان الله معه فلا يضره مكر الذين يمكرون، قال الله جل وعلا: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}.

قوله: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} أى لا يشعرون باستدراج الله لهم، ومكره بهم، وجعل العاقبة للمؤمنين، والنكال على الكافرين والمعرضين، فيؤخذ من ذلك: ضرورة التعلق بالله جل وعلا، ومن كان الله معه فلو اجتمع الجن والإنس منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة لا يستطيعونه بشىء ، وفى حديث حنش الصنعانى عن ابن عباس أن

النبى قال: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه اللّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لن يضروك إلا بشىء كتبه اللّه عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، قال أبو عيسى رحمه اللّه تعالى هذا حديث حسن صحيح.

تحدثت بالأمس وقبل الأمس أيضا عن دراسة وأهمية دراسة الأسماء والصفات ومعرفة خطورة وترتب أسبابها، والإنسان كى يعلم ويثبت لله صفة المغفرة يكون متصف بهذا الوصف، الرحمة يكون رحيما، وأما أنه يثبت الألفاظ وقد يؤمن بالمعانى ولكن لا تترتب هذه المعانى، والآثار على واقعه فهذا نقص فى الإثبات؛ لأنه لو كان إثباته إثباتًا حقيقيا جازم بذلك لترتب الأثر هذا على واقعه، **يقول شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى فى الفتاوى:** ما عصى عبد ربه إلا بنقص إيمانه بالغيب، وكل ما قوى إيمانه كلما قلت معصيته، وكلما ضعف إيمانه كلما كانت معصيته أكبر، بدليل أن العبد، لا يعصى اللّه بحضرة من يستحى منه، ولكن حين يخلو يعصى اللّه، هذا دليل على نقص إيمانه بالغيب، لو كان يستحضر، سمع اللّه له، ورؤية اللّه له لما عصى اللّه، كما لم يعص اللّه فى حضرة وجود فلا

ان وعلان.

قوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} أي: يكيد هؤلاء الكفار و المنافقين يكيدون لدين الله وللمؤمنين، ويريدون إلحاق الضرر، بحوزة الإسلام، والدين الحق، ويريدون سلخ المسلمين عن مبادئهم، وعن عقائدهم، ويريدون تركيعهم للشهوات وعباد الصليب، ولكن الله جل وعلا يقابلهم على كيدهم ومكرهم، بقوله: {وَأَكِيدُ كَيْدًا} أي: أستدرجهم بذنوبهم وبأفعالهم ثم آخذهم،{فَمَهِّلِ الكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا}، وأهل السنة يثبتون لله جل وعلا صفة الكيد على وجه المقابلة، والمجازاة للذين يريدون الكيد، للإسلام وللمؤمنين.

وهذا يبعث أيضًا على الإيمان بالله والتعلق به ، وهذا يعنى إثبات الصفات لله جل وعلا، ويعنى إثبات توحيد الربوبية، ويعنى إثبات توحيد الإلهية ويعنى إثبات توحيد الأسماء والصفات.

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ليس فى القرآن آية ولا حرف منه إلا وهو دال على الله جل وعلا، بدلالة التضمن أو بدلالة المطابقة أو بدلالة الا لتزام، ما هناك آية، حتى الحرف قاف دال على الله من يتكلم به من قال قاف، هو الله، إثبات صفة الكلام لأنه تكلم، والمتكلم إذا موجود، إثبات توحيد الربوبية، والذى خاطبنا بذلك هو المستحق بالعبادة

، ما هناك حرف فى القرآن إلا وهو دال على الله، ولعل هذا هو معنى قول الله جل وعلا: {إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

والتأمل فى القرآن ومعرفة المعانى، والإيمان با لأسماء والصفات ودراسة ذلك يترتب عليه أثر عظيم وهو التعلق بالله وزيادة فى الإيمان، ومعرفة الله حق المعرفة، والذين يعرفون ذلك تكون عبادتهم أخلص وأقوى من عبادة الذين يجهلون ذلك، وكلما كان إيمان العبد بذلك أتم كان بأمر الله أقوم، وله أخلص ولفعل الأوامر أسرع، ولذلك قال الله جل وعلا عن بعض أنبيائه: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}.

وقد ذكر بعض السلف عن محمد بن واسع، لو قيل له تموت الليلة ما زاد على عمله، لأنه مستعد لهذا اليوم.

وقوله جل وعلا: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا} الخطاب للناس، {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا} ويخص من ذلك المؤمنون؛ لأن الخير لا يقبل إلا إذا كان خالصًا صوابًا، أما الكافر إذا عمل الخير فليطعمه فى الدنيا، كما جاء فى صحيح الإمام مسلم.

{أَوْ تُخْفُوهُ} فيه إثبات صفة العلم لله جل وعلا،

يستوى الإسرار والجهر، {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} بلى، بلى أى نسمع، وفى نفس الوقت، {وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}.

وفيه إثبات صفة القدرة لله جل وعلا.

قوله: {أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ} فيه فضيلة العفو، وحين يتصف المخلوق بذلك فالله أولى بالأمر ولذلك تأمل فى ختم الآية ماذا قال الله جل وعلا {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} إذا كنتم تعفون، فإن الله يعفو مع القدرة وأنتم تعفون مع العجز، تأمل فى المراد فى ختم الآيات، وقد أشار إلى هذا المعنى ا لإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فى جلاء الأفهام، وقال: أنه لا تختم آية فى القرآن إلا ولها ارتباط بِ المعنى وذكر حكاية عن أعرابى سمع قارئ يقرأ {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ غفور رحيم} قال الأعرابى: هذا ليس بكلام الله، فغضب عليه القارئ قال: أعرابى جاهل تكذب بكلام الله، وأنا قارئ، قال إذن أعد الآ ية: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} قال نعم: هذا كلام الله، عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع، بل عز وما رحم فقطع، أن الله عزيز حكيم،

وهو العزيز فلن يرام

أنى يرام جناب ذى
وهو العزيز القاهر الغلاب
يغلبه شىء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هى
فالعز حينئذ ثلاث معان

ويؤخذ من ذلك إثبات صفة العفو لله جل وعلا، وهو أعم من المغفرة، العفو أعم من المغفرة.

ويؤخذ إثبات صفة القدرة لله جل وعلا، {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}، والذين يؤمنون بذلك يجب أن تتمثل فيهم صفة العفو {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} دعاهم إلى العفو، الشافعى يقول:

فلما عفوت ولم أحقد على
أرحت نفسى من هم
إنى أحيى عدوى عند
لأردع الشر عنى بالتحيات

وقد ذكر شيخ الإسلام قبل ذلك، حين قدر النبى على الطلقاء فعفا عنهم، هذا هو التمثل الحقيقى فى معرفة وصفات أسماء الله وصفاته،

تأمل فى واقع الصحابة، تأمل فى واقع التابعين، تأمل فى زمان الإمام أحمد حين أوذى وسجن عفا عن كل من ظلمه، تأمل فى واقع ابن تيمية رحمه الله تعالى حين أذوى وسجن وأفتى بقتله، وحين دعاه السلطان وقال: ما تريد أن أصنع بهؤلاء؟ عفا عنهم، عفو مع القدرة أيضًا، وهو يستطيع أن يفتى السلطان بقتلهم.

أولا ً: ناتج عن نقاوة القلوب.

الأمر الثانى: ناتج عن معرفة الدنيا وحقيقتها وتقلبها.

الأمر الثالث: ناتج عن حقيقة الإيمان والإمعان فى أسماء الله وصفاته.

الأمر الرابع: ناتج أيضًا عن مراعاة باب المصالح والمفاسد.

وقوله جل وعلا: **{وَلْيَعْفُوا}** هذا أمر من الله جل وعلا بالعفو، قد نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق حين حلف على أن لا ينفق على مسطح وهو بدري وهو ابن خالة أبى بكر الصديق وكان رجلا معدمًا فقيرا، يعيش على نفقة أبى بكر الصديق،

وفى نفس الوقت، كانت له غلطة ومتابعة لرأس المنافقين عبد الله بن أبى، فى وشايته وقذف عائشة بالإفك، حين علم أبى بكر بذلك أنه يسعى فى استثارة الفتنة، قال والله لا أنفق عليه، أنفق عليه وهو ابن خالتى، وفى الآخر يجاوب مع المنافقين ضد النبى، وزوجة رسول الله ، فحلف أبو بكر ألا ينفق عليه، فأنزل الله: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}، قال أبو بكر: بلى، فأعاد النفقة عليه، امتثالا ومسارعة لأمر الله جل وعلا، وليصفحوا أى يتجاوزوا كما قال جل وعلا فى صفات المؤمنين: {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} وبقدر ما تعفوا بقدر ما يتجاوز الناس عن هفواتك، بقدر ما تعفوا تلقائيًا الناس يتجاوزون عن هفواتك، وبقدر ما تشتغل بتضخيم .

* * * ●

بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط 8

تعرف من صفات المؤمنين وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وبقدر ما تعفو بقدر ما يتجاوز الناس عن هفواتك، بقدر ما تعفو -تلقائياً-

الناس يتجاوزون عن هفواتك، وبقدر ما تشتغل بتفصيل هفوات الناس والنكاية بهم ومطاردتهم في أموالهم وفي أفعالهم؛ بقدر ما يتتبع الناس ذلك منك، وحينئذ تعرف قدر العفو والصفح عن العباد.

الشاهد في سياق الآية أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ فيه إثبات صفة المغفرة لله -جل وعلا-، وَاللَّهُ غَفُورٌ فيه إثبات صفة المغفرة أيضاً، وإثبات اسم الغفور لله -جل وعلا-، رَحِيمٌ تقدم الحديث عن صفات الرحمة لله -جل وعلا.

الحمد لله رب العالمين:

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى- في الحديث عن أسماء الله وصفاته وتقرير ذلك بأدلته من الكتاب والسنة، وقد بدأ شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى- الحديث عن ذلك بأدلة القرآن، وحينما يفرغ من ذلك يورد الأدلة الثابتة عن النبي لكي يعلم المسلم أن هذا الباب مبني علي الكتاب والسنة، ولا دخل للعقل ولا للقياس في إثبات اسم أو صفة لله تعالى.

وفي نفس الوقت هذه الأسماء والصفات المذكورة في كتاب الله والتي يعلمها صبيان أهل التوحيد، فقد كان النبي يحث الناس على قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة ويخبرهم بأن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن، ولم يكن أحد منهم يستشكل شيئاً من ذلك؛ بل يؤمنون به، ويثبتون لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله إثباتا بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل؛ لأن الله -جل وعلا- ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهو السميع البصير.

فقوله -جل وعلا- وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ (ولله) جار ومجرور خبر مقدم، (العزة) مبتدأ مؤخر، وتقديم الخبر على المبتدأ يفيد حصر مطلق العزة لله -جل وعلا- وأن المؤمن يكتسب عزته من عزةِ الله؛ وذلك باتباعه للكتاب والسنة، وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ فلا كرامة لأحد إلا بالإسلام، ولا كرامة

لأهل الإسلام إلا بالتمسك به، ومن ابتغي العزة بغير طاعة الله وبغير طاعة رسوله أذله الله ، وجعل فيه الذلة والصغار، وقد قال النبي في حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال رسول الله «وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري».

وقال تعالى فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا والعزة في صفات الله -جل وعلا- لها ثلاثة معاني؛ نظمها الإمام بن القيم -رحمه الله تعالى- في نونيته فقال:

وهو العزيز فلن يرام جنابه أنى يرام جناب ذى

وهو العزيز القاهر الغلا ب لم يغلبه شىء هذه

وهو العزيز بقوة هى فالعز حينئـذ ثلاث

فالعزيز اسمه، والعزة صفته، قال الله -جل وعلا- الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ .

وقال النبي فيما يروي عن ربه -والخبر في صحيح مسلم- «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار». فقوله (ولله العزة) يفهم من ذلك إثبات صفة العزة لله، قوله (ولرسوله) فيه إثبات العزة أيضاً للرسول، (وللمؤمنين) وعزة هذا غير عزة هذا، فكما نثبت لله ذاتاً لا تشبه الذوات، نثبت لله صفة لا تشبه الصفات، ونثبت لله عزة لا تشبه عزة غيره، لأن هذا الخالق وهذا مخلوق.

ويؤخذ من ذلك مشروعية البحث عن العزة؛ و المؤمن لا قيمة له بدون عزة، وقد كان أئمة السلف يربون أبناءهم على العزة حتى يتشرّب الطفل العزةَ من صغره فلا يمتهنه أحد في كبره.

والعزة تتمثل في عدة أمور:

الأمر الأول: تتمثل بطاعة الله وطاعة رسوله .

الأمر الثاني: العزة تتمثل بقوة الشخصية و المسارعة إلى ما يحبه الله.

الأمر الثالث: تتمثل العزة بالبعد عن طاعة المخلوق في معصية الخالق؛ فمن أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فلا عزة عنده ولا قيمة له؛ لأنه قدم رضا المخلوق على رضا الخالق، والطاعة في المعروف.

ومن معاني العزة التعلق بالله؛ فمن تعلق ب الله كان عزيزاً، ومن تعلق بالمخلوق كان ذليلاً وإن كان كبيراً في منصبه؛ لأن العزة الحقيقية تتمثل بقوة القلب وتعلقه بالله -جل وعلا-

إذا انقطعت أطماع عبدٍ تعلق بالرب الكريم
فأصبح حراً عزةً على وجهه أنواره
وإن علقت بالخلق أطماع فباعد ما يرجو وطال
فلا ترجُ إلى الله فى ولو صح فى حل الصباح

ومن معاني العزة: الصبر على البلاء والشكر في الرخاء، والأصل في المسلم إن أصابته ضراء صبر

فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له؛ فيتقلب في معاني العزة في السراء والضراء، فليس من أصابته شدة أو فاقة أو لحقه ضرر أو عدوان من الآخرين أصبح ذليلا ً، لا؛ الذليل هو من رق قلبه لغير الله، ومن لجأ بفؤاده إلى غيره ؛ ولذلك النبي مرت عليه مرحلة كان مطارداً؛ تارة بـ الاختفاء في غار حراء، ثم هروب من مكة إلى الطائف، ثم جوار؛ لم يدخل مكة إلى بجوار المطعم بن عدي المشرك، ثم أخرج من مكة إلى المدينة؛ فيتقلب في معاني العزة.

وقوله -جل وعلا- عن إبليس ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إبليس يعرف ربه؛ فقد كان من المقربين، ولم يكن من الملائكة الطيبين؛ فإن الملائكة مخلوقون من نور، والأحاديث في ذلك متواترة، وإبليس هو أبو الجن، خلق من نار؛ بنص القرآن.

وقوله -جل وعلا- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ إبليس هنا استثناء منقطع وليس متصلا ً؛ فإبليس ليس من جنس الملائكة بدليل قول الله -جل وعلا- في سورة الكهف ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ هذه الآية صريحة في كون إبليس من الجن، وهذه الآية دلالة وموضحة للآيات المجملة ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ .

سمى بهذا الاسم؛ قيل لأنه أبلس من الخير، وقيل لأنه أبلس من رحمة الله -جل وعلا-، قال

إبليس (فبعزتك) يقسم بـالله، فقبح الله رجلا ً
إبليس أعلم منه بربه؛ الجاهل من أهل البدع يقسم
بالبدوي أو يقسم بالنبي أو يقسم بالمخلوق؛ هذا لا
يعرف ربه؛ وقد قال النبي «من حلف بغير الله
فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وغيره وأصله في
الصحيحين وهو: «لا تحلفوا بآبائكم، فمن كان حـ
الفاً فليحلف بـالله أو يصمت»

ويفهم من ذلك جواز القسم بصفة من صفات
الله إذا أضيفت إلى الذات؛ تقدم التفريق بين
الصفات اللازمة والصفات المتعدية، وتقدم التفريق
بين الدعاء المحض وبين الاستعاذة والاستغاثة؛
وإن كان هذا نوعاً من أنواع الطلب إلا أن الطلب
المحض يختلف عن الاستغاثة وغير ذلك، وفي
نفس الوقت يختلف الحلف عن غيره.

(فبعزتك) لا يجوز الحلف إلا بـالله -جل وعلا-،
(لأغوينهم أجمعين) الشاهد من ذلك فبعزتك، هذا
دليل أن العزة صفة من صفات الله، فلا يجوز
الحلف بالمخلوق، وصفات الله -جل وعلا- من الله
ليست بمخلوقة باتفاق المسلمين، وأما إبليس فإنه
لا يقدر على إغواء العالمين، ولذلك استمع ، قال :
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ولذلك قال النبي و
الخبر في صحيح مسلم «إن الشيطان يئس أن
يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش
بينهم» معنى هذا أن الشيطان يئس أن يطبق
الناس كلهم على عبادة الأوثان وعلى دعاء غير الله

لله، ولا يفهم من ذلك أن لا توجد بقية يعبدون غير الله؛ لقوله «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة» والخبر متفق على صحته، ولقوله «لا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» .

وقيل المعنى أن الشيطان هو يئس، ويأسه ليس بمعصوم، فهو يظن بئس ما ظن.

يؤخذ من ذلك الحذر من نزغات الشيطان وخطواته يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ .

وقال تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ فالشيطان ينزغ بين العباد، فالا ستعاذة منه تنأي بالعبد عن نزغاته وخطواته، ويؤخذ من ذلك إثبات صفة العزة لله -جل وعلا .

وقوله -جل وعلا- تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فقوله -جل وعلا- (تبارك) لا يطلق إلا على الله -جل وعلا- تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وهذا لا يختلف فيه العلماء؛ فلا يصح قول العبد تبارك فلان أو تبارك ماله أو تبارك بيته، وأهل العلم يفرقون بين بارك وتبارك؛ فالمخلوق قد يكون مباركاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ لا حرج أن تقول فلان فيه بركة، ويقال مبارك وفعل ذلك بارك؛

بارك يبارك مباركة، تبارك لا يطلق إلا على الله -جل وعلا-، فلا يصح أن تشتق منه المضارع يتباركون تباركاً؛ لأن هذا يطلق على الله -جل وعلا-، ومعنى تبارك أي تعاظم وتعالى.

فالله عظيم، وهو العليُ الأعلى سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ علو الذات وعل القدر وعلو الشرف، فلله -جل وعلا- جميع أنواع العلو.

قال تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ .

وقال النبي للجارية: «أين الله» قالت (في السماء)، وهذا أمر فطري؛ فقد فطر الله عليه عباده ، والناس الآن مؤمنهم وكافرهم متجاوبون مع هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

وحين استطرد الإمام ابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية) في مسألة العلو كرر الحديث عن إثبات ذلك في الحيوانات والبهائم والطيور والحشرات وأورد الأ مثلة على ذلك والأدلة، فقوله -جل وعلا- (باسم ربك) قال الله -جل وعلا- وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا أهل العلم تارة يبحثون مسألة هل الا سم هو المسمى أو غيره، فقالت طائفة الاسم هو المسمي، وقالت طائفة الاسم غير المسمى، والبعض

يقول من قال أن الاسم هو المسمى مبتدع، والآخر يقول من لم يقل فهو مبتدع، والتحقيق التفصيل راجع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، الحديث الآن عن إثبات ذلك لله -جل وعلا.

ولا يختلف العلماء أن الله هو العزيز الغفار الرحيم الحكيم الخالق البارئ المصور؛ هذه أسماء لله -جل وعلا- فليس معنى إذا تعددت أن التعدد في الذوات، هذا ضلال، كفر بالله -جل وعلا-ولكن هذا للتعظيم؛ لعظمة الله له أسماء متعددة، وهذه ا لأسماء كل واحد منها يحمل معنى غير المعنى الآ خر، وكلها دالة على الله.

قوله (ربك) الرب هو المعبود، الرب هو الخالق الرازق المدبر، الرب هو المألوه محبة وتعظيماً وإج لالا ً يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وقد وصف هذا الرب -جل وعلا- بأنه (ذو الجلال و الإكرام) الجلال: البهاء العظمة الكبرياء؛ فالله ذو الجلالة ولذلك كره بعض العلماء أن يقال للمخلوق صاحب الجلالة؛ يرون هذا مختصاً بالله -جل وع لا- لقوله (ذي الجلال والإكرام)، ومنهم من قال يختلف هذا عن ذاك؛ كما أن المخلوق يوصف بـ العزة والله موصوف بذلك ،فهذا يختلف عن ذاك، فيقال المخلوق ذو جلالة بمعني جلالة تليق به.

وقوله (والإكرام) أي ذو الإكرام الذي يجب إكرامه، وذو الكرامة فالله أجود الأجودين وأكرم ا لأكرمين، ولذلك جاء في الحديث «إن من إجلال

الله إجلال ذي الشيبة وحامل القرآن» أي من تعظيم الله ومن تقديره واحترامه والقيام بحقه أن تكرم ذا الشيبة وحامل القرآن، ويؤخذ من ذلك إثبات الأسماء لله -جل وعلا-، وأهل السنة لا يختلفون في ذلك؛ يثبتون ذلك على مراد الله ومراد رسوله .

وقوله -جل وعلا- فَاعْبُدْهُ هذا أمر بعبادته، و العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأ قوال والأفعال الظاهرة والباطنة، والعبادة لا تسمى عبادة إلا بأمرين؛ الأمر الأول: الحب لله -جل وعلا-؛ أن تؤدى العبادة محبة لله، فإن المحبّ لمن يحبٌ مطيع، الأمر الثاني: الذل؛ تكون ذليلاً لله؛ لأن ا لإنسان قد يكون ذليلاً للمخلوق ولا يحبه، وقد يحب المخلوق ولا يكون ذليلاً له، إذا اجتمع الأ مران فلا يصحان إلا لله.

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس و الشيطان

فقوله (فاعبده) وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ أي لازم عبادته؛ لأن بعض الناس يعبد الله؛ يؤدي العبادة؛ وهو على خير، ولكن سرعان ما ينقطع فيكون ك المنبت؛ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، فالله أمر عباده أن يعبدوه وأمرهم بالاصطبار على ذلك وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا هناك شيء اسمه صبر على العبادة، وهناك شيء اسمه صبر عن المعصية، وهناك شيء اسمه صبر على الأقدار و المصائب، وما قدره الله عليك من المصائب ، فهذا صبر وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ قال علقمة (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم).

فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا هذا الشاهد؛ أي هل تعلم له سمياً يتسمى باسمه ويفعل كفعله؟ كلا؛ لا يتأتى هذا، فحين شقي مسيلمة الكذاب وأغواه الشيطان وأضله سواء السبيل؛ فنصب نفسه رحمن اليمامة ألبسه الله جلباب الكذب، ولا يعرف هذا الخبيث إلا بمسيلمة الكذاب؛ شيطان اليمامة، فقد تعلق به الاسم هذا، إذا قلنا من هو يقال مسيلمة الكذاب، كذلك أيضاً إذا بدأت بمسيلمة.

وقوله -جل وعلا- أيضاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ أي يفعل كفعله ويخلق كخلقه ويدبر كتدبيره ويقدر كقدرته ؟ لا، ولذلك قال الله -جل وعلا- وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ .

وقوله -جل وعلا- وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ بضم الفاء لأن بعض الناس من يقرأ بسكون الفاء، حفص عن عاصم بضم الفاء وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أي

ليس له كفوا أحد، ولا يفعل فعله أحد، ولا يقدر على قدرته أحد وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ في كل شيء، وقد جزم غير واحد من العلماء وأهل اللغة أن اسم (أحد) في الإثبات لا يطلق إلا على الله، يطلق على المخلوق في النفي والنهي، أما في الإثبات فلا يطلق إلا على الله -جل وعلا- وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا في سياق النهي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ في سياق النفي.

وقد اعترض على هذا الحافظ ابن الحجر في فتح الباري وأورد دليلاً يفيد مجيء هذا في الإثبات، سئل رسول الله عما يلبس المحرم قال «لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرانس إلا أحد لا يجد النعلين » هذا على سبيل الإثبات، وربما يقال يطلق على وجه النادر.

الشاهد من الآية إثبات العظمة لله -جل وعلا- وأن المخلوق يبقى مخلوقاً والخالق هو الخالق ، وتعظيمه ومعرفته بأسمائه وصفاته والتعرف إليهما ، يمكن أن يزيد في الإيمان ويبعث على اليقين، من عرف الله حق المعرفة هان عليه كل شيء.

وقوله -جل وعلا- فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا الـ(لا) هنا ناهية،تجزم فعلاً بعدها، (أندادا) الند هو النظير والمثيل والشبيه، فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أي تعلمون أن لا خالق غيره، ولا رازق سواه، ويعلمون أنه لو مات شخص ما استطاع أن يحييه أحد، لأن الله هو الخالق، وأن

الله هو الذي أوجدهم من العدم، إذاً كيف تعبدون مع الله إلهاً آخر؟ الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة، الذي لا يخلق لا يستحق أن يكون معبوداً، والذي لا يقدر لا يستحق أن يكون خالقاً، قال الله -جل وعلا- أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط (9)

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ
بصيرة، هذا المخلوق الضعيف يأكل من رزق الله ويشرب من رزق الله وينعم برزق الله ويعيش على أرض الله، وتحت سماء الله، وحين يكبر يتمرد ينصب نفسه إلهًا مع الله ويستكبر عن طاعته، أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى قال الشافعي وغيره: أي: لا يؤمر ولا ينهى.

فهو مأمور بالتوحيد ومنهي عن الشرك، لذلك الله جل وعلا يذكرهم بما أنعم عليهم من النعم، فقال: فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

يؤخذ من الآية أن الله ليس له نظير ولا مثل.

قال تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ .

وقال: إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ يعني نفسك.

وقال تعالى: كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ .

في هذه الآية معنيان: كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ قيل: يئس الكفار أي الأموات من أصحاب القبور الملائكة من الخروج، وقيل: يئس الكفار الذين هم على قيد الحياة من الأموات أن يجيبوهم حين يدعونهم أو يرزقوهم حين يسألونهم أو ينصروهم حين يستنصرون بهم، نقف على هذا والله أعلم.

أسئلة

طالب يسأل: بالنسبة لقول فلان فيه بركة فهو مبارك، فهل هذا يعني أن شهد الله بذلك؟

الشيخ: لا لا، ما يختص، الشاهد ما في الصحيحين يقول: «ما هي أول بركتكم يا آل أبي بكر»: فمن ثبت لديه أن فلانا فيه خير وبركة لا حرج أن يصفه فلان مبارك، في هذا الجانب إن وصفته قل مبارك، مبارك من هذا الجانب وصفه قد يكون مبارك.

المخلوق يوصف بذاك، لكن ليس وصفًا مطلقًا، نعم.

طالب: جزاك الله خير، كيف نجمع بين العزة و التواضع؟

الشيخ: لا مانع، الإنسان يكون عزيزا ويكون متواضعًا، كلما اكتسب الإنسان عزة كلما ازداد تواضعًا، لأن ضد التواضع الكبر وليس العزة، ينبغي أن نفرق بين الكبر وبين العزة.

العزة تتمثل في عدة أمور ذكرتها قبل قليل لا داعي للإعادة، بخلاف الكبر الاستعلاء الترفع على طاعة الله الترفع على المخلوق رؤية النفس رؤية أننا لنا فضل على الآخرين، هذا ليس من العزة في شيء هذا من الصغار والذلة التي جعلها الله فيه، فلذلك حظي بالكبر الذي فلذلك أذله الله، ولذلك قال الله جل وعلا: «الكبرياء ردائي فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار» هذا هو الكبر الذي هو من خصال إبليس، بخلاف العزة صفة من

صفات الله ومن صفات الرسول ومن صفات المؤمنين، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ نعم.
الطالب: (يسأل عن مقولة زارتنا البركة)
الشيخ: زارتنا البركة ما تزور البركة، وإنما زار فعل ماضي ونحن قبل أسابيع تحدثنا عن كلمة: شاء القدر، وهذا غلط في اللفظ، لأن القدر لا مشيئة له، إنما تنسب المشيئة لمن تقوم به المشيئة ليس لمن يقوم بالمشيئة فإذًا البركة لا تزور، فإنما قال: حلت بي البركة، أو في البيت بركة بوجود فلان، وإن كان العامة يقولون زارتنا البركة يقصدون بالبركة هو فلان، لا يقصد ما قامت به ليكمل المعنى، فهذا غلط الأسلوب غلط، لكن المعنى واضح عند العامة ماذا يقصدون وما يعنون.
طالب: يسأل حول اسم "العزيز" هل هو من الأسماء الخاصة.
الشيخ: لا من الأسماء المشتركة العزيز، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ هذا من الأسماء المشتركة ليس من الأسماء الخاصة، لكن هذا المعنى واضح.
طالب: هل يجوز من قال فلان عظيم.
الشيخ: هو لا حرج هذا تعظيم نسبي لأن النبي صلى الله عليه وسلم حين كتب لهرقل والخبر في الصحيحين، قال: «من محمد عبد الله ورسوله» هذا تواضع، من محمد عبد الله ورسوله، العلماء لما يقدم لأحد العلماء يسبق اسمه عدة ألقاب، فضيلة الشيخ الدكتور العالم وزير كذا، يفعل كذا وكذا وكذا، دائمًا من عنده نقص، يحاول يرقع هذا النقص

بهذه الألقاب، وهذه قاعدة، أما الذي هو واثق من نفسه لا يحتاج يقول فلان ابن فلان، أحمد بن تيمية، قال أحمد، ما يسبق قال الإمام أحمد، ومع هذا قولنا: قال الإمام، أو قال أحمد هو في الحقيقة عظيم في النفوس، ليس بدكتور ولا أستاذ مشارك ولا ولا ولا، ولا يحتاج إلى هذه الألقاب، يحتاج هذه الألقاب من كان عنده نقص، يحاول يعوض النقص بهذا اللقب، وهؤلاء هم أقل الناس بركة في المجتمع فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم أرسل: «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم» دل على أنه لا حرج من وصف الرجل بالعظمة. نعم.

(سؤال غير واضح)

طالب: يسأل عن أركان العبادة ..

الشيخ: من وجه تنقسم إلى شروط العبادة، أقسام العبادة، أو لوازم العبادة ومن وجه تنقسم إلى محبة وخوف ورجاء، ومن وجه آخر إلى إخلا ص ومتابعة، من وجه آخر إلى محبة وذل كل هذه معاني صحيحة.

طالب:...

الشيخ: يعني هنا افتقار مثلا ً ما هناك شيء يصح إلا بمحبة وخوف ورجاء، محبة لله، خوف من الله، رجاء لثواب الله، هذا نحو قول الله جل وعلا: فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، ونقل معاني أخرى الذل والمحبة، الذل والمحبة تقدم، إن الله جل وع

لا أمر بحبه فقال: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ، يحبهم الله، يحبونه، وغير ذلك من الأدلة إلا لما يكون دليلا ً أيضًا، وهذا ما قلنا به في الكتاب والسنة والإجماع، وهذا لا إشكال فيه واضح الأدلة من الافتقار، والخوف من الله وكلما خاف الإنسان من الله كلما كان له أذل، كلما عرف الله حق المعرفة كلما عرف قدرة الله كلما كان تواضعه له أعظم، وتعلقه بالله أكثر، الإخلاص من باب آخر، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ المتابعة «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» من المعاني في هذا الدين أن محمدًا رسول الله فنأخذ كما قال ..: هذه المعاني من باب نأخذ من معنى آخر .. ومن معنى آخر نأخذ ... ومن معنى آخر نأخذ الباقية وهلم جرا لأن العبادة كما تقدم اسم جامع، لا بد أن تقوم بالعبادة على الوجه المطلوب ولا يتأتى الإتيان بالعبادة على الوجه المطلوب إلا حين يقوم بقلب الرجل وجوارحه ولسانه هذه المعاني معاني الإيمان، معاني الإسلام، لأن الإيمان نعرفه بأنه قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب اللسان والجوارح ، فمن قامت في قلبه هذه المعاني حقيقة قوي إيمانه وصقل قلب.

طالب: يا شيخ ما صحت حديث تسمية الشيطان أبا الحارث.

الشيخ: لم يثبت حديث بتسمية الشيطان أبا الحارث، وهو ضعيف الحديث، والحارث لم يثبت

بأنه اسم من أسماء الشيطان، وكذلك لم يثبت الحديث الآخر: (أصدقها حارث وهمام) هذا الحديث المهم ضعيف، أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن الثابت الحديث ثابت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر، وعند أبي داود عن نافع عن ابن عمر وهذا هو الثابت، (وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة) أيضًا ضعيف، الزيادة كلها ضعيف، فكان الثابت: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالحارث ليس من أسماء الشيطان ، ولم يثبت في ذلك شيء.

طالب: يقول جاء عند أبي داود وغيره؟

الشيخ: ضعيف لانقطاعه. ...

طالب: (سؤال غير واضح)

الشيخ: نعم، حتى هنا فلا تجعلوا لله أنداد وأنتم تعلموا أنه هو الخالق الرازق.

طالب: ....

الشيخ: أي: فلا تضربون الأمثال بحيث أنهم يشبهون الله بخلقه.

فالآية هذه توافق هذه الآية، ما فيه تنافر، ما التنافر، ما هو الإشكال عندك.

طالب: ...

الشيخ: فلا تجعلوا لله أنداد وأنتم تعلمون، وهنا: فلا تجعلوا لله أنداد وأنتم تعلمون، فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم، وأنتم لا تعلمون

حقيقة أمره أنتم وتعلمون أنه الخالق الرازق، إن كنتم تعلمون عظمته وقدرته حق المعرفة لما كان لكم لجوء إلى أو عبادة المخلوق وهذا لا يتصور عن عاقل، أعطاه الله سمعا وبصرا ويدرك فيعبد حجرا أو يعبد غير الله ويعلم أن الله هو الذي خلقه، إذن خلقه فكيف يعبد غيره؟ خلقك الله لتعبده إذن هذا لا يعلم عن عظمة الله ولا قدرة الله ، فلذلك ليس معنى لا يعلم يعني لا يوافق، فرق بين نفي العلم عنه وأنه لا يوافق، فرق العبارتين.

طالب: ...

الشيخ: هو الأصل في الظاهر أنه لا يجوز تعليقه على المنع، الأصل يحرم على العبد أن يعلق الظاهر على حد، أو على منع، لكن إذا كان يقصد من ورائه الظاهر حقيقتًا.

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط (10)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«سرد الأدلة من كتاب الله على إثبات أسماء

الله وصفاته»:

وقد جهد رحمه الله فى هذه العقيدة على ذكر المتفق عليه دون ما اختلف فيه، وقد أشار إلى هذا المعنى فى كتابه: «مناظرة العقيدة الواسطية»؛ فهو كتاب جيد ومفيد، ونافعٌ فى الحقيقة؛ لكونه المقصد من هذا الكتاب ومن هذه العقيدة، وهذا الكتاب موجود فى كتاب الفتاوى.

فقوله جل وعلا: وَمِنَ النَّاسِ : «من»: هنا تبعيضية، «من» ترد بيانية؛ كقول الله جل وعلا: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ هنا «من» بيانية؛ أى: من جنس القرآن، فلا يختص الشفاء بآية دون أخرى, القرآن كله شفاء وهدى ونور وتبيان لكل شىء، وترد «من» تبعيضية؛ كقول الله جل وعلا: سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ؛ لم يقل ذلك كل الناس؛ قال ذلك بعضهم وكقول الله جل وعلا: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا فـ «من» هنا تبعيضية.

قوله: مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا الند: هو النظير و المثيل، يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ، أى: يحبون أندادهم كما يحبون الله؛ فقد أثبت الله له المحبة وذمهم على ذلك؛ لأنهم يشركون به غيره، ولذلك إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب هؤلاء.

وقد أدى بهم هذا الحب الشركى إلى الغلو والإ فراط فى معبوداتهم؛ بحيث يقدمون رضا المخلوق على رضا الخالق، ومحبوبات المخلوق على محبوبات الخالق.

وإذا تعارض لديهم أمران: أمر يحبه اللّه ويحبه الرسول وآخر تهواه نفوسهم، ويعتقدون انه محبوب لأوثانهم ومعبوداتهم؛ يقصون محبوبات اللّه، ويقدمون هوى النفس ومحبوبات الشيطان على رضا رب العالمين, وهذا نوع من أنواع الشرك ا لأكبر.

الشرك الأكبر له مراتب متعددة، منها حب غير اللّه، كطاعة غير اللّه، كعبادة غير اللّه

هناك بعض العلماء يقول: الشرك الأكبر أربع مراتب: شرك الدعوة، شرك الحبة، شرك الطاعة، شرك النية، والإرادة والقصد.

وهم لا يقصدون من هذا التقسيم الحصر، يدخلون فى هذه الأمور الأربعة ما عداها، ولكن يريدون من وراء هذا أن أمور الشرك تدور على هذه الأمور الأربعة، ولكن لو أدخلت فى شرك الدعوة لدخل فى ذلك كل شىء.

قوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا أى: وحدوا وأخلصوا أعمالهم لله. أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ، أى: من أهل الأنداد لأ ندادهم.

و لا يختلف العلماء أنه ليس الشأن أن تُحِب، وإنما الشأن أن تُحَب, ولذلك, فالله جل وعلا يقول: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ؛ فهؤلاء يسارعون إلى محبة الله، وأثبت الله لهم المحبة؛ فمن سارع إلى رضا الله وإلى محبته، فإن الله يحبه؛ كما فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى وغيره: «ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بـ النوافل حتى أحبه».

قوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ؛ أى: من أهل الأنداد لأندادهم.

يؤخذ من هذا إثبات فعل العبد، والرد على أهل البدع، يؤخذ من هذا كذلك أن الله واحد فى ربوبيته، ويجب أن يفرد فى ألوهيته. ويؤخذ من هذا أن من أحب مخلوقًا وساوى محبته بمحبة الخالق أنه مشرك.

يؤخذ من هذا أن أفعال العباد مخلوقة لله جل وعلا.

ويؤخذ من هذا أن الله قدر الخير والشر، وأنهما مخلوقان لله.

ويؤخذ من هذا بيان عظمة الله جل وعلا.

ويؤخذ من هذا أهمية التوحيد، وأثره على النفوس والمجتمعات؛ فلا قيمة لأحد دون التوحيد، ومن لم يكن موحدًا لله, فالبهائم أحسن حالاً منه، بل قال الله جل وعلا: أَضَلُّ سَبِيلًا ؛ فإن الله جل وعلا ما خلق الخلق من قلة, فيستكثر بهم, ولا من ضعف فيستنصر بهم، ولا من وحشة فيستأنس بهم، خلقهم لحكمة مذكورة فى سورة الذاريات: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، قدم الجن على الإنس؛ لأنهم أسبق خلقًا، وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، قيل: أى: إلا ليوحدون، وهذا قول طائفة من أصحاب ابن عباس وغيرهم، وقيل كما قال مجاهد وجماعة: أى: إلا لآمرهم وأنهاهم والمعنيان متقاربان، يكمل كل منهما الآخر.

إلا لآمرهم: أعلى الأمر هو الأمر التوحيد، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ : أى: وحدوا ربكم.

وأعلى شيء نهى الله عنه نهى النهى عن الشرك: فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ، وحين

سئل النبى أى الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك»، هذا متفق على صحته، كذلك فى حديث ابن مسعود وفى حديث جابر: «من لقى الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة».

وقوله جل وعلا: وَقُلِ الحَمْدُ لِلهِ ؛ أى: وقل يا محمد ، والأمر له أمر لأمته ما لم يرد تخصيص فى ذلك وهذا قول عامة العلماء.

وَقُلِ الحَمْدُ الألف واللام للاستغراق؛ لا ستغراق جميع المحامد، والحمد هو الثناء على الله جل وعلا فى الصفات اللازمة والمتعدية، ويكون الحمد باللسان والقلب؛ بخلاف الشكر؛ فقد قال البعض:

أفادتكم النعماء منى ث يدى ولسانى والضمير

قوله جل وعلا: الذِى لَمْ يَتّخِذْ وَلَدًا ولازم الحمد لوجود نعمة؛ بخلاف الشكر، وهذه النعمة حصلت للعبد، ليست هذه تعتبر منة.

الله جل وعلا يحمد على كل ما له من الأسماء والصفات: الحَمْدُ لِلهِ الذِى لَمْ يَتّخِذْ وَلَدًا : فيها الرد على اليهود: وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ،

وفيها الرد على النصارى: وَقَالَتِ النّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ ، قيل في القرآن قاتلهم بمعنى .. ماذا ؟ لعنهم؛ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ بمعنى: لعن؛ قُتِلَ الخَرّاصُونَ ، بمعنى: لعن الخراصون، قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ : لعنهم الله أنّى يُؤْفَكُونَ : أي: حيثما وجدوا، وحيثما حلوا، وحيثما كانوا.

وقد جعل اللعن صريحا في القرآن؛ قال الله جل وعلا في سورة الأحزاب: إِنّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، وقال تعالى: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

قوله جل وعلا: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ : ولو كان له شريك في الملك لعلا بعضهم على بعض ؛ كصنيع ملوك الدنيا؛ يتنافسون على الملك، ويضر بعضهم بعضًا, ويسعى بعضهم لعزل الآخر، وحينها لا ينتظم العالم، فالمنة والحمد لله جل وعلا أنه ليس له شريك في الملك، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذّلّ .

تأمل القول وتأمل بلاغة القرآن وفصاحته؛ لم

يقل: لن يكن له ولى، لقيل ليس وليًا لله؛ هذا غير صحيح فى الحديث القدسى «من عادى لى وليا»؛ لكن الله قيد القيد؛ مِنَ الذّلّ : أى: من الضعف و الحاجة إلى الآخرين: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ : الغنى المطلق، الْحَمِيدُ : الذى يحمد على ذلك.

قوله جل وعلا: وَكَبِّرْهُ ؛ أى: كبره على عظمته وكبير قدره وعظيم ذلك، تَكْبِيرًا : نصبًا على المصدرية؛ فإذا قال العبد: الله أكبر؛ أى: لا شىء أكبر من الله: قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ : ومن أسماء الله جل وعلا الكبير؛ فهو اسمه وصفته ؛ الكبير المتعال، له كل أنواع العلو.

وقوله جل وعلا: يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِى : أى: «ما» بمعنى: (الذى), أى: يُسَبِّحُ لِلهِ الذى؛ فاعل, مَا فِى السَّمَاوَاتِ : لماذا قدمت السموات فى كل القرآن أو فى بضعه؟ تقدم السموات على الأرض؛ لأن السموات أعظم من الأرض، وأفضل من الأرض؛ لأن الأرض خلقت قبل، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِىَ دُخَانٌ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، قوله: وَمَا فِى الْأَرْضِ أى: يسبح لله كل شىء فى السماء وفى الأرض.

هذا دليل على عظمة اللّه جل وعلا، وأن كل شىء مفتقر إلى اللّه.

لَهُ الْمُلْكُ , قال تعالى: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، وقال فى الأخرى فى القراءة السبعية الصحيحة: ملك يَوم الدِّين ؛ لَهُ الْمُلْكُ : أى: ويتصرف فى الملك؛ قال اللّه جل وعلا: يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ .

وَلَهُ الْحَمْدُ : الألف واللام للاستغراق، له الحمد المطلق، والكمال كذلك، وهو على لك شىء قدير، فيه إثبات صفة القدرة لله جل وعلا؛ اللّه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، و هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ، يؤخذ من هذه الآية عدة أمور:

الأمر الأول: أن كل من فى السموات والأرض يسبح لله جل وعلا, حتى الجمادات والحشرات و الطيور, والدواب على اختلاف ألوانها وأشكالها؛ قال تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ؛ ما معنى: لَا تَفْقَهُونَ ؟ لا تسمعون؛ ولذلك سمع الصحابة تسبيح الطعام, وسمعوا حنين الجزع, أسمعهم اللّه.

ولذلك فى آخر الزمان يستنطق اللّه جل وعلا ا

لأشجار فى قتال اليهود؛ تقول الشجرة: «يا مسلم», أنطقها الله الذى أنطق كل شىء «هذا يهودى ورائى تعالَ فاقتله», وهذا متواتر عن النبى ، ونحن نؤمن بذلك، وكل مؤمن يجب عليه أن يؤمن بهذا، وأن الله جل وعلا فى آخر الزمان يستنطق الشجرة، فتكون الشجرة مناصرة للمؤمنين على اليهود.

ويؤخذ من ذلك إثبات القدرة لله جل وعلا: لِتَعْلَمُوا أَنّ اللهَ عَلَى كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ : إذا كان الله قديرا على كل شىء، فكيف نلجأ إلى المخلوق الضعيف فى كل شىء، إلا ما قدره الله عليه ! وهذه القدرة نسبية، ولذلك هناك ضرورة تعليق القلب بالله، بيده أزمة الأمور, إذا أراد شيئًا يقول: (كُن) فَيَكُون, لا يحتاج إلى واسطة, مجرد أن تدعو الله جل وعلا، وتجتنب أكل الحرام؛ ليكون هذا أداة ومسارعة إلى الإجابة؛ لأن الرجل يمد يده إلى السماء ومطعمه حرام ومكسبه حرام وغذى من حرام وولد فى الحرام فأنى يستجاب له؟! إذا أطعم المطعم والمشرب ودعا الله جل وعلا سرعان ما يستجاب له؛ قال الله جل وعلا: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ .

وقال الله جل وعلا: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ .

والدعاء: هو العبادة وفى مسند أحمد من حديث على بن على الرفاعى؛ عن أبى المتوكل الناجى، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن النبى قال: «ما من مسلم يدعو بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بإحدى ثلاث»، ما هى الثلاث؟

الأولى: تعجل له دعوته.

الثانية: أن يكشف عنه السوء بمثلها.

الثالثة: أن تدخر له ليوم القيامة.

ماذا قال الصحابة؟

قالوا: إذًا نكثر يا رسول الله .. فماذا قال النبى ؟ قال: «الله أكثر».

وما معنى ذلك؟

أى: أسرع إجابة وأكثر كتابة، وإعطاءً، ومجازاة لكم.

وقوله: جل وعلا: تَبَارَكَ الَّذِى : تقدم الحديث عن تَبَارَكَ ، وأن هذه الكلمة لا تطلق إلا على اللّٰه بلفظ المضارع وبلفظ الماضى، ولا يشتق منها المضارع, والمخلوق يقال عنه: (مبارك) ولا يقال: (تبارك) ولا يصلح أن تقول حتى تبارك المال؛ غلط؛ (تبارك) يختص بها الرب جل وعلا. لكن لا مانع أن تقول: هذا مال مبارك. هذا بيت مبارك. هذه سيارة مباركة. هذه زوجة مباركة. هذا زوج مبارك. هذا لا حرج منه؛ لكن لا يجوز أن يقول كل منهما: تبارك زوجى، أو تبارك المال، أو تبارك البيت؛ هذا غلط؛ (تبارك) يختص بها الرب لا غير.

تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ، تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ، ما معنى (تبارك) ؟ تعاظم.

والبركة فى اللغة؟ الزيادة من الخير وكثرته, إذًا السلف يقولون، أو كثير من العلماء يقولون عن كلا م السلف أنه فيه بركة، ما معنى ذلك ؟ قول السلف فيه بركة ؟

نعم، قلة فى الألفاظ وكثرة فى المعانى؛ الكلام

القليل فيه المعنى الكبير والفائدة الكبيرة، هذا معنى (فيه بركة): يأمر بالخير إخلاصًا وصدقًا مع اللّه جل وعلا.

قوله: الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ : الفرقان هو القرآن، لماذا سمى القرآن بالفرقان ؟ لأنه يفرق بين الحق و الباطل.

ماذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى ؟

«أنا فَرْقٌ بين هؤلاء وهؤلاء»؛ بمعنى: أنا أفرق بين المسلمين وبين الكافرين، وأنا الفرقان بين هؤ لاء وهؤلاء. وهذا الحديث فى صحيح الإمام البخارى رحمه اللّه تعالى.

إذًا: تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ : والنزول يكون من أعلى إلى أسفل، فيه إثبات أن القرآن كلام اللّه، وأنه غير مخلوق.

عَلَى عَبْدِهِ : ناداه اللّه باسم العبودية، وقد خُيِّر النبى بين أن يكون عبدا رسولا، وبين أن يكون ملكا رسولا ً، فنظر إلى جبريل، ماذا قال له جبريل ؟

قال له جبريل: كن عبدا رسولا ً.

فقال: «عبدًا رسولا ً».

يؤخذ من هذا الحديث فوائد؛ فقد رواه البخارى وغيره،

الفائدة الأولى ؟

أن مقام النبى أفضل من مقام الملك.

وأن النبى العبد الرسول أفضل من الملك الرسول؛ كسليمان.

وأن مشاورة الأخيار تؤدى إلى الحصول على الخير، ونحو ذلك.

قوله: لِيَكُونَ ما هو الذى (يكون)؟ ليكون الفرقان؛ لأن الحديث عن القرآن؛ أى: ليكون القرآن لِلْعَالَمِينَ أى: من الإنس والجن، وكل ما سوى الله عالمٌ، نَذِيرًا ، قوله جل وعلا عن النبى: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ؛ إذًا, ليكون القرآن للعالمين نذيرًا؛ قال الله جل وعلا: وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ

أى: أن اللّه جل وعلا أمر بالإنذار به, والضمير يعود على القرآن.

وقوله جل وعلا: الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : تقدم فى الحديث: أن لله ملك السموات والأرض، تقديم السموات على الأرض؛ لأن السموات أعظم، ما الدليل على أن السموات أعظم من الأرض.

اللّه جل وعلا قال: لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ، نعم؛ وهذه ثبتت بلا عَمَدٍ؛ بخلاف الأرض ثبتت بالجبال: وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا .

السبب الثانى ؟

أن فيها الملائكة، وفيها الرب؛ الرب جل وعلا فوق السموات، وقد استوى على عرشه.

وقيل أيضًا من المعانى أن الجنة فى السموات؛ كما يقول الجمهور.

قوله جل وعلا: وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا تقدم، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ تقدم، وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ : فيه إثبات صفة الخلق لله جل وعلا.

فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا : أى: أحسن خلقه وأتمه وأتقنه؛ قال تعالى: مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ، وقال تعالى: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

وقوله جل وعلا: مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ : نفى اللّه جل وعلا عن نفسه أن يتخذ - أو أن يكون قد اتخذ – ولدا، فى سياق رده على اليهود والنصارى.

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، السبب: إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، ثم أيضًا: وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، كصنيع ملوك الدنيا، فنحمد اللّه جل وعلا، على ذلك.

ثم سبح اللّه نفسه عما يصفه به، أو: بخلاف ما يصفه به المعطلون؛ فقال: سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ، من دعوى الإلهية مع اللّه؛ كقول المجوس: بأن للعالم خالقيْن، كقول القدرية: خالق للخير وخالق للشر، وكقول الثانوية: خالق للنور، وخالق للظلمة؛ لذلك نزه اللّه جل وعلا نفسه وقال: سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ : أى: من الباطل والضلال

والانحراف.

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ، أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ .

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : (...) لا يعلمها إلا هو.

قوله: فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ : عظم الله جل وعلا نفسه، ونزه عما يشركون؛ في ألوهيته، أو ربوبيته، أو في أسمائه وصفاته، فيه قبح الشرك.

الشرك قبيح, حتى في الفطرة، الفطرة تتجاوب أنه قبيح، علاجه ليس فقط مجرد النقل أنه قبيح، لا، حتى الفطرة, الفطرة تدل على قبح الشرك، كذلك العقل يدل على قبح الشرك، كمن يعبد حجرًا, ينادي غير الله, هذا قبيح بالفطرة؛ كما أن التوحيد حسن في الفطرة والعقول.

التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة.

قوله: فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ : نهي، يجزم الفعل المضارع بعد (لا) الناهية.

الْأَمْثَالَ : أتجعلون له ولدا, وقد خلقكم ورزقكم، أو تمحون عنه صفة، أو تعبدون معه غيره ؟!

هذا كله من ضرب الأمثال.

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ : فيه إثبات صفة العلم لله جل وعلا:

هو العليم وأحاط علما في الكون من سر
وفي كل شيء علمه هو العليم وليس ذا

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ : قيل: تعلمون العلم المطلق؛ لأن العلم عندكم نسبي، وقيل: أنتم تفعلون هذا، وأنتم لا تعلمون من تعصون، ولا تعلمون ما تفعلون من الجرائم، وقيل غير ذلك، وقيل: المعنى على وجه التهديد.

إن الله يعلم ماذا يحل بكم، وأنتم لا تعلمون ماذا ستلاقون من العذاب العظيم حين تصرون على ضرب الأمثال لله جل وعلا, يؤخذ من هذا إثبات الجزاء والحساب، وكذا إثبات العذاب الأخروي؛ إثبات الجنة والنار، قبح الشرك، وأن من لقي الله مشركا فإنه مخلد في النار؛ قال تعالى: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ .

وقوله جل وعلا: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ : قُلْ : يا محمد. إِنَّمَا : أداة حصر تثبت الموجود وتنفى المفقود، وهى كافة عن العمل من حيث اللغة، أو من حيث النحو, حَرَّمَ : تحريم الشرع، التحريم نوعان.

حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ : قيل: مَا ظَهَرَ : أى من الزنا. وقيل: وَمَا بَطَنَ : أى مما تكنه صدوركم.

وقيل: مَا ظَهَرَ : الذى تعلنون، وَمَا بَطَنَ : الذى تستترون به. وقيل: مَا ظَهَرَ : أى: من الفعل, وَمَا بَطَنَ : من القول. وقيل: مَا ظَهَرَ : من الزنا. وَمَا بَطَنَ : من فعل العادة السرية, وهذا أضعف ا لأقوال، وقيل غير ذلك فى معنى ذلك.

وَالْإِثْمَ : أى: حرم الله الإثم؛ من شهادة الزور وقول الباطل، واللمس والقبلة ونحو ذلك، كما حرم الزنا.

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا .

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ : البغى: هو الاعتداء على

حقوق الآخرين، والسطو على أعراضهم وبشراتهم ونحو ذلك، ولذلك قال الرسول : «ما من ذنب أجدر من أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة من البغى وقطيعة الرحم». مصرع البغى وخيم، شرع ما يعجل لصاحبه بالعقوبة، والبغى يتمثل بالقول أو بالفعل أو بالرضا بالظلم، ونحو ذلك؛ هذا الاعتبار من البغى:

لا تظلمن إذا ما كنت فالظلم آخره يأتيك بـ

نامت عيونك والمظلوم يدعو عليك وعين الله

الظلم مراتب؛ هناك ظلم الرجل لامرأته، وظلم ا لأب لابنه، أو ظلم الابن لأبيه، أو ظلم الرجل لزوجته، أو ظلم الزوجة لزوجها، ظلم الأخ لأخيه، و الصديق لصديقه، سواء كان بالغيبة أو بالنميمة، أو بالاعتداء، أو بالتجسس، أو بأكل الأموال، أو بغير ذلك، هذا كله من أنواع الظلم؛ هناك الغيبة والنميمة ونحو ذلك.

قوله: وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ، قيل: المقصود بالسلطان هنا العلم. وفى ا لأمثال تقولون على الله ما لا تعلمون؛ لأن الله ما أمركم بذلك، أو ما نهاكم عن هذا؛ القرآن، كله من أوله إلى آخره يحث ويأمر بالتوحيد وينهى عن

الشرك، ما فى آية فى القرآن لا تدل على التوحيد، ما فى آية حتى الحرف (ق)؛ (ق) تدل على التوحيد؛ ما الذى أدخل التوحيد هنا؟

عدة معانٍ:

المعنى الأول: من الذى قال: (ق) ؟

هو الله؛ فى الربوبية، وأيضًا الله تكلم ولا ما تكلم بـ (ق) ؛ إذا فيه إثبات الكلام لله جل وعلا؛ إثبات الأسماء والصفات؛ إذا الربوبية والألوهية وا لأسماء والصفات، إذا التوحيد لله، إذا فهو المستحق للعبادة.

قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ : جعل الله جل وعلا القول عليه بلا علم أعظم أنواع المحرمات،؛ والمعنى بهذا: الذى يقول على الله فى أسمائه وصفاته بغير علم، أو يقول على الله فى ذاته؛ كمن يقول بالتشريك أو بالتعدد أو بأن عزيرًا ابن الله، أو ينفى عن الله أسمائه وصفاته؛ هؤلاء يجنون أعظم المحرمات، ويفعلون أعظم الموبقات والله أعلم.

غدًا إن شاء الله نواصل إيراد الأدلة فى إثبات استواء الله على عرشه.

أسئلة:

حديث, يقول: حدثنا محمد بن إسماعيل – طبعًا القائل هو ابن ماجه- قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن، قال: حدثنا على بن عروة، عن المقبرى، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: **«أمر رسول الله الأغنياء باتخاذ الغنم، وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج»**، وقل عند اتخاذ الأغنياء الدجاج: **«يأذن الله بهلاك القرى»**، واضح من إسناده, بأنه منكر.

هل فيه قول لبعض أهل السنة أن النار تفنى ؟

الجواب: لا لم يكن قولا لأهل السنة؛ أهل السنة متفقون أن النار لا تفنى، وأنها باقية ببقاء الله جل وعلا، ذكر ذلك البربهارى فى عقيدة أهلا لسنة.

الأخ يسأل ويقول: هل يجوز مس المصحف بدون وضوء؟

ذهب الجمهور منهم الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى إلى أنه لا يؤذن للمحدث حدثا أصغر أو أكبر أن يمس المصحف بدون طهارة، ويستدلون على

ذلك بحديث: «لا يمس القرآن إلا طاهر»، وبقول الله جل وعلا: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ .

والقول الثانى فى المسألة: أنه لا بأس بذلك؛ لأ ن الله حين قال: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ يقصد بذلك الملائكة، وأما حديث «لا يمس القرآن إلا طاهر»، فقد قيل فى الطاهر هنا: أى: المسلم؛ لقول النبى : «سبحان الله، إن المؤمن لا ينجس»، على خلاف فى صحة هذا الخبر، وإن كان الأقوى أنه ثابت.

لكن فى الحقيقة ما هناك دليل واضح فى منع المحدث من مس المصحف؛ لأنه لو كان المحدث منهيا عن مس المصحف لبين النبى ذلك بيانًا واضحًا، لا تحتاج معه الأمة إلى قياس، أو إلى استشكال؛ لأن الله حث عباده على قراءة القرآن، وأن النبى ندبهم إلى ذلك، وتواترت الأدلة عنه فى حث المسلمين على قراءة القرآن؛ كيف يقرؤون, الأصل أنهم يقرؤون محدثين وغير محدثين، يمسون مطلقًا، ولا جاء استثناء من ذلك، لذلك القول بالجواز الحقيقة أنه قول قوى، وقول الجمهور أحوط أن يحاول الإنسان أن يتوضأ قدر ا لإمكان, ما لم يعرض له عارض يمنعه من الوضوء.

جاء فى الصحيحين: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا»، وجاء فى الصحيحين: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى» و«بالسهر والحمى».

هل ثبت عن ابن القيم شىء واضح فى القول بفناء النار ؟

الجواب: لا ما ثبت عنه، ابن القيم حكى الأ قوال، وقال رحمه الله فى نهاية كلامه فى حادى ا لأرواح قال: هذا لفظ كلامه: (فإن قيل: إلى أين انتهى قدمكم فى هذه المسألة الكبيرة التى هى أكبر من الدنيا وما فيها ؟ قيل: إلى قوله تعالى: إِنّ رَبّكَ فَعّالٌ لِمَا يُرِيدُ). هذا النص صريح هنا .. نعم.

سؤال: بالنسبة للحيوانات فى مسألة التسبيح, تسبح بلسان الحال أم بلسان المقال؟

الجواب: لا .. تسبيح حقيقى؛ أنها معظمة لله جل وعلا، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، نحن لا نسمع ذلك؛ ولذلك النبى سمع تسبيح الطعام وسمع

تسبيح الحصى حنين الجزع، وغير ذلك من الأدلة.

سؤال: اتخاذ الحيوانات المحنطة؟

والله المسألة عصرية مستجدة يعنى اتخاذ التحنيط والحيوانات المحنطة، ولكن لا يؤكل لحمها، يمنع من ذلك مطلقًا؛ لا يؤكل لحمه لا يطهره الدباغ وأما ما يؤكل لحمه, فيحتمل أن يكون هذا من باب التصوير المحرم، ويحتمل أن هذا هو خلق الله، والله يقول: هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ، ويحتمل أن يقال: هو خلق الله، إذا كان به روح, وإذا كان بدون روح فيبقى فى حكم التصوير؛ لأن الله خلقه بروح، وحين نزع روحه صار فى حكم التصوير، كما أنه لا يجوز اتخاذ الأوانى محنطة، ونحو ذلك؛ فلذلك الابتعاد عن التحنيط مطلقا أولى وأحوط وأبرأ للذمة.

وكثير من الناس يسرفون فى ذلك ويبالغون فى المحنطات , الابتعاد عن ذلك أولى وأحوط وأبرأ للذمة

(سؤال غير واضح)

لا، هذا من صنيع الوثنيين والصوفية والغلاة.

الأخ يقول: يوجد الآن فى بلادنا فى قندهار بعض من الخرق، يقولون هذه خرقة النبى ، ويضعونها على القباب، ويتمسحون بها، ويتوسلون إليها.

ويوجد الآن أيضًا من يدعو على ذلك، أو يعتقد أنها لو وضعت على القبر حلت البركة فى القبر، وبالتالى إذا حلت البركة يجوز دعاؤه، ويسألونه دون اللّه جل وعلا، وهذه وثنية وجاهلية، ولذلك أولا ً أنبه أولا ً على أن هذا ليس له أصل وجود ؛ خرقة أو منديل، وأنها موجودة من مناديل النبى صلى اللّه عليه وسلم، ولكن بعض المرتزقة يُلَبِّسون على العامة، وفى نفس الوقت يأكلون أموال الناس بالباطل، يجب التحذير من هؤلاء لأمور:

الأمر الأول: أن الخرقة كذب.

الأمر الثانى: حتى لو ثبتت، لا يجوز بها طلب البركة.

الأمر الثالث: دعاء غير اللّه شرك، فيجب التحذير من ذلك، والحذر من الوقوع فى مراتع الوثنية، وتجديد مراتع أهل الجاهلية فى بلاد المسلمين.

(... 47.04) كصنيع الرافضة الآن فى العراق يأتون قبر (47.04) على فى النجف، هذا ليس له أصل الآن يحتلفون بقبر على فى النجف؛ هذا من البدع، كما أن من بدع الأفغان فى حكومة المجرم قرضاى تجديد الوثنية وإعادة المزارات الشركية تحت غطاء مزار الشريف وهو على، ثم يعبدون غير الله جل وعلا؛ هذا من الوثنية وليس له أصل، على لم يثبت أصلا دفنه فيها ولا يرد دخوله أفغانستان.

فبالتالى مختلف، دفن فى المدينة أو فى العراق. ولكن الكثير من العلماء بأنه فى العراق، ولكن لم يثبت أنه فى النجف، ولذلك رواية أنه فى النجف هذا من الكذب البين، ثم إنه من عقائد أهل السنة والجماعة أنهم ما يبنون القباب على القبور؛ لأنهم إذا كانوا يحبون عليا فعلا ً، فإن النبى بعث عليًا: «لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»، ولكن هؤلاء الرافضة تعود أصولهم إلى العجم، فالعجم يبغضون العرب ويخلصون لفارس، وتأملوا فإن شركهم واضح وهم وثنيون بلا إشكال، لكن عقلا ً ... الآن حكومة إيران تمنع اللغة العربية، فكيف يزعمون أنهم يحبون القرآن ويحبون عليًا وينادون بمحبة على؛

هم يشركون فى على وما يحبون عليا، لكن إذا كان فعلا فلماذا يمنعون لغته، ما يريدون اللغة العربية أبدًا، يحاربونها، ولذلك حتى الخليج العربى ينازعون فيه سياسيًا وعالميًا، يقولون ما فى خليج عربى، يسمونه «الخليج الفارسى»؛ هؤلاء وثنيون مجوسٌ.

سؤال: الإنسان إذا كان جنبًا فتوضأ ونام ثم استيقظ هل يتوضأ مرة أخرى للاغتسال ؟

الجواب: لا، لا يلزم.

إذا سئلت وضوء ليس سوى الجماع وضوء النوم

لذلك إذا توضأ وهو جنب، طبعًا يشرع ذلك؛ لفعل النبى ذلك كما فى الصحيحين أن عمر بن الخطاب سأل رسول الله : أيرقد أحدنا وهو جنب قال: «**نعم، إذا توضأ أحدكم فليرقد وهو جنب**»، متفق عليه.

ثم حصل فساء أو ضراط فلا ينتقض وضوؤه؛ لأنه من الأصل أن هذا الوضوء لم يرفع الحدث؛ فلا ينتقض هذا الوضوء إلا بالجماع.

إذا سئلت وضوءًا ليس

سوى الجماع وضوء

سؤال: ما أصح الأقوال فى الإشهاد فى النكاح؟

أصح الأقوال بأن الشهادة فى النكاح واجبة، ليست سنة وليست شرطًا؛ قال الله جل وعلا: وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ، حديث: «**لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل**»، صحيح جمع من العلماء احتج به أحمد وصححه البخارى وجمع من العلماء، وصححه أيضا على بن المدينى رحمه الله تعالى، ولذلك صح هذا الحديث.

سؤال: عن حديث الخلق عيال الله ؟

الحديث ضعيف: تفرد به يوسف السعدى، حديث: «الخلق عيال الله»، رواه أبو يعلى الموصلى، تفرد به يوسف السعدى.

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط 11

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى حديثه عن علو الله على خلقه واستوائه على عرشه: (والفرق بين العلو والاستواء أن العلو ثابت بالفطرة والعقل والنقل، والاستواء ثابتٌ بالنقل) فطر الله جل وعلا عباده على علوه على خلقه، وأخبرهم فى سبعة مواضع من الفرقان بأنه قد استوى على العرش، والاستواء لا يختلف فيه أهل السنة والجماعة، وهذا مما يتميزون به عن أهل البدع والضلال؛ كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة و الكرامية والماتردية، وغير هؤلاء من الذين لا يُثبتون استواء الله على عرشه، ويحرفون الا ستواء بأنه بمعنى الاستيلاء. وهذا تنقص لله؛ بمعنى أنه ما استولى حتى خلق السموات والأرض، والله جل وعلا مستول على كل شىء قبل أن يخلق السموات والأرض، الاستواء غير الاستيلاء.

ولذلك لو كان الاستواء هو الاستيلاء لذكر الله ولو فى موضع واحد: (ثم استولى على العرش)ليحمل المطلق على المقيد؛ القرآن كله

فيه سبعة مواضع فى ذكر الاستواء.

وأهل السنة يذكرون أربعة معانٍ للاستواء، نظمها الإمام ابن القيم رحمه اله تعالى فى نونيته فقال:

فلهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس
وهى استقر وقد علا ارتفع الذى ما فيه من
وكذاك صعد الذى هو وأبو عبيدة صاحب
يختار هذا القول فى أدرى من الجهمى بـ

قوله: الرّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى فى سبعة مواضع: يعنى بذلك الشيخ المعنى؛ ولا يقصد بذلك اللفظ؛ بدليل سرده الآيات بعد ذلك.

اللّه جل وعلا ذكر فى محكم كتابه بأنه استوى على العرش فى سبعة مواضع والألفاظ مختلفة، ورد فى موضع واحد: الرّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى فى سورة طه، وفى خمسة مواضع: ثمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ،وفى موضع واحد ثمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا .

ومن فسر الاستواء بالاستيلاء أو بالسيطرة أو بـ الدلالة على علو الشرف أو علو القدر، فقد قال ما ليس له به علم، وحرف الكلم عن مواضعه.

وهذا باطل من وجوه:

الوجه الأول: أنه خلاف كتاب الله وسنة رسول الله .

الأمر الثانى: أنه خلاف ما تعرفه العرب من لغتها.

الأمر الثالث: أنه خلاف ما اتفق عليه الصحابة والتابعون والأئمة المتبوعون.

الأمر الرابع: أنه باطل شرعًا وعقلا ً.

أما بطلانه شرعًا فإن تفسير الاستواء بمعنى الاستيلاء يوهم بأن الله جل وعلا ليس على كل شىء قدير، ويوهم بأن الاستيلاء بعد المغالبة، فيوهم أن لله شريكا ومغالبًا، وكفى بقول يؤدى إلى وجود شريك مع الله قبحًا وضلالا ً؛ لأن من قال: (الرحمن على العرش استولى) لا يكون الاستيلاء إلا بعد المغالبة، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

وأما بطلانه عقلا فإن حروف استولى بقدر حروف «استوى» أو أقل؛ فـ «استولى» أكثر حروفًا من «استوى»، ولا يؤدى المعنى بأى وجه من الوجوه، لو كانت الحروف متماثلة، وجاءت اللغة بالمترادف لقيل

هذا يعنى به عادة أو يقصد به المترادف، ولكن الا ستواء أقل حروفا من الاستيلاء؛ ففيه تغاير فى الحروف وفى المعانى.

الأمر الثانى: أن اللّه ذكر فى سبعة مواضع الا ستواء، ولم يذكر غيره، فمحال عقلا ً أن يكون المذكور غير المراد؛ لأنه حينئذ لا يكون القرآن تبيانًا لكل شىء، فإن اللّه حينئذ يخاطب العباد بما لا يتبادر إلى أذهانهم.

الأمر الثالث: أنه لو كان هذا هو المعنى لسارع إلى ذلك ولو واحد من أصحاب رسول اللّه .

فالذى يشكل عليه الأمر ولا يفهم يحكم عقله لا غير، ويقول: لو كان الكلام كما تزعم الجهمية أو المعتزلة أو الأ ِشاعرة أو أهل البدع بأن المقصود بالا ستواء هو الاستيلاء، فلماذا ما فسر واحد من الصحابة هذا المعنى بما يقولون ؟! فعلم من هذا أنهم مبطلون فى ذلك.

وبكل أسف يذكر كثير من المفسرين على هذه ا لآيات السبع قول أهل البدع، ولا يشير إلى مذهب أهل السنة، فيوهم القارئ بأنه هو المعروف وهو المأثور وهو الصواب.

ولا يكاد يخلو تفسير من تفاسير القرون

الوسطى والمتأخرين من ذلك، إلا من هدى الله جل وعلا، وكان على الجادة الحافظ ابن جرير فى تفسيره، والإمام ابن أبى حاتم فى تفسيره، والإمام ابن المنذر فى تفسيره، والإمام عبد بن حميد فى تفسيره، والإمام البغوى فى تفسيره، والحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره، وجملة من تفاسير المتأخرين، كتفسير السعدى .

بينما ذهبت بعض التفاسير إلى أقاويل أهل البدع ، فيفسرون الاستواء بمعنى الاستيلاء، من ذلك زاد المسير لابن الجوزى، ومن ذلك تفسير أبى السعود، ومن ذلك تفسير الزمخشرى، ومن ذلك تفسير الفخر الرازى، ومن ذلك الكتاب المختصر الذى يتناوله كثير من الناس والمسمى بتفسير الجلالين، فإن هذا التفسير فى باب الأسماء والصفات على مذهب الأ شاعرة، ولذلك لا ينصح المبتدئ بقراءته، مفروض أنه لا يوزع بالمساجد، حتى لا يتلقى المبتدئون عقيدة الأشاعرة؛ ثقة بمفسرين أو ظنًا منهم أنه لا يكاد يوزع فى بلاد أهل السنة إلا ما كان على مذاهب أهل السنة، وفيه بدائل أقوى منه؛ كتفسير السعدى و التفسير الميسر ونحو ذلك؛ أقوى من تفسير الجلا لين.

قوله جل وعلا فى سورة الأعراف: إِنّ رَبّكُمُ

اللهُ فيه توحيد الربوبية، والرب هو المعبود، وقيل: الرب هو المربى لعباده. وقيل: الرب هو المربى لعباده، وقيل: الرب هو الخالق لكل شىء.

قوله: إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ : تقدم أن الأرض خلقت قبل السموات، وقدمت السموات على الأرض؛ لأن السموات أشرف ، فإن قال قائل: لماذا جمعت السماء وأفردت الأرض؟ هل يعنى هذا أن الأرض واحدة ؟

الجواب: أنه جاء ما يفيد بأن الأراضين كالسموات، قول الله جل وعلا: وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ .

هذه الآية صريحة فى أن الله خلق سبع أراضين كما خلق سبع سموات، وبدليل قوله : «من ظلم شبرا من الأرض طوقه يوم القيامة بسبع أراضين». وهذا الخبر متفق على صحته.

إذاً القرآن يفسر بعضه بعضًا، وما لم يوجد تفسيره فى القرآن يوجد تفسيره فى السنة، فإن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وترشد إليه.

قوله: فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ : أي من أيام الله. ذكر ذلك الإمام أحمد وغيره؛ لقول الله جل وعلا: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ .

وقد ذكر غير واحد من الأئمة بأن الله جل وعلا خلق السموات والأرض فى ستة أيام من أيامهن، وهو قادر على أن يخلقهما فى طرفة عين، ولكن ليكون فى ذلك بيان للعباد فى البعد عن العجلة، وأن عمارة الكون لا تتأتى ما بين عشية وضحاها، يستفيدون من ذلك التأنى فى الأمور، وقيل غير ذلك.

هذا مجرد التماس لبعض العلماء، وليس بلازم أن يكون صوابًا.

الذى نؤمن به أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام، لماذا ... الله أعلم بذلك؛ العلماء يلتمسون الحكمة، وقد ذكرت شيئًا من ذلك، وهل هذا صواب أم غلط؟ ... هو فى الحقيقية لا حرج من التماس الحكمة ما لم تعارض نصا، أو تخالف دليلا ً؛ ولكن نحن نؤمن بذلك سواء ظهرت لنا الحكمة أو لم تظهر لنا الحكمة.

قوله: ثمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ : «ثم» تفيد التراخى، وتفيد العطف، بخلاف الواو؛ تقول: «قدم زيد وعمرو»: لا يلزم أن يكون «زيد» قبل: «عمرو» ؛ لكن حين تقول: «قدم زيد ثم عمرو»، تفيد أن قدوم زيد قبل عمرو، فحين قال الله جل وعلا: ثمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ : هذا يفيد أن الاستواء

بعد الخلق، والأدلة الصريحة بأن خلق الأرض قبل خلق السماء؛ فحين خلق السماء استوى على العرش، إن قال قائل: قوله جل وعلا: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، نقول: الدحى كان بعد خلق السماء وا لأرض؛ بخلاف خلق الأرض،خلق الله الأرض، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

والعرش كرسى له قوائم تحمله الملائكة: وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ، قيل إن ثمانية يحملونه فى الدنيا وفى الآخرة، وقيل: لا.

.

وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ فى الدنيا أم الآخرة؟ ؛ الآية فى سياق الآخرة؛ ولذلك قال بعض العلماء بأن الحملة فى الدنيا أربعةٌ؛ يذكرون بعض ا لأخبار وبعض الإسرائيليات فى هذا الباب.

يؤخذ من هذه الآية إثبات علو الله على خلقه، وهذا لا يختلف فيه أهل السنة، وقال ابن القيم فى نونيته فى نظم معتقد أهل السنة فى ذلك واتفاق ا لأئمة على هذا:

وكذلك النعمان قال يعقوب والألفاظ

من لم يقر بعرشه فوق السماء وفوق كل

ويقر أن الله فوق تخفى عليه هواجس ا
فهو الذى لا شك فى لله درك من إمام زمان

من هو النعمان ؟

هو الأمام أبو حنيفة، وقد ولد سنة 80، وتوفى سنة 150، فى نفس السنة التى ولد فيها الإمام الشافعى رحمه الله تعالى، فإذاً متى ولد الإمام أحمد ؟

ولد الإمام أحمد سنة 164، وتوفى سنة 241 .

قال: «وكذلك النعمان قال وبعده يعقوب»، من هو يعقوب ؟

نعم، يعقوب صاحب أبى حنيفة.

«والألفاظ للنعمان» .. ما معنى ذلك ؟

أى لأبى حنيفة فى كتابه:الفقه الأكبر، مع أنه لم يثبت أن الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة، الشاهد عمومًا أن العلماء متفقون على إثبات علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، وأهل السنة يثبتون ذلك إثباتًا بلا تمثيل، تنزيهًا بلا تعطيل؛ لأن الله جل وعلا ليس كمثله شىء؛ لا فى ذاته ولا فى صفاته و لا فى أفعاله، وهو السميع البصير، استوى: أى صعد واستقر وعلا وارتفع

ما الذى ذكره العلماء فى جلوسه على العرش ؟

يقول ابن القيم:

فلهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس
وهى استقر وقد علا ارتفع الذى ما فيه من
وكذاك صعد الذى هو وأبو عبيدة صاحب
يختار هذا القول فى أدرى من الجهمى بـ

لم يرد فى القرآن (جلس)، صحيح، لكن للعلماء كلا ما يذكرونه فى كتاب السنة للخلال؟

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحْمُودًا قال: يجلس على العرش... ما ذا نقول عن هذه الآثار؟

نقول: الصواب أنها آثار ضعيفة؛ تفرد بذلك الليث بن أبى سليم؛ والليث بن أبى سليم قد اختلط، فلم يتميز حديثه فترك.

ماذا نستفيد من إثبات الاستواء؟

كيف استوى الله على العرش؟

لماذا يمتنع أهل البدع عن إثبات الاستواء ؟ أهل البدع السبب فى ضلالهم فى باب الأسماء و الصفات أنهم يعتقدون حين يثبتون الشىء لله وهو ثابت للمخلوق أنه يقتضى بذلك مماثلة، المخلوق يستوى وهو يستوى: هذا لا يجوز.

الأمر الثانى عندهم يقولون: حين نثبت الا ستواء نثبت الجهة والتحيز، وهذا من ضلالهم وانحرافهم؛ فهم يشبهون أولا ً، ثم يعطلون ثانيًا، ثم يشبهون ثالثًا.

هناك أمر واضح.. ما هو؟ إنكم لا تكثرون القراءة فى العقيدة، أسئلة كثيرة لا تجيبون عليها وهى سهلة، فلا بد أن تكثروا القراءة ، بالذات فى كتب ابن تيمية وكتب ابن القيم؛ المجلد الخامس و السادس لابن تيمية من الفتاوى؛ لا يكفى أن يقرأهما طالب العلم مرة أو مرتين، يقرؤهما أكثر من مرة؛ لأجل أن يستفيد فى مذاهب أهل السنة فى هذا الباب، وكيفية الرد على أهل البدع، وما هى منطلقات أهل البدع فى الاستدلال، وقد تقدم أن المعتزلة والأشاعرة يقدمون العقل على النقل فى الاستدلال؛ و هذا سبب ضلالهم .

وأيضًا تقرؤون الكتب المهمة: (الصواعق) للإ مام ابن القيم، طبع من الأصل أربعة مجلدات، و المختصر موجود ومتوافر، ينبغى لكل طالب علم أن يقرأه؛ مرة مرتين ثلاثًا أربعًا.

وتقرؤون كتاب «الرد على الجهمية»، للإمام الدرامى والإمام ابن منده، وتقرؤون أيضا كتاب «المحجة» لقوام السنة الأصبهانى، وتقرؤون كتاب

الشريعة للإمام للآجرى، وتقرؤون كتاب «شرح أصول الاعتقاد لأهل السنة والجماعة»، للإمام اللا لكائى، وغيرها كثير من كتب أهل السنة المتفق على معانيها وكبير قدرها وعظيم منزلتها.

والبقية فى تفسير هذه الآيات هو نفس تفسير ا لآية الأولى.

قوله جل وعلا فى سورة يونس: إِنّ رَبّكُمُ اللّهُ الّذِى خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتّةِ أَيّامٍ ثُمّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ،وفى سورة الرعد: اللّهُ الّذِى رَفَعَ السّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، قوله: بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا فى ذلك تفسيران للعلماء .. من منكم يعرفهما ؟

طالب علم:التفسير الأول: بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا فيه أنها ليست على عمد أصلا.

الشيخ:نعم، ما هناك عمد، بدليل أنكم لا ترونها؛ لا توجد عمد إذًا.

طالب علم: التفسير الثانى:أن هناك عمداً ولكنها محجوبة عنكم

الشيخ:نعم، بغير عمد ترونها أنتم أى توجد عمد، ولكن لا ترونها أنتم، بينما هى مخلوقة بعمد، أى التفسيرين أصح ؟

طالب علم:الأظهر هو التفسير الأول .

أى نعم، وهذا قول الجمهور؛ هذا الذى صار إليه الجمهور؛ بغير عمد ترونها: أى بدون عمد أصلا كما تشاهدونها؛ بدليل آخر من القرآن: لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ إظهار لبيان العظمة، وأن خلق السماوات هو الخلق الأكبر بدليل أنه ليست هناك عمد.

وقوله جل وعلا: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فى سورة طه فى إثبات اسم الرحمن، وفى إثبات العلو، وفى إثبات الاستواء؛ أهل السنة يثبتون ثلا ثة معان من معانى العلو ... ما هى ؟

طالب علم:علو الذات وعلو القدر وعلو الشرف.

نعم؛ علو الذات والقدر والشرف، صحيح ، طيب .. الخلاف بين أهل السنة وأهل البدعة فى أى أنواع هذا العلو؟

طالب علم:علو الذات.

نعم؛ علو الذات؛ إذا الخلاف بين أهل السنة وبين وأهل البدعة؛ من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة هو فى علو الذات؛ فإن أهل البدع لا ينازعون فى علو الشرف وعلو القدر؛ وإنما ينازعون فى علو الذات.

وقوله تعالى فى سورة الفرقان: ثُمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرّحْمَنُ وقوله تعالى فى سورة السجدة: اللهُ الذِى خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَةِ أيّامٍ ثمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ، سورة الحديد: هُوَ الذِى خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتّةِ أيّامٍ ثمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ

خلق : ما الفرق بين اسمى الله: (الخالق) و (المصور) ؟

طالب علم:الخالق: أى على غير مثال سابق.

نعم، الخالق هو الموجد على غير مثال سابق، هذا الخالق: نعم، صحيح، والمصور؟

الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ .

من أسماء الله (الخالق) و (المصور) ما الفرق بين الخالق والمصور؟ أنت تقول: الخالق هو الموجد على غير مثال سابق، هذا صحيح: وَمَا خَلَقْتُ الجِنّ وَالإِنْسَ أى:ما أوجدت الجن والإنس إِلَّالِيَعْبُدُونِ : على غير مثال سابق، واضح (الخالق) طيب،و(المصور) ؟ حتى نستفيد معنى أخص، حتى نفرق بين الخالق والمصور؟

طالب علم: تصويره بعد خلقه.

الشيخ:طيب، كيف تصويره بعد خلقه؟

يعنى أن المصور هو الذى ميز، أعطى كل خلق شكلا ً؛ فيختلف هذا عن ذاك؛ هذا هو معنى المصور، طيب والبارئ؟ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ .. البارئ؟

طالب علم: الموجد على مثال.

الشيخ:هو مرادف من الألفاظ أو من الأسماء المرادفة، والتى قد يكون فى بعضها نوع من التخصيص كما تفضلت.

نعم .. إن شاء الله غدا سوف نتناول إثبات علو الله على خلقه .. الشيخ رحمه الله قدم أدلة الا ستواء على أدلة العلو؛ معنى ذلك أنه إذا ذكر الا ستواء يلزم من ذلك العلو؛ لكن إذا ذكر العلو لا يلزم من ذلك الاستواء؛ ولذلك لو قدمت أدلة العلو على ا لاستواء لكان أصح ...

سؤال:ذكرت أن هناك أدلة على خلق الأرض قبل السماوات.

نعم؛ أنا قلت: جاءت أدلة يعنى أدلة أخرى، وأن هذا أبلغ فى السياق «خلق السموات والأراضين»؛ ا لأرض؛ لأن أرض فيها نوع من المصدرية؛ يأتى على هذا أدلة أخرى أثبتت أن الأراضين سبعٌ.

سؤال:المبتدعة بستشهدون على معنى الا ستواء بقول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على من غير سيف ولا دم

الشيخ:أى نعم.. أولا ً: هذا البيت

قد استوى بشرٌ على من غير سيف ولا دم

ليس بحجة هذا الشعر، لأنه لا ينبغى أن نستشهد بأشعار الأخطل النصرانى أو أشعار فلان وعلان مما ليس بحجة على كتاب الله، ولا على سنة رسول الله .

الأمر الثانى: استواء المخلوق، المخلوق يستوى ؛ لكن استواء المخلوق لوجود مغالب له؛ والله لا مغالب له: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ .

الأمر الثالث: أن هذا البيت كله محرف؛ وهذا الذى ذهب إليه كثير من أهل اللغة.

سؤال:ما معنى قول الحافظ بن كثير بالإرادة التامة؟

الشيخ: نعم؛ الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بلا ريب على معتقد أهل السنة والجماعة، سواء فى تفسير الاستواء أو تفسير غيره

؛ ولكن ... نعم ... تارة رحمه الله يورد بعض الأ لفاظ كرد على أهل البدع؛ حين قال بإرادة تامة؛ هو كرد على أهل البدع الذين يقولون يفسرون الا ستواء بالاستيلاء؛ هو كأنه قال: «بإرادة تامة»؛ بلا مغالب أصلا ً؛ يعنى كقولنا فى لغتنا: أى: «باختياره»؛ فهو أراد هذا المعنى؛ وإن كان الأفضل أن لا يذكره، لكنه أراد بذلك الرد على أهل البدع، ولذلك بعض أهل السنة يقولون: استوى على العرش بذاته. هذا حق؛ لكن لفظة «بذاته» لم ترد؛ لكن الكلام هذا رد على أهل البدع، الذين يقولون: نحن نقول استوى؛ لكن بمعنى استواء الشرف واستواء القدر؛ وأهل السنة يقولون« بذاته» كرد على أهل البدع الذين ينفون علو الذات.

وبنفس الأمر كما تفضلت عن صاحب الظلال أنه ذكر العلو ووافق الأشاعرة فى هذا الباب، لكن يختلف الأمر بين عالم أو طالب علم أو مفكر يوافق الأشاعرة فى مسألة ويتبنى هذه القضية، وبين آخر يوافقهم كنوع نقل؛ فبعض الناس قد يذكر قول الأشاعرة ويتبناه؛ هؤلاء لا يتبنون قول ا لأشاعرة، يذكرانه على أنه شيء نشآ عليه؛ وهذا غلط بلا شك؛ لكن يختلف أمره عن آخر يتبنى نصرة مذهب الأشاعرة.

عمومًا هذا القول غلط، يجب توضيحه وبيانه؛ سواء صدر من عالم من كبار أهل السنة أو من مفكر أو من أديب أو من غير ذلك؛ ولكن إذا صدر من شخص له قدم صدق فى الإسلام نحاول أن نعتذر عنه، ونلتمس له العذر، ونبين الغلط؛ لأننا لا نقبل الغلط من أحد أيا كان .

سؤال:ماذا ترون فى انتشار النزعة الأشعرية فى العالم الإسلامى؟

نعم عمومًا هناك نزعة أشعرية فى الحقيقة، ثورة لمذهب الأشاعرة فى القرن الرابع والخامس و السادس وبدايات القرن السابع ... ثورة كبيرة ... فى الحقيقة إلى عصرنا هذا، والجامعات الآن فى العالم العربى والإسلام كله باستثناء الجماعات الموجودة فى بلادنا؛ هذه الجامعات كلها؛ التى فى مصر وفى سوريا وفى لبنان؛ الجامعات كلها، جامعات الدول العربية والإسلامية تدرس فى الحقيقة المذهب الأشعرى أو المذهب الماتريدى.

باستثناء الجامعات التى فى بلادنا تدرس العقيدة الواسطية أو الطحاوية.

حقيقة هذا يستدعى من العلماء وطلبة العلم بيان الحق؛ لأن طوائف من الناس يعتقدون أن

المذهب الأشعرى هو مذهب أهل السنة؛ فحين تقرأ فى تفسير القرطبى رحمه الله على جلالة قدره وعظيم منزلته، وهو من الأشاعرة؛ إذا قال فى تفسيره « قال أهل السنة» لا يقصد أهل السنة الذين تعرف؛ بل يقصد الأ ِشاعرة.

أبو بكر البغدادى فى كتابه «الفرق بين الفرق» إذا قال:قال أهل السنة يقصد الأشاعرة، النووى كثيرا إذا قال: قال أهل السنة فى شرح مسلم يقصد الأشاعرة، **الحافظ ابن حجر** وغير هؤلاء من الأئمة الكبار لهم قدرهم ومكانتهم وعلمهم وحفظهم، ولهم صولة وهيبة فى قلوب أهل الإسلام يخفى عليهم مذهب أهل السنة من مذاهب أهل البدع. نعم ...

سؤال:بم نفسر قوله تعالى: حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ؟

الشيخ: قال جل وعلا: حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ : أى: قربت علاماتها وأشراطها؛ أى: بلغت الروح الحلقوم؛ فهذه الآية تفسر بالأحاديث والأدلة الأخرى؛ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الروح: الْحُلْقُومَ وتفسر بالأدلة: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ؛ فتفسر بالأدلة الأخرى؛إذا بلغت الروح

الحلقوم أو طلعت الشمس من مغربها؛ أما إذا مرض وقربت علامات الموت ولم تبلغ الروح الحلقوم تقبل توبته إذا تاب؛ ؛ بدليل أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل لا إله إلا الله»؛ فلو لم تكن تنفعه هذه الكلمة ما كان لدعوته معنى، ولم يرد شيء ينسخ هذا الحديث ... نعم.

سؤال:ماذا عن الحديث الوارد عن الجلوس إذا ثبتت صحته؟ الشيخ: لا، ما ثبت شيء، فهو منكر أصلا، ولو ثبت فهو يدل على العلو،في الرد على الجهمية، فالجلوس بمعنى الاستواء،وكذلك صعد وإن لم ترد في الكتاب،إلا أننا نتكلم عن المعنى اللغوي بلا شك، ولذلك جاء في رواية (يجلس على العرش معه) ولكن هذا أثر ضعيف.

سؤال: علام بستدل الأشاعرة بقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟

الشيخ: تقول أن الأشاعرة يقولون: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؛ فهم ينفون الصفات، ويستدلون بالآية، طيب لماذا يثبت الأشاعرة العلم والقدرة ؟ طوائف منهم يثبتون اليدين والسمع والبصر، لماذا؟ .. الدليل الذي دلهم على إثبات السمع هو الدليل الذي

احتجوا به على إثبات ما عداها، والدليل الذى يحتجون به على نفى ما دون السمع يحتج به على نفى السمع ؛ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ هذا متفق عليه، لا إشكال فيه.

ومن قال أن هناك شيئا مثيلا لله جل وعلا؟! ولكن إثبات الصفات لازم أن يكون بلا تمثيل ولا تشبيه، والله هو الذى وصف نفسه،قال: إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، الأشاعرة لا يثبتون الوجه، الله هو الذى وصف نفسه وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

سؤال: ما المراد بالكرسى؟ الشيخ: الكرسى موضع القدمين كما فسر ذلك ابن عباس،والسند إليه على شرط الشيخين .

سؤال: ماذا يفعل من فاتته ركعتا سنة الفجر؟

الشيخ: من فاتته ركعتا سنة الفجر يصليهما بعد صلاة الفجر مباشرة، ولا ينتظر إلى ما بعد طلوع الشمس؛لأن الشمس إذا طلعت فقد فات وقتهما، أجمع العلماء على أن كل صلاة يمتد وقتها إلى الصلاة الأخرى، إلا الفجر؛ إذا طلعت الشمس خرج الوقت بالإجماع.

سؤال: ما ضوابط محبة الله ومحبة غير الله؟

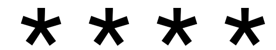
الشيخ: هناك ضوابط متعددة، وقد تحدثنا على قول الله جل وعلا بالأمس: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وأن المحبة الشركية تكون فى مساواة الخالق بـ المخلوق بمعنى إذا تعارض طاعة المخلوق مع طاعة الخالق دائما يقدم طاعة المخلوق على طاعة الخالق دائمًا يقدم طاعة المخلوق على طاعة الخالق؛ يقدم طاعة المخلوق فى ترك الصلاة و الزكاة والصيام والحج، الذى أحب المخلوق أكثر من محبة الخالق؛ تعلقه بالمخلوق أكبر من تعلقه بـ الخالق؛ وهذا مراتب.

أما محبة من يحبه الله ومحبة من يحبه رسول الله ، فهى تدخل فى الإيمان، وهذا يدل على الفارق بين المؤمنين وبين المنافقين والمنحرفين، فهذه مراتب تختلف من شخص إلى آخر، وفى نفس الوقت قد تزيد وقد تنقص قدراً تبعا لزيادة ا لإيمان ونقصانه، وقد يكون العبد عاصيًا فى تخلفه عن المحبة، أو قد يكون مشركًا؛ على حسب وجود المحبة فى قلبه؛هناك محبة طبيعية؛ كمحبة الزوجة ومحبة الابن؛ وهذه المحبة طبيعية؛ حتى

قد يكون الابن عاصيًا ولكنك تحبه لأنه أقرب إلى قلبك ؛ ولكنك لا تحبه لمعصيته؛ لأن هذا نقص فى الإيمان؛ لكن تحبه لميل؛ كما أن الإنسان قد يتزوج يهودية ونصرانية؛ وهذا جائز بالإجماع من أهل الكتاب، ويجد القلب يميل إلى ذلك؛ هذه محبة طبيعية، لكن محبة من قبل النصر والتأييد ؛ هذا كله حرام، هذا لا يكون إلا للمؤمنين.

سؤال: هل هناك دليل على أن الجمع فى المطر لأجل سحابة الشتاء دون سحابة الصيف ؟

الشيخ: فى الحقيقة ليس هناك دليل على هذا، (الصوت غير واضح)



بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط (12)

هذه الآيات فى إثبات علو الله على خلقه، وقد فطر الله عباده على ذلك، وتواترت الأدلة فى هذا؛ فقد دل العقل والنقل والفطرة على إثبات علو الله على خلقه، ولم يخالف فى هذا إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

وحين استطرد ابن القيم – رحمه الله تعالى – فى هذه المسألة فى كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية فى غزو المعطلة والجهمية » قضى فى المسألة ألف دليل على إثبات علو الله على خلقه.

وقد قال الأوزاعى: كنا والتابعون متواترون

نقول بأن اللّه فوق سماواته مستو على عرشه.

وقال الإمام الطلمانكى رحمه اللّه: أجمع العلماء على أن اللّه فوق سماوته مستو على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه تعالى – فى هذه العقيدة بعض الأدلة الدالة على هذه المسالة.

والعلو ثلاث مراتب:

النوع الأول: علو الذات؛ والنزاع بين أهل السنة وأهل البدع هو فى هذا النوع.

النوع الثانى: علو القدر.

والنوع الثالث: علو الشرف.

ولله جل وعلا كل أنواع العلو؛ قال تعالى: وَهُوَ العَلِىُّ العَظِيمُ ، وقال تعالى: هُوَ الأَوّلُ وَالآخِرُ

وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ ، وقد فسر النبى هذه الآية فى دعائه: «اللّٰهم أنت الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء»، و الخبر رواه الإمام مسلم رحمه الله فى صحيحه، وحين أراد النبى أن يعتق الجارية دعا بها، فقال لها: «أين اللّٰه؟» قالت: فى السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال : «أعتقها فإنها مؤمنة». والخبر فى مسلم عن معاذ بن حكم السلمى. وحين خطب النبى الناس فى عرفات فى أعظم مجمع التقى به الرسول بالناس، كان يقول حينما خطبهم: «اللّٰهم اشهد»، يرفع إصبعه إلى السماء وينكثها، ويقول: «اللّٰهم اشهد، اللّٰهم اشهد، اللّٰهم اشهد». إشارة على علو الله على خلقه.

وقد اتفق أهل السنة على أن من أنكر علو الله على خلقه بأنه جهمى، وأهل السنة يكفرون الجهمية بنوعهم لا بعينهم؛ إلا من قامت عليه الحجة وانتفت عنه الشبهة، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن القيم، وأن خمسمائة من علماء أهل السنة متفقون على ذلك، وقال:
واللالكائي الإمام حكاه ـهم بل حكاه قبله

قلت بالأمس: إن الفرق بين العلو والاستواء أن العلو معلوم بالفطرة والنقل، والاستواء معلوم بـ النقل.

قوله جل وعلا: يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ، أولاً: فيه إثبات صفة الكلام لله جل وعلا؛ فالله جل وعلا يتكلم متى شاء إذا شاء ، وصفة الكلام صفة أزلية؛ يتكلم متى شاء إذا شاء؛ قال الله جل وعلا: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا

وعيسى آخر أنبياء بني إسرائيل؛ يتصور كثير من الناس أن عيسى أرسل إلى النصارى، وهذا غلط ؛ الأصل في إرسال عيسى أنه كان إلى اليهود، ولم يكن هناك ما يسمى نصارى؛ ولكن حين كفرت به اليهود ،وتبعته طائفة سموا نصارى؛ فمنذ ذلك الوقت جاء اسم النصارى؛ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ فكان من ذلك النصارى؛ إذاً اليهود مأخوذون من الرجوع؛ من قولهم: هُدْنَا أي: رجعنا، والنصارى مأخوذون من النصرة؛ فمن يدعي النصرانية في هذا العصر وهم لا يتبعون عيسى هؤلاء كذبة، وأيضًا الآن الحكومات

الموجودة الغربية التى تنتسب إلى النصرانية هى علمانية؛ ولذلك يعزلون واقع الدين عن واقع الحكم والسياسة؛ فهم فى الحقيقة لا يؤمنون بأحد من أنبياء الله جل وعلا، ولكنهم يستخدمون النصرانية لحاجتهم ولا يخدمون النصرانية ككثير من المنتسبين إلى الإسلام؛ يستخدم الإسلام ولا يقيم الإسلام ،ولذلك الآن ما هناك حكومة غربية دينية ؛ كل الحكومات الغربية الآن إما علمانية أو غير ذلك؛ فلذلك هؤلاء لا ينتسبون لدينٍ أصلا، وليس معنى هذا إلغاء أحكام اليهودية وأحكام النصرانية؛ كلا؛ لأ ن الله حين ذكر الأحكام كان معلوماً من ذلك أنه سوف يوجَد منهم من تكون فيه الأحكام ماثلة.

قوله: إِنِّي مُتَوَفِّيكَ تطلق الوفاة في القرآن على معنيين:

- المعنى الأول: مفارقة الحياة؛ مثال قول الله - جل وعلا: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ؛ المقصود من ذلك: الوفاة التي هي مفارقة الحياة؛ وَيُمِيتُ : يجعلهم يفارقون الحياة.

- تطلق الوفاة على النوم؛ قال الله - جل وعلا: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ؛ الوفاة في هذا الموطن وفاة نوم؛ فقوله لعيسى: إِنِّي مُتَوَفِّيكَ :لم يمت عيسى؛ وإنما أرسل الله إليه النوم ورفعه إليه؛ ففيها الرّدّ على النصارى

الذين يزعمون أو يَدّعون التثليث، وردٌ على الذين يَدّعون أيضاً قتله؛ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وفي آية أخرى: بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ .

قوله: وَرَافِعُكَ إِلَيَّ : هذا رَدٌ على اليهود وردٌ على النصارى وردٌ على الجهمية الذين ينكرون علو الله على خلقه؛ وَرَافِعُكَ : إشارة إلى العلو، وهذا أمرٌ تتجاوب معه الفِطَرُ؛ فإنّ الناسُ مفطورون على رفع رؤوسهم إلى السماء.

وقوله جل وعلا: بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ : : رَفَعَهُ الضمير يعود إلى عيسى؛ ولذلك لا يختلف أهل السنة أن عيسى بن مريم سوف ينزل في آخر الزمان، وتواترت الأدلة عن النبي أنه قال: «**والذي نفسي محمدٍ بيده، لينزلن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيضع الجزية، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب**»وهذا متواترٌ عن النبي .

وحين ينزل عيسى بن مريم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات والتسليم - يحكم بشريعة محمدٍ ، ولا يَؤمُّ المسلمين؛ بل يُصلي مأموماً خلف إمامٍ من أئمة المسلمين؛ كما جاء في البخاري، «وإمامهم منهم ، فإذا قال له قائلٌ: تقدم، يقول: لا».

غلاةُ الأحناف يقولون: إذا نزل عيسى سوف يكون حنفياً، وهذا مذكور في مقدِّمة حاشية ابن عابدين - رحمه الله، وطوائف يقولون: إذا نزل سوف يكون شافعياً. وعيسى لا شافعيّ ولا حنبلي ولا مالكي ولا حنفي؛ يحكم بالحق، يحكم بشريعة

محمدٍ .

الحقيقة أن ألفاظ المتعصبين و حكايات المتعصبين تدل على قلة العقل ونقص الفكر وضعف النضوج أيضاً، وإنْ كان سوف يكون إماماً عالماً، لكن هذا دليل على نقص عقله حين يتعصب، سبحان اللّٰه، من عنده زيادة تعصب وعنده زيادة إيمان يضعه في الكتاب والسنة، ولو أنّ الناس يتعصبون للكتاب والسنة لانتصر الحق.

حتى قال قائلهم من الجفاة: لعنة ربنا عداد رملٍ على من ردّ قول أبي حنيفة.

وهذا إمام الحرمين يقول حول وجوب اتباع مذهب الشافعي؛ الإمام الطالبي "والقرشي يجب اتباعه؛ لقول النبي : «قَدِّموا قريشاً ولا تقدّموها»". مع أن هذا الحديث ضعيف، وهو في الخلافة، وليس في مسائل العلم والدين، وما كان الصحابة يتبعون عليّاً ويتركون غيره، ولا كان أئمة الهدى يتبعون ذوي النسب ويتركون غيرهم؛ هذا أمرٌ ليس له أصلٌ.

يجب اتباع الكتاب والسُنّة، وعيسى حين ينزل ينزل يحكم بالكتاب والسنة؛ لا يتجاوز ذلك، للدارمي ،وجاء أيضاً في صحيح مسلم: قال : «و الذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفجِّ الرّوْحاء حاجّاً أو مُعتمراً ،أو ليثنينّهما»؛ لم يكن في شريعة عيسى ولا موسى الإفراد والتمتع والقرآن؛ فدلّ هذا على أنه يسير على شريعة محمد ؛ ولذلك قال

في حجِّ عيسى حين يحجّ: «..حاجّاً أو معتمراً أو ليثنينهما»، وفيه دلالة على جواز الإفراد والتمتع و القران.

لم يكن بين نبيّنا محمدٍ وبين عيسى نبيٌّ، وأيضاً جاء في الصحيحين: «ليس بيني وبين عيسى نبيٌّ»؛ على خلاف بين العلماء - رحمهم اللّه تعالى - في تحديد الفترة الزمنية التي كانت بين عيسى ومحمدٍ ؛ قيل ستمائة عام وقيل غير ذلك؛ ولكن الثابت ليس بين عيسى وبين محمدٍ نبيٌّ.

ولايختلف العلماء أنّ الإيمان والتصديق بكل الرسل الذي جاؤوا في القرآن، والذين جاؤوا على لسان الرسول من شروط وفروض الإسلام؛ ولكن الاتباع لا يكون إلا لمحمد ؛ لأن شريعته ناسخة ومهيمنة على كل الشرائع ؛ قال -والخبر في مسلم: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بما أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»، لذلك حين ينزل عيسى لا يقبل من اليهود ولا النصارى إلا الإسلام؛ لا يقبل منهم لا جزية ولا غيرها؛ لا يقبل منهم إلا الإسلام، ومن لم يقبل بالإسلام وضع عليه السيف.

وقوله - جل وعلا: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ قوله إِلَيْهِ : أي إلى الربِّ - جل وعلا - يَصْعَدُ الصعود لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى؛ ففيه إثبات العلو لله - جل وعلا.

قوله: الكَلِمُ الطَّيِّبُ اللّه - جل وعلا – طيب،

ولا يقبل إلا طيباً؛ لذلك قال: وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ الخبيث المقصود به هنا الرديء؛ فالله - جل وعلا - يقبل الكلم الطيب، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ أرسله بالعلم والعمل، والعمل لا يُقبل إلا بشرطين:

- الشرط الأول: الإخلاص.
- الشرط الثاني: المتابعة للنبي ؛ قال تعالى:

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ؛ وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وقال : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وهذا معنى شهادة أن محمداً رسول الله.

قوله: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ في ذلك تفسيران للعلماء:

- قيل: والعمل الصالح يرفعه: أي يرفع الكلم الطيب.
- وقيل: والعمل الصالح يرفعه: أي يرفعه الله إليه؛ فقوله: والعمل الصالح: قُيِّد العمل بالصالح؛ فليس كل من عمل عملاً قُبل منه؛ لابد أن يكون العملُ صالحاً، والصالح لابد له من شرطين؛ ما هما؟

طالب: الخوف والرجاء.

الشيخ: أن يؤدي العمل خائفاً راجياً، وماذا أيضاً من شروط العمل؟

طالب: الإخلاص والمتابعة.

الشيخ: الإخلاص والمتابعة للنبي ، ما أركانه؟

طالب: غاية المحبة، والذل.

الشيخ: الذل مع غاية المحبة.من يُعَرّف العبادة ؟

طالب: العبادةاسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

قوله: يَرْفَعُهُ فيه إثبات العلو لله - جل وعلا - وشيخ الإسلام يورد هذا الأدلة لتأكيد إثبات العلو بالنقل كما هو راسخٌ في الفِطَرِ والعقل؛ فحين يلتقي هذا مع هذا كُلٌّ منهما يقوي إيمان صاحبه.

وقوله - جل وعلا - عن فرعون ياهَامَانُ ، وهامان وزير فرعون.

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كانوا خَاطِئِينَ ، ما معنى خاطئين ؟ الخطأ يطلق في اللغة على معنيين، ما هما؟ ما معنى خاطئين؟

طالب: مخطئين.

الشيخ: لا؛: آثمين ؛ الخطيئة تطلق على معنيين؛ تطلق كالخاطئة؛ يعني آثمة، خاطئين يعني آثمين، ويطلق الخطأ على مجانبة الصواب؛ خاطئة أي آثمة؛ ولذلك بعض أهل اللغة يحكي اتفاق أهل أهل اللغة على أنه لا يقال خاطئ إلا على الآثم؛ لا يقال خاطئ بمعنى مخطئ؛ وهناك قول لأهل اللغة بجواز ذلك.

فرعون يقول: يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا ما هو الصرح؟ مكان عالٍ؟ نادى فرعون هامان وقال يا هامان ابن يل صرحاً لعلي أبلغ الأسباب،: أسباب السماوات. فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذبًا

، طيب لماذا يصنع فرعون هذا؟ لماذا يقول فرعون لهامان: ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السماوات والأرض فأطلع إلى موسى وإنه لأظنه كاذباً؟

لماذا يقول هذا؟

طالب: ينكر.

الشيخ: لماذا يقول لهامان؟ هو لا شك يُنكر، لكن لماذا يقول هذا لهامان؟

طالب: قالها بالفطرة.

الشيخ: يعني تلقائية؛ يقولها بالفطرة؟ وإني لأظنه كاذباً يقول؟ لماذا يقول عليه أنه كاذباً ، ولم يقل كافراً أو جاحداً؟

طالب: هذا إثباتٌ منه أن الله في السماء.

الشيخ: نعم؛ الآية واضحة؛ يقول: وإني لأظنه كاذباً يفهم من ذلك أنّ موسى كان يدعوه إلى إلهه الذي في السماء، ويخبر أن الله في السماء، فقال فرعون لوزيره هامان ابن لي صرحاً.. لماذا؟ يريد أن يطلع إلى إله موسى، وإنه لأظنه كاذباً ؛ ما هناك أحدٌ بالسماء؛ أي الذي تدعوني إليه في السماء، فدل لك أن موسى كان يدعوه إلى السماء؛ فيؤخذ من هذا أنّ مَن أثبت علو الله على خلقه فهو موسوي محمدي تابع لميراث الأنبياء، ومن أنكر علو الله على خلقه، هذا فرعوني جاحد، فلذلك كان موسى يدعو فرعون إلى ربه الذي في السماء، وليس الذي يمشي بينهم كفرعون الذي

يدعي الألوهية؛ يقول: أنا ربكم الأعلى.

وفي الغالب أن فرعون كان يكابر في هذا، ويعلم أنه لم يكن خالقاً، ولم يكن رازقاً ولا مدبراً ، بل يعلم أنه أوجد وخُلِقَ، ولم يَخلق نفسه، وهو يعلم أنه لم يخلق زوجته ولم يخلق من حوله؛ لكنه مستكبرٌ عن الحق؛ ولذلك قال - جل وعلا- فَاسْتَخَفّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ؛ هو يَعبثُ بعقولهم.

وفيه أنه لكل حربٍ ضحايا، لكل قولٍ باطلٍ جملة من الضحايا، لكل جاهلٍ ضحايا، لكل مبطل ضحايا؛ حتى لو خرج شخصٌ الآن يدعي النبوة سوف يكون له ضحايا؛ما إن توفى النبيُ حتى خرج من يدعي النبوة، وكان له ضحايا؛ لكن الحق أبلج، والباطل لجلج.

وقوله - جل وعلا- أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السّمَاءِ أي على السماء؛ في هنا بمعنى على، أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؛ هناك فوائد:

- الفائدة الأولى: تُفيد توحيد الربوبية، وأيضا تفيد الألوهية؛ لأنه إذا كنتم تخافون الله إذاً فتطيعونه.

- الفائدة الثالثة: فيه إثبات علو الله على خلقه، وتوحيد الأسماء والصفات.

- الفائدة الرابعة: في أنّ من عصى الله - جل وعلا - يوشك أن يخسف به الأرض؛ كما في الرجل المتكبر: الأرض تتجلجل به إلى يوم القيامة.

فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أي تضطرب.

أمْ أمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاء الأمن ضد الخوف أي على السماء في إثبات علو الله على خلقه.

السماء يُطلق في اللغة على كل ما علا؛ فكلُّ ما علا يُسمّى سماءً؛ المقصود في هذه الآيات: من في السماء أي على السماء ؛ فوق سماواته مستوٍ على عرشه.

قوله يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا أي حجارة من السماء.

فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ أي حين تستيقنون هذا النذير، حين تعصون الله - جل وعلا - تخالفون أمره وترتكبون نهيه.

بقيت آية المعية؛ قوله جل وعلا وَهُوَ مَعَكُمْ تكون مجموعة أفضل...والله أعلم.

- طالب: هل ثبت شيء عن قصة "قِسّ النساء" ؟

- لا؛ لم يثبت شيء في هذا؛ قصة قس النساء لم يثبت فيها شيء.

ننصح كل الإخوة بقراءة كتاب ابن القيم "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة و الجهمية"؛ كتابٌ عظيمٌ ومهم في الحديث عن العلو وعن الاستواء، وأقاويل الناس في ذلك؛ حتى أهل الجاهلية يثبتون العلو؛ كما قيل في شعر عنترة:

يا عبلُ أين من المنية إن كان ربي في السماء

هذا جاهليٌّ يثبت علو الله على خلقه؛ ومع هذا الجهمية يكابرون في ذلك؛ منهم من يقول: هذا

مجازٌ. هؤلاء الجهمية والمعتزلة والأشاعرة؛ كُلٌ هؤلاء لا يثبتون علوّ الله خلقه؛ فلذلك هؤلاء فراعنة هذه الأمة؛ لأن من لم يثبت العلو ليس له إيمان سوى إيمان فرعون الذي يقول لموسى: وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ؛ فالعلو ثابتٌ بالفطرة، ثباتٌ بالأدلة الواضحة الجلية، وأنّ الله جل وعلا فوق سماواته مستوٍ على عرشه، وهذا موجود عند أهل الجاهلية، وفي أقاويلهم ونحو ذلك....

- طالب: هل أهل الطريقة الذين يقولون بوحدة الوجود ينكرون العلو لله جل وعلا؟

- الشيخ: نعم؛ لأنهم يقولون أن الله - جل وعلا - موجودٌ في كل مكان؛ فهؤلاء لا يثبتون العلو المقصود في الكتاب والسنة؛ يثبتون العُلو المطلق؛ الذي يقتضي أن يكون مُمتزجاً ومخالطاً وموجوداً مع غيره؛ فلا تمايز له من ذلك، وبالتالي: نعم؛ وينكرون ذلك أهل الطريقة.

- طالب: هل يجوز إطلاق لفظ "المسيحيين" على النصارى؟

- الصحيح أنّ هذا غلط؛ بعض من الناس يطلق على النصارى (المسيحيين)، وهذا غلط؛ يعني نسبة إلى عيسى، وهذا ضلالٌ؛ لأن هؤلاء لا ينتسبون إلى عيسى حقيقة، وفي نفس الوقت هذا الوصف لا يُطلق عليهم؛ الله سماهم نصارى ولم يسمهم مسيحيين، وشيخ الإسلام يقول في مقدمة الرد (على بدل دين المسيح): يقول أنا ناظرتُ نصرانياً

فأثبتُ له أنه كافرٌ بعيسى قبل أنْ يكفر بمحمدٍ ، يقول: حين ناظرته قلت له: هل تؤمنون بعيسى؟ قال: نعم. قُلتُ: ألم يرد في كتابكم الإخبار عن محمد؟ قال: بلى؛ ورد. قلت: إذاً أنتم كفرة بعيسى؛ لأنكم لو كنتم مؤمنين بعيسى لآمنتم بمحمد؛ لأن عيسى بشّر بمحمد؛ فأنتم كفرتم بعيسى قبل أن تكفروا بمحمد ؛ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ؛ فعيسى بَشّر بمحمد، وجميع الكتب السابقة كانت تبشر بمحمد؛ فهؤلاء حين لا يؤمنون بمحمد هم كفرة بعيسى أيضاً؛ فنحن حين لا نطيع محمداً في شيءٍ ألا نعتبر عصاةً؟! حاشانا من ذلك ، وأعاذنا الله من ذلك؛ فمن لم يؤمن بمحمدٍ يعتبر كافراً بمحمدٍ؛ فالنبي حينما أخبر عن المغيبات؛ من يقول لك: "إن عيسى لن ينزل في آخر الزمان، وإن النبي أخطأ في ذلك" هل يُعَدُّ مسلماً؟ لا؛ لأنه كفر بمحمدٍ؛ فهؤلاء حين امتنعوا عن الإيمان بعيسى في نزوله بعد محمد يعتبرون كفرة بعيسى.

أما الاتحاد فهو أخص من الحلول؛ بمعنى أنه يقول أنه اتحدّ مع كذا ومع كذا، وأيضاً فيه شَبَهٌ من الوجودية الذين يقولون أنّ وجود هذا هو عين وجود الله؛ كما يقول ابن سينا وطبقته.

- طالب: هل ذكر ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية زيادةً عن غيره فيما يتعلق بإثبات العلو؟
- الشيخ: نعم ما جاء في اجتماع الجيوش الإسلا

امية أكثر وأكثر؛ فهو أكثر تحقيقاً وأكثر نقلا ً عن الأئمة - رحمه اللّه تعالى - لأنه استطرد - رحمه اللّه تعالى – في اجتماع الجيوش الإسلامية في إثبات العلو، بالفطرة ،باتفاق الرسل ، باتفاق الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ومذاهب الأئمة، ثم استطرد - رحمه اللّه تعالى - وأتى بإثبات العلو عن طريق البهائم والدواب و الحشرات والطيور وغيرها وغير ذلك؛ فهؤلاء كلهم أهدى سبيلا من الجهمية الذين ينكرون علو اللّه على خلقه.

- طالب: هل أدلة العلو قطعيّةٌ؟
- الشيخ: نعم؛ قطعية، الأدلة قطعية.
- هل الحديث: «أوصيك أن تستحيي من اللّه كما تستحيي من العبد الصالح من قومك» حديث ضعيف؟
- نعم؛ الحديث ضعيفٌ ؛ الأخ يسأل عن أن النبي قال: « أوصيك أن تستحيي من اللّه تستحيي من الولي الصالح من قومك»؛ ضعيف ؛ وفي رواية «الرجل» ضعيفٌ أيضاً.
- طالب: هل يخلو العرش من اللّه حينما ينزل إلى السماء الدنيا؟
- لم يثبت هذا؛ والذي نصّ عليه الإمام أحمد أنه حين ينزل ربنا لا يخلو منه العرش، هذا الذي نصّ عليه الإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة اللّه تعالى - والمسألة خلافية

فقهية.

- هل الشهيد يَرزق؟
- لا؛ الشهيد ما يَرزق، الشهيد يشفع.
- ولكن ألم يرد في القرآن ما يدل على هذا من قول اللّه عن الشهداء أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ؟
- ما قال يَرزقون؛ قال "يُرزقون"؛ اللّه يرزقهم؛ بمعنى أن اللّه - جل وعلا - ينعم عليهم؛ فـاللّه قال إنه يرزقهم ما قال: يَرزقون.
- هل القول بأن الخطيئة ما كان بينك وبين اللّه، وأن الخطأ ما كان بينك وبين الناس- يصحّ؟
- ضعيفٌ هذا القول؛ لأن فرعون هل كانت الخطيئة بينه وبين اللّه؛ ألم يكن يسوم هؤلاء ويستحيي نسائهم ويذبح أطفالهم؛ فكأنه جمع بين كل أنواع الخطيئة؛ إِنّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ يعني آثمين، عصاة متمردين شاردين عن الحق؛ لا يعرفون إلى الإنسانية طريقاً، ولا إلى الحق سبيلا ً؛ فالتفريق فقط بين الخطيئة بمعنى الإثم، والخطيئة بمعنى الخطأ، وإلا فإن الخطيئة ترد بمعنى الخطأ في حق النفس ،والخطأ في حق الغير.
- هل يمكن أن ترد "الخطيئة" بمعنى الجهل؟
- هو يُطلَق؛ نعم الخطأ يطلق على الجهل؛ لكن ليس بمعنى الخطيئة؛ بمعنى الخطأ الذي هو ضد الصواب، و«خطئي وعمدي، وكل ذلك

عندي»؛ خطئي هنا بمعنى ارتكاب ضد الصواب؛ هذا نعم يطلق؛ لكن لا تطلق "الخطيئة" بمعنى الخطأ؛ هذا هو الغلط، وإن كان بعض العلماء يحكي الإجماع خلاف هذا.

- هل توجد الجهمية الآن ؟
- الجهمية لهم وجود الآن بكثرة؛ نعم يوجدون بكثرة الآن في "عمان"، والآن هم الإباضية؛ طبعاً الإباضية خوارج؛ لكن في هذا العصر حقيقة ليس هناك مذهبٌ متبع واضح؛ لكن لهم وجود بكثرة في اليمن،في عمان، في الأردن ، السقاف وطبقته، أتباع الكوثري؛ كلهم جهمية.

الإباضية الأصل فيهم خوارج؛ يكفّرون بمطلق الذنوب؛ لكنهم في الأسماء والصفات جهمية، ويوجد كتاب مفتيهم " الخليلي"؛ اسمه "الحق الدامغ" عنوانه هكذا؛ هذا كله على مذهب الخوارج ، والجهمية؛ فهم في الحقيقة في التنظير خوارج، في العمل مرجئة؛ فاختلط مذهبهم؛ الأصل في الأ وائل: أن الخارجي لا يكون مرجئاً أبداً؛ والمرجئي لا يكون خارجياً، الخارجي لا يكون مرجئاً كما في عصرنا الآن؛ ففي هذه المسألة من ينادي بذمّ الخوارج؛ بلا شك أن الخوارج يُذمُّون، وينبغي البعد عنهم والضرر؛ منهم ومن عشيرتهم؛ لكن بعض الناس يصف الآخرين بما يقارب من الحق، صار خلط في القضية؛ لكنه يسبّ الخوارج ويذم الخوارج وطلبة العلم و نحو ذلك، في نفس الوقت

هو عنده مشكلة مع الآخرين؛ فما هناك ضوابط الآ
ن وموازين واضحة؛ يعني أصبحت الآن الديانة في الناس قليلة؛ وبالتالي تتلاعب بهم الأهواء.

فائدة

- عندي كتب قرأتها من قبل، وأريد أن أعيد قراءتها، وكتب لم أقرأها بعد فهل الأفضل أن أعيد قراءة ما قرأته، ثم أبدأ في الجديد أو أجمع بينهمافي وقت واحد؟

- الشيخ: القراءة تختلف بين شخصٍ ذكيٍ فهيم ؛ حين يقرأ الكتاب يفهمه ويحفظه؛ فمثل هذا حين يقرأ الكتاب ويفهمه ويستوعبه ينتقل إلى غيره، ولكن يبقى أن بعض الكتب في حاجةٍ إلى قراءةٍ أكثر من مرةٍ؛ لأهميتها وفوائدها؛ كمؤلفات ابن تيمية، ومؤلفات ابن القيم؛ هذه بحاجةٍ إلى قراءةٍ أكثر من مرة؛ فإذا دعت الحاجة إلى قراءة الكتب أكثر من مرة، فلا حرج أن تؤخر مثلا ً قراءة كتب ابن عبد البر وكتب ابن حزم وكتب بعض الأ
ئمة لأجل هذه الكتب؛ لكثرة فوائدها؛ ولاستيعابها جميع مذاهب الأئمة الأربعة ومذاهب الناس وغير ذلك؛ فالإنسان يحرص كل الحرص على أن يكون موسوعةً علميةً متنقلة، ويسأل الله - جل علا –الفتح ، العلم فتحٌ من الله - جل وعلا -.

والعلم يدخل قلب كل من غير بوابٍ ولا ويرده المحروم بالخذلا لا تشقنا اللهم بالحرمان

فما عند الله قريب ،وما عند المخلوق بعيد

ولو سئل الناس التراب إذا قيل هاتوا أن يملوا و

ولكن الله حين تتأخر عن سؤاله يغضب عليك.

والله يغضب إن تركت وبُنيُّ آدم حين يُسألُ

فلذلك يسأل الإنسان الله الفتح، يسأل الله العلم، يسأل الله البصيرة، ويُحسن قراءة الكتب، ويسألُ الله - جل وعلا - السداد والتوفيق، المعونة.

- ما حكم من يطلب من الاسم "عليّ" ويدعوه؟
- هم ينادون علياً ويسألون عليّاً: "يا عليّ اغفر لي، يا عليّ ارحمني.
- فما حكم من يدعو عليّا على أنه اسم من أسماء الله؟
- ما معنى أن "عليّ" اسم من أسماء الله؛ هم يدعون عليّا؛ فرْقٌ بين المسألتين؛ فأن تلقي شخصاً يقول: "اللهم أنت العليُّ" فهو يَعني الله فـ لا يُشتبه فيه؛ أما حين يقول: "يا عَليّ يلبس عن الناس"، وإذا أوقف قال: أنا أقصد الربّ. فهذا مُلبِّسٌ؛ الرب العليّ
- ماذا يفعل من يقرأ في الكتب ولكنه لا يعي كلّ ما يقرأ؟
- إذا كان عنده مثلا ً قلة حكم أو وعك في الفهم، أو قلة الوقت، فجدير في حقه أن تكون هناك دراسة في بعض الأبواب؛ لأهميتها؛ حتى يَستوعبها ويتقنها ويضبطها، وهذا في الحقيقة أفضل بكثير من أن يتخبّط قراءةً في الكتب وهو لا يستوعب أو لا يُفهم؛ ما دام الوقت عنده

قليل أو الفَهْم أو الحفظ؛ فبالتالي كونه يركز أهم من كونه يقرأ كل يومٍ في كتاب فيكون كالمنبَت؛ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى؛ لا، كونه يركز ويفهم ويستوعب هذا جميلٌ وجيد، والزّهْري يقول - رحمه الله تعالى: العلم تُعطيه كُلَّك فيعطيك بعضه؛ فكيف بنا الآن ونحن لا نُعطي العلم إلا في وقت الفراغ، ومع ذلك وقت الفراغ يغيب تارةً ويحضر تارةً أخرى؛ هذا العلم شريف ولا يناله إلا الشرفاء

على قدر أهل العزم تأتي وتأتي على قدر الكرام

- ما تعريف الحديث الصحيح و الضعيف؟

- الصحيح هو ما كان بِنَقْل عَدْلٍ تامّ الضبط، متصل السند، غير معلل ولا شاذ؛ هذا الصحيح عند العلماء؛ ما رواه الثقة عن الثقة، ولم يكن في سنده انقطاع، ولم يكن له علة، وليس فيه شذوذ ؛ كما مالك عن نافع ابن عمر؛ كأبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة؛ كسهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، ونحو ذلك؛ أن قلّ الحفظ أو الضبط لا يصير ضعيفاً؛ قد ينزل من درجة الصِّحّة إلى درجة الحسن؛ لأن الحسن قسيمُ الصحيح.

أما الضعيف فما كان في إسناده سيئ الحفظ، أو مختلط، أو من اتفق الحفاظ على ضعفه، ولأن الضعف قد يكون نتيجة نكارة متن، وليس ضعف إسناد.

والضعيف مراتب؛ منه الضعيف جداً، ومنه الضعيف، ومنه الشاذّ، ومنه المنكر، ومنه المتروك، وغير ذلك.

- هل يمكن أن توجد طوائف ضالة الآن يمكنها الجمع بين مذهبين متناقضين؟

- أنا قلت أن هناك طوائف الآن يجمعون بين المتناقضات؛ موجودة الآن في عصرنا، وقُلتُ أن الإ باضية يجمعون بين مذاهب المرجئة ومذاهب الخوارج، وطبعاً الخوارج والمرجئة لا يجتمعان؛ كما لا يجتمع الماء والنار؛ ؛ المرجئة يقولون :لا يضر مع الإيمان ذنب، والخوارج يكفرون بمطلق الذنوب؛ ولكن الإشكالية الآن هي قلة التدين في الناس، وانسلاخ الكثير من مبادئهم ومن قيمهم ،والبحار المتدفقة العلمانية على العالم العربي والإسلامي، جعلت هؤلاء يتوغلون في الضلال دون شعورٍ أو بشعورٍ لحب المادة وإيثار الدنيا على الآخرة؛ فالآن حين ننظر لقضية عمان؛ هم مخارج في مذاهبهم وصفتهم؛ يكفرون بمطلق الذنوب، ولا يتنكرون لذلك؛ ولكنهم في نفس الوقت كواقع عمليٍّ منهجيٍّ هم مرجئة؛ فهم في الأمور النظرية يكفرون بها؛ لكن في الأمور العلمية يقعون فيما يقع فيه المرجئة.

حتى الأحناف؛ أشد المذاهب الأربعة تكفيراً؛ الأ حناف؛ يقولون من قال "مصيحف" كافر، "مسيجد" كافر يكفرون بأشياء ما يكفر بها الآخرون؛ ولكنهم

عندهم النزعة الأوزاعية؛ حين يأتي لقضية التكفير يقول :هذا ما استحل، هذا ما جحد؛ هكذا؛ فالنزعة الأوزاعية الموجودة مع التوسع اللفظي في تكفيرهم؛ فهؤلاء لا يرونها قضية الآن ، حين يأتي التنظير يكفرون بمطلق الذنوب؛ يقولون بأنّ آكل الربا مرتد عن ديننا، ويقولون بأشياء كثيرة من مُطلَق الذنوب؛ الزاني إذا لم يتب كافرٌ؛ لكن حين يأتي الواقع العملي لا يكفرون، ولا يناصرون الكفار على المسلمين، لماذا؟ لأنهم عندهم النزعة الإ رجائية واقعية في عملهم؛ فأثّر عليهم الواقع العملي؛ فهم بقوا في الأمور النظرية دون الأمور العملية؛ هذا في الحقيقة بدأ يدون الآن في مجتمعنا؛ ترى مثلا ً من هو شديد؛ يُبَدّع، فيضلل؛ حتى في العلماء وطلبة العلم؛ لكنه فيمن يحارب الشريعة لا يتعرض له بشيء؛ بل ربما يعظمه ويثني عليه، ويرى أنه هو ناصِرُ الدين هذا العصر؛ فهم في الحقيقة مُرجئة من وَجه، خوارج من وَجْهٍ آخر.

- هل يجوز الاستدلال بآيات القرآن في خطاب الناس؟

- هناك خلاف؛ لكن الصواب عدم الاستدلال بالآ يات القرآنية في خطاب الناس ونحو ذلك، و الصواب أنّ هذا مكروهٌ ، فيما أجازه البعض؛ لكن

الصواب أنه مكروه في أصَحِّ قولي العلماء؛ لأن هذا يؤدي أولاً إلى امتهان القرآن، وتنزيله في غير منزلته؛ الأمر الثاني ربما الإنسان يُفسِّرُ الآيةَ على غير تفسيرها ويقع في المحذور، ولكن أصحُّ القولين في مذهب الإمام أحمد كراهية هذا، وهذا الذي ذكره السفاريني - رحمه الله تعالى - في "غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب".

- ماذا عن وَضع الآيات في الكلام على سبيل الا قتباس؟

- هو يتكلم عن وضع الآية: ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ونحو هذا؛ يأتي بألفاظ القرآن في غير موضعها؛ قد لا يكون اسمه موسى؛ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وضعت في غير السياق الذي سيقت له؛ فهو قد فَسّر القرآن بغير تفسيره؛ هذا هو وجه الغلط في تعامل الناس؛ كلٌ يستفيد من القرآن؛ كبلاغةٍ وفصاحةٍ؛ ابن القيم - رحمه الله - يدرج في أهميه بعض الآيات؛ وهذا لا حرج منه؛ ويسميه أهل البيان اقتباساً؛ الاقتباس لا حرج منه؛ أما إن تضع الآية في غير موضعها فهذا هو المحظور.

- إذا صلى الإنسان قاعداً هل يرفع يديه في تكبيرة الإحرام؟

- نعم؛ الإنسان إذا صلى قاعداً يرفع يديه في

تكبيرة الإحرام في الركوع؛ إلا أن رفع اليدين غير مختصٍّ بصلاة القائم؛ في صلاة القائم والقاعد، وا لأيدي ترفع في أربعة مواضع؛ في تكبيرة الإحرام، في الركوع، في الرفع من الركوع، في القيام من التشهد الأول.



بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط 13

(لما تحدث شيخ الإسلام) عن استواء الله -جل وعلا- على عرشه وعلوه على خلقه شرع يتحدث عن معية الله -جل وعلا-، وأن المعية لا تنافي علوه ، فهذا في غاية المناسبة وفي دقة الفهم، وإن طوائف من أهل الضلال يعتقدون تماثلاً ، أو يعتقدون اتحاداً أو امتزاجا ، ويعتقدون أن علوه ينافي معيته، وهذا غير صحيح، فقد دل الكتاب و السنة والعقل والنظر على بطلان هذا القول، وأن علو الله -جل وعلا- على خلقه لا ينافي معيته لخلقه وأن المعية لا تعني اختلاطاً ولا امتزاجاً، فإن الله -جل وعلا- بائن من خلقه، فهو فوق سماواته مستوٍ على عرشه.

وقوله -جل وعلا-: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ أي معبود، ولقوله -جل وعلا-: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ولقوله -جل وعلا-: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، ولقوله : «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا» وغير ذلك من الأدلة الصحيحة في هذا الباب.

تقدم في الدرس الماضي قول الأوزاعي: (كنا و التابعون متواترون نقول بأن الله فوق سماواته مستوٍ على عرشه)، وهذا لا يختلف فيه أهل السنة، دل عليه النقل والعقل، فقد فطر الله عباده على ذلك، والأدلة الواردة في الكتاب: وَهُوَ مَعَكُمْ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ، وغير ذلك، وسيأتي الحديث

عن ذلك مفصلا ً.

والمعية على أحد وجهين:

النوع الأول: معية عامة، دلت عليها أدلة أخرى،

النوع الثاني: معية خاصة تقتضي نصراً وحفظاً وتأييداً، ولا أحد يفهم كتاب الله أعظم من فهم رسول الله ومن فهم الصحابة ، ولم يقل أحد منهم بأن المعية تقتضي اختلاطاً أو امتزاجاً أو اتحاداً أو غير ذلك.

وقوله -جل وعلا-: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ (هو) أي الله -جل وعلا-، (خلق) في إثبات صفة الخلق لله -جل وعلا-، (السماوات) قدمت على الأرض وهي المتأخرة في الخلق لأن السماوات أشرف من الأرض، ويؤخذ من ذلك أنه لا يلزم من التقديم أن يكون أسبقياً في الخلق، بخلاف قوله الله -جل وعلا-: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ قدم الجن مع أنهم ليسوا بأشرف من الإنس، لماذا؟ لأنهم خلقوا أولا ً فقدموا، هنا قدمت السماوات لأنها أشرف وليست بأسبق في الخلق.

قوله (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أي من أيام الله -جل وعلا-.

قال تعالى: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ .

قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ثم تفيد الترتيب والتعقيب وهذا يعني أن استواءه جاء بعد خلق السماوات والأرض، خلق الله الأرض ثم استوى إلى السماء، ثم بعد ذلك دحا الأرض،فكان دحي الأرض عقب خلق السماء ؛لأن الله خلق الأرض أولا ً، ولذلك قال الله : وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ولم يقل خلقها، لأن الخلق كان متقدماً على خلق السماوات.

قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ تقدم الحديث عن ذلك، وأهل السنة متفقون على إثبات الاستواء، في إثبات العلو وإثبات الاستواء، وأهل السنة لهم أربعة معان في الاستواء نظمها ابن القيم في النونية فقال:

ثلاث عبارات عليها قد فصلت للفارس

وهى استقر وقد علا ارتفع الذى ما فيه

وكذاك صعد الذى هو وأبو عبيدة صاحب

يختار هذا القول فى أدرى من الجهمى بِ

تقدم أن العرش سرير له قوائم، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ بخلاف الكرسي؛ قال ابن عباس: (الكرسي موضع القدمين)، رواه الدارمي وغيره من سند صحيح، في الرد على الجهمية.

قوله (يعلم) فيه إثبات صفة العلم لله -جل وعلا- وهذا يبعث على البعد عن معصية الله وعن الا

استتار عن المخلوق؛ لأنه بقدر ما يستتر عن المخلوق الله -جل وعلا- مطلع عليه، أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .

وهو العليم أحاط علماً فى الكون من سر ومن

وبكل شىء علمه سب. فهو العليم وليس ذا

قال تعالى: لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .

وأهل السنة متفقون في أن الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات، يعلم ما ظهر وما بطن، ويعلم ما تسرون وما تعلنون.

قال تعالى: أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ .

تقول عائشة: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، قد جاءت المجادلة إلى رسول الله تشكو زوجها وأنا قريبة منها فلا أسمعها، فسمع الله شكواها من فوق سماوات وأنزل قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا إلى آخر الآيات.

قوله: مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ أي في بطن الأرض سواء من الدواب والحيوانات والمخلوقات في باطن البحر، أو المخلوقات باطن الأرض من الفواكه والخضار ونحو ذلك، مهما كان حجمه ومهما كان قدره ،فإن الله يعلمه.

وقوله: وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا من الحبوب والثمار و

الدوار وغير ذلك، هذا غير خافٍ على الله؛ فإن الله يعلمه، ويعلم مستقرها ومستودعها.

قوله: ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي من المطر، ومن الملائكة، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي يعرج إلى السماء من الملائكة.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ حكى ابن عبد البر وغيره اتفاق أهل السنة بأنه (بعلمه)، وليس هذا من التأويل المذموم كما يدعي الأشاعرة، فهم يقولون أنتم تذمون التأويل ،وهذه الآية تفسرونها بالعلم.

وإننا نقول إن التأويل المذموم ما كان بالهوى ، أو كان على خلاف فهم الصحابة، أو كان على خلاف مقتضى وسياق الآية، أما ما دلت عليه الآية كما في قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى﴾ لأن الله قال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ .

يقول الإمام أحمد (افتتحها بالعلم وختمها بـ العلم) ومع هذا قال بعض أهل السنة (وهو معكم) تجري على ظاهرها بشرط ألا يعتقد مماثلة ولا ممازجة ولا اتحاداً؛ يعني من قال من أهل السنة كما قال ابن تيمية- ويأتي إن شاء الله في الحقيقة - ذو حق على حقيقته، بشرط ألا تعتقد اتحاداً ولا امتزاجاً ولا اختلاطاً؛ نقول : إن هذا هو قول أهل السنة ، لكن بشرط ألا يتصور الإنسان هذا التصور؛ لأن من تصوره كان منحرفاً ضالا ً زائغاً ملحداً وبالتالي أهل السنة يقولون ذلك لتفادي بعض ما قد يتصوره العامة في هذا الباب.

قوله: أَيْنَ مَا كُنْتُمْ أي في بر أو بحر، في ليل أو في نهار، وفي أي مكان كنتم، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قال تعالى: وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ويؤخذ من ذلك إثبات صفة الرؤية لله –جل وعلا، إثبات صفة العلم، إثبات صفة العلو، إثبات صفة الاستواء، إثبات إحاطة الله بكل شيء.

وقد ذكرت هذه الآية لإثبات صفة المعية، و المعية نوعان؛ معية عامة وهذه لا يختص بها المؤمنون دون غيرهم، معية عامة للمؤمنين و الكافرين، وذلك أن الله -جل وعلا- معهم لا يغيبون عنه؛ معهم بعلمه ،وعلى مرأى منه، لأن الله قال: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .

النوع الثاني: معية خاصة؛ معية للمؤمنين تقتضي حفظاً ونصراً وتأييداً، فقول الله -جل وعلا - لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا أي بنصره وتأييده وحفظه ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك.

وقوله -جل وعلا-: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ افتتح الله هذه الآية بالعلم أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ في إثبات صفة العلم لله -جل وعلا.

وقول الله -جل وعلا- مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ : لا يصح في لغة العرب أن تقول ث لاثة زيد خامسهم، لماذا؟ إلا أن يكون ذلك لله -جل وعلا: إلا هو رابعهم، لكن تقول سادس ستة، سابع سبعة، ثامن ثمانية، أما قوله -جل وعلا-: وَثَامِنُهُمْ

كلبُهُمْ فلأنه ليس من جنسهم، فهم يعبرون بما ليس من جنسهم، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ الثاني غير الأول، فإذا أردت أن تقول ذلك ،فلابد أن يكون الثاني غير الأول؛ تقول ثلاثة زيد رابعهم، هذا يعني أن زيد ليس منهم، وهذا غلط في لغة العرب، فلا تقول هذا إلا إذا كان الثاني من غير جنس الأول.

قوله وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ لأنه ليس من جنسهم، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ، فيه إثبات صفة العلم لله -جل وعلا- لأن الله -جل وعلا- قال: إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ افتتحها بـ العلم وختمها بالعلم، وقد فسّر الإمام أحمد وابن عبد البر وغيرهما المعية في هذه الآية بأنها معية علمية،

قوله ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيه إثبات صفة العلم ، فيه إثبات صفة الإحاطة ،وفيه إثبات صفة الرؤية ،وفيه إثبات البعث وفيه إثبات الحساب، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فيه إثبات عظمة الله -جل وعلا-، وفيه إثبات القدرة لله -جل وعلا.

وفي بيان حقيقة المعية، يتردد أن أهل السنة لهم في المعية قولان؛ منهم من فسر المعية بالعلم، ومنهم من قال تجري على ظاهرها وهي حق على حقيقته، بشرط ألا تقتضي أو ألا يُتوهم اتحاد أو امتزاج أو اختلاط، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً،

ولذلك لا يصح القول بأن المعية ذاتية مهما كان صاحبها يقصد من معنى، وإن قال: أنا أقصد بـ المعية الذاتية التي لا تقتضي امتزاجاً ولا اختلاطاً -لسببين:

السبب الأول: أن هذا اللفظ يوهم هذا المعنى .

السبب الثاني: أن هذا اللفظ لم يرد لا في الكتاب -أي في هذا الموطن طبعاً- ولا في السنة، و لا في قول صاحب، ولا قال ذلك أحد من العلماء.

قول ابن تيمية: (حق على حقيقته) لا يعني أنه يوجب الذاتية، إنما يعني أن اللفظ يجري على ظاهره دون تفسير للذات؛ لأنه لم يرد، إن قا ل قائل :فإذا لم يرد الذات؛ مثلا ً يفسرون المعية بـ العلم نقول بأن الله -جل وعلا- افتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم فالحديث عن العلم، هذا السبب الأ ول.

السبب الثاني: السلف هم الذين يفسرون هذا واتفقوا على هذا المعنى ،وحكاه غير واحدٍ من العلماء إجماعاً.

قوله -جل وعلا-: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا قوله (لا تحزن) من الذي قال ذلك؟ قاله الله -جل وعلا- عن النبي يقوله لأبي بكر، ما هو الحزن؟ الحزن يطلق على معان، والحزن المذموم هو الذي يؤدي إلى تفويت محبوب أو ارتكاب محظور، أما ولع القلب أو الهم الذي ينتابه فهذا لا يضر مادام لا

يترتب عليه شيء من ذلك، قال النبي : «**العين تدمع والقلب يحزن**» وصف نفسه بالحزن، النبي وصف نفسه بالحزن،وهذا لا يضر مادام لا يؤدي إلى تفويت محبوب أو ارتكاب محظور.

قوله: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا قال : «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» أي بالنصرة والتأييد، أخذ أهل العلم من هذه الآية إثبات الصحبة لأبي بكر، وأن من قال عن أبي بكر أنه ليس بصحابي أو سبه فهو مرتد على الدين، والسبب عند العلماء أنه أنكر القرآن.

من المقصود من الآية لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ا لآية والأحاديث مفسرة بأنه هو أبو بكر، فمن قال غير ذلك فقد كذب بكلام الله -جل وعلا.

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا أي بنصره وحفظه وتأييده إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ويؤخذ من ذلك إثبات قدرة الله -جل وعلا.

سؤال: ما وجه الاستنباط من آية إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا في إثبات صفة القدرة؟

الجواب: قلنا إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا هنا تقتضي النصرة والتأييد، إذن كيف ينصر ولا يقدر؟ ولذا نقول هنا بإثبات صفة القدرة لله -جل وعلا-، إذن نأخذ من ذلك إثبات صفة القدرة، وإثبات صفة العلم وإثبات صفة الرؤية، وإثبات المعية، نأخذ أربع صفات؛

صفة القدرة، وصفة العلم، وصفة الرؤية، وصفة المعية.

قول الله -جل وعلا- إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فيه إثبات صفة السمع والرؤية، وفيه إثبات المعية حين قال الله -جل وعلا- إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى أسمع كلامكما وأرى حالكما، إذ (إنني معكما) أي بـ النصر والتأييد، لأن الله أمره أن يذهب إلى فرعون ، فيقولا له قولا ً ليناً لعله يتذكر أو يخشى، فقد أمرهما الله -جل وعلا- أن يذهبا إليه وقال: لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا إذاً من كان الله معه فلا يقدر عليه أحد، ولو اجتمع من في الأرض جميعاً، فيه ضرورة التعلق بالله -جل وعلا-، وحين ألقى إبراهيم في النار، ماذا قال؟ حسبنا الله ونعم الوكيل، لم يلجأ إلى مخلوق، والأثر المشهور على ألسنة الكثير بأن جبريل اعترض على إبراهيم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم- في الهواء ، فقال: ألك حاجة، قال أما إليك فلا- هذا أثر ليس له أصل، هذا أثر موضوع،والصوفية يحتجون بهذا على ترك الأسباب وهذا ليس له أصل، إبراهيم حين ألقي في النار كما جاء في البخاري من رواية ابن عباس ماذا قال؟ حسبنا الله ونعم الوكيل.

وحين قيل للنبي إن الناس قد جمعوا لك، ماذا

قال؟ حسبنا الله ونعم الوكيل، الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

إذا انقطعت أطماع عبد تعلق بالرب الكريم
فأصبح حراً عزةً على وجهه أنواره
وإن علقت بالخلق فباعد ما يرجو وطال
فلا ترج إلا الله فى ولو صح فى فن

فقوله -جل وعلا- إِنَّنِي مَعَكُمَا أي بالنصر و التأييد والحفظ، وأنهما على مرأى ومسمع من الله -جل وعلا-، ففي الآية إثبات الأسماء والصفات، و إثبات القدرة، وإثبات الرؤية، و إثبات السمع، و إثبات المعية ،وفيها ضرورة تبليغ هذا الدين، وفيها الحكمة من بعثة الرسل، وهي أن يبلغوا رسالات الله الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا .

وقوله -جل وعلا-: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ يؤخذ من هذه الآية إثبات صفة الربوبية، وإثبات توحيد الإلهية، وإثبات توحيد الأسماء والصفات.

من أين فهمنا توحيد الربوبية؟

من قوله (إن الله) هذا فيه توحيد الربوبية،

توحيد الربوبية يقتضي الإقرار بوجود الله لا إله غيره ، هذا توحيد الربوبية.

(مع الذين اتقوا) فيه الألوهية، ما معنى ذلك؟ أنهم يفردون الله بأفعالهم لا يعبدون معه غيره بمعنى يوحدون الله -جل وعلا-، وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا أين إثبات الأسماء و الصفات؟

في قوله -جل وعلا- إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا مع الذين اتقوا بالحفظ و النصر والتأييد، ولذلك قال الله -جل وعلا- في الحديث القدسي الذي رواه البخاري: «من عادى لي ولياً» يسمى هذا بحديث الولي ، رواه البخاري من طريق من؟

من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :إن الله -جل وعلا-قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

ما معنى الحرب هنا؟

معنى إعلان الحرب أي أن الله -جل وعلا-

يفتك به ويبطش به مثلما قال الأخ، إذن نأخذ من هذا أن من عادى أولياء الله فقد آذن الله بالمحاربة ، ومن نشر الفساد في الأرض فقد آذن الله بـ المحاربة، لأن الله قال عن أكلة الربا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ، التقوى فعل المأمور واجتناب المحظور، وقيل التقوى ألا ترى نفسك خيراً من أحد، وقيل: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله، لأن الإنسان قد يترك المعصية وهو لا يخشى عقاب الله؛ لأن نفسه تعاف ذلك، وقد يؤدي الطاعة ولا يرجو ثواب الله فلا يؤجر على ذلك.

وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ إذاً المعية لا تكون إلا للذين يتقون والذين هم محسنون، فخرج عن المعية الذين يفسدون ولا يصلحون، الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ولكن هل يراد في هذا الموضع الإحسان بهذا المعنى؟ الصواب لا لأنه في هذا الموضع لا يراد هذا المعنى ،وإنما براد بهذا المعنى الإحسان العام، بمعنى الإحسان إلى الآدميين بمعنى نفعهم، والإحسان إلى البهائم، إن الله قد كتب الإحسان على

كل شيء، وقال : «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة» وبمعنى الإحسان، الإصابة في العمل بمعنى الإخلا ص وبمعنى متابعة النبي   في سيرته وهديه.

وقوله -جل وعلا-: وَاصْبِرُوا إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ أمر اللّه -جل وعلا- بالصبر الذي هو حبس النفس عن الجزع، الصبر الذي أمر اللّه به على ثلاث مراتب. ما هي؟

الصبر على المعصية؛ أنه يصبر على أنه ما يغتاب أحداً؛ يصبر على أنه ما يفعل حراماً، على أنه ما يرتكب ذنباً.

الثاني: الصبر على الطاعة، فهو حين يؤدي العبادة سواء كانت واجبة أو مستحبة تحتاج إلى صبر، وإلا سرعان ما ينقطع عن أداء هذه العبادة، لو عنده صبر ممكن يسبح في اليوم ألف تسبيحة، آخر ما عنده صبر يسبح عشراً، استكثر هذا، وأدلى بنعمته على ربه، وأنه وتد من أوتاد الدين، إذا سقط سقط الدين كله، لأنه سبح لله عشر تسبيحات.

النوع الثالث: الصبر على أقدار اللّه؛ بمعنى أنه إذا أصابته مصيبة يصبر، اللّه -جل وعلا- يقول: وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ .

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، اللّه -جل وعلا-

يقول: وَاصْبِرُوا إِنّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ ولذلك قال الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ إلى أن قال: وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ ، يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ هذا لا يتأتى إلا مع الصبر.

ولذلك الصبر، منزلته من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد؛ إذا قطع الرأس فلا حياة؛ ولذلك قال الرسول : «ما أعطي أحد عطاءً خيراً ولا أوسع من الصبر» الحديث في الصحيحين، وقال و الحديث لمسلم: «والصبر ضياء» (إن الله مع الصابرين) أي معهم بحفظه ونصره وتأييده وستره وغير ذلك، هذه المعية خاصة بالصابرين، ولذلك قال الرسول يوضح هذا المعنى: «من يتصبر يصبره الله»

وقوله -جل وعلا-: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصّابِرِينَ غلبة الكثرة لا تكون إلا بالإيمان ونصر الله وتأييده والصبر كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ لأن الإسلام لا ينتصر لا بعدده ولا بعتاده، ينتصر بالحق الذي هو موجود في قلوب أهله، وحين يتخلف هذا الحق عن قلوبهم يهزمون، الصحابة على علو قدرهم ومنزلتهم حين أعجبوا بكثرتهم يوم حنين غلبوا وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمّ وَلّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا

وَعَذّبَ الذِينَ كفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكافِرِينَ الماديون الآن والسطحيون يعتقدون أن الإسلام لا ينتصر الآن في حروبه مع الصليبين لقلة عددهم وعتادهم، والحقيقة لا نخشى القلة لا في العدد ولا في العدة بقدر ما نخشى ضعف الإيمان وضعف التوحيد في القلوب، إذا وجد هذا فلو كان ثمّ رجل واحد لا نتصر، هذا وعد من اللّه -جل وعلا-.

قال في صحيح مسلم: «ولا تزال عصابة» لا تتصور أن دعوة طلبة العلم للجهاد ونصرة المجاهدين- أن هذا يضرهم، لا، لا يضرون إلا أنفسهم، نص كلام النبي وهذا من البشائر: «ولا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق لا يضرهم من خذلهم» إشارة إلى وجود الخذلان كتهيئة للنفوس «ولا من خالفهم» إشارة إلى أناس يخالفونهم في أفعالهم وطريقتهم ومنهجهم، وأنهم لا يضرهم لا من خالفهم ولا من خذلهم، فسيروا على بركة اللّه، «لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر اللّه تبارك وتعالى وهم ظاهرون على الناس»، لفظ أبي داود «حتى يقاتل آخرهم الدجال».

الحق منصور وممتحـن	تعجـب فهذى سنة الـ
وبذاك يظهر حزبه من	ولأجل ذاك النـاس
ولأجل ذاك الحرب بين	ـكفار منذ قام الورى
لكنما العقبى لأهل	فاتت هنا كـانت لـدى

الشاهد من الآية: والله مع الصابرين بحفظه ونصره وتأييده .والله أعلم .

سؤال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ هل يوجد خلا ف حول لفظ المعية في الآية؟

المعية والعلمية مأخوذة من السمع والبصر،قال الله لهما : إنني معكما أسمع وأرى يعني أحفظكما فـ لا تخافا، فالمعية خاصة بالنصر والتأييد، فقال له الله (إنني معكما) أسمع وأرى يعني أسمع وأرى فلا تخافا، حين يريد أن يحدث بكما شراً أنتصر لكما، تأمل في المعنى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ أي أسمع وأرى فلا تخافا، بما أنني أسمع وأرى فلن يريدكما بسوء، أنا أحفظكما لأنني أسمع وأرى..

سؤال:هل المعية عامة؟

الجواب: نعم بلا شك، المعية العامة (أسمع وأرى) أن الله يسمع ويرى كل شيء حتى دبيب النمل في الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، ويرى دبيب النمل في الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

سؤال:ما علو الشرف؟

الجواب: علو الشرف، في أسمائه وصفاته، إذا كان ينكر أنواع العلو الثلاثة، ويسمى علو الصفات، وعلو الشرف غير مستوفية للأسماء والصفات، إذاً هو لا يفهم ما معنى علو الشرف؟ في أسمائه

وصفاته (واضح)، فبالتالي لابد أن نفهم، إذا فهمنا لا مانع من أن نناقش.

سؤال : البعض يقول إن المعية هي معية خاصة الخاصة.

لا ليس صحيحاً وإنما تفهم المعية على حقيقتها، ما نؤوله بالعلم نذكر قول أهل السنة، وهؤلاء لا يقولون بالطريقة الحلولية ولا الاتحادية، ولا يعبرون بالمعية الذاتية.

سؤال:هل يخلو العرش من الله حين نزوله؟

الإجابة: العلماء وأهل السنة لا يقولون -وهذه أفضل أفكارهم -لا يقولون بخلو العرش، وهذا نص كتبه الإمام أحمد في رسالته إلى مسدّد، وهذا النص ذكره ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في الفتاوى في كتاب النزول أنه ينزل ولا يخرج من عرشه لأنه لا يأتي شيء فوق الله -جل وعلا.

سؤال : هل ورد في العرش أنه سرير له قوائم ؟

ما ورد فيه إلا كلام السلف في العرش أنه سرير ، كلام للسلف في هذا الباب، وواضح من معنى العرش في اللغة، أنه له قوائم، والقوائم التي تحمله الملائكة بدليل نص القرآن وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ هو كلام السلف أصلا ً،

العرش في اللغة ما هو؟

العرش في اللغة: هو السرير الذي له قوائم، هذا لا يختلف فيه عند أهل اللغة، لكن بالنسبة لعرش الرب نقول تحمله الملائكة بنص القرآن

سؤال : هل يجوز التوسل بعلم اللّه؟

الجواب: نعم بأسماء اللّه وصفاته، فالعلم هو صفة من صفات اللّه -جل وعلا-

سؤال : هل المعية العامة معية ذاتية؟

لا غلط، ما نقول، المعية العامة معية ذاتية لأن هذا لم يرد، ولم يقل به أحد من السلف أبداً، إنما قال ابن تيمية:حق على حقيقته، فقال معية حقيقية ولم يقل معية ذاتية، ما معنى معية ذاتية؟ ليس لها معنى، ليست معية العلم، فمعية العلم ملازمة، أو المعية الحقيقية على القول الثاني هي ملازمة، لكن لا نعبر بلفظ الذاتية لأنه لم يرد ونحن نتقيد بألفاظ الكتاب والسنة، ولاسيما في باب الأسماء و الصفات الذي زلت فيه أقدام وولت أفهام حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، ولذلك نعتصم بالكتاب والسنة ونورد كلام السلف في هذا الباب، فالمعية العامة نعم دون نقاش، لكن ما نقول بلفظ الذاتية، نتجنب هذا، وإن كان بعض العلماء يقول: من لوازم (حق على حقيقته) أن نقول بالمعية الذاتية لكن نتجنب هذا؛ لأن الذي يقول معية ذاتية يمكن أن يفهم أنها

تقتضي اتحاداً وحلولا ً وامتزاجاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الحمد لله رب العالمين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في الحديث عن إثبات صفة القول والكلام لله -جل وعلا-، فإن الله -جل وعلا- يتكلم متى شاء إذا شاء ولم يزل الله -جل وعلا- موصوفاً بالكلام ، ففي الحديث: «**إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم**» ف الله -جل وعلا- وصف نفسه بذلك وهذا من صفات

الكمال ونعوت الجلال.

والله -جل وعلا- عطاؤه كلام، وعذابه كلام، قال: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وقوله -جل وعلا-: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا أي قولاً وخبرا، ومعنى هذه الآية أنه لا أحد أصدق من الله حديثا أي قولا وكلاماً ،وقد جاء في صحيح مسلم في حديث جابر قال صلى الله عليه مسلم: «فإن خير الحديث كتاب الله»

الصدق ضده الكذب، والصدق من الصفات المحمودة في الإنسان، والله أحق بذلك، فهذه الخصلة حين توجد في الإنسان يوصف بها ويثنى عليه بذلك ويحمد أمره على هذا، وكل وصف كمال في الإنسان فالله أحق به فيما جاء به النص، وإن كان بعض العلماء كابن تيمية وابن القيم يعممون هذه القاعدة، ولكن فيه نظر، إذن نتقيد بما جاء به النص ولا نعمم هذه المسألة وذلك كالعقل وأشياء كثيرة مما لم يرد بذلك نص.

وقوله وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا أي: قولاً ، قال تعالى: فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ أي: لا أحد أصدق قولاً من الله، فخبره صدق، وأمره صدق، ونهيه صدق، وحديثه صدق، وقوله صدق، فهو الحق له صفات الكمال، ومنعوت بنعوت الجلال لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ حكيم، يضع الأمور مواضعها، حميد؛ يحمد على أمره ونهيه وفعله .

وإثبات القول لله يعني: إثبات صفة الكلام، لأن الله قال: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم والخبر في البخاري: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله».

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وغيره «من يأويني من يحملني، لأبلغ كلام ربي».

وقوله -جل وعلا-: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ الشاهد: (وإذا قال الله) ففيه إثبات صفة قول القول لله -جل وعلا- ولا يختلف في ذلك أهل السنة، يثبتون القول وصفة الكلام، يثبتون المناداة (وناداهما)، ويثبتون ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله محمد ، وهذه الصفات صفات كمال لله -جل وعلا.

وقوله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ لم يقل (خلق ربك) بل قال (كلمة ربك) في قراءة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ صدقاً في القول، وعدلاً في الحكم.

وقوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ لا يختلف النحاة أنه إذا اجتمع في الجملة اسمان أحدهما فاعل والآخر مفعول به، أحدهما مقصور والآخر مظهر، أنه يقدم المظهر لئلا يوهم لبساً، إذا قيل: (محمد ومصطفى)، تقول ضرب محمدٌ مصطفى، تبدأ بالفاعل قبل المفعول لئلا يوهم لبساً، ولا سيما

إذا كان الآخر من الأسماء غير المنصرفة، فقوله -جل وعلا-: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ الله هو المُكلِم، وموسى المُكلَم، وبعض أهل البدع يقول إن موسى هو المُكلِم للرب، فلو كان الأمر كذلك لقيل (وكلم موسى ربه)، ولذلك حين ناظر بعض أهل البدع أحد أئمة أهل السنة في هذه الآية- قال المبتدع: وكلم اللهَ موسى(بنصب لفظ الجلالة) رغم أن هذا لا يصلح لغة لأن أحدهما مظهر والآخر مقصور، فلابد أن يكون هذا مقدماً على هذا.

إلا أن هذا العالم انتقل به من حجة إلى حجة قد تكون أظهر وهذا نهج أهل العلم، يؤخذ من ذلك صنيع وعمل إبراهيم، حين قال: (أنا أحيي وأميت) ما قال له أنت كذاب، لأنه حينئذ قد يلبس على البعض، بل يدعه وكذبه، وينتقل معه من حجة إلى حجة لا يستطيع معها الكذب.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ما يستطيع أن يقول أنا أتي بالشمس من المغرب فيقول له أرنا، لكن الإحياء والإماتة قد يأتي بالرجلين يذبح واحداً ويبقي واحد فيقول أحييت واحد وأمت واحد، مع أن هذا كذب وليس هذا هو الإحياء والإماتة، فلذلك قال هذا العالم هب أنى قرأت هذه الآية كما تريد فما تصنع بقول اللّه -جل وعلا- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فبهت هذا الجهمي.

وتخصيص موسى بالتكليم لا يعني أن اللّه ما

كلم غيره، فظاهر النصوص أن الله كلم آدم، وظاهر الأدلة أن الله كلم محمدا ليلة الإسراء وهذا ظاهر القرآن: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ هذا دليل أنه كلم أكثر من نبي، فتخصيص موسى بالتكليم كان كغيره من الأحاديث، كقول الرسول ﷺ: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة» لا يعني هذا أنه ليس في الأمة أمين إلا أبا عبيدة، هناك من هو أكثر أمانة من أبي عبيدة كأبي بكر مثلا ؓ، ولكن هذا التخصيص لبيان الفضل ولا يعني نفي ما عداه، فقوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ لا يعني أن الله لم يكلم غيره، ليس في الآية لا من قريب ولا من بعيد ما يفيد هذا، والأدلة الأخرى صريحة في تكليم الله -جل وعلا- لغير موسى، كقوله (منهم) ما قال منه ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ .وهذا ظاهر الأدلة.

وقوله (تكليما) تأكيده بالمصدر دليل على أن الكلام حقيقة، وفيه نفي المجاز؛ فإن العرب تعرف في لغتها أن الكلام حين يأتي تأكيده بالمصدر يُراد من ذلك الحقيقة، وأن الكلام لا يكون مجازاً حيث أكد بالمصدر فإن الله -جل وعلا- كلم موسى حقيقة، وهذا لا يختلف فيه أهل السنة وقد حكى ابن عبد البر وغيره من العلماء الاتفاق على أن الأصل في

الكلام الحقيقة دون غيرها، وقد قال في المراقي:

واللفظ محمول على الشرع إن لم يكن فمطلق العرف

فلا يجوز الانتقال من الحقيقة إلى المجاز، أو من الحقيقة اللغوية، أو من الحقيقة العرفية بدون نص أو دليل يكون أرجح، وهذا من القواعد عند أهل السنة، وهذه القاعدة متفق عليها في باب الا عتقاد، وهي أن اللفظ محمولٌ على الحقيقة

وقوله: (منهم من كلم اللّه) منهم أي من الرسل والأنبياء، فهذا فيه إثبات صفة الكلام لله -جل وعلا- وأنه كلم أكثر من رسول، وهذا من صفات الكمال لله -جل وعلا.

وقوله: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ فيه إثبات صفة الكلام لله -جل وعلا- وهذه الآية من أوضح وأقوى الأدلة في إثبات صفة الكلام لله -جل وعلا- ولا يصلح قراءة الآية (ربَه) ، والسبب في هذا أنه إذا ارتبط بالفعل ضمير لا يكون إلا مفعولا ً، ثم ارتبط بالفاعل ضمير يعود على المفعول لا يكون الفاعل إلا هو المرفوع؛ فإن الضمير في (ربه) الهاء في(ربه) تعود على موسى (رب موسى)، لا يصلح أن تقول (وضربه زيدًا)، بل تقول :(وضربه زيدٌ) لأن الفعل ارتبط بالضمير الذي هو المفعول، وحينئذ يكون الفاعل مظهراً مرفوعاً ،

والفاعل في اللغة هو الذي أوجد الفعل، والمفعول في اللغة هو الذي حلَّ فيه أو وقع عليه الشيء، يدخل في ذلك نائب الفاعل والمفعول، كقوله تعالى وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ الأنفس نائب فاعل، أُحضرت بمعنى أعطيت وهذا أفصح لغة والشح مفعول ثان لـ(أُحضرت) المتضمنة معنى (أعطي) وأما من قال : أحضر بمعنى جُبِلَ ثم أعرب الشح مفعول ثان فهذا غلط، لأن جبل لا تنصب مفعولين، وهذا غلط، هذه نعربها منصوب بنزع الخافض، نصب بنزع الخافض، إلا إذا ضمنّا أحضرت بمعنى أعطيت، وهذا الذي ذكره ابن عاشور –رحمه الله - في تفسيره وهو الصواب.

وإذا أعربنا أحضرت بمعنى جبلت –كما في كثير من التفاسير- ثم نقول الشح مفعول ثان، فهذا غلط؛ هذا لا يصح أبداً، أحد أمرين نقول أحضرت بمعنى أعطيت، إذاً مفعول ثان ، أو نقول أحضرت بمعنى جبلت فننصب الشح على أنه منصوب بنزع الخافض وهذا استطراد في الحديث عن الإعراب والمعاني في كلام الله -جل وعلا-،وهو استطراد قد يدل المعنى عليه.

(منهم من كلم الله) ولا يصح أن تقرأ (كلم اللهَ) [بالنصب] يعني هو كلم اللهَ لأن هذا باطل شرعاً وباطل عقلاً ، فالله هو الذي يكلمهم وهم الذين يدعونه ويسألونه وفي نفس الوقت يسمعهم

ويجيبهم ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ وفي نفس الوقت يقين المعنى (هم كلموا الله) إذا لماذا خصص لبعضهم ، وكلهم متفقون على دعاء الله وعلى سؤاله وعلى طلبه.

فقوله -جل وعلا- ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ فقدم ذات القول والكلام والمناداة لله -جل وعلا- فالله -جل وعلا- ينادي وبالصوت باتفاق أهل السنة، قال صلى الله عليه وسلم: «**يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب**»

وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ فيه إثبات صفة المناداة لله -جل وعلا-، لذلك ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ ، وهذا يدل دلالة واضحة على إثبات صفة المناداة لله -جل وعلا-، وهذا يعني إثبات صفة القول والكلام لله -جل وعلا- فنثبت لله ذلك إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل لأن الله جل وعلا ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته و لا في أفعاله وقد أنكر ذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم، فمنهم من قال بأن هذا مجاز، ومنهم من قال بأن هذا عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله، وهذا يعني أن الله -جل وعلا- يلهم الرسل إلهاماً، ولا يخاطبهم، وهذا في الحقيقة إبطال لحقيقة الرسل، وأنهم لا يخاطبون ولا يكلمون، يخلق فيهم الخير خلقاً، وتخلق فيهم الأوامر و النواهي خلقاً، وهذا باطل شرعاً وعقلاً ً ،وهذا

الحقيقة يقتضي إبطال حقيقة دعوة الرسل، وهذا يعني أن كل شخص يقول خلق فيه الخير ويقول (أنا رسول)، لأنه ما أوحي إليه، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فبالتالي الرسالة لا تكون إلا ب الوحي، فهذا حينما يدعي بأن الله لا يتكلم وبأنه يخلق الخير، إذن يتشكك فيما خلق الله؛ إذاً كيف نميز بين الرسول حقيقة وبين المبطل حقيقة، كل منهما يدعي بأنه قد خلق فيه الخير، ولكن ماذا ق ال ورقة للنبي في الحديث في الصحيحين: **«هذا الناموس الذي يأتي وما بعث الله نبياً ولا رسولا ً إلا أتاه هذا»**، فهذا متفق عليه في كل الشرائع في كل الرسالات، وهذا أمر أجمع عليه العلماء واتفقت عليه الشرائع كلها، ودلّ عليه العقل والنقل، ولذلك قول الله تعالى: **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا** ، لا تتأتى الرسالة إلا بثلاثة أمور وقد توجد كلها في رسول: تارة يكلمه، وتارة يرسل إليه رسولا ً، لكن نجعل كلام الله مخلوقاً، وأن الله -جل وع لا- يخلقه في قلب العبد، فهذا باطل، ويقتضي إنكار رسالات الرسل، وحينئذ لا نميز بين الرسول الصادق وبين الرسول الكذاب لأنه لن يوحى إليه شيء.

وقوله جل وعلا **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ** (أحد) فاعل مقدم، أي وإن استجارك أحد، **فَأَجِرْهُ** أي إن طلب منك المشرك أن تؤمنه حتى يسمع كلام الله فلا حرج رجاء إسلامه، و

الشاهد من سياق الآية حَتّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ لإ ثبات صفة الكلام لله -جل وعلا- وأن الكلام حقيقة ، وهذا لا يختلف فيه أهل السنة -رحمهم الله.

تقدم إثبات القول فَالحَقُ وَالحَقّ أقُولُ المناداة وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ، لإثبات صفة الكلام حَتّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ و وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ، والله -جل وعلا- يتكلم متى شاء إذا شاء فهو موصوف بالكلام والكلام صفة كمال.

وقوله -جل وعلا- وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ولم يقل خلق الله، فقول الأ شاعرة والكلابية وغيرهم أن الكلام عبارة أو حكاية عن كلام الله هذا كله باطل ، بقي قول بعض أهل السنة حين يكون كلام الله فيما يحكي عن غيره، فإذا قال الله حكاية عن فلان، هذا ليس فيه ارتباط بمذهب الأشاعرة لا من قريب ولا من بعيد، يصرف النظر عن صحة اللفظ أو غلطه، هذا ليس له ارتباط بمذهب الأشاعرة، لأن الأشاعرة يقولون عن كلام الله كله بأنه حكاية ، عبارة، ومآل هذا وذاك إلى القول بخلق القرآن ،لكن حين يقول العالم: (قال الله حكاية) بمعنى أنه ينقل ويحكي عن غيره ولم يرد في كلام ابن القيم وذكره البخاري في صحيحه وكل أهل السنة يعبرون بذلك ، وعلى كل بصرف النظر عن صحة هذا اللفظ من عدمه لو قيل قال الله عن فلان تحاشياً للفظ، ليس لغلط اللفظ لكن بقدر ما يمكن هناك أناس لا

يفهمونه، وإلا فاللفظ في معناه صحيح، هذا أفضل.

وقوله -جل وعلا- يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ والعجيب أن النبي حين خاطب المشركين بكلام الله لم يعترض عليه أحد منهم بأن الله لا يتكلم، وهذا نظير قول إبراهيم لأبيه يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ لم يعترض عليه بأن ربك أيضاً لا يسمع ولا يبصر، بل آمن آزر بأن الله يسمع ويبصر لأنه لم يعترض على إبراهيم وفي نفس الوقت آمن كفار قريش بأن الله يتكلم لأنهم لم يكونوا يعترضون على ذلك، ولذلك حين كتب النبي (بسم الله الرحمن) اعترضوا على الرحمن فالذي لا يعجبهم يعترضون عليه، ولم يعترضوا على إثبات كلام الله -جل وعلا-، لأنهم يعلمون أن الرسالة لا تتم إلا بالكلام ولكن ينكرون أن يكون الله قد خاطب محمداً ولا ينكرون صفة الكلام، ولذلك عقول بعض الكفار أكمل من عقول الجهمية والمعتزلة وكثيرًا من غلاة الأشاعرة.

وقوله -جل وعلا- وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ فيه إثبات صفة الكلام إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فقوله (هذا القرآن يقص) في جواز نسبة القصص للقرآن ،لكن لا حرج في تعابير العلماء (قال القرآن)، (تحدث القرآن)، (تكلم القرآن) يستدل لكلامهم بهذه الآية، فمن زعم أن هذا غلط

وأن هذا يكون فيه ارتباط بمذهب الجهمية الذين ينفون الكلام عن الله، فقد غلط هو وما فهم، هذا ا لأسلوب كان العلماء يستعملونه، وهذا ليس فيه ارتباط بالجهمية، لأن الجهمية ينكرون كلام الله ما ينسبون الكلام للقرآن، وأيضاً لا يثبتون نسبة كلام الله، يقولون تحدث القرآن، من الذي تحدث بالقرآن ؟ هو الله، إذاً ليس هناك ارتباط بمذهب الجهمية ، ودل على ذلك الآية (هذا القرآن يقص) هل القرآن يقص أو أن الله تكلم في القرآن وذكر فيه القصص ؟

وقوله -جل وعلا- وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فيها الإنزال، وأن القرآن منزل، ولا يختلف أهل السنة في أن القرآن منزل غير مخلوق، وفيها أن القرآن مبارك، قال الله تعالى: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فإن الله -جل وعلا- يجعل في الجمادات إحساسات، وفيه إنزال القرآن، وأن الله تكلم فيه حقيقة، وفيه الرد على الجهمية والمعتزلة والأ شاعرة.

نكمل إن شاء الله الأدلة غداً في إثبات كلام الله -جل وعلا- وأن الله جل وعلا تكلم بهذا القرآن حقيقة، وأن القرآن كلام الله -جل وعلا- وأن الكلام يضاف لمن قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً.

أسئلة:

سؤال: في قوله تعالى لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

قلتم: فيه إن الله يجعل في هذه الجمادات إحساسات، أليست الجمادات فيها إحساسات ابتداء بدليل أنها تسبح فهل تظهر هذه الإحساسات أحيانا؟

الإجابة: إحساس نسبي بدليل قول الله تعالى لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ يدل على أنه لو أنزله لتصدع من خشية الله -جل وعلا-، ولذلك سمع النبي تسبيح الطعام ،وحنين الجذع، فهذا ضعف وبده، فالله تعالى قد يجعل في الجمادات إحساسات فيسمع أنها تسبح وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولكن الإحساس ليس بكل شيء؛ فالله جعل في الجدار إحساساً جداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ، جعل في الجذع حنيناً، لكن هل كل جذع يحن؟ لا.

سؤال: (أليست نسبة القص إلى القرآن نفياً للصفة؟)

الإجابة: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ الله -جل وعلا- نسب القصص إلى القرآن مع أن الذي قصّ هو الله، لأنه تكلم بالقرآن، وأسند صفة القص للقرآن، فحينما تقول (تحدث القرآن) لا تقصد نفي كلام الله كما يتصور البعض لأن بعض التفاسير الأدبية تعبر (تحدث القرآن)، (نزل القرآن)، (قال القرآن)، (القرآن يقول) بعض العلماء يعترضون على هذا ، على أنه كقول الجهمية، وهذا غير صحيح، وحتى لو كان غلطاً فليس من أقوال الجهمية لا من قريب ولا من بعيد، الجهمية ينفون كلام الله أصلاً ، ولا

يثبتونه أصلا ً، وهذا لا ينفي كلام الله إنما يشير إلى القرآن تحدث أي بمعنى أن الله قال في القرآن ، الذي يتحدث القرآن عن هذا الموضوع وليس المقصود نسبة الحديث للقرآن بدليل هذه الآية إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ نسبت القصص للقرآن ، هل هذا القرآن يقص أو أن الله هو الذي قص؟ فهذا يعني إشارة إلى الجواز، لكن العلماء حتى وإن كانوا غلطوا فهذا الحقيقة اجتهاد من اجتهادهم، لكن الغلط أن ينسب هذا إلى قول الجهمية، هذا ليس من قول الجهمية لا من قريب ولا من بعيد.

...

سؤال: يقال إن قوله تعالى إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ فيه مجاز؟

الإجابة: لا ما فيه مجاز، لأن المجاز هو الذي ليس له حقيقة، القرآن هو الذي يقص، لكن الذي يتكلم بالقرآن من هو؟ بمعنى موجودة ومكتوبة،الآن أنت تقول هذا القرآن، هذا قرآن ولكن إذا قيل: (تحدث القرآن) هل القرآن يتحدث؟ الله -جل وعلا - هو الذي يخاطب العباد وهو الذي يتكلم وهو الذي يقول وهو الذي ينادي، فهذا القرآن كله كلام الله حقيقة، حين تقول تحدث القرآن بمعنى: جاء في القرآن، هذا قصده، يعني جاء في القرآن الذي تكلم الله به، هذا معناه، وبالتالي هنا لا يرتبط بقول الجهمية لا من قريب ولا من بعيد بصرف النظر عن قول البعض: نتحاشى اللفظ، نعم هذا حقك، يتحاشى الإنسان ويعبر بلفظ واضح لا لبس فيه،

لكن ليس من قول الجهمية لا من قريب ولا من بعيد، من قال ذلك ما يفهم المعنى أصلا ً.

سؤال: ما صحة قولنا: قال الله على لسان فلان ؟

الإجابة: تقول قال الله عن موسى ، قال الله عن إبراهيم وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ؟

سؤال: ما معنى قول الأشاعرة: الكلام معنى واحد في الأزل؟

الإجابة: الأشاعرة يقولون معنى واحد في الأزل بمعنى أن الله -جل وعلا- لم يتكلم به، وبمعنى أن الله خلق العقل الفعال، والعقل الفعال يعبرون عنه بجبريل، ثم جبريل يبلغه بما خُلق في العقل الفعال، فهو ما يتجدد، من أهل السنة من يقول حادث النوع، أو أول النوع ، يعبرون بحادث النوع متجدد العهد بمعنى: يتكلم الله متى شاء إذا شاء، لكن معنى أن يتكلم به جملة واحدة، ثم بعد ذلك يتنزل به حسب التفاصيل ، هذا غلط ، لكن يتكلم الله متى شاء إذا شاء على حسب وقوع الحوادث كقول الله -جل وعلا- قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ

فالجهمية يحتجون بما ذكره ابن عباس:«نزل القرآن جملة واحدة»، يحتجون بهذا الأثر، يقولون بأن الله إذن أوجد وخلق قبل وجود الحوادث أصلا ً، والجواب على أثر ابن عباس له وجوه:

الوجه الأول: إسناده صحيح لا غبار عليه ، فبعض علماء الأمة يشككون في إسناده وهذا غلط،

ما نرد الباطل بباطل آخر فنضعف الأسانيد بالهوى، لا، الإسناد صحيح لا غبار عليه.

الوجه الثاني: أن معنى قول ابن عباس نزل جملة واحدة، أي فيما تكلم الله به من أحكام الرسل وقصص الأنبياء ، وما جرى للأمم السابقة، هذا تكلم الله به ،ونزل جملة واحدة ، وهذا لا إشكال فيه.

الوجه الثالث: أن الأدلة صريحة وتوضح أثر ابن عباس أن الله -جل وعلا- يتكلم متى شاء إذا شاء فكلامه أول النوع حادث الآحاد ، كقوله تعالى: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ تقول عائشة: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فقد جاءت المجادلة إلى رسول الله تجادل في زوجها وما أسمع صوتها فسمع الله شكواها من فوق سبع سماوات» علقه البخاري وغيره، وإسناده صحيح.

فهذا نص صريح بأن الله -جل وعلا- سمع شكواها وتكلم في الحادثة ، وأنه ليس معناه أن الله خلق من قبل، ثم أنزل على حسب قولهم، هذا باطل، وأثر عائشة يرده وغير ذلك من الأدلة الواردة في هذا الباب.

سؤال: بعضهم يقول قديم النوع له أصل ؟

الإجابة: (قديم النوع) نعم قاله أهل السنة ، لكن نعبر أحسن بـ (أول النوع) نستبدل الأول بقديم؛ أول النوع، حديث الآحاد ، فلفظ أول جاء في القرآن، بخلاف لفظ قديم لم يرد في الكتاب ولا

في السنة، فنعبر بأول الذي جاء ولا نعبر بالقديم.
سؤال: أهل السنة يكفرون الأشاعرة ؟
الإجابة: لا أهل السنة لا يكفرون الأشاعرة، يكفرون الجهمية ، يكفرون النوع ولا يكفرون العين إلا من قامت عليه الحجة وانتفت عنه الشبهة، وحكى ابن تيمية إجماعاً في هذه المسألة ، وأنكر ابن تيمية على من زعم أنه يكفر بالأعيان لا بالأ نواع، بل نكفر من قامت عليه الحجة ، وانتفت عنه الشبهة، أما الأشاعرة فأهل السنة لا يكفرونهم، نعم وجد من كفرهم كما ذكر ذلك الهروي في ذم الكلام، لكن المذهب المعمول به عند أهل السنة، وهو الذي حكاه بعض العلماء اتفاقا لأهل السنة : أنهم لا يكفرونهم لقوة شبههم وأنها أقوى من شبه الجهمية وأقوى من شبه المعتزلة.
ولكنهم قامت عليهم الحجة ، وانتفت عنه الشبهة ، تذكرون أن الأشاعرة ينكرون العلو ويقولون عن القرآن بأنه مخلوق، ولا يثبتون لله إلا سبع صفات، فمن قامت عليه الحجة وانتفت عنه الشبهة، فأي نعم قد يكفر هذا.
سؤال: (غير واضح)
الإجابة: نعم، نقول إن الله مثلا ً خلق الملا ئكة، ونقيس فنقول إن الملائكة خلقوا كما أنزلوا، الملائكة ينزلون على حسب الحاجة ، وهذا باب آخر، ولفظة إنزال ليست هي الدليل الوحيد في قضية أنه غير مخلوق، إنما هي من الأدلة التابعة، والأدلة التابعة لا يلزم أن يستدل بها، نستدل ب

الدليل الذي لا يختلجه معارض؛ إلا إذا كان يثار دائما فلا حرج، وإن وجد معارض، لكن هناك أدلة لا يوجد لها معارض كقول الله -جل وعلا- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، فهذا لا يختلجه معارض، فحين تأتي الأدلة التي قد تجد لها معارض ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ الكتاب أنزله الله، فبالتالي الأدلة التي يرد لها معارض تكون تبعاً ليست بأصل. هذا أمر.

الأمر الثاني: أننا حين نقول بذلك: أنه خلق لما أنزل، معنى هذا كيف يقال (قد سمع)، لماذا يقال (قد خلق الله)؟ هنا الله يقول (قد سمع) (والله يسمع تحاوركما) إذاً لما سمع تكلم، وخاطب نبيه بما سمع، هل يقال بأنه خلق من قبل، هذا باطل لأ ن القرآن صريح يرد هذا المعنى.

سؤال: ماذا يترتب على القول بأن القرآن مخلوق في باب الصفات؟

الشيخ: من قال بأن القرآن مخلوق يلزم من ذلك أن صفة من صفات الله مخلوقة؛ **الإمام مالك يقول: من قال بأن بعض صفات الله مخلوقة فإنه كافر مرتد عن الدين**، من قال بأن القرآن مخلوق يعني هذا بأنه ينفي صفة عن الله وأن الله لم يتكلم، ومن قال بأن الله لم يتكلم فهو شبه الله بـ الجمادات والمعدودات ووصف الله بالخرس؛ تعالى الله عن قوله علواً كبيراً، فهذا الذي قال بأن القرآن مخلوق يقتضي عدة محاذير في وصف الله أو نفي صفة الكلام عن الله :

المحذور الأول : وصف الله بالخرس؛ تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

الأمر الثاني: إنكار الرسل.

الأمر الثالث: أن شيئاً من الله مخلوق وهذا يقتضي أن الله مخلوق أيضاً، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً. وهذا كفر في ذاته ، وردة عن دين الله –جل وعلا.

الأمر الرابع: أن هذا تنقص لله -جل وعلا.

الأمر الخامس: إنكار الحقائق والاعتياض عنها بالمجاز أو غير ذلك.

هذه كلها محاذير في القول بأن سمع الله مخلوق، أو أن القرآن مخلوق.

سؤال: (حول الاستدلال حديث عن ابن عباس :«نزل القرآن جملة واحدة») ؟

الشيخ : .. ومعنى قوله -كم تقدم-فيما تكلم الله به من أخبار الرسل والوقائع وما جرى على الأمم السابقة، هناك قضايا ما تكلم الله بها لأنها ما حدثت ،وهذا معنى كلام أهل السنة أول النوع حادث الآحاد.

ما معنى حادث الآحاد؟ أن يكون الكلام على حسب الوقائع. فإن الله موصوف بالكلام في الأصل، ولكن تكلم في هذا حين وجد **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ** فأنزل الله هذه الآية أيضاً على محمد **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ** أوحى الله إليه بذلك،

إتمَا أمْرُهُ إذَا أرَادَ شَيْئًا أنْ يَقولَ لهُ كُنْ فَيَكُونُ ؛ أن يقول له كن إذا أراد شيئاً، تأمل المعنى كأن الكلام مربوط بإذا أراد الشيء إتمَا أمْرُهُ إذَا أرَادَ شَيْئًا أنْ يَقولَ لهُ كُنْ فَيَكُونُ ، مَا مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ هذا مثلا ً قاله قبل أن يأمر بالسجود، وقبل أن يمتنع؛ هذا باطل، وبالتالي هذه الآية صريحة ومن الأدلة التي توضع في هذا الباب.

سؤال: ماذا عن القول بأن الله حكى لنا في كتابه ؟

الإجابة: القول بأن الله حكى لنا في كتابه هذا في الحقيقة يجتنب، وهو ليس من قول الأشاعرة؛ لأن قول الأشاعرة بمعنى أن القرآن مخلوق كقول الكلابية والماتريدية ،أما إذا قال: حكى الله في كتابه، فهو يعني: قال الله في كتابه، لكن عبّر بالحكي الذي هو مشتق من الحكاية، ولكن نقول يجتنب هذا اللفظ اتقاءً للذين لا يفهمون، وبالتالي نبتعد عن ذلك ولا نعبر به أبداً.

سؤال: ما صحة حديث «يضحك الله.....» ؟

الإجابة: نعم ، الضحك ثبت لله تعالى، والحديث في الصحيحين كقول الرسول : «يضحك الله إلى رجلين» وهذا متفق على صحته، ويأتي إن شاء الله الحديث عن إثبات صفة الضحك وما يتعلق بذلك، لكن هذه الصفة ثابتة لله -جل وعلا- وهو من الصفات الفعلية.

سؤال: مثل هؤلاء الكلابية وغيرهم ،هل يمنعهم الهوى عن إظهار الحق ؟

الإجابة: هذا يختلف بالنسبة للأشاعرة و الكلا بية، هل الحامل لهم على إنكار صفات لله -جل وعلا- وإنكار العلو- هو الهوى ، أو الحامل لهم التأويل الباطل.

والصحيح حقيقة أن فيهم من حمله الهوى وأنكر، ودل على هذا مناظرات أهل السنة معهم، يعني لا ترى لهم وجهاً واضحاً لا من لغة ولا من أدلة الكتاب والسنة ، ولكن في الحقيقة بعض أكابرهم وبعض مشاهيرهم الذي حملهم على ذلك هو الاجتهاد، ولذلك أهل السنة يلتمسون لهم المعاذير، فمثلا ً لا نظن بالحافظ ابن حجر ولا با النووي ولا بالعز بن عبد السلام، ولا ابن حزم، هؤلا ء أئمة هدى ولا يزال أهل السنة يعتمدون على كتبهم وأقوالهم وأفعالهم، ويعتمدون على آرائهم فا الحامل لهؤلاء التأويل، وفي نفس الوقت نبين خطأهم وضلالهم في هذا الباب ونلتمس لهم العذر، فالتماس العذر لا يعني السكوت على الغلط ولكن هؤلاء أئمة مجتهدون، اجتهدوا وأرادوا خيراً ولم يصيبوا الخير، فمثل هؤلاء في الحقيقة نظن بهم خيراً، ونلتمس لهم المعاذير ولكن يبقى أن الغلط غلط ، ولا يتحول الغلط إلى صواب باعتبار جلالة قدر قائله وعظيم منزلته عند أهل العلم -رحمهم الله تعالى.

نعم فيهم طوائف الحامل لهم على ذلك الهوى والضلال والانحراف، وفيهم طوائف الحامل لهم على ذاك التأويل، وربما ما وجد من يوضح لهم

أكثر وأكثر، يدل على ذلك أن أبا الحسن الأشعري -رحمه الله- حين تبين له الحق رجع عن مذهب المعتزلة إلى أهل السنة، ولكن بقيت عنده بقية من أصول الأشاعرة، وأنا أعتقد أنه لو أمد الله في عمره لرجع عنها؛ لأنه يبحث عن الحق، ومعروف أنه حين رجع وأعلن توبته على الملأ ما رجع عن كل شيء ظناً منه أن هذا هو مذهب أهل السنة.

وقد جعل ابن حزم -رحمه الله- في عدة من كتبه، وبالذات (الملل والنحل) يحكي بعض مذاهب المعتزلة ومذاهب أهل البدع، ويقول: هذا مذهب الإمام أحمد، وهذا واضح جداً أنه يريد الصواب والحق ، ويظن أن هذا مذهب الإمام أحمد ، فبالتالي هو يقلده في هذا المذهب، ولذلك ابن تيمية عابه في أنه يقلد في العقائد، ولا يقلد في الفقهيات ، أتصور أن ابن حزم لو تجرد وبحث الحق متجرداً كما يبحث الحق متجرداً في الفقهيات لوصل إلى الصواب، أكثر من وصوله إلى الصواب بتقليد مذهب أحمد، ولا سيما أن بعض الطوائف ينتسبون إلى أحمد، ويخرجون على أحمد كابن الجوزي مع الإيضاح بأن ابن الجوزي ليس هو ابن القيم، ابن الجوزي متقدم على ابن القيم بأكثر من مائة عام، فابن الجوزي -رحمه الله تعالى- يعتقد بأنه على مذهب أحمد ويأتي بالباطل و التحريف وأقاويل أهل البدع وأهل الضلال، اعتباراً بأنه على مذهب أحمد وألف كتاباً اسمه (نفي شبه التشبيه) ...، وينسبه إلى أحمد، وهذا غلط، فهي

أقاويل من أقاويل أهل البدع وأهل الضلال، وقد يورد بعض الأقاويل أحمد مما يفهمه غلطاً، ولا يفهمه على وجهه الصحيح.

الشاهد أن بعض العلماء يأتون بالباطل يدعون أنه للإمام أحمد بالباطل، ولكن ليس بمذهب أحمد، وهكذا صنع أبو يعلى، وصنع طوائف من المنسوبين إلى المذهب الحنبلي ويأتون بالبدع على اعتبار أنه من مذهب أحمد.

سؤال: يقول البعض إن حديث نزول الله في الثلث الأخير من الليل يعني أن الله يظل نازلا ً على ظهر الأرض، فكيف نرد على ذلك ؟

الإجابة: يعني الأخ يقول: ينزل ربنا في ثلث الليل، ومعلوم أن ثلث الليل قد يكون عندنا فينزل الرب ،ثم حين يمضي الثلث عندنا يكون الثلث الآ خر عند جهة أخرى، وهذا يعني أن الله لا يزال ناز لا ً ، لأن كل طائفة وكل بلد يكون عنده ثلث الليل، طبعاً العلماء أجابوا عن هذا بلا شك ، فما من شيء إلا وعنه جواب، **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** لكن ابن رجب في فضل العلم يرى أن هذا السؤال مبتدع ،وأنه لا يستحق جواباً وأننا نعتقد بأن لله ينزل وأننا نكتفي بذلك ولا نورد هذه الإيرادات، هذا ما أورده الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى- في فضل علم السلف على علم الخلف، وذم هذا السؤال وتكلم عن هذا الموضوع.

أما شيخ الإسلام وغيره من العلماء فقالوا: نعم

نقول باللفظ، والحديث الثابت المتواتر في الصحيحين: «ينزل ربنا......» من كان عندهم الثلث فإن الله ينزل عليهم ، وهذا نؤمن به وإلى هذا الحد نقف، لا نقول بأن الله لا يزال نازلا ً، هذا لفظ مبتدع ،لكن نقول بأن من كان عندهم الثلث فإن الله ينزل عليهم، هذا الذي نقول به، للفظ الحديث المتفق على صحته وهو متواتر: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**».

السؤال: (كيف يأتي القرآن شفيعا لأصحابه) ؟

الإجابة: هذا في الأدلة التي أوردتها ، لكن هنا أن الله -جل وعلا- يُمكِّن من هذا، والنبي قال: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**» «**اقرءوا البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غيايتان**» منهم من قال غيايتان أي يأتي ثوابهما، وهذا أنكره الإمام أحمد وغيره من العلماء، ومن العلماء من قال تأتيان يوم القيامة أي على الحقيقة، لأنه لا يجوز أن نخرج النص عن حقيقته.

سؤال: ابن القيم وغيره يرون أن كل صفة مدح للمخلوق فإن لله الكمال منها، ألا يشفع لهذا أن الصفات المكروهة مثل الكيد والكره إذا كانت في مقابل صفات أيضاً عند المخلوق، إذا كان إنسان يكيد أو فيه صفة الكيد فإنها محمولة .... ؟

الإجابة: في الصفات ذات التقابل ما قال هذا

ابن تيمية، ابن تيمية يقول: (كل صفة مدح وكمال تكون صفة كمال للمخلوق، فالله موصوف بها حقاً) أنا أقول هذه القاعدة غير صحيحة، غير صحيحة على إطلاقها إلا ما جاء به النص، بدليل أن العقل صفة كمال في المخلوق؛ هل نصف الله بذلك؟ طبعاً دعك مما هو صفة كمال في المخلوق لا في الخالق، ونفاها الله عن نفسه كقوله لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ هذا نفاه عن نفسه، لكن مما لم يرد نفيه كالعقل، هل نثبته لله؟ الذي ثبت عن أهل السنة أن الله لا يسمى ولا يوصف إلا بما سمى ووصف به نفسه، لا نتجاوز القرآن والسنة حتى لا نقع في بدعة ، فنقول إن ما وصف الله به نفسه هو صفة الكمال ولا نربط ذلك بصفات المخلوق، لأنه قد يكون صفة مدح في المخلوق كالعقل، ولا تكون صفة كمال لله ؛ لأن هذا لم يرد به النص، فهذا لا نثبته ولا ننفيه فلذلك القاعدة الأحسن يقال فيها (كل صفة مدح في المخلوق والله موصوف بها فهي كمال في حق الله) هذا القول نجعله قاعدة.

سؤال: ما السنن الواردة في نزول المطر؟

الإجابة: ما وردت سنن كثيرة في نزول المطر، إنما ورد عن النبي أنه حين نزل قال:«اللهم صيباً نافعاً » وحسر عن رأسه ،هذه السنن الثابتة عن النبي عند نزول المطر، أما الدعاء فلا يوجد فيه نص ، وقد يفهم من "اللهم صيبا" أن الدعاء يشرع عند نزول المطر.

سؤال: الأحاديث الواردة في صيام يوم

الخميس مدى صحتها ؟
الإجابة: الأحاديث في صيام يوم الخميس معلولة ولم يثبت في ذلك شيء، فالثابت في يوم الاثنين وأما الحديث المشهور «تعرض الأعمال على الله في كل يوم اثنين وخميس، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم » هذا ضعيف، والمحفوظ في يوم الاثنين وليس بمحفوظ في يوم الخميس، ولكن ثبت أن الأعمال تعرض على الله في كل اثنين وخميس والزيادة "وأحب أن يعرض ..." شاذة ، ولذلك عندما نرى عالماً تفقهاً قال باستحباب صيام يوم الخميس قد يكون له وجه، لأنه يوم تعرض فيه الأعمال على الله لكن ليس هذا بمستحب بمعنى : مسنون ورد به النص.
سؤال: هل يصح القياس في الأسماء والصفات ؟

القياس ما يصح في الأسماء والصفات أبداً ، حتى المرادف ،بل نقتصر على اللفظ .
سؤال: عن قول "لا تحزن إن الله معنا" .؟
الإجابة: نعم هذا قول النبي لأبي بكر، الله قاله عن الرسول حين كان في الغار، النبي يقول لأبي بكر لَا تحْزَنْ إنّ اللهَ مَعَنَا فأخبر الله إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تحْزَنْ إنّ اللهَ مَعَنَا نص القرآن إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ هذا من أعظم الأدلة على كفر الروافض، إذ ينكرون صحبة أبي بكر ويلعنونه ويزعمون ردته، والله يقول إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تحْزَنْ إنّ اللهَ مَعَنَا ، الله معه وهؤلاء يقولون لا

إنه مرتد وكافر ، ولذلك **أجمع العلماء على أن من أنكر صحبة أبي بكر أنه كافر** ؛ لأنه مكذب للقرآن ، والروافض يكذبون بما هو أعظم من هذا، هؤلاء الشياطين، ولذلك النبي يقول: «**يا ابن الخطاب ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غيره**» الروافض يهربون حتى من ذكر اسم عمر،أهل السنة ولله الحمد يحترمون أهل البيت ليس كما يدعي الرافضة، يسمون أكثر أسماء أهل السنة (علي) يحترمون هذا البيت ويقدرونه حق قدره، الرافضة لا يسمون بعمر بغضاً لعمر حتى لو أن فيهم رجلا ً تسمّى بعمر هجروه، فهؤلاء شياطين يهربون حتى من اسم عمر.

سؤال: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** هل تعني أنه نزل كله ليلة القدر ؟

الإجابة: (إنا أنزلناه) ابتداء الإنزال، **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** أي ابتداء الإنزال في ليلة القدر، ليس معنى (أنزلناه) أنزلناه كله لأن الكل قد يطلق على البعض، هذا معروف في الأسلوب العربي، كقول الله -جل وعلا- **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ، هل كل اليهود قالوا وهل كل النصارى قالوا ؟ لا، **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ** هل كل الناس قالوا؟، **تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** هل تدمر كل شيء؟ لا

سؤال: قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قضاء الحاجة: وعن أنس بن مالك قال: (كان النبي إذا دخل الخلاء وضع خاتمه) أخرجه الأ

أربعة ، وهو معلول.؟
الإجابة: هذا الحديث منكر، حديث أنس إن الرسول كان إذا دخل الخلاء وضع خاتمه، وقد أعله أبو داود وغيره من العلماء.
سؤال: وعنه كان صلى الله عليه وسلم يقول إذا دخل الخلاء قال: « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» أخرجه السبعة.
الشيخ:الخُبُث: ذكور الشياطين.
الخبائث:إناثهم
وقال في رواية: إذا دخل الخلاء قال:"بسم الله ، اللهم إني أعوذ بك من الخبث" وهذه رواية شاذة والتسمية شاذة ولم يثبت في دخول الخلاء حديث إلا «اللهم إني أعوذ بك من الخبث و الخبائث» والتسمية ضعيفة، في الخروج «غفرانك» لا بأس بإسناده، وما عدا ذلك كله ضعيف.
السائل : طبعًا يراد بالدخول :إرادة الدخول.
الشيخ : نعم كقول الله جل وعلا فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ أي: إذا أردت قراءة القرآن.
السائل: وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام نحوي إداوة من ماء وعنزة فيستنجي بالماء. متفق عليه
الشيخ : الإداوة هي الإناء الصغير.
والعنزة: عكازة.
السائل :وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ق

ال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ الإ داوة فانطلق حتى توارى عني فقضى حاجته. متفق عليه

الشيخ: هذا التواري نوعان الأول وهذا واجب في الغائط لأنه يحتاج إلى كشف عورة، وفي البول مستحب فلو بال بقرب أصحابه دون أن يتوارى عنهم لا بأس به، لأنه يستطيع أن يبول دون أن يكشف عورته .

سؤال: وعن أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم: « **اتقوا اللاعنين الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظل** » رواه مسلم . زاد أبو داود عن معاذ « **والموارد**».

الإجابة: زيادة أبي داود وما بعدها زيادة أحمد عن ابن عباس وعند الطبراني، هذه كلها روايات ضعيفة لم يثبت إلا حديث أبي هريرة: «اتقوا اللاعنين» اتقوا الأ مرين الجالبين للعن، الذي يتخلي في طريق الناس (يتغوط)، أو في ظل أماكن مستظلاتهم، فإن هذا ملعون لكلام النبي : «**اتقوا اللاعنين**»، الأمرين الجالبين للعن، وقيل إن (اتقوا اللاعنين) أي الأمرين المستحقين للعن، ، فيختلف هذا عن هذا، إذا قلنا (اتقوا اللاعنين) أي الأمرين الجالبين) للعن إذاً ليس بملعون، وإذا قلنا (اتقوا اللاعنين) أي الأمرين المستحقين للعن إذاً هو ملعون.

بعد أن انتهى رحمه الله تعالى من ذكر الأدلة القرآنية على إثبات أسماء الله وصفاته، شرع

يتحدث عن الأصل الثانى، والأدلة الواردة فى سنة رسول الله على ذلك؛ لبيان أن أهل العلم وأهل السنة يحتجون بإثبات الأسماء والصفات على الكتاب والسنة؛ لا يخرجون عن ذلك، لا يتجاوزون ما أمر الله به، ولا يقعون فيما نهى الله عنه.

قال رحمه الله تعالى فى السنة: (ثم فى سنة رسول الله): السنة المقصود بها هنا: ما تقابل القرآن؛ المقصود بالسنة هنا ما يقابل القرآن؛ لأن السنة تطلق على عدة معانٍ؛ تارة على ما يثاب فاعله ولا يعاقب تارك؛ تارة تطلق على الفرض؛ تارة تطلق على ما هو أعم من هذا؛ وتارة تطلق السنة على ما يقابل القرآن،

وأهل العلم حين يقولون: (جاء فى كتب السنة) يقصدون هذا المعنى، وقد جرت عادة الأئمة فى مؤلفاتهم العقدية، يسمون ذلك كتب السنة؛ فالسنة تفسر القرآن؛ أى ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح؛ تفسر القرآن؛ لأن القرآن حمالٌ للوجوه، والسنة تبين هذا.

وقد كان أهل السنة يوصون بمناظرة أهل البدع فى السنة، وغالب أهل البدع فى بدعهم ينزعون بالقرآن ما لا ينزعون بالسنة؛ فحين ننظر مثلا ً فى الجهمية والمعتزلة والأ ِشاعرة فى

نفى صفة الساق عن الله وتفسير ذلك بالشدة- يحتجون بالقرآن: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، وحين ننظر فى السنة فهى صريحة فى هذا الباب، ولكنهم لا يأخذون بالسنة؛ فالقرآن حمال للوجوه، و السنة تفسره وتبينه وتوضحه وتعبر عنه.

ولذلك حكى السيوطى رحمه الله فى مقدمة كتابه (مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة)- الإ جماع على كفر من قال: (نأخذ بالقرآن، ولا نأخذ ب السنة).

والطوائف فى هذا كثيرون، وقد أخبر النبى عن ظهور هؤلاء؛ يقول: «لأجدن أحدكم متكئًا على أريكته يقول: ما جاءنا من كتاب الله أخذناه»؛ ولذلك قال : «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله». وفى رواية: «وسنتى». و اللفظ الأول هو المحفوظ، والكتاب أمَرَ بطاعة الرسول : وَمَا آتَاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرّسُولَ ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ ... وغير ذلك من الأدلة الدالة على طاعة الرسول .

والذين يقصون السنة عن التشريع تحت غطاء أخبار الآحاد، أو: لا تفيد العلم، أو: لا تفيد اليقين، أو غير ذلك- هم على مراتب؛ منهم من ليس بمؤمن

أصلا ً بشهادة أن محمدًا رسول الله، ومنهم ناقص الإيمان. والذين يقولون: (نقبل القرآن، ولا نقبل السنة). هم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض؛ يؤمنون بالشهادة الأولى، ولا يؤمنون بالشهادة الثانية، وأيضا هذا دليل على نقص إيمانهم ب الشهادة الأولى؛ لأن الإيمان بالشهادة الأولى يقتضى الإيمان بالشهادة الثانية.

وحين يجرى الحديث عن هؤلاء المتابعة وأهل الضلال والمنحرفين الذين يقولون: (لا نؤمن إلا ب القرآن ، ولا نؤمن بالسنة). أو يجعلون ضوابط للإ يمان بالسنة- لا يقتصر على الحديث عن الجهمية أو المعتزلة أو الأشاعرة، بل ينسحب للحديث إلى من هم أخبث من هؤلاء، كالرافضة الذين لا يؤمنون بالسنة؛ لا جملة ولا تفصيلا ً؛ لأن السنة جاءت برواية المرتدين فى نظرهم؛ كأبى بكر وعمر وعثمان وبقية الصحابة، ما عدا آل البيت وسلمان والمقداد وأبا ذر، والرافضة اعتبروهم بهذا كفرة فجرة؛ فهم لا يؤمنون بصحبة أبى بكر؛ والقرآن صريح فى صحبته: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ؛ اتفق العلماء على أن الآية فى أبى بكر، وأن النبى قال لأبى بكر: «لا تحزن» بنص القرآن؛ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ؛ فهم لا

يؤمنون لا بصحيح البخارى ولا بمسلم ولا بكتب السنن.

وقد تقدم أن السيوطى حكى الإجماع على كفر من قال بهذا، والرافضة أبعد الناس على الإيمان ب السنة، وهم فى الحقيقة: أخبث من الذين لا يؤمنون بالسنة لكونها تفيد الظن أو لغير ذلك؛ وهم لا يؤمنون بها لكفر رواتها، هذا أغلظ كفرًا، فإذا كان العلماء مجمعين على كفر من امتنع عن قبول السنة، وقال السيوطى رحمه الله تعالى: (إنه يلقى فى المزابل؛ حتى لا يتأذى بنتنه أهل الكتاب)- يرى أنه أخبث وأكفر من أهل الكتاب؛ فكيف بمن لا يؤمن بالسنة تحت غطاء أنهم كفرة فجرة ! هذا أشد كفرًا وأعظم، إضافة على ذلك عبادة الأوثان، وما عندهم من نواقض الإسلام التى تتجاوز المئات، لكن لا يتوقف فى كفر الرافضة إلا من هو جاهل، ولا يفهم فى التوحيد.

بصرف النظر على عوارض الأدلة وجود الجاهل أو العامة أو نحو ذلك؛ لكن الأصل فى مذهبهم الكفر والردة عن الدين؛ من عبادة القبور وعبادة الأ وثان وإنكار السنة ولعن الصحابة والحكم بردتهم، وقذف عائشة بالإفك، ونسبة البدءة إلى الله، و الكفر بتوحيد الأسماء والصفات، وعبادة الأوثان، و

التقرب إلى الأولياء، والدعوة أن الأولياء يعلمون الغيب، ودعوى العصمة لأئمتهم، وتعظيم أئمة الشرك، كنصير الشرك الطوسى، ونحو ذلك.

فالمقصود أن أهل السنة يؤمنون بذلك، ويعتبرون السنة المصدر الثانى من مصادر التشريع ، وأن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه.

وما و صف الرسول به ربه عز وجل من الأ حاديث الصحاح التى وردت بالشروط المعتبرة عن المحدثين فهم أهل الشأن فى هذا الباب؛ فلا يعتمد فى هذا الباب لا على فقيه ولا نحوى، ولا على متكلم، ولا على غير ذلك، يعتمد فى هذا الباب على أهل الحديث؛ فهم أصحاب هذا الشأن وهم حماته.

والحديث يشترط فى صحته شروط:

- الشرط الأول: بنقل العدل.

- الشرط الثانى: أن يكون تام الضبط، من حفظه أو من كتابه.

- الشرط الثالث: اتصال الإسناد.

وهذه الشروط الثلاثة مشتملة على غيرها، وأضاف بعض العلماء شرطين آخرين؛ انتفاء الشذوذ، وانتفاء العلة، ولهذا المعنى أشار ابن حجر

فى النخبة: بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ، قال: هو الصحيح لذاته.

وتتفاوت رتبه بتفاوت هذه الأوصاف.

وأهل السنة يختلفون أن هذا الباب لا يجدى فيه الحديث الضعيف؛ لا يعتمدون فى باب الأسماء و الصفات إلا على الأحاديث الصحاح التى تلقاها أهل المعرفة بالقبول.

وقد ذكر الإمام أحمد -رحمه اللّه تعالى- أن الحديث الصحيح يتلقاه العلماء بالقبول وقابلوه بـ التسليم- يُعد متواترًا.

والمتكلمون يضعون شروطًا للمتواتر ليست فى كتاب اللّه ولا فى سنة رسول اللّه ، ويذكرون فى هذا الباب أربعة شروط:

-الشرط الأول: أن يرويه عدد كثير.

-الشرط الثانى: أن تكون الكثرة فى جميع طبقات السند.

-الشرط الثالث: أن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب.

- الشرط الرابع: أن يكون مستند خبرهم الحس ؛ كقولهم: «سمعنا» و«رأينا» و«لمسنا»، و

«شممنا».

وهذه الشروط الأربعة غير معروفة عند أهل العلم المحققين من أهل السنة، وينادى بذلك أهل البدع من المتكلمين والأشاِعرة وأمثالهم.

ولذلك لا يقبلون أخبار الآحاد فى هذا الباب؛ لأ نها «لا» تفيد العلم، والذى عليه أهل التحقيق أن ما ثبت إسناده عن رسول الله سواء من المتواتر أو الآحاد، فإنه يفيد العلم ويوجب العمل.

وقد بعث النبى معاذًا إلى اليمن، وقال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله». وهذا الخبر متفق على صحته؛ فقد بعث معاذًا بأصل الدين؛ لم يبعثه بمسألة من مسائل الأسماء والصفات، ولا باب من أبواب التوحيد؛ بعثه بكل الدين؛ بكل الإسلام؛ بعثه بالتوحيد، وبعثه بالشهادة الأخرى، وبعثه بالصلاة، وبعثه بكل أركان الإسلام، ولم يعترض عليه أحد من أهل اليمن؛ لأن هذا رجل واحد؛ فلا ندرى صدقه من كذبه؛ فكان أهل الكتاب أعقل بكثير من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة؛ حيث لم يرفضوا خبر الواحد؛ بل آمن به عدد، ومن امتنع عن الإيمان به لم يكن لكونه واحدًا؛ امتنع لأسباب أخرى؛ ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ؛ إذًا إذا جاء عدلٌ فلا نحتاج للتبين؛ فهذا دليل على الإيمان بخبر الآحاد، وقد كان النبى يبعث عماله: الواحد والاثنين؛ يبلغون الدين والإسلام، وهذا الذى أجمع عليه الصحابة، وأجمع عليه العلماء.

كذلك لم يكن أهل السنة يتوانون فى قبول أخبار الآحاد فى باب الأسماء والصفات؛ مع العلم أن هذا الباب جاء من طرق متواترة، لكن لا نحتاج إلى التواتر فى هذا الباب بقدر ما نحتاج إلى صحة الإسناد، وقبول العلماء لذلك.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: (من الأحاديث الصحيحة التى تلقاها العلماء بالقبول، وقابلوه بـ التسليم، ويجب الإيمان بذلك قوله «ينزل ربنا» هذا الخبر متواتر عن النبى ، وقد كتب فيه العلماء مؤلفات، وكتب الدارقطنى وغيره مؤلفات فى النزول، وألف ابن تيمية رحمه الله تعالى كتابًا مجلدًا ضخمًا فى النزول؛ أى نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا.

وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة أن النبى قال: «ينزل ربنا» فلم يقل: ينزل أمره ولا قضاؤه ولا حكمه ولا رحمته ولا غير ذلك:

«ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل - أى فى كل بلد؛ حين يبقى ثلث الليل فى كل بلد؛ من كان عنده ثلث الليل فإن الرب ينزل عليهم - فيقول»: هذا رد على من زعم أن النزول يقتضى نزول الرحمة؛ لأن الرحمة لا تقول: من يدعونى فأستجيب له، والملك لا يقول: من يدعونى فأستجيب له، والأمر لا يقول من يدعونى فأستجيب له؛ فهذا يعنى أن الرب جل وعلا هو الذى يقول: «من يدعونى فأستجيب له».

وفى معنى قول اللّه جل وعلا: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ . و الدعاء هو العبادة: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ .

ولا يستغنى عبد عن ربه طرفة عين؛ كل منا محتاجٌ إلى ربه؛ يسأله، ولكن حين يتحرى ثلث الليل الأخير فينهض من منامه، ويتوضأ ويصلى ويسأل اللّه، هذا أقرب إلى الإجابة من غيره؛ ويؤخذ من ذلك تحرى أوقات الإجابة فى الدعاء؛ كثلث الليل الآخر، وفى السجود، وبين الأذان والإ قامة، فقد قال النبى : «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة»، وقوله: «من يسألنى فأعطيه، من

يستغفرنى فأغفر له»: فيه إثبات صفة المغفرة لله جل وعلا؛ قال تعالى: وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ .

ويؤخذ من هذا الحديث إثبات صفة العلو، ويؤخذ من ذلك إثبات الصفات الاختيارية لله جل وعلا، ويؤخذ من ذلك الشاهد إثبات صفة النزول لله جل وعلا.

والصواب من قول العلماء أن النزول يستمر إلى طلوع الفجر الثانى، وقال بعض العلماء: إلى طلوع الشمس، والصواب الأول؛ لأن الرواية الواردة إلى طلوع الشمس غير صحيحة.

وأهل السنة متفقون على نزول الرب جل وعلا؛ فيثبتون ذلك إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فلا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأن الله لا سمى له ولا كفو له ولا ند له؛ وسع كرسيه السموات والأرض؛ قال ابن عباس: (الكرسى موضع القدمين)، وقال تعالى: وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ . فينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته؛ فلا نكيف ولا نمثل؛ بل نؤمن ونعتقد حقيقة الصفة، وليس فيه مجاز؛ على حد قول الجهمية والمعتزلة وطوائف من أهل البدع؛ فإن الأصل فى الألفاظ الحقيقة، وهذا لو كان مجازًا، لكان مردودًا بقوله: «من يدعونى فأستجيب له، ومن يسألنى فأعطيه».

والذين يقولون بأن هذا إشارة إلى الرحمة، فـ الرحمة لا تقتصر على ثلث الليل الآخر، ويؤخذ من ذلك إثبات العلو، وأن اللّه جل وعلا فوق سمواته مستوٍ على عرشه. وقد تقدم الحديث عن قول اللّه جل وعلا: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى .

لم يورد المؤلف رحمه اللّه تعالى فى النزول إلا حديثًا واحدًا؛ لأنه من الأحاديث المتواترة، ولأن من لم يؤمن بالحديث المتواتر لن يؤمن بغيره؛ فـ الذى لا يؤمن بالكثير لن يؤمن بالقليل، والمؤمن إذا بلغه حديث عن رسول اللّه ، واتفق العلماء على تصحيحه وأجمعوا على قبوله - ليس له أن يتوقف فى ذلك؛ فليقل: سمعنا وأطعنا.

ثم أشار رحمه اللّه تعالى إلى إثبات صفة الفرح لله جل وعلا؛ فأورد قوله : «إن اللّه أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم».

أى كان بفلاة من الأرض، ومعه دابة عليها طعامه وشرابه، فضلت فى أرض لا أنيس ولا جليس، لا مأوى ولا مرعى، فحين أيس منها نام تحت ظل شجرة، فحين استيقظ فإذا هى قائمة أمامه، فقال من شدة الفرح: «اللّهم أنت عبدى وأنا ربك». هذا لفظ مسلم؛ لأن الزيادة الواردة فى صحيح مسلم من حديث أنس، ولم ترد فى حديث

أبى هريرة، ولا فى حديث عبد الله؛ فإن هذا الخبر جاء من رواية أبى هريرة ومن رواية عبد الله ومن رواية أنس، واتفق الجميع على الرواية بلفظ: « **الله أشد فرحًا**»؛ ففيه إثبات صفة الفرح لله جل وعلا.

وأهل السنة يثبتون ذلك إثباتًا بلا تمثيل؛ فليس فرحه كفرح المخلوق؛ لأن الله ليس كمثله شىء، وهو السميع البصير.

والذين ينفون عن الله صفة الفرح على اعتقاد أنهم حين يثبتون ذلك يشبهون صفة الخالق بـ المخلوق- هؤلاء مشبهة، وحين شبهوا أولا ً عطلوا ثانيًا؛ بل نؤمن بأن لله صفات كما نؤمن بأن لله ذاتاً لا تشبه الذوات؛ نؤمن بأن لله صفات لا تشبه صفات المخلوق.

قوله: «**بتوبة عبده المؤمن**»: فى فضيلة التوبة ، والأصل فى المؤمن أن يتوب دائمًا؛ لأنه خطاء، وا لأصل فيه أنه خطاء؛ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** .

ولذلك حين قال أبو بكر، وهو هو فى العلم و التقوى والورع: يا رسول الله، علمنى دعاءً أدعو به فى صلاتى. قال الرسول: «**اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى**

مغفرة من عندك وارحمنى، إنك أنت الغفور الرحيم».

وكان ابن مسعود إذا جرى بين العلمين فى السعى قال: «رب اغفر وارحم وأنت الأعز الأ كرم». قال: إسناده صحيح إلى ابن مسعود رضى الله عنه، رواه الطبرانى وغيره.

وفيه أن الله جل وعلا يحب من العبد أن يتوب إليه؛ ولذلك يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل. والتوبة: العزم على أن لا يعود إلى الذنب؛ ولا يعنى أنه لا يعود؛ قد يعود، ولكن هو عزم ألا يعود، ولكن لو ق ال بلسانه: أستغفر الله وأتوب إليه. وهو فى قرارة نفسه أنه سوف يعود، فتعتبر توبته لغوًا من القول، وليست بتوبة حقيقية.

التوبة الحقيقية أن يعزم على ألا يعود؛ لا مانع أن يعود على اعتبار أنه ليس معصومًا من العودة؛ قد يعود، ولكن إذا عاد تاب ويعزم على ألا يعود؛ ولذلك يقول النبى : «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم». رواه مسلم وغيره.

ولكن الذى يتوب وهو فى قرارة نفسه سوف يعود تعتبر توبته ضربًا من اللغو، وشيئًا من الا

استهزاء، فيقول: أستغفر الله. ويكذب- ولكن لو عزم على ألا يعود، فضعفت إرادته وغلبته شهوته ثم عاد، يعاود أيضًا الاستغفار مرة أخرى؛ لأن الله جل وعلا قال: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، والله جل وعلا قال: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ .

والندم توبة؛ بخلاف الذنوب المتعلقة بالمخلوق؛ لا بد أن ترد الحقوق إلى أصحابها؛ من غيبة ونميمة وسرقات ونحو ذلك، فإن كان لا يستطيع ذلك يدعو لهم ويستغفر لهم، ويرد الأموال بطريقته إلى أهل الحقوق.

الشاهد من سياق الحديث إثبات صفة الفرح لله جل وعلا، ويؤخذ من ذلك أنه يُعفى عن سبق اللسان؛ لأن الرجل قال: اللهم أنت عبدى وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح؛ يُعفى عن سبق اللسان؛ لأن الغضب الشديد كالفرح الشديد أو لأن الفرح الشديد كالغضب الشديد يخرج العبد عن طوره، ويجعله يلفظ بما لا يقصد معناه، وفيه اعتبار المقاصد.

وفيه معنى قول الله جل وعلا: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، وفيه فضيلة التوبة، وفيه

إثبات صفة المحبة لله جل وعلا، وفيه إثبات صفة الفرح لله جل وعلا.

والله يفرح بتوبة عبده؛ ليس لحاجته إلى عبده؛ لأن الله غنى عن العباد؛ لكن الله جل وعلا يفرح حتى لا يكون العبد من حصب جهنم: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ .

وقوله فى الحديث: «توبة عبده المؤمن»: هذا خرج مخرج الغالب، ولا يدخل فى ذلك إذا أسلم الكافر؛ لأنه ربما يكون إسلام الكافر أعظم من توبة المؤمن من ذنب، وفيه غير ذلك من المعانى.

وقوله فى إثبات صفة الضحك: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة»؛ معنى هذا أن الكافر قتل المسلم، فدخل المسلم الجنة؛ لأنه مجاهدٌ. وقد أخذ من هذا ابن عبد البر رحمه الله أنه من قتل مجاهدًا مقبلا ً غير مدبر يحكم له بالجنة؛ لأن النبى قال: «كلا هما يدخل الجنة». وقد قتل هذا الرجل مجاهدًا مقبلا ً غير مدبر، والذى قتله كافر. إذاً كان يدخل الكافر الجنة؟! أسلم، فقتل أيضًا فى سبيل الله فدخل الجنة.

فيؤخذ من ذلك إثبات صفة الضحك لله جل وع

لا.

الأدلة الواردة عن النبى فى إثبات الأسماء و الصفات

إن الأصل الذى يعتمد عليه أهل السنة فى هذا الباب الكتاب والسنة؛ فلا يعتمدون فى ذلك على عقولهم، ولا على أقيستهم، ويخالفون فى ذلك كل الطوائف المنحرفة؛ من الجهمية والمعتزلة والأ ِشاعرة وغيرهم؛ من الذى يقدمون العقل على النقل.

والتدليل على ذلك هو بتأكيد هذا الأصل وترسيخه فى الفهوم، وترويض الناس عليه.

ولبيان أن هذا الأمر ليس من مسائل الاجتهاد عند أهل السنة، وأنه قام به طائفة دون طائفة؛ فأهل السنة متفقون ومجموعون، ولم يشذ أحدٌ منهم على أن هذا الباب لا يجدى فيه عقل ولا قياسٌ، وأنهم يعتمدون فى ذلك على الكتاب و السنة.

وهم يؤمنون بأن النقل السليم لا يخالف العقل الصحيح، ولهذا كتب شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كتابه المشهور: «دَرْء تعارض العقل والنقل»، قال ابن القيم رحمه الله:

وإذا تعارض نص لفظ		والعقل حتى ليس
فالعقل إما فاسد،		ائى صحيحا وهو ذو
أو أن ذاك النص ليس		ما قاله المعصوم بـ

فلا يكاد يوجد عقل سليمٌ يخالف نقلا ً صحيحًا، والخلل فى أحدهما: إما فى ضعف النقل، أو فى خبال فى العقل.

وتقدم بالأمس أن أهل الجاهلية فى شركهم ووثنيتهم يؤمنون بكثير من الأسماء والصفات ، ولا يحرفون ذلك؛ فهذا إبراهيم حين قال لأبيه: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا لم يعترض عليه، ولم يقل: وربك لا يسمع و لا يبصر.

وحين دعا النبى كفار قريش إلى الإيمان ب الله، وأخبرهم بأنه رسولٌ من الله، وأن الله يقول، لم ينكروا قول الله؛ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، فكانوا ينكرون بعثته ورسالته، ولم يكن أحدٌ منهم يقول: إن الله لا يتكلم.

أورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قول النبى : «عَجِبَ ربنا من قنوط عباده».

أشير إلى أمور مهمة:

- **الأمر الأول**: أن الشيخ رحمه الله تعالى أورد الحديث بلفظ: «عجب ربنا» ولم يرد الخبر بهذا اللفظ؛ والصواب: «ضحك ربنا».

وقد كتب الشيخ رحمه الله تعالى هذه العقيدة من حفظه، ما بين صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ولذلك يرد الوهم على الذى يكتب من الحفظ ولا يراجع الأصول.

- **الأمر الثانى**: هذا الخبر رواه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما، من طريق وكيع بن عدس -ويقال: حُدُس- عن أبى رزين، وقد ضعفه بعض العلماء؛ لجهالة وكيع، وحسنه آخرون، كشيخ الإسلام ابن تيمية والسيوطى وجماعة، ولعله الأقرب؛ لأن وكيعاً بن عدس ليس بمجهول.

وقد صحح له الإمام أبو عيسى فى الجامع من طريق شعبة عن يعلى بن عطاء عن وكيع عن أبى رزين أن النبى قال: «**الرؤيا على جناح الطائر ما لم تُعبر**».

قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح.

ولا يُعرف هذا الحديث إلا من طريق وكيع بن عدس.

ولا ينفى أن يقال: لعله جاء من طريق أخرى؛

فقد صححه الترمذى باعتبار طريقين؛ فحين صححه من هذا الطريق ولم يُعرف إلا هذا الطريق، فهذا الدليل على أن وكيعًا معروفٌ عند أبى عيسى.

- **الأمر الثانى**: ذكر الدارقطنى رحمه الله تعالى فى كتابه «الأسماء والصفات» أنه لا يحتج فى هذا الكتاب إلا بما رواه الثقة عن الثقة، واتفق عليه العلماء، وتلقوه بالقبول.

وقد أورد حديث وكيعٌ بن عُدُس؛ فهو دليلٌ على أنه معروفٌ عند الدارقطنى ومعروف عند غيره.

وإلا لم يكن لدعوى الدارقطنى بأن هذا الكتاب تلقاه العلماء بالقبول وقابلوه بالتسليم شىءٌ من الصحة، ولم يكن لقوله أيضًا: رواه الثقة عن الثقة شىء من الصحة. وهو يروى عن وكيع الذى هو غير معروف؛ هذا دليلٌ على أنه معروفٌ عند الدارقطنى وعند غيره من الأئمة.

الأمر الثالث: أن وكيعًا لم يأت بما يُنكر عليه؛ فقد جاء اللفظ بلفظ: «ضحك ربنا»، وتقدم فى الصحيحين: «يضحك الله إلى رجلين»؛ وأورد الشيخ لفظ «عجب»، وصفة التعجب صفة ثابتة لله جل وعلا.

وقد قرئ : بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ؛ فصفة التعجب ثابتة لله جل وعلا، وصفة الضحك ثابتة لله جل وعلا، وأهل السنة يؤمنون بكل ما جاء عن الله، وبكل ما جاء عن رسول الله ، ويثبتون ذلك إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ لأن الله جل وعلا ليس كمثله شيء؛ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله؛ فهو السميع البصير؛ فلا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سَمِىّ له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه.

قوله: «ضحك ربنا» فيه إثبات توحيد الربوبية، وفيه إثبات توحيد الأسماء والصفات، والضحك من الصفات الفعلية الاختيارية لله جل وعلا، وأهل السنة يثبتون لله الصفات الذاتية، ويثبتون لله الصفات الفعلية الاختيارية، ويؤمنون بكل ذلك.

قوله: «من قنوط عباده» القنوط هو استبعاد الفرج؛ وهذا مُحرمٌ، واليأس أشدُ القنوط: وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ .

وقوله: « قنوط عباده»: هذا إطلاق الكل وإرادة البعض.

قوله: «وقُرب غِيَرِه»: اللفظ المحفوظ الذى رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما: «وقرب خَيْرِه»

؛ هذا.. اللفظ المحفوظ، ومعنى «**غِيره**»؛ أي تغير حالٍ إلى حالٍ، وانتقال من شيء إلى آخر.

قوله: «**ينظر إليكم**»: فيه إثبات صفة النظر لله جل وعلا.

تقدم الحديث عن ذلك، والأدلة متواترة فى هذا الباب، ولا يختلف أهل السنة فى إثبات صفة الرؤية والنظر لله جل وعلا، إثبات صفة العينين لله جل وعلا؛ هذا كله مما اتفق عليه أهل السنة.

قوله: «**أزلين، قانِطِين**»: الأ َزل: الشدة. «**ينظر إليكم**»: أي لشدتكم، «**قانِطين**» أي: مستبعدين.

«**فيظلُ يضحك**»: فيه إثبات صفة الضحك لله جل وعلا.

«**يعلم**»: فيه إثبات صفة العلم لله جل وعلا.

«**أن فرَجَكم قريبٌ**»: فيؤخذ من ذلك سعةَ فضل اللّٰه جل وعلا، وإثبات صفة الضحك، وليس كضحك المخلوق؛ تعالى اللّٰه عن ذلك علوًا كبيرًا؛ فنثبت ذلك لله إثباتا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيلٍ.

وفيه ضرورة البعد عن استبعاد الفرَج، وضرورة تحسين الظن باللّٰه جل وعلا، وأن فَرَجَ اللّٰه قريبٌ، وانتظار الفرج من العبادة، وفيه ضرورة التعلق ب

الله جل وعلا:

صعبت فلما استحكمت فُرِجَتْ وكنت أظنها لا

من القائل ؟ الشافعى نعم الشافعى.

متى ولد الشافعى؟

سنة 190هـ

وأين ولد ؟ قيل: فى مكة. وقيل: فى غزة. وأتت به والدته؛ أمه كانت حِميرِيّة يمنيةً، فذهبت به ثم رجعت به،وقيل أنه وُلِدَ فى اليمن، ثم خشيت والدته أن يندرس نسبه، فذهبت به إلى مكة ليطلب العلم و يجتهد فى تحصيله. وقيل: ولد فى غزة. أين تقع غزة ؟ نعم فى فلسطين . متى توفى الشافعى؟ قيل: سنة مائتين وأربعين ؟ كم عاش إذًا ؟ عاش أربعةً وخمسين عامًا، وهو أقل الأئمة بقاءً فى الحياة رحمه الله، و وأرضاه.

إذا انقطعت أطماع عبدٍ عن الورى

تعلق بالرب الكريم رجاؤه

فأصبح حرًّا عِزةً وقناعةً

على وجهه أنواره وضياؤه

وإن علقت فى الخلق أطماع نفسه

تباعد ما يرجو وطال عناؤه

فلا ترجُ إلا الله فى الخطب وحده

ولا صح فى خلِ الصفاء صفاؤه

الحديث الآخر: قوله : «لا تزال جهنم»: هذا من أسماء النار، وأسماؤها كثيرة ..

من يكتب لنا منكم خمسة أسماء من أسماء جهنم ؟ كلها مذكورة فى القرآن والسنة ... نعم ... جهنم ولظى والسعير والنار وسقر . . صحيح، أسماء متعددة مذكورة فى كتاب الله جل وعلا.

«لا تزال جهنم وهى مخلوقة»: ولا يخلد فى جهنم إلا الكافرون الذين حبسهم القرآن؛ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ .

«يُلقى فيها»: أى يقذف فيها على وجه الإهانة والتحقير من شأنهم؛ حيث خلقهم الله للعبادة، فعبدوا الأحجار والأوثان؛ خلقهم الله لتوحيده فوحدوا الشيطان، خلقهم الله لتعظيمه فعظموا المخلوق.

«وهى تقول»: هذا القولٌ حقيقىٌ، نؤمن بذلك؛ لأن النبى أخبر عن ذلك؛ فلا يجوز دعوى المجاز فى هذا، ولا إخراجٌ للفظ عن ظاهره، وقد حكى ابن عبد البر اتفاقا أن الأصل حملُ الألفاظ على حقائقها؛ لأنه لو حمل اللفظ على المجاز لادعى كل

شخص فى حقيقة الكلام أنه مجاز؛ فبالتالى لا يثق الناس بعضهم فى بعض، ولا يفهم بعضهم كلام بعض، ومن أراد أن يحرّف النصوص قال: هذا مجازٌ؛ أنا لا أقصد حقيقة اللفظ. الأصل فى اللفظ حمله على ظاهره.

«هل من مزيدٍ»: أى تطلب مزيدًا. وقد قال بعض الشراح: هل من مزيد: أى لا مزيد. وهذا غلط ؛ الصواب: هل من مزيد؛ أى: هلا من مزيد؛ تطلب مزيدًا، وأنه فيه متسع فى جهنم، الله جل وعلا يقولك وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ، وفى الحديث القدسى؛ هو من أفضل أحاديث أهل الشام؛ حديث أبى ذر: أن النبى قال فيما يروى عن ربه: **«يا عبادى إنى حرمتُ الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»**.

«حتى يضع»: لم يقل: حتى يُلقى، كما تقدم من قوله يلقى أى الكفار فى جهنم.

قال: **«حتى يضع ربُ العزة»**: هذا من إضافة الموصوف إلى صفته؛ العزيز اسمٌ من أسماء الله، و العزة صفته:

وهو العزيز فلن يُرامَ جَنابه
أنى يرام جناب للسلطان

والعزيز القاهر الغلاب لم
يغلبه شىءٌ هذى صفتان
والعزيز بقوة هى وصفه
فالعز حينئذ ثلاث معان

ولذلك قال النبى : «قال الله تعالى: الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى فى واحدٍ منهما ألقيته فى النار». رواه مسلم وابن حبان، و اللفظ له، وغيرهما.

قوله: «فيها رِجْله»: وفى رواية: «حتى يضع رب العزة عليها قدمه»، والقدم والرجل لفظان مترادفان، يجب إثباتهما لله جل وعلا؛ إثباتًا بلا تمثيلٍ، وتنزيهًا بلا تعطيلٍ.

وقد روى الدارمى عن ابن عباس بسندٍ صحيحٍ، قال فى تفسير قول الله جل وعلا: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ؛ قال: «الكرسىُّ موضع القدمين»، وأهل السنة متفقون على الإيمان بهذا، وهذا أمر لا مجال للا جتهاد فيه، ولا يتأتى لابن عباس أن يجتهد فى هذه الأمور؛ فلا اجتهاد فى مجال العقائد وصفات الرب جل وعلا؛ فنؤمن بذلك ونثبت لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له الرسول ، أو أجمع عليه المسلمون، وقد ذهب أهل البدع فى هذا الحديث

إلى أمور يضحك منها الصبيان، فقال بعضهم: الرجل مجاز. وقال آخر: رجله. أى: رجل الجراد، ويقولون أشياء من هذا القبيل؛ أشياء لا تمت للعقل ولا للنقل بصلة.

قوله: «**فينزوى بعضها**» أى: ينزوى بعضها إلى بعض، ويقترب بعضها من بعض، حتى لا يبقى فى النار موضع لأحد.

«**فتقول - أى النار - قَطْ قَطْ**»: أى حَسبى حسبى؛ يكفينى يكفينى.

وهذا الخبر متفقٌ على صحته، والشاهد فيه إثبات صفة القدم والرجل لله جل وعلا؛ فيجب إثبات ذلك إثباتا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ لأن النصوص صحت بذلك، ولذلك قال الشافعى رحمه الله: (فنؤمن بما جاء عن الله على مراد الله، ونؤمن بما جاء عن الرسول على مراد الرسول ، ومن قال عن ذلك بأنه مجاز فقد غلط؛ هذه الأمور تثبت حقيقتها دون تمثيلٍ ودون تشبيه، ودون تعطيل، وقوله : «**يقول الله جل وعلا: يا آدم**». فى إثبات صفة القول لله جل وعلا، قال الله جل وعلا: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾. ويُثبتُ لله جل وعلا صفة الكلام، ويُثبت لله جل وعلا صفة الصوت، ويثبت لله جل وعلا صفة المناداة. وهذه كلها

واردة فى كتاب الله أو على لسان رسول الله .

«فيقول آدم: لبيك وسعْدَيكَ»: لبيك: إجابة بعد إجابة، تثنية؛ أى: أنا مقيم على طاعتك، ولا أخالف لك أمرًا.

«فينادى بصوت»: فينادى الرب جل وعلا بصوت؛ فيه إثبات صفة المناداة، قال الله جل وعلا: وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ، وقال تعالى: وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ، وقال تعالى: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فقوله: «فينادى بصوت».

وفى حديث عبد الله بن أنيس، رواه البخارى معلقًا: «يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب»؛ فإن صوت الرب لا يشابه صوت المخلوق؛ «يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب»! فلا إله إلا الله ! هذا دليل على عظمة الله، وعلى كبريائه، وعلى عظيم صفاته، وكبير قدره، وعظيم جلاله: وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وفيه إثبات صفة الصوت لله جل وعلا.

قوله: «إن الله يأمرك»: إثبات صفة القول.

«أن تُخرج من ذريتك بعثًا إلى النار»: والخبر

فى الصحيحين: «فإنه يلقى فى النار من كل ألفٍ تسعةٌ وتسعون وتسعمائة، وواحد إلى الجنة». وقد شق ذلك على الصحابة، فأخبرهم النبى بأن أمة يأجوج ومأجوج ما كانتا فى شىءٍ إلا كثرتاه. ويؤخذُ من هذا الحديث عظم أمة يأجوج ومأجوج وكثرتها، وأنهم كثيرون جدًا؛ بدليل أن الخلق من آدم إلى أن تقوم الساعة، هؤلاء يكثرونهم ، وأنهم يلقون فى النار مع غيرهم، وأنهم يكثرون أصحاب السعير، وأنه يُلقى فى النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وأن أغلب هؤلاء من أمة يأجوج ومأجوج.

يؤخذ من ذلك أن أمة يأجوج ومأجوج كفارٌ، ليسوا بمسلمين، ولكن لا يختلف العلماء أنهم من ذرية آدم, وهذا ما اتفق عليه العلماء؛ فليسوا خلقًا آخر.

وفيه إثبات البعث، وفيه إثبات الجزاء و الحساب أيضاً، وفيه إثبات خلق النار، وفيه فضيلة آدم، وهو من أنبياء الله جل وعلا، وهو أبو البشر.

وقوله : «ما منكم من أحدٍ»: أحد: نكرة، تقدم الحديث عن لفظة: «أحد» فى سياق الإثبات، والأ

أصل فى ذلك ألا تُطلق إلا على الله، وأنها جاءت فى القرآن على غير الله، ولكنه من الأمور النادرة.

«ما منكم من أحد»: «أحد»: نكرة، وقد جاءت فى سياق النفى، وقد سبقتْ بـ«منْ» المفيدة للاستغراق فى النفى؛ فهذا يفيد العموم، وظاهره يشمل المسلمين والكافرين. وهذا لا يُنافى قول الله جل وعلا: وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ، ولا يُنافى قول الله جل وعلا: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ؛ لأن هذه الأدلة يقول عنها أهل العلم: وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ونحو ذلك من الأدلة- أى على وجه الثواب و الرحمة ونحو ذلك، ويثبتون لله صفة الكلام، ويثبتون لله صفة الرؤية، ويقولون: من لوازم ذلك أن الله جل وعلا لا يكلمهم كلام رحمة؛ فيقولون هذا الكلام تبكيت، وكلام تقريع، ونحو ذلك.

«ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه»: فيه إثبات صفة الكلام لله جل وعلا، وتقدم الحديث عن ذلك: قال الله جل وعلا: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ؛ أكِّد الفعل بالمصدر، وأهل اللغة والبيان متفقون على أن الفعل حين يؤكدُ بالمصدر ينتفى معه المجاز، وأن المقصود من ذلك الحقيقة، فبطل بذلك ما تقوله الجهمية؛ حيث يدّعون فى ذلك المجاز، أو أن موسى هو الذى كلم الله جل وعلا؛ قال الله جل

وعلا: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ، والكلام من الله جل وعلا من الصفات الذاتية الفعلية؛ بمعنى أنه يتكلم متى شاء، إذا شاء، ويكلم من شاء من أنبيائه ورسله. ويوم القيامة ما من أحد إلا سيكلمه ربه جل وعلا، ليس بينه وبينه ترجمان؛ لأنه فى الدنيا قد يكون فى الكلام بينه وبينه واسطة، كما قال الله: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ . هذا الشاهد: يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ، فَيُوحِيَ أى: يوحى هذا الرسول، بِإِذْنِهِ أى: بإذن الله جل وعلا ، مَا يَشَاءُ ، فيبلغ بإذن الله ما يشاء.

وقوله فى رقية المريض: «ربنا الله الذى فى السماء».

«ربنا الله»: مبتدأ وخبر؛ فيه إثبات توحيد الربوبية.

«الذى فى السماء»: فيه إثبات صفة العلو لله جل وعلا؛ توحيد الأسماء و الصفات.

«تقدس اسمك»: تقديس التعظيم.

«أمرك فى السماء والأرض»: قال الله جل وعلا: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وقال تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ .

«**كما رحمتك فى السماء اجعل رحمتك فى الأ رض**»، والله جل وعلا عنده مائة رحمة؛ أنزل رحمة واحدة فى الأرض، واختزن عنده تسعة وتسعين ليوم القيامة. فيه إثبات صفة الرحمة لله جل وعلا، وقوله: «**اغفر لنا**» فيه إثبات صفة المغفرة لله جل وعلا.

«**حُوبنا**»: الحوب: الذنب.

«**وخطايانا**»: أى إسرافنا فى أمرنا.

«**أنت رب الطيبين**»: الله رب الطيبين وأكرم الأ كرمين، وأجود الأجودين.

«**أنزِل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع**»: يُقرأ: «الوجِع»؛ و«الوجَع»؛ إذا قيل: «الوجِع» فيعنى بذلك المريض؛ قال عنه الإ مام البخارى رحمه الله تعالى: «مُنكرُ الحديث». وقال نحو ذلك كثيرٌ من الأئمة، ولكن ليس فى الحديث لفظة من ألفاظه إلا ولها ما يدل عليها، وإن كان المفروض أن نستخدم الأحاديث الصحاح على الأحاديث الضعاف.

نتواصل إن شاء الله تعالى فى الدرس القادم على شرح بقية الأحاديث وإثبات الأسماء و الصفات لله جل وعلا بالأدلة الصحيحة الثابتة عن

رسول الله ، وبيان سنن السنة والجماعة فى هذا الباب.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه:

قوله : «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**» هذا جزء من حديث متفق على صحته، أراد شيخ ا لإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- من هذا الحديث الشاهد منه، والقصد من ذلك إثبات علو الله على خلقه فإن الله -جل وعلا- فوق سماواته مستوٍ على عرشه، فقوله (ألا) أداة استفتاح، (تأمنوني) الأمانة تتمثل بأمرين؛ الأمر الأول: أداء حق الله على الوجه المطلوب، الأمر الثاني: أداء حقوق العباد؛ كحفظ أماناتهم وصيانة أعراضهم

وكف الأذى عنهم.

وقد وُصف النبي قبل الرسالة بالأمانة ولم يكن أحد من الكفار يختلف فيه بهذا الأمر، وكانوا يسمونه بالأمين؛ فذهب الأمين وجاء الأمين، وقد أثبت النبي هذا الأمر وحث الناس على الصدق وا لأمانة وأداء الحقوق إلى أهلها، وقال الله -جل وع لا- لنبيه وللمؤمنين وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا

جعل النبي الخيانة علامة على النفاق فقال : «آية المنافق ثلاث؛ (من ذلك) إذا أؤتمن خان» الخبر في الصحيحين، وأثنى النبي على أبي عبيدة بقوله: «لكل أمةٍ أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» حديث صحيح.

النبي عاب الذين يحاولون التشكيك في أمانته؛ فالمنافق الذي قال: اعدل يا محمد، فقال له النبي «خبتَ وخسرتَ إن لم أعدل» أو قال :« خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل»، والأكثرون على لفظة خبتَ وخسرتَ أي خبتَ وخسرتَ إن لم أكن عادلا ً، ومن ذلك الآخر الذي قال للنبي أن كان ابن عمتك؟ حينما قضى عليه النبي -خوّنه؛ قال أن كان ابن عمتك؟ فأنزل الله في ذلك فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

قوله (وأنا أمين) فيه جواز وصف الرجل بما هو فيه لبيان الحقيقة وواقع الحال، كما صنع نبي الله يوسف، وكما قال النبي : «**أنا سيد ولد آدم**»، وكما قال في هذا الخبر: «**وأنا أمين من في السماء**»

قوله (من في السماء) أي الذي في السماء، وقد أعجز هذا الحديث وأعيا أهل البدع؛ فلا يقدرون على تحريفه، ولا على ليه، ولا على صرفه عن ظاهره؛ كما يفسرون الأحاديث الأخرى بالمجاز أو بغير ذلك، فالنبي أخبر أنه أمين من في السماء، فلا يصح أن يقال أنه أمين الملائكة، أو أنه أمين باللفظ دون المعنى، أو بغير ذلك، فهذا الخبر من الأحاديث الصحيحة الصريحة في إثبات علو الله على خلقه، صحيح أنه برد في اللغة إطلاق السماء على كل ما علا، كما قال الله -جل وعلا- **أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** أي العلو، إشارة إلى شجرة، نخلة، ولكن النبي يذكر أنه أمين لله -جل وعلا- لأن الله -جل وعلا- استأمنه على الرسالة.

قال الله -جل وعلا- **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** وفيه إثبات علو الله على خلقه، ولا يختلف في ذلك المسلمون، وقد فطر الله عباده على ذلك، وأقرت بذلك كل الأمم، ولم ينكره إلا من اجتالته

الشياطين عن فطرته، فأنكر ما أذعنت له الدواب و الطيور والحشرات وغيرها، وحين استطرد الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في (اجتماع الجيوش الإسلامية) على إثبات علو الله على خلقه بأدلة الوحيين، كرر الحديث عن إثبات ذلك، بالأدلة الواردة عن الدواب والطيور والحشرات ونحو ذلك، حتى النملة رآها سليمان رافعة قوائمها إلى السماء تستقي.

وأهل البدع ينازعون في إثبات علو الذات، وهو المحج بين أهل السنة وأهل الضلال، فقد فطر العبد على أن ربه في السماء، بمجرد أن تلم به ملمة يرفع طرفه إلى السماء يا ربي يا ربي يا ربي.

ويؤخذ من ذلك توافق الفطرة والنقل على إثبات العلو، ويؤخذ من ذلك إثبات الرسالة للنبي لقوله (وأنا أمين من في السماء) ويؤخذ من ذلك إثبات الفعل للعبد، ويفهم من ذلك إثبات الوحي، ويؤخذ من ذلك عظم أمر الأمانة، قال الله -جل وعلا: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا .

وقوله: «والعرش فوق الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه» هذا الخبر جاء بنحوه مرفوعاً من حديث العباس وهو حديث ضعيف، وصح هذا موقوفاً من طريق حماد بن سلمة وابن المهدي وآخرين عن عاصم بن أبي النجود عن زر

بن حبيش عن عبد الله بن مسعود، ورجاله لا بأس بهم، وقد صححه غير واحد من العلماء، والموقوف له حكم المرفوع لأنه لا مجال للاجتهاد في مثل هذا، ولا سيما قوله والعرش فوق الماء.

فقوله (والعرش فوق الماء) فيه إثبات العلو، وفيه إثبات العرش، وفيه إثبات استواء الله على عرشه، قال تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وا لاستواء يطلق على الاستقرار وعلى العلو وعلى الا رتفاع وعلى الصعود، وأشار إلى هذه المعاني بن القيم -رحمه الله تعالى- في نونيته فقال:

فلهم عبارات عليها أربـــعٌ	قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار	تفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع	وأبو عبيدة صاحب الشياني
يختار هذا القول في تفسيـره	أدرى من الجهميّ بالقرآن

قوله (فوق الماء)فيه بيان أن تحت العرش الماء، وقد تقدم الحديث على أنه بين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وكل سماء محروسة بالملا ئكة، فجبريل على منزلته وكبير قدره حين صعد بـ النبي ليلة الإسراء لا يدخل سماءً ولا يتجاوزها إ لا بالاستئذان؛ كما في الصحيحين؛ البخاري ومسلم ، حين استفتح « قيل له من معك، قال معي

محمد، قيل أوَ أرسل إليه، قال جبريل نعم، فقالوا مرحباً ،ففتح له» وعند السماء الثانية صنع به مثل ما صنع في الأولى.

قوله (والله فوق العرش) فيه إثبات العلو لأن الله -جل وعلا- موصوف بذلك، وأنه مستوٍ على عرشه، ولا يختلف الأئمة في ذلك، فقد فطرهم الله عليه، قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في سرد مذاهب الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين في هذا الأمر، حتى وصل إلى قول أبي حنيفة النعمان وإلى قول أصحابه، لأن بعض المنتسبين إلى أبي حنيفة الماتريدية وهؤلاء في الفقه على مذهب أبي حنيفة، لكنهم في العقائد على مذهب الجهمية؛ فهم يقلدون أبا حنيفة في الفقه، ويأخذون العقائد عن الماتريدي، قال ابن القيم:@@@ ... لأحد من الأئمة إذا أراد الحق لأن العلماء لا يختلفون في هذا الباب، وحين يختلفون فالمرد في ذلك إلى الكتاب وإلى السنة، قال الله -جل وعلا- اتبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ وقد قال النبي : «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» حديث جيد رواه أبو هريرة ولذلك قال سفيان: (إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل)، فهؤلاء المبتدعة لا يعتقدون إلا بما يقوله الأشعري أو

الماتريدي، قال ابن القيم:

وكذلك النعمان قال وبعـده	يعقوب والألفاظ للنعمـان
من لم يقر بعرشه سبـحانه	فوق السماء وفوق كل مكان
ويقر أن الله فوق العـرش لا	تخفى عليه هواجس الأذهان
فهو الذي لا شك في تكفيره	لله درك من إمـــام زمان

قوله قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فيه بيان عظمة الله، وفيه إثبات صفة العلم لله -جل وعلا- وأنه يعلم ما كان وما يكون وما لو كان كيف يكون، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء مهما دقّ ومهما صغر ولو كان في قعر البحار، فإن الله يعلمه ويعلم ما في جوفه، قال الله -جل وعلا- لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

وهوالعليم أحاط علما بالذي	في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه	فهو العليم وليـس ذا نسيـان

ويرى دبيب النمل على الصخرة السوداء في ظلمة الليل، ويسمع دبيبها ولا يخفى عليه شيء، قال الله -جل وعلا- أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ وهذا يبعث

على التقوى والإيمان والبعد عن الغيبة والنميمة و السخرية من الآخرين فإن الله -جل وعلا- مطلع على ذلك ولا يخفى عليه شيء، وإذا كان الإنسان لا يتجاسر أن يغتاب أحداً أو ينم به بحضرة المغتاب ،فإن الله -جل وعلا- يسمعه ويراه ويبصره ويشاهده، فيجب الحياء من الله ومراقبته، فهذه حقيقة الإحسان؛ أن تعلم أن الله معك حيثما كنت؛ أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومن جميل كلام جعفر الصادق: (لا تجعل الله أهون الناظرين إليك) أي المطلعين عليك.

وفيه إثبات صفة العلم لله -جل وعلا.

قوله في الحديث الحسن رواه أبو داود وغيره، وتقدم أن الصواب وقفه على ابن مسعود.

وقوله للجارية: «**أين الله**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**» هذا الخبر رواه مسلم في صحيحه، وقد جزم الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- في كتابه العلو بأنه متواتر، مع أنه لم يروه عن النبي إلا معاوية بن الحكم السُلمي، فقد قصد بالتواتر المعروف عن أئمة السلف؛ وهو ما ثبت إسناده وتلقاه العلماء بالقبول، بخلاف اصطلاحات المتأخرين والمتكلمين.

فهم يذكرون للمتواتر أربعة شروط؛ الشرط الأ ول: أن يرويه عدد كثير، الشرط الثاني: أن تكون

الكثرة في جميع طبقات السند، الشرط الثالث: أن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، الشرط الرابع: أن يكون مستند خبرهم الحس؛ كقولهم سمعنا ولمسنا وشممنا ونحو ذلك، فهذه أربعة شروط للمتواتر عند عدد من المتأخرين والمتكلمين والأ شاعرة وغيرهم من أهل البدع، وأهل السنة لا يقولون بذلك ولا يقرون به، وإن جرى في بعض كتبهم استقاء من أهل البدع فهذه غفلة، ولقد سجل **الإمام أحمد** وغيره أن المتواتر هو ما ثبت إسناده إلى رسول اللّٰه وتلقاه العلماء بالقبول، وحديث الجارية تلقاه العلماء بالقبول، وقابلوه ب التسليم، وليس له أي علة، وقد رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي، وهو من الأ حاديث التي شرق بها أهل البدع، وسعوا جاهدين لتضعيفه أو حمله على المجاز، وقد قال النبي للجارية «**أين اللّٰه**» امتحنها في إيمانها حين دعت الحاجة إلى الاختبار والامتحان؛ قال لها النبي : «**أين اللّٰه**» ،الجهمي لا يقر به ،وإذا قيل له أين اللّٰه قال في كل مكان، هو في كل مكان بمعنى بعلمه وبقدرته وبإحاطته، الجهمي يحاول أن يوهمنا ب الجواب وألا يقر بذلك.

النبي حين خطب الناس في عرفات في أعظم مجمع اجتمع فيه رسول اللّٰه بأمته فكان يقول: «**اللّٰهم فاشهد يرفع إصبعه إلى السماء ويخفضها**» يرفع إصبعه إلى السماء ثم إلى الأرض،

اللهم اشهد؛ يشير إلى ربه وأنه في العلو، الجهمية يمتنعون من الإشارة إلى الله -جل وعلا- بالإصبع يقولون هذا من التحديد، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وهذا أثر من الآثار اسمه التلقي عند أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة و الماتريدية والكرامية وأتباع هؤلاء من أهل الضلال الذين تغيرت فطرهم ،وانتكست أفهامهم، يتلقون على العقل ويتلقون على أهل البدع، لذلك أهل السنة يوصون بالتلقي على أهل السنة، ويحذرون من الأخذ عن أهل البدع، هؤلاء لا يميزون بين السني وبين الرافضي، بين السني وبين الجهمي، كما قال ابن سيرين: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) رواه الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في مقدمة صحيحه، ويعرف الطالب بشيخه وبتمسكه وبعلمه وبقول الحق وباتباعه للسنة، وبمجاهدة أهل البدع والضلال الذين يلبسون على الناس ،ويريدون أن يجعلوا من الحق باطلا ً ومن الباطل حقاً.

وقد حذر منهم النبي وقال لعائشة: «**إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منهم فاحذريهم، فأولئك الذين سمى الله، فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** » والخبر متفق على صحته، وقد كان أئمة السلف حين يرون الطالب يرتاد أماكن أهل البدع يَحْذرونه ويُحَذِرونه، وكانوا يقولون للذين يجالسون أهل البدع، ويتلقون عنهم

هؤلاء يريدون الجمع بين الحق وبين الباطل، ولم يقتصروا على هذا فيما بعد،فقد أصبحوا يجالسون الكفار، يجالسون المرتدين، يجالسون الذين يريدون أن تكون بلاد المسلمين بؤرة فساد ومرتع غيلة تحت غطاء حرية الرأي وحرية التسامح و السماع والربط بين الآخر، فهم ليسوا من العلماء و لا من طلبة العلم ولا من أهل الحل والعقد فهم يستقبلون ولا يستدبرون، وأصحاب هذا الفكر العفن ضلوا ضلالا ً بعيداً وأصبحوا يتلقون ثقافة الضلال

يريدون جلبها لبلاد المسلمين، فهم لا يكتفون بضلا لهم؛ بل يريدون أن تضلوا سواء السبيل.

فالآن يأتون بالكفر بمسمى حرية الأديان، يأتون بـ البدع والضلالات بمسمى حرية الرأي، يجالسون الكفار والمرتدين تحت غطاء روح التسامح، يحاربون الجهاد والمجاهدين تحت مسمى حرب التطرف والعنف والإرهاب؛ وهم أهل الإرهاب وحماته، ولكنه إرهاب من وجه آخر؛ إرهاب منظم : الصحافة والإعلام وغير ذلك.

النبي -نرجع للحديث- قال للجارية: «أين اللّه» قالت: في السماء، فيه إثبات العلو لله على خلقه، وفيه بيان أن اللّه -جل وعلا- قد فطر العباد على ذلك، وفيه جواز امتحان الناس في عقائدهم حين تدعو الحاجة لذلك؛ وإلا فسؤال الناس بدون مسوغ ولا مبرر هذا ضرب من الخبال؛ مثلا ً الإ

إنسان إذا لقي شخصاً قال له ماذا تعتقد؟ وما هو دينك؟ هذا ضرب من الجنون والخبال، لكن حين تدعو الحاجة إلى ذلك فلا حرج.

ولذلك ابن تيمية حينما سأله الناس عن عقيدته فكتب العقيدة الواسطية، وكذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب حينما سأله أهل القصيم عن عقيدته أرسل لهم عقيدته وهي موجودة في أوائل الدرر، كذلك الطحاوي في العقيدة الطحاوية، وغير ذلك من الكتب المؤلفة في هذا الباب.

ثم قال النبي للجارية: «من أنا» قالت: أنت رسول اللّه. فالأول لشهادة أن لا إله إلا اللّه، و الثاني لشهادة أن محمداً رسولُ اللّه، فمن أقر بهذا دون ذاك فليس مؤمن. قال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه» وفي تفسير قول اللّه -جل وعلا- وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ لا يذكر اللّه إلا ومعه رسوله محمد .

قال : «اعتقها فإنها مؤمنة» هذا من شروط عتق الرقبة ؛ فلا يصح عتق الرقبة إلا إذا كانت مؤمنة، فمن قتل نفساً خطأً، فلا يصح أن يعتق نفساً كافرة، لا يكفر ذلك إلا أن يعتق نفساً مؤمنة ذكرا أو أنثى.

وقوله : «أفضل الإيمان أن تعلم أن اللّه معك حيثما كنت» هذا الخبر في إسناده ضعف؛ فقد جاء من رواية نعيم بن حماد الخزاعي وهو سيئ

الحفظ، وقد أعرض عنه الشيخان عمداً، وقال عنه النسائي -رحمه الله-كثر تفرده عن الأئمة المعروفين فصار إلى حد من لا يحتج بخبره، وقال عنه أبو داود يروي أحاديث ليس لها أصل، وفي إسناده أيضاً عثمان وهو غير معروف، وفي الباب غير ذلك من الأحاديث الصحاح، وأن تعلم أن الله معك حيثما كنت هذا هو الإحسان،أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فأنه يراك؛ هذا جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- فيما يرويه عن أبيه.

الإيمان ما هو؟ هو قول وعمل؛ قول القلب و اللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح؛ قول القلب هو اعتقاده، وعمل القلب هو خوفه ورجاؤه وحبه وولاؤه وبراؤه.

قوله (أن تعلم أن الله معك) أيضاً؛لأن من علم أن الله معه حيثما كان بصدق وإخلاص زاد إيمانه، وصقل قلبه، وابتعد عن كل ما يسخط الله، لأنه ما من عبد يعصي الله إلا لضعف إيمانه بالغيب؛ و الدليل على هذا أنه لا يزني زان وهو يزني بحضرة أبيه أو بحضرة صديقه، ولكن حين ينفرد قد يفعل، والله يراه،ويشاهده ،ويبصره ،وهذا دليل على ضعف إيمانه بالغيب، فمقتضى الإيمان بأن الله معك حيثما كنت أن يبعث هذا على الورع و الخشية والتقوى، قال الله -جل وعلا- وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ لا ترهب من مخلوق فإن المخلوق لن

يغني عنك من اللهِ شيئاً، اتق اللهَ حيثما كنت، قل آمنت بالله ثم استقم، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه عليك، رفعت الأقلام وجَفت الصحف.

طالب: ما عمل اللسان؟

الشيخ: عمل اللسان الحمد؛ حمدته بلساني، عمل اللسان هو الحمد.

طالب :هل يزكي الإنسان نفسه؟

الشيخ: الآية تقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ؟ إذا كان ذلك من باب المدح والترفع على الآخرين، وليس من وجه البيان والتعليم ،ونحو ذلك ، فإن كان الإنسان يمدح نفسه بما فيها لبيان حقيقته وواقعه، ليس للتعالي ولا للترفع على الآخرين فلا حرج في ذلك.

سؤال غير واضح

سؤال: هل هناك فرق بين العلو والفوقية ؟

الشيخ :نعم هناك فرق بين العلو والفوقية؛ الفوقية كفوقية القدر، فوقية الشرف،فوقية الذات، أما العلو فقيل: علو الله على خلقه، فهو في الغالب لا يقصد إلا علو الذات ،وإن اقترب المعنى، فيأتي هذا بمعنى هذا فلابد من التوضيح؛لأنه لابد أن يكون

هناك فيفصل في المسألة بين أهل السنة وأهل البدع في علو الذات لابد أن يركز على هذا الجانب، طبعا نقول علو الذات بأسمائه وصفاته بلا شك.

كلام غير واضح من الطالب

.... وهذا ثابت وهو موقوف له حكم المرفوع.

39:30 عن صاحب بحيث يقال رأيا حكمه الرفع على لا

ما قال في المحصول نحوا فالحاكم الرفع لهذا أثبتَ أتى

(كلام غير واضح من قبل الطالب)

قد يكون هذا فوق هذا .....

إلا هذا الأثر: أتى رجل .... وإسناده صحيح، أما قوله «كان عرشه على الماء» فهذا في صحيح في مسلم وهذا قبل خلق السماوات والأرض.

.....سؤال : ما حكم التصوير بالكاميرا؟

الشيخ : لا يجوز اتخاذها إلا للضرورة ، الأصل فيها التحريم، ... وشراؤها واتخاذها واستعمالها، والنبي قال: «**لعن الله المصورين**....» رواه البخاري في صحيحه ... كل هذا لا يجوز

يفوت عليه أيضاً صلاته، لا يستطيع أن يخشع .....

سؤال غير واضح

لا يتأتى هذا سواء .....

ضرورة قصوى في هذا الباب .

سؤال غير واضح أو حاجة ما أدى الرسالة أو ما أدى المعنى المطلوب من تفسير القرآن بالمعنى الرسالة المرجوة من دعوة اليهود والنصارى ....

وأما إذا كان الإنسان يصلي ويصوم ويزكي ولا يؤمن بالله وملائكته وكتبه لن يكون مسلماً أصلا ً، والبعض يقول أن الإيمان هو عمل القلب والإسلام يتمثل في أعمال البدن.

واصل ابن تيمية - رحمه الله تعالى- سرد الأحاديث الدالة على أسماء الله وصفاته، وإثبات معية الله تعالى لخلقه ، وأنها لا تنافي علوه فوق عرشه.

فقوله صلى الله عليه وسلم (إذا) إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، (فإن أحدكم إذا قام للصلاة) فريضة أو نافلة (فلا يبصقن) (لا) ناهية، والأصل في النهي أن يكون للتحريم، والبصاق هو التفل، (قبل وجهه) فيحرم على المصلي أن يبصق أو يتفل قبل وجهه، لأن النبي نهى عن هذا، فما نهى عنه النبي ولم يرد ما يخرج النهي عن ظاهره فإنه للتحريم، قوله (ولا عن يمينه) أي ويحرم البصاق عن اليمين.

وهذا الحكم مقيد بالصلاة بقول طائفة من العلماء، وذهب آخرون إلى أن هذا لا يختص بالصلا

اة ، وهذا مذهب طائفة من العلماء لقوله صلى الله عليه وسلم: «**من تفل تجاه القبلة جاء تفله بين عينيه يوم القيامة**» صححه بن خزيمة، ولما روى أبو داود في سننه من حديث السائب: أن رجلا ً بصق تجاه القبلة فقال النبي : «**لا يصلي بكم هذا**»، فحين حضرت الصلاة تقدم ليصلي بهم، فمنعه قومه ، وأخبروه بأن النبي منعه من الإ مامة، وحين قضيت الصلاة ذهب إلى النبي فقال له النبي : «**إنك آذيت الله ورسوله**» رواه أبو داود وغيره.

فهذا والذي قبله في باب منع البصاق تجاه القبلة في صلاة أو غيرها ، وهذا أحوط وأبرأ للذمة ، فإن الأورع الذي يخرج من خلافهم ولو ضعيفاً فاستبن.

قوله (فإن الله قبل وجهه) أخذ العلماء من هذه العلة أن الحكم لا يختص بالصلاة؛ فإن الله قبل وجه المصلي وغير المصلي؛ فحينئذ يمتنع البصاق تجاه القبلة ، ويمتنع البصاق عن اليمين في بعض الروايات فإن عن يمينه ملكين.

قوله (ولكن عن يساره) أخذ بعض العلماء من الحديث جواز البصاق فى المسجد لأن الذي قام يصلي لم ينه أن يبصق عن اليسار، وهذا حين كانت المساجد ترابًا؛ يبصق على التراب فذهب أكثر العلماء إلى تحريم هذا في المسجد ، أو في أماكن المسلمين العامة ؛ لأن هذا يُقذرها، وحين

يفسح هذا المجال لا يكاد يجد المصلي موضعاً يصلي فيه من كثرة البصاق بل وقد ينتن المسجد، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «**البصاق في المسجد خطيئة ،وكفارتها دفنها**» ، وهو في الصحيحين ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « **ورأيت في سيئ أعمالها النخامة في المسجد لم تدفن**» فيجب تنزيه المساجد عن البصاق والنخامة والتفل ونحو ذلك مما يقذر سواء كانت المساجد مفروشة أو ترابية ، ويجب حمايتها وصيانتها و العناية بنظافتها وتهيئتها للمصلين،بل يشرع تطييبها وتجميرها والعناية بها، ونعيم المجمر سمي بذلك لأنه كان يجمر مسجد رسول الله .

قوله (أو تحت قدمه) وفي رواية (ولكن عن يساره وتحت قدمه) فيه التفريق بين البصاق تجاه القبلة وتحت القدم، وهذا الحديث أحد الأحاديث المتفق على صحتها.

الشاهد فيه (فإن الله قبل وجه) وهذا لا ينافي علوه واستواءه على عرشه، فمعية الله -جل وعلا- لخلقه لا تنافي علوه واستواءه على عرشه، فإن الله -جل وعلا- فوق سماواته مستوٍ على عرشه ، وهو قبل وجه كل مصلٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم رب السماوات السبع**» <u>(اللهم) مجمع الدعاء ومن قال : اللهم ، فكأنما قال : اللهم إني أسألك بأسمائك</u>

الحسنى وصفاتك العلى .

(رب السماوات) قيل الرب هنا بمعنى الخالق، أي اللهم خالق السماوات والأرض، وقيل الرب هنا بمعنى المالك ، أي اللهم مالك السماوات والأرض، ولا مانع أن يكون الرب يشمل المعنيين؛ فإن الله -جل وعلا- قال عن نفسه مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ و القراءة الأخرى (ملك يوم الدين) و(خالق كل شيء).

(رب السماوات و الأرض) تقدم أن الاتفاق قائم على أن الأرض خلقت قبل السماء، ولكن تُقدم السماء على الأرض لأنها أشرف.

قوله (السماوات السبع) لا يختلف العلماء في ذلك؛ أن السماوات سبع، وأن لكل سماء حراسًا يحرسونها، لأن السماء لها أبواب ،فحين أسري بـ النبي لم يتجاوز النبي سماءً حتى يفتح له ، ويُسأل جبريل من معك؛ والحديث متفق على صحته.

قوله (والأرض) الله جل وعلا قال وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ أي خلق سبع أراضين يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وقال النبي : «من ظلم شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أراضين» ما قال أقاليم، بل قال أراضين، إذاً فـ السماوات سبع ، والأراضون سبع.

قوله (ورب العرش العظيم) وصف العرش بـ العظمة، وهذا دليل على عظم خلقه وكبير حجمه.

قوله (ربنا ورب كل شيء) أي يا ربنا، توسل إلى الله -جل وعلا- ورب كل شيء لا يخرج شيء عن ربوبية الله، ولا عن ملك الله ، ولا عن قدرة الله ، و لا عن خلق الله، اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وقال تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ فرق الله -جل وعلا- بين الخلق وبين الأمر، وهذا من أقوى الأدلة عند أهل السنة على إثبات صفة الكلام لله -جل وعلا- ولذلك قال سفيان (من قال إن كلام الله مخلوق فإنه كافر لأنه جمع بين ما فرق الله) قال الله: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) فالله -جل وعلا- فرق بين الخلق والأمر، وهذا يقول إن الخلق والأمر واحد، قال تعالى عن أمره إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ما قال فيخلقه، (أن يقول) فيه إثبات صفة القول لله تعالى.

قوله (فالق الحب والنوى) إشارة إلى عظيم خلقه وعلمه بكل شيء ، وأنه لا يخرج شيء عن علمه ، صغر أو عظم ، دق أو جلّ ، فالذي خلق السماوات السبع والأراضين السبع هو الذي خلق الحب والنوى ،فحصلت منه الزروع والثمار مما يأكل الناس والأنعام.

قوله (منزل) يجوز التشديد والتخفيف؛ مُنْزِل ويجوز مُنَزِّل، وقد فرق بينهما بعض العلماء؛ فقالوا

مُنْزِل على دفعة واحدة ، ومُنَزّل على وزن التفريق.

(التوراة) نزلت على موسى و(الإنجيل) على عيسى و(القرآن) على محمد ، فهذه الكتب المنَزّلة كلام اللّه، لا يختلف العلماء في ذلك وأهل السنة و الجماعة يثبتون ذلك، وأن اللّه -جل وعلا- يتكلم متى شاء إذا شاء، لا يعجزه شيء ولا يؤوده شيء ، فصفة الكلام من صفات الكمال لله -جل وعلا- وهي صفة ذاتية من وجه وصفة فعلية من وجه آخر.

قوله (أعوذ بك من شر نفسي) (أعوذ) أي ألوذ وألتجأ، (من شر نفسي) لأن النفس مجبولة على وجود الشر فيها، ولا ملجأ ولا منجى من اللّه إلا إليه ، وكان من دعاء النبي : «اللّهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومو لاها» رواه مسلم، وكان من دعائه صلى اللّه عليه ومسلم: «اللّهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» رواه مسلم، وكان صلى اللّه عليه وسلم يقول: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا».

قال ابن القيم -رحمه اللّه تعالى-:

وسل العياذ من اثنتين ن بهلك هذا الخلق هما اللتا كافلتان

شر النفوس وسيئ الأ واللّه أعظم منهما شران عمال ما

ولقد أتى هذا التعوذ في خطبة المبعوث بـ
منهما القرآن

لو كان يدري العبد أن في هذه الدنيا هما
مصابه الشران

جعل التعوذ منهما حتى نراه داخل الأكفان
ديدانه

فلا يحصل من العباد كفر ولا فسوق ولا ضلال ولا حسد ولا بغي ولا إعجاب إلا بسوء أنفسهم ، فهم في حاجة إلى إصلاح بواطنهم، وكذلك صرُفوا عن عيوب الآخرين.

قوله (ومن شر كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها) (دابة) أي ما يدب على الأرض من الآدميين وغيرهم ، ففيه اللجوء إلى الله والاستعانة به (من شر كل دآبة الله آخذٌ بناصيتها) إذا كانت الدابة مأخوذٌ بناصيتها ، فحينئذ لا يلجأ العبد إلى المخلوق ، ولعلق قلبه وآماله بالخالق، لأن هذا المخلوق الذي تلتجأ إليه ، وتفوض أمرك إليه - ناصيته بيد الله لا حول له ولا قوة له إلا بالله، وهذا يبعث على التعلق بالله ، وعلى خوفه ومحبته ورجائه، قال تعالى: وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا ، وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا ، أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ .

قوله (أنت الأول) وهذا يغني عن وصف الله - جل وعلا- بالقديم؛ فالأول أسمه -جل وعلا- وصفته بخلاف القديم من محدثات المتكلمين ،

فلم يصف الله -جل وعلا- نفسه بالقدم، ولا وصفه به رسوله محمد ، ولكن الأول أعم وأشمل وأبلغ من القديم، وقد يُخبر عن الله -جل وعلا- بالقدم ، لكن لا يسمى ولا يوصف ، لأن هذا ليس له أصل، وأما قوله : «وسلطانه القديم» فهذا وصف للسلطان.

قوله (فليس قبلك شيء) أي كان الله ولم يكن شيء قبله ، ولا شيء معه ، فهو الأول فليس قبله شيء ، وهو الآخر أي هو الذي يبقى ، وهو الوارث فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، الظهور هو العلو؛ لا شيء فوق الله ، ففيه إثبات صفة العلو لله -جل وعلا-، والظاهر اسم من أسماء الله.

قوله (وأنت الباطن فليس دونك شيء) وهو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، وهذا لا ينافي علوه واستواءه على عرشه.

قوله (فاقض عني الدين) هذا توسل إلى الله -جل وعلا- بأسمائه وصفاته وعظيم فضله بأني يقضي دينك، فهذا يقال عند النوم ، كما جاء في مسلم من حديث أبي هريرة ، من ألمت به ملمة ، أو حلت به فاقة ، فليسارع إلى دعاء الله جل وعلا بهذا ، وقد كان النبي يدعو بهذا عند النوم ، فحري بمن قال ذلك ، وتوسل إلى الله بالأسماء و الصفات أن يُقضى دينه ، ويُفرج همه ، وتزال كربته.

(فاقض عني الدين وأغنني من الفقر) ففيه عظيم أمر الديْن ؛ ولذلك قال الرسول : «**يغفر للشهيد كل شيء إلا الديْن**» رواه مسلم، وكان النبي يستعيذ بالله كثيراً من الديْن وغلبته ، ولم يكن السلف يحثون على الدين أو يرغبون فيه ، بل كانوا ينهون عنه إلا ما دعت الحاجة إليه ؛ لأن حقوق المخلوق مبنية على المشاحة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «**نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه**» حديث جيد، وغير ذلك من الأدلة الدالة على عظيم أمر الديْن ، وضرورة المسارعة في قضائه ووفائه ، ورد الحقوق إلى أهلها ففي الحديث: «**على اليد ما أخذت حتى تؤديه**».

وقوله صلى الله عليه وسلم لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر -«أيها الناس، أربعوا أو ارفقوا بأنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً» فيه تنزيه الله -جل وعلا- عن النقائص ، ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال ، وإنما تدعون أي تسألون سميعًا يسمع كلامكم وسركم ونجواكم، بصيرا؛ يبصر أماكنكم أينما كنتم يرى الذرة في ظلمة الليل على صفاة سوداء ، ويعلم ما تكنه صدوركم وما تعلنون، لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، أحاط علمه بكل شيء، ولا يغيب عن نظره شيء، أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ .

قوله (سميعا، إنما تدعون سميعاً بصيراً) فيه إثبات صفة السمع لله -جل وعلا- (بصيرا) فيه إثبات صفة البصر لله -جل وعلا- قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فالسميع اسمه وصفته، والبصير اسمه وصفته، وأهل السنة يثبتون ذلك إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل؛ فلا يحرفون ولا يكيفون ولا يمثلون لأن الله -جل وعلا - لا سمي له ولا كفء له ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

قوله (قريباً) من قربه ، من قربه أنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، الأمر أعظم ولكن هذا للتقريب الأفهام، وهذا لا ينافي علوه واستواءه على عرشه وهذا يبعث على طاعة الله وعلى المسارعة إلى البحث عن رضاه ، فطائفة من البشر يخشون من المخلوق ما لا يخشون من الخالق ، ويطلبون من المخلوق ما لا يطلبون من الخالق ، ويستترون من المخلوق ما لا يستترون من الخالق ، ويستخفون من المخلوق ما لا يستخفون من الخالق ، ويتقربون من المخلوق ما لا يتقربون إلى الخالق ، ويحترمون من المخلوق ما لا يحترمون من الخالق ، ويعظمون من المخلوق ما لا يعظمون من الخالق، ويرجون من الله مغفرة ورضواناً، هيهات، لابد من طاعة الله وطاعة رسوله وتعظيمه والمسارعة إلى رضاه، وامتثال أمره .

الواجب على كل مسلم أن يكون لسان حاله

وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ولا يستثقل طاعة الله ، ولا طاعة رسوله ، ولا المسارعة إلى محابهما من بر الوالدين وصلة الرحم ، والإنفاق في وجوه الخير والدعاء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورعاية الملهوف ، وإغاثة المكروب ونحو ذلك.

ويقر الحديث مشروعية خفض الصوت بالدعاء ، وذلك إذا لم يكن الدعاء يؤمن عليه ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ويؤخذ من ذلك مشروعية خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع الحاجة إلى رفع الصوت كدبر الفريضة ، وحين دخل النبي مسجد و الصحابة يجهرون بقراءة القرآن قال النبي لهم: « **لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن** » وأما إذا لم يكن في ذلك تشويش ولا أذية للآخرين فلا حرج.

ويؤخذ من ذلك إثبات الأسماء والصفات، ويؤخذ من ذلك نفي النقائص عن الله ، ويؤخذ من ذلك إثبات صفة السمع لله والبصر والقرب، قالت عائشة -رضي الله عنها-: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تجادل وتشتكي ، وأنا بقربها ولا أسمع صوتها، وسمع الله شكواها من فوق سبع سماوات).

قوله (إنكم سترون ربكم) السين تفيد الا ستقبال ، وتفيد تحقق الشيء، (ترون ربكم) فيه إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة على الصراط، يراه المؤمنون دون الكافرين، قال تعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ قال

الشافعي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية (لما حجب أعداءه كان دليلا ً على أن أولياءه يرونه، وإلا لكان الأعداء وغيرهم في هذا الأمر سواء) قال تعالى: أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ .

قوله (كما ترون القمر) هذا تشبيه الرؤية بـ الرؤية لا المرئي بالمرئي، نظيره قوله صلى الله عليه وسلم: «إن أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على صورة القمر» لا يمكن أن نقول أن كل مؤمن على وجه القمر، إنما هو لبيان حقيقة الشيء ،وبين كماله وصورته وحقيقته ونحو ذلك.

قوله (كما ترون القمر ليلة البدر،لا تضامون) أي لا يلحقكم ضيم في رؤيته بمعنى لا تزدحمون، كل منكم يرى ربه مخلياً به، قال الله -جل وعلا- لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ الحسنى الجنة، و الزيادة النظر إلى وجه الرب -جل وعلا-، وهذا أعلى نعيم أهل الجنة، لأن الله قال (وزيادة).

قوله (فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس -وهي صلاة الفجر- وصلاة قبل غروبها - وهي صلاة العصر – فافعل)، قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى البردين دخل الجنة» متفق على صحته ؛ والبردان هما الفجر والعصر، ولذلك وصف بالنفاق من تخلف عن هاتين الصلا تين فقال النبي : «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء»، وجاء في صلاة العصر

أدلة خاصة .

ففي هذا الزمان يتخلف عنها كثير من الناس كتخلفهم عن صلاة الفجر، يعودون من أعمالهم فينامون ولا يقومون ، ثم يشتغلون بأعمالهم ولا ينامون ، قال صلى الله عليه وسلم في صلاة العصر: **«من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»** متفق على صحته، أي فكأنما سلب، دخل بيته فلم يجد لا ولداً ولا زوجةً ولا مالاً ؛ ما وجد شيئاً، ما حاله؟ قد يصاب بالجنون، قد يذهب عقله ، ولكن بعض الناس لا يبالى، فتفوته صلاة العصر و العياد بالله ،لكن إن فاته السمر مع زوجته وأهل بيته ،أوفاته الاختبار وقت الامتحان ، أتصور أنه يشتم كل أهل البيت ، وأتصور أن يقع منه ما الله به عليم ، لكن ، حين تفوته الصلاة فالله غفور رحيم، وقال النبي والحديث في البخاري فيمن تعمد ترك صلاة العصر: **«من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»** رواه البخاري، حبط عمله؛ من ترك ص لاة واحدة حبط عمله، فما شأن الذين لا يصلون أبداً ، ولا يعرفون طريق المساجد.

يؤخذ من هذا الحديث أن الأعمال سبب لدخول الجنة، ويؤخذ من هذا الحديث تخصيص بعض الصلوات بالفضل، ويؤخذ من هذا الحديث أن المؤمنين يرون الله -جل وعلا- في عرصات القيامة ويرونه بعد دخول الجنة، ويؤخذ من هذا الحديث أن المؤمنين حين يرونه لا يلحقهم في

ذلك ضيم ولا مشقة ولا ازدحام ولا غير ذلك.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى- (من أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول اللّٰه عن ربه فيما يخبر به)؛ أي أن هذه الأحاديث ليست حصراً، و الفرقة الناجية؛ أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، ويؤمنون بكل ما جاء عن اللّٰه على مراد اللّٰه ، وبكل ما جاء عن رسول اللّٰه على مراد رسول اللّٰه ، كما يؤمنون بما قاله اللّٰه في كتابه من غير تحريف؛ التحريف هو الميل، ولا تعطيل؛ أي نفي الشيء بدون بديل، والتحريف قد يكون استبدال كتحريف الأشاعرة الاستيلاء بدل الاستواء ، و التعطيل كقول الجهمية :إن اللّٰه لا يتكلم ،كقول العرب (جيد عطل) أي خال من الزينة ، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ التكييف هو تشبيه حقيقة الشيء بحقيقة الشيء، والتمثيل أن تقول يد كيدي أو إصبع كإصبعي أو وجه كوجهي.

والقول الوسط هو قول فرقة أهل السنة : يثبتون حقيقة الشيء ويؤمنون بذلك ولا يكيفون ولا يمثلون ولا يدعون المجاز في ذلك فيؤمنون بذلك حقيقة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم؛ أهل السنة وسط بين المشبهة وبين المعطلة؛ وسط في كل الأبواب ، وسط في صفات اللّٰه تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وسط في أفعال اللّٰه -جل وعلا- بين الجبرية و القدرية وغيرهم، وسط في باب وعيد اللّٰه تعالى

بين المرجئة والوعيدية ، وفي أسماء الإيمان و الدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة و الجهمية

كما أن هذه الأمة وسط بين الأمم، ومعنى التوسط بين الشيئين، أن هذه الأمة هي أفضل الأ مم وأكرمها على الله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وسطًا: أي خياراً ، وأهل السنة هم أخير الناس وأكرمهم على الله ؛ لأنهم متبعون للكتاب والسنة وذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، افترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وسوف تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة» جاء في الحديث الآخر من حديث معاوية «هم الجماعة»، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، وبين المخرج: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور» فأهل السنة يؤمنون بذلك عن طريق الكتاب والسنة بخلاف الأشاعرة و المتكلمين الذين يقدمون العقل على النقل ، والله أعلم.

نكمل غدًا إن شاء الله مكانة أهل السنة بين فرق الأمة وما معنى الوسطية في هذا الباب؟

الأسئلة:

سؤال: هل هناك فرق بين السبع أراضين و السبع طبقات؟

الإجابة: أي نعم، هذا سؤال جيد، يقول هل هناك فرق بين السبع أراضين وبين السبع طبقات؟ نعم هم يجعلون الطبقة بمعنى قشرة؛ فهم يجعلون السبع طبقات كلها في أرض واحدة، ابن عباس وابن مسعود؛ وإجماع من الصحابة يقولون بين كل أرض وأرض خمسمائة عام، اللّٰه قال سبع أراضين، ما قال أقاليم، ولا قال طبقات، ولا قال قشور، الأ رض أرض.

سؤال: يجوّز جمع غفير من العلماء البول و الغائط في البنيان إذا كان المرء مستقبلا ً للقبلة، فلماذا يمنعون البصاق؟

الإجابة: أولا ً العلماء ما جوزوا أن تبول تجاه القبلة، جوزوا أن يكون مكانك تجاه القبلة، فرق بين الأمرين، كالبصاق الآن؛ أجازوا أن تبصق تحت القدم ولو كنت مستقبلا ً للقبلة، فالذي يبول الآن، هو مستقبل القبلة لكن ما بال تجاه القبلة، ولا تغوط تجاه القبلة، واضح الفرق؟ إذًا النهى ليس عن الاتجاه إنما هو عن ذات الفعل؛ أن توجهه نحو القبلة.

سؤال: جزاك اللّٰه خيرًا، في صلاة العصر هناك قول أنها الصلاة الوسطي، وهناك قول يرى أن صلا ة الظهر هي الصلاة الأولى ، وقولهم أن العصر

وسطى يعني الخيار؛ هي أفضل الصلوات، وشيخ ا لإسلام يرى أن الصلاة الأولى هي صلاة الفجر؛ فيكون قبل العصر صلاتان وبعدها صلاتان، فأيٌّ منهما صحيح؟

الإجابة: الشاهد من مذاهب العلماء أن الصلاة الوسطى هي العصر، وهذا موجود في مصحف عائشة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي صلاة العصر) ويؤكد هذا القول ما في الصحيحين حيث قال صلى الله عليه وسلم : «**شغلونا عن الص لاة الوسطى؛ صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وأبياتهم ناراً**» هذه أدلة قوية تؤكد هذا المعنى وأن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى؛ فهي سبقت بصلاتين وبعدها صلاتان؛ سبقت بالفجر والظهر، وبعدها المغرب والعشاء.

السائل: ما المراد بالوسطى؟ هل الوسطى في الفضل أم الوسطى في المكان ؟

الإجابة: بعض العلماء قال أن الصلاة الوسطى العصر هي توسط بين الشيئين في المكان وفي الفضل، في مقابل هذا القول يقولون أن الأدلة في صلاة العصر كثيرة؛ (من صلى البردين دخل الجنة) ، وقد جاء الوعيد في صلاة العصر ولم يأت في غيره؛ (من ترك صلاة العصر حبط عمله) ما جاء الوعيد في غير صلاة العصر، هناك وعيد آخر ك الوصف بالنفاق، لكن هنا حبط عمله، لكن هنا الحديث الآخر (من فاتته -الأول من ترك متعمدا-

صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله).

سؤال: هل يحرم على الإنسان أن يبصق تجاه القبلة في الصلاة وغير الصلاة؟

الإجابة: والله الأحوط للإنسان ألا يبصق تجاه القبلة لا في صلاة ولا في غيرها، والقول بأنه يحرم ليس على إطلاقه، لأن الأحاديث مستقلة، و العلة تكاد تكون واحدة، وبالتالي سيبقى في هذا على الإنسان قدر الطاقة ألا يبصق تجاه القبلة.

سؤال: ما الفرق بين التدليس والعنعنة ؟

الإجابة: يختلف التدليس عن العنعنة، فالذين يضعفون الأحاديث بمجرد عنعنة المدلس هؤلاء مخطئون، فليس له أصل عن السلف، العلماء يفرقون بين التدليس وبين العنعنة؛ فيقولون فلان دلس ، ولا يقولون فلان عنعن، والأصل في عنعنة المدلس القبول ما لم يكن الغالب على حديثه التدليس؛ إذا كان المدلس يغلب عليه التدليس واشتهر به وعرف به فلا يقبل حديثه حتى يصرح بالسماع ، وإذا كان يدلس ولم يكن الغالب عليه التدليس فيقبل حديثه ولو بالعنعنة **باتفاق المحدثين**، كقتادة ، والأعمش ، وأبو إسحاق السبيعي، أبو زبير المكي ، ابن جريج، ابن هشيم، الحسن البصري، الوليد بن مسلم ، وآخرين من الموصوفين بالتدليس، هؤلاء يُقبلون مطلقاً لأنه ليس الغالب على أحاديثهم ، وهم ثقات خرّج لهم

الشيخان وغيرهما.

سؤال: ما حكم استقبال القبلة في القراءة؟

القبلة: عند العلماء أن هذا يستحب للمسلم أن يراد أن يقرأ يستقبل القبلة، فيه حديث ... ضعيف (إن خير المجالس ما استقبل به القبلة) لكنه ضعيف، ذهب بعض الفقهاء كابن رجب وغيره إلى أنه يستحب استقبال القبلة في كل شيء لأن هذا هو الأصل.

سؤال: أين توضع زبالة المسجد ؟

الإجابة:المفروض ألا توضع الزبالة في المسجد أصلا ، لم نضعها أصلا ً في المسجد؟ .... لا يصلح أبدا أن توضع الزبالة أمام المصلين.

سؤال: ما حكم قتل النساء والوالدان والشيوخ؟

الإجابة: لم يرد شيء عن النبي في ذلك ، إنما جاء عن بعض الصحابة أن النبي نهى في الحرب عن قتل النساء والصبيان إذا كانوا مقصودين لذواتهم أما إذا دخلوا تبعهم أو كانوا سبايا كما في حديث ابن جثامة في الصحيحين قال له النبي «هم منهم» وكذلك المرأة إذا قاتلت تقتل كما في سنن أبي داوود، أما النهي عن قتل الرهبان ونحو ذلك فهذا وارد عن الصحابة، نعم ، إنهم لا يقتلون، وأما الشيخ الكبير؛فقد ورد عن النبي أنه لا يقتل، إلا المقاتل فيقتل سواء كان صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، أو نحو ذلك فإن هؤلاء يقتلون لأن المقاتل

يقتل.

سؤال: هل يجوز التوسل بالأعمال الصالحة؟

الإجابة: التوسل بالأعمال الصالحة مشروع.

سؤال : الطالب: قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (كان النبي يغتسل من أربع؛ من الجنابة ويوم جمعة ومن الحجامة ومن غسل الميت) رواه أبو داوود وصححه ابن خزيمة.

الشيخ : نعم، حديث عائشة (كان رسول الله يغتسل من أربع؛ من الجنابة، ويغتسل يوم الجمعة وللحجامة ومن غسل الميت) رواه أبو داوود وصححه ابن خزيمة، ولكنه منكر ، أنكره الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- وابن أبي حاتم في العلل ، وضعفه أبو زرعة الرازي، وقال الإمام أحمد: وليس في الحجامة وأشباه ذلك غسل، وهذا هو الصواب، فالخبر منكر .

الطالب: وعن أبي هريرة في قصة ثمامة بن أثال عندما أسلم وأمره النبي أن يغتسل. رواه عبد الرزاق وأصله متفق عليه.

الشيخ: نعم، حديث أبي هريرة في قصة ثمامة أن النبي أمره أن يغتسل، هذا اللفظ شاذ، و المحفوظ في الصحيحين أنه ذهب واغتسل دون أمره، لذا اختلف العلماء في غسل الكافر؛ والصحيح

أنه مستحب.

الطالب: وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله : «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**» أخرجه السبعة.

الشيخ: نعم، حديث غسل الجمعة واجب على محتلم، لا نختلف في صحته ؛لأنه رواه السبعة البخاري ومسلم وأهل السنن وأحمد وهذا يفيد الوجوب عند طائفة من العلماء، وقال آخرون هو للوجوب لكن جاء ما يصرفه عن الوجوب، حديث عائشة في الصحيحين: «لا يغتسل ....»قالوا أن الأ مر هنا للاستحباب وليس للإيجاب وهذا قول الجمهور والأئمة الأربعة.

بالنسبة للأمم السابقة وأن المقصود بالوسطية الخيار، وقد اتفق المفسرون على معنى قول الله - جل وعلا-: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا أي خيارا ، وأن الوسط يطلق على معنيين وعلى أكثر؛ أشهرهما التوسط بين الشيئين ، ولا يختلف العلماء

أن هذه الأمة هى آخر الأمم وأكرمها على الله، إلى أن ينتهى إلى القول بأنه التوسط بين الشيئين فى هذا الموضع، الموضع الثانى: الوسط أى الخيار وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا واختلف فى قول الله -جل وعلا- مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال بعض العلماء: مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ فى كفارة اليمين ، أى من أفضل وأزكى وأخير ما تطعمون الأهل، وقال بعض العلماء من أوسط أى من التوسط، وهذا الذى ذكره الشوكانى وغيره من العلماء، وأنه لا يخرج الطعام الردىء ، ولا يؤمر بإخراج الطعام الجيد؛ يكون وسطاً بين الشيئين، لأن الله -جل وعلا- لما نفى الخبيث علم أن ما عداه جائز قال الله -جل وعلا- وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ (ولا تيمموا الخبيث) ما معنى تيمموا؟ ولا تيمموا أى ولا تقصدوا، (الخبيث) ما معنى الخبيث هنا؟ الحرام، والردىء صحيح، وقد يطلق على عدة معانى؛ ما هى؟ يطلق على الردىء كما فى هذا الموطن، ويطلق على المحرم، ويطلق على النجس لأنه يحمل الخبث.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى- فى بيان مكانة أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة؛ قال: فهم وسط؛ أى على المعنيين، وسط بمعنى الخيار،

ووسط بمعنى التوسط بين الشيئين، إذاً فأهل السنة وسط فى باب الصفات لله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية ، وأهل التمثيل المشبهة؛ أهل التعطيل هم الذين يخلون الله -جل وعلا- عن أسمائه وصفاته ولا يعوضون ذلك بمعنىً آخر، من قول العرب فى لغتها: جيدٌ عَطِل ؛ حين يصفون المرأة إذا لم يكن فى عنقها قلادة ولا غيرها يقولون هذه جيدٌ عطل بمعنى خال من الزينة، ف المعطلة يسمون بهذا الاسم لكونهم يعطلون الله عن أسمائه وصفاته الثابتة له بالكتاب والسنة.

وهذا اللفظ يطلق على الجهمية لأنهم الذين ينفون أسماء الله وصفته ويطلق على طوائف من المعتزلة الذين يقولون أن الله سميع بلا سمع، عليم بلا علم، ويطلق على الأشاعرة من وجه دون وجه؛ من وجه نفى اللفظ الحقيقى ، ولا يطلق من وجه آخر لأنهم يسمون محرفة يعتاضون عن لفظ بلفظ آخر وعن معنى بمعنى آخر، فهو يطلق عليهم من وجه دون وجه.

قوله (الجهمية) نسبة إلى الجهم بن صفوان، لم يكن الجهم بن صفوان هو مؤسس هذا المذهب، ولكنه حمل لواءه وأصل هذا المذهب حينما أخذه عن الجعد بن درهم، والجعد أخذ بدعته عن أبان

بن سمعان، وأبان أخذ بدعته عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم ،وطالوت أخذ بدعته عن لبيد بن ا لأعصم اليهودى الذى سحر النبى .

نسبت بدعة الجهمية إلى الجهم، لأنه هو الذى قعد لهذا المذهب، وهو الذى قتله خالد القسرى، وأشار إلى هذا المعنى الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- فى نونيته فقال:

ولذا ضحى بجعدٍ خالدٌ قسري يوم ذبائح

إذ قال إبراهيم ليس كلا ولا موسى الكليم

شكر الضحية كل لله درك من إمام قربان

فأهل السنة وسط بين هؤلاء المعطلة الذين لا يثبتون لله اسماً ولا صفة وينفون عن الله صفة الرحمة، صفة الغضب، صفة المحبة، صفة الكلام، وفى نفس الوقت هم وسط بين هؤلاء وبين المشبهة الذين غلوا فى الإثبات؛ فكان الواحد منهم يقول يدٌ كيدى وسمع كسمعى وبصر كبصرى، وقد صاح أهل السنة بهؤلاء كما صاحوا بالذين من قبل.

وقد تحدث الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- فى مختصر الصواعق وغيره من كتبه عن الأ حاديث الواردة عن النبى : «أنه حين قرأ وكان الله سمعياً بصيراً وضع إصبعه على عينه والإصبع

الآخر على أذنه» قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: يراد من ذلك بيان حقيقة الصفة ونفى المجاز، المشبهة يحتجون بهذا؛ يقولون أن النبى أشار بإصبعه إلى عينه وإلى أذنه، الاتفاق قائم كما ذكره ابن القيم بأن المقصود بيان الحقيقة لأن الله ليس كمثله شىء فلا يقاس بخلقه، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الكرسى هو موضع قدميه، ولذلك ذهب بعض أهل السنة إلى أن هذا خاص بـ النبى فلا يشرع لأحد أن يشير بإصبعه، وهذا مذهب أحمد -رحمه الله- فالإمام أحمد روى فى مسنده أن النبى قرأ على المنبر وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ثم بسط النبى يده وقبضها، ومع ذلك الإمام أحمد لما رأى رجلا ً فى حلقته قرأ هذه الآية وبسط يده قال له (قطع الله يدك، قطع الله يدك، قطع الله يدك)؛ قال ذلك ثلاثاً، ثم نهض الإمام أحمد وتركه مع أنه هو راوى الحديث، هذا المذهب الأول فى المسألة.

المذهب الثانى: أنه لا حرج من صنيع ذلك على ما جاء فى الأحاديث الصحاح دون غيرها، ما لم يترتب عليه ضرر عند العامة أو عند المشبهة أو عند الذين لا يعلمون ولا يعقلون، وهذا قول الأعمش؛ الأعمش ثبت عنه بإسناد صحيح حين روى

قوله صلى الله عليه وسلم: «القلوب بين إصبعين» حرك أصابعه وذكر ذلك عنه الآجرى -رحمه الله تعالى- فى الشريعة، وروى ذلك عنه ابن ماجة أيضاً فى سننه.

المذهب الثالث فى المسألة: التفصيل؛ وهؤلاء يقولون فيما جاء به النص وما لم يترتب على ذلك ضرر، وأما ما لم يرد به نص أو يترتب على ذلك ضرر؛ كأن يعتقد بعض العامة أن هذا مثل هذا، أو أن هذا عوج فى التشريع، فيجب اتقاؤه والابتعاد عنه لأن المقصود من ذلك هو بيان الحقيقة.

قال نعيم بن حماد الخزاعى -رحمه الله تعالى-: "من شبه الله بخلقه فهو يعبد وثناً، ومن عطل الله عن أسمائه وصفاته فهو يعبد عدماً".

وحقيقة مذهب المشبهة : التعطيل لأنهم يشبهون الخالق بالمخلوق ويعطلون الخالق عن أسمائه وصفاته، نظم ابن القيم عقيدة أهل السنة فى هذا الباب فقال:

لسنا نشبه وصفه إن المـشبهَ عابدُ الأ

كلا ولا نخليه من إن المعـطل عابد

من شبه الرحمن فهو الشبيه بمشرك
أو عطل الرحمن عن فهو الكفور وليس ذا ا

قوله: (وهم وسط)

أى خيار، وفى نفس الوقت من التوسط بين الشيئين فى باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية؛ الأصل فى الجبْرية بسكون الباء، هذا الأصح لغة؛ الجَبْرية، ولكن ذهب بعض أهل اللغة إلى أن الجبرية إذا قرنت بالقدَرية تفتح الباء تخفيفاً، الجبرية هم الذين يقولون بأن الله جبر العباد على أفعالهم وعلى حركاتهم وعلى سكناتهم، وقد غالى منهم طائفة فقالوا بأن كل ما يفعله العبد محبوب لله؛ لأن الله هو الذى جبره على ذلك وحينئذ يكون الشرك والبدع والمعاصى والذنوب والفاحشة محبوبة لله، وغالى من هؤلاء طائفة أيضاً؛ قالوا إن ما أفعله هو عين فعل الله لأنه هو الذى جبرنى على هذا، وهذا أقبح وأقبح.

وهذا يفيدنا فائدة مهمة؛ أن البدعة تؤول بصاحبها إلى مخالفة النقل والعقل وإلى الكفر، ولذلك أهل السنة يقولون أن البدعة بريد الكفر، وأهل السنة لا يقولون بأن الله جبر ولا أن الله لم يجبر، ويتكلمون فى الجبل؛ بأن الله جبل العباد،

وحين تحاج لدى الأوزاعى رجلان؛ هذا يقول بأن الله جبر العباد، وهذا يقول بأن الله لم يجبر العباد، فقال للآخر الذى قال أن الله لم يجبر: (ما أراك إلا نفيت بدعة ووقعت فى مثلها) وجاء مثل هذا عن ا لإمام أحمد -رحمه الله تعالى- وتكلم عن هذا بتوسع شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى- فى الفتاوى.

فأهل السنة وسط فى أفعال الله بين الجبرية والقدرية؛ القدرية لا يقولون بأن الله جبر العباد على أفعالهم وعلى حركاتهم وعلى سكناتهم، لكن يقولون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وأن مشيئة العبد مستقلة عن مشيئة الله، وأن له إرادة غير تابعة لإرادة الله، فهم ينسبون الشىء للعبد، والأ وائل ينسبون الشىء لله، الأوائل لا يجعلون للعبد حركة، وهؤلاء لا يجعلون لله خلقاً ولا مشيئة ولا إرادة ، ويجعلون العبد يفعل كل شىء، وحقيقة هذا المذهب أنّ مع الله خالقاً آخر.

أهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء؛ يقولون بأن للعبد فعلا ً وبأن للعبد إرادة وبأن للعبد مشيئة، ولكن هذه المشيئة تابعة لمشيئة الله **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** الله خلق العبد وخلق فعله ولكنه خيره وبين له طريق الخير وطريق الشر، قال تعالى:

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ قيل المعنى: أى بينا له طريق الخير وطريق الشر، وقال الرسول : «اعملوا» إذًا هناك إرادة للعبد «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وقال تعالى: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الله أثبت أن للعبد مشيئة ولكن مشيئته تابعة لمشيئة الله -جل وعلا.

ومنه يتضح معنى الآثار الواردة بأن القدرية مجوس هذه الأمة؛ الأحاديث الواردة عن النبى فى كون القدرية مجوس هذه الأمة معلولة ، و الصواب وقفها على الصحابة -رضى الله عنهم- ولا يصح من المرفوع شىء، ومعنى هذا أن المجوس جعلوا للعالم خالقين؛ خالق النور وخالق الظلمة ، ولكنهم لا يسوون هذا الخالق بذاك الخالق؛ يجعلون خالق النور أعظم من خالق الظلمة، ونفس الأمر من القدرية؛ يقولون بأن العبد يخلق فعل نفسه، إذًا جعلوا مع الله خالقاً آخر فهم من هذه الحيثية يشابهون المجوس ولا يسوون بين الخالقين.

قوله: (وفى باب وعيد الله)

أى وأهل السنة وسط؛ خيار، ومن التوسط أيضاً بين الشيئين فى باب وعيد الله؛ أى الأحاديث والآيات الدالة على الوعيد كقوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة قاطع رحم» وكقول الله -

جل وعلا- فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وغير ذلك من أدلة الوعيد، (بين المرجئة) والمرجئة طوائف والحديث هنا عن الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب؛ وحينئذ لن يسرى الوعيد على العاصى، وبين الوعيدية من القدرية الذين يقولون بأن الوعيد نافذ ، ولا يخلف الله وعده ولا وعيده؛ قد أصابوا فى الأولى وأخطؤوا فى الثانية، لا يخلف الله وعده هذا نص القرآن وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ لا يخلف الله الميعاد ، أما الوعيد فلم يرد دليل أن الله لا يخلفه، وهذا الباب مرتبط بجملة بعدها وذلك فى قوله (فى باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية)

أسماء الإيمان والدين هى ألفاظ؛ هذا مسلم، هذا كافر، هذا فاسق، هذه أسماء الإيمان والدين، أهل السنة وسط بين الحرورية والمعتزلة؛ الحرورية الخوارج؛ يقولون والمعتزلة"من مات على كبيرة فإنه مخلد فى النار" وهؤلاء يكفرون بمطلق الذنوب؛ فمن مات وهو يشرب الخمر أو يأكل الربا أو يزنى أو يسرق فإنه مخلد فى النار، ويرون الذنب ينافى أصل الإيمان، بينما الفرق بين الخوارج والمعتزلة أنهم يختلفون فى حكمه فى

الدنيا؛ فذهبت المعتزلة إلى أنه بمنزلة بين المنزلتين، وذهبت الخوارج إلى أنه جذىً من جذىً جهنم فى الدنيا والآخرة وأنه مخلد فى النار، وهؤ لاء يكابرون فى أحاديث الشفاعة، وهى أكثر ما يقال عنها بالتواتر؛ من كثرتها ومجيئها من طرق متعددة وهم يكابرون فى هذه الأحاديث ولا يؤمنون بذلك ، وهؤلاء لا يقبلون أخبار الآحاد، ولذلك قال بعض العلماء بأن الخوارج والمعتزلة يحكمون على أنفسهم بالخلود فى النار لأنهم هم أهل الكبائر وهم حماة الشر.

فالخوارج هم الذين خرجوا فى بداية أمرهم على عثمان، ثم قاتلوا عليا وقاتلهم وانتصر عليهم، والمعتزلة هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه؛ ويقولون عن أسماء الله -جل وعلا- سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وهذا من أكبر الكبائر.

قوله: (وبين المرجئة والجهمية)

المرجئة يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب، وأن ا لإيمان عندهم قول واعتقاد وهذا قول طائفة منهم ، طائفة من المرجئة يقولون بأن الإيمان هو مجرد اعتقاد ومعرفة فليس بقول ولا بعمل، والمرجئة طوائف،ولذلك يقول العلماء عن غلاة المرجئة بأنهم جهمية، الذين يقولون عن الإيمان بأنه مجرد معرفة

، وهذا يعنى فى إلزامات أهل السنة لهؤلاء أن يكون إبليس مؤمناً؛ لأنه عارف؛ إذا كان مجرد معرفة عارف، يقول ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ويقول: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

وعلى قول الجهمية وقول الأشاعرة وأيضاً من يقول بأن الإيمان هو التصديق يكون فرعون مؤمناً ؛ لأنه قال ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ هذا مجرد معرفة ومجرد تصديق.

فأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء؛ بين من يكفرون بمطلق الذنوب ، وبين الذين يقولون أن الإ يمان مجرد معرفة أو تصديق ولا يضر مع الإيمان ذنب، وأهل السنة يقولون بأن الذنوب ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ذنب ينافى أصل الإيمان ويخرج من الملة كالشرك ودعاء غير اللّه والذبح والنذر لغيراللّه أو سب اللّه أو سب رسوله سباً صريحاً –عياذًا بـالله من ذلك - أو الاستهزاء الصريح بـ الدين ونحو ذلك.

النوع الثانى: ذنب ينافى كمال الإيمان الواجب، وهذا له مرتبتان؛ المرتبة الأولى: أن يوجب الفسق، المرتبة الثانية: يوجب العصيان؛ لأن اللّه فرق بين هذا وذاك فقال اللّه -جل وعلا-

وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ والفسق جاء فى القرآن على معنيين؛ فسق مخرج من الملة وهو كثير فى القرآن، وفسق لا يخرج من الملة كقول الله -جل وعلا- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا هذا من النوع الذى لا يخرج عن الملة وهو الإخبار بخلاف الصدق وخلا ف الواقع، ومثال ذلك عند أهل السنة الزنا، شرب الخمر، أكل الربا، النمص ؛ لأن النبى لعن الفاعلة، وما وصف بغضب أو لعنة أو وعيد شديد وغير ذلك مما لا ينافى أصل الإيمان فلا يكفر فاعله مهما فعل ما لم يستحل ذلك؛ يعنى مهما شرب من الخمر لا يكفر، مهما أكل من الربا لا يكفر، مهما زنا لا يكفر ولكنه معرض عند أهل السنة للوعيد، معرض للوعيد، ليس معنى هذا أن الذنب لا يضر بالإيمان، لا، ينافى كمال الإيمان الواجب فهو يضر الإيمان وصاحبه معرض للوعيد ولكنه لا يكفر؛ بمعنى أنه لا يخلد فى الجحيم كما تقوله الخوارج والمعتزلة، فأهل السنة وسط يقولون لا يخلد فى الجحيم ويقولون يضر إيمانه؛ ينقص ثوابه وهو معرض للوعيد، ليس كما تقوله المرجئة بأنه لا يضر مع الإ يمان ذنب.

القسم الثالث: الذنب الذى ينافى كمال الإيمان

المستحب، من ذلك المكروه لم يطلق عليه أنه ذنب . ولكنه لا ينافى كمال الإيمان الواجب، وممكن يقال ما ينافى كمال الإيمان الواجب من البدع، والقسم الثالث ما ينافى كمال الإيمان الواجب من الفسق.

فأهل السنة فى باب أسماء الإيمان والدين بين هؤلاء وهؤلاء، وفى نفس الوقت يحرصون على ضبط هذا الباب وتأصيله وحماية جنابه وربطه بـ العلم دون الجهل؛ فلا تدفع الغيرة إلى تكفير أصحاب المعاصى ، ولا تبعث الجرأة على التكفير إلى المنع من التكفير، لأن بعض الناس فى هذا العصر تسارع إلى التكفير بدون دليل وهذا صفة أو خصلة من خصال الخوارج، وآخرون حين يرون هؤلاء يكفرون؛ يتجرؤون على التكفير يقولون لا نكفر أحداً حتى الذى قامت عليه الحجة وانتفت عنه الشبهة وهذا ضلال.

فكل من قامت عليه الحجة وانتفت عنه الشبهة فإن هؤلاء يكفرون، ولكن يربط هذا الباب بأهل العلم الذين يفهمون معنى إقامة الحجة، ويفهمون معنى إزالة الشبهة؛ لأن طالب العلم المبتدأ قد لا يفهم هذا الباب ولا يميز؛ يحفظ فى كـ لام العلماء من قال ذلك كفر فيطبق على كل مسألة

، لكن الفقهاء المعنيين بضبط الحلال والحرام هم أهل القدرة على تنزيل العام على الخاص ووضع الأ دلة فى مواضعها، وهذا لا يتأتى لطالب العلم الصغير.

فلذلك نواقض الإسلام تدرس وتعلم بالحديث عن النوع دون الحديث عن العين، وينبغى لكل ط الب العلم ولكل عامى من ذكر أو أنثى أن يتعلمها وأن يحفظها لكى يحذرها ولكى يقرر الأصل العام؛ أنه إن فعل ذلك كفر، ولكن حين يأتى التنزيل على فلان وعلان فإن العامى يخرج عن هذا الباب ويقيد هذا بأهل العلم ما لم يكن العامى مقلداً لعالم يروى دينه وعلمه وورعه فى هذا الباب.

قوله (وفى أصحاب رسول الله بين الرافضة والخوارج)

أى وأهل السنة وسط أى خيار وأيضاً من التوسط بين الشيئين، بين الرافضة والخوارج؛ و الرافضة طوائف يتجاوزون سبعين فرقة، فأهل السنة وسط بين الرافضة الذين يغلون فى آل البيت وينصبونهم إلهاً دون الله، وبين الخوارج و النواصب الذين لا يتولون آل البيت أو يبدعونهم ويضللونهم أو يكفرونهم كما صنع الخوارج؛ فأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

قلت قبل قليل بأن الروافض مراتب؛ منهم الغ
لاة كالاثنى عشرية يسمون بالإمامية وهم الغالب
فى هذا العصر، وهؤلاء وثنيون، والأصل فى
مذهبهم دعاء غير الله، وكلكم ربما قرأ فى هذا
اليوم فى بعض الصحف تجد فى الرياض مثلا ً
يرى الصور لما صنع مشركو عاشوراء فى كربلاء با
لأمس من نحر نفوسهم بالسكاكين وإراقة الدماء
على رؤوسهم ودعاء غير الله -جل وعلا- وتأليه الأ
ولياء والصالحين.

وهؤلاء تتمثل فيهم عدة أمور؛ الأمر الأول:
دعاء غير الله -جل وعلا- وهذا شرك أكبر لا يغفره
الله إلا بالتوبة، الأمر الثانى : تكفير الصحابة ولا
يستثنون من ذلك إلا آل البيت وسلمان والمقداد
وأبا ذر، وفى نفس الوقت ذهب متأخروهم إلى
كفر هؤلاء، الأمر الثالث: قذف عائشة بالإفك بعدما
برأها الله وهذا كفر لأنه تكذيب لكلام الله وتكذيب
لكلام رسول الله وطعن مبطن فى الرسول ، الأ
مر الرابع: دعوى تحريف القرآن، وهذا يكاد يتفق
عليه أئمتهم ولذلك لا يتجاسرون على نقد كتاب
أحد شياطينهم فى دعوى تحريف كلام الله -جل
وعلا- المعنون بعنوان (رفع ارتياب) ويقال أيضاً
(فصل الخطاب فى تحريف كلام رب الأرباب)

وهذا مطبوع ومتداول وبقوة فى بلاد الرافضة، و لا يتجاسرون على نقده ولا على الرد عليه، بل ذهب بعضهم إلى أن مؤلفه مجتهد، الأمر الخامس: أنهم لا يؤمنون بأسماء الله وصفاته أبداً ولا يوجد هذا فى كتبهم أبداً؛ ملغى هذا الباب، هم معطلة فى هذا الباب، ومثل هذا كثير فى مذهبهم وفى واقعهم وأيضاً لا يؤمنون بالسنة مطلقاً لأنها جاءت من رواية المرتدين ومن رواية النواصب وقد ذكر السيوطى -رحمه الله تعالى- فى مقدمة كتابه (مفتاح الجنة) الإجماع على كفر من قال نؤمن ب الكتاب ولا نؤمن بالسنة، وهناك أيضاً أمور كثيرة جداً مثل التناقض فى مذاهبهم وضلالهم وانحرافهم ، وأنهم ألصق الناس باليهود ، ولذلك أنصح الأخوة بقراءة كتاب (بذل المجهود فى متابعة الرافضة لليهود) مطبوع فى مجلدين؛ كتاب جيد ونافع ومفيد فى هذا الباب .

وأما الخوارج فقد أخبر النبى عنهم وأمر ب الحذر منهم ، وأمر بقتالهم ، فخرجوا على علىّ فقاتلهم مع بقية الصحابة -رضى الله عنهم- لأن هؤ لاء يكفرون بمطلق الذنوب، زيادة على هذا يجعلون من الذنب ما ليس بذنب، فهم يكفرون بمطلق الذنوب، ومن سوء فهمهم وقلة علمهم

يجعلون من الذنوب ما ليس بذنب، وكانوا يقولون عن عليّ أنه ما حكّم كتاب الله ويقولون لا حكم إلا لله، فكان عليّ يقول :" كلمة حق أريد بها باطل" كذلك استحلوا دماء الصحابة وقاتلوهم وكفروهم، وتواترت الأحاديث عن النبى بوجوب قتالهم، وقال عنهم: «**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**».

ومع هذا النص العظيم المتواتر عن النبى إلا أن ابن تيمية حكى الإجماع على عدم كفرهم، مع أنه قال يمرقون من الإسلام، فهذا يبعث على الورع فى عدم الجرأة على تكفير من لم يرد فيهم مثل هذا النص، إنما مجرد اجتهاد، إذا كان النبى قال عن هؤلاء يمرقون من الإسلام ، ومع ذلك أهل العلم لا يكفرونهم ، فكيف بالذين لم يرد فيهم مثل هذا النص؟

أمر آخر: يجب التفريق بين الخوارج الأول و الخوارج الأواخر؛ الخوارج الأوائل لم يكن عندهم من البدع إلا القليل وكانت أعظم بدعة عندهم هى هذه البدعة، بخلاف الخوارج الأواخر ؛ المتواجدين الآن فى عصرنا فى عمان وغيرها، فإن هؤلاء جهمية معطلة فى باب الأسماء والصفات، وخوارج فى باب أسماء الإيمان والدين، يكفرون على الكبائر

، ومن عجيب أمرهم أنهم مرجئة أيضاً فى تنزيل النواقض على المعينين فهم جمعوا بين مذهب الخوارج وبين مذهب المرجئة ، وهذا من التناقض الموجود فى مذهبهم.

ولذلك ذهب بعض العلماء إلى تكفير الخوارج ا لأواخر دون الأوائل، وهذا ما ذهب إليه الشاطبى و القرطبى والسبكى وغير هؤلاء، وعلى كلٍ لا يسع الحديث عن هؤلاء ولا عن هؤلاء ، فالحديث عن وسطية أهل السنة.

وقد أخبر النبى عن وجود الاختلاف وأنه كثير وليس بقليل ، وأوجب متابعة الصحابة؛ فقال صلى الله عليه وسلم فى حديث العرباض وهو حديث جيد رواه الأربعة وغيرهم: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين» هذا من أعظم الردود على الرافضة، فهم يجعلون الصحابة مرتدين، كيف يكونون مرتدين وقد أمر النبى باتباعهم والسير على منهاجهم والاقتفاء بآثارهم وضرورة تعظيمهم واحترامهم والاقتداء بهم، ولذلك قال: «عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور»، «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من

بعدى»، ومن جميل كلام سفيان -رحمه الله تعالى- (إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل)، وقد جاء من رواية جمع من الصحابة كمعاوية وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبى هريرة قال صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وسوف تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة» هذا حديث صحيح، جاء فى حديث معاوية: «الجماعة».

وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى» وهذه رواية ضعيفة؛ تفرد بها عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى وهو سيئ الحفظ، تابعه الفلسطينى عند العقيلى فى الضعفاء وهو متروك الحديث، الذى ثبت الجماعة؛ والجماعة هم من كان على مثل ما كان عليه النبى والصحابة والله أعلم.

سؤال: علام يحمل قوله : « يمرقون من الإسلام» ؟

الإجابة: يُحمل قوله صلى الله عليه وسلم: «يمرقون من الإسلام» على أن الأمر يؤول بهم إلى المروق، شيخ الإسلام طبعا لا يخالف ظاهر هذا النص، ولكن يستدل على هذا النص بنصوص أخرى، شيخ الإسلام مثلًا يقول- طبعاً أنا لا أعلل له، ولكن هذا واقع كلامه- يقول : "لا يمكن أن يأتى أحد أفهم لكلام النبى من الصحابة " ، وهذا لا ينازع فيه مسلم – كما أظن.

الصحابة -رضى الله عنهم- حين قاتلوهم لم يعاملوهم معاملة المرتدين، ولم يُفت صحابى قط بتطليق نسائهم ولا بسبى ذراريهم ، ولا بالإجهاز على جريحهم، ولا بغير ذلك، إذاً لم يكن الصحابة يعاملونهم معاملة المرتدين، إذاً الصحابة -بالذات على- إذ هو الذى تولى هذه القضية وهذه المهمة الشريفة فى قتالهم لم يكن يعاملهم معاملة المرتدين، وقد جاء عن على من غير وجه، ذكر ذلك جاء عند أبى شيبة فى المصنف وإن كان بعض العلماء يضعفه، ولكن هو جاء من غير وجه يعنى يمكن يحسن بمجموع طرقه والشواهد، أنه قيل لعلى: أكفارٌ هم؟ قال: (من الكفر فروا) قيل: منافقون؟ قال: (المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا) ، قيل: إذاً من هم؟ قال: (إخواننا بغوا علينا)،

وبعض العلماء يعتقدون أن هذه المقولة قالها فى غزوة صفين والجمل، لكن الصواب أنه قالها فى الخوارج، لكن يبقى التحقيق فى صحة هذا الإسناد ، وعلى كلٍ لا يضرنا هذا الأثر، بقدر ما يهمنا تعامل علىّ مع هؤلاء؛لم يكن يكفّرهم.

فشيخ الإسلام يقول أن الصحابة فهموا من النص أنه لمطلق الوعيد ، وأنه لا يقتضى تكفيرهم يمرقون من الإسلام أى يؤول بهم الأمر إلى المروق من الإسلام، ولذلك لا أجد إلا تكفير الغلاة منهم، السر فى عدم تكفيرهم هو أنهم كانوا متأولين أو أكثر تأويلا ً، ولذلك ذهب بعض العلماء؛ وهو قول ثالث فى المسألة إلى أن المنطلق الذى انطلقوا إليه هو منطلق كفرى؛ فمجرد تكفير الصحابى يعد كفراً، ولكن الصحابة لا يكفرون أعيانهم لقوة شبهتهم وكثرة تأويلهم وعظيم شأنهم وهذا غير بعيد أن يقال بهذا القول، وإن لم يكن قد قال به أكابرنا الأ وائل.

لكنه قد يقال؛ إن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يرون أن هذه البدعة بدعة كفرية، لأن الحديث يقول :" يمرقون من الإسلام" لكن الصحابة لم يعاملوهم معاملة المرتدين لعدم قيام الحجة الواضحة عليهم ، أو لكونها شبهة قوية فى

أمرهم ، كما كان ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يكفر الجهمية، وهذا مذهب أهل السنة؛ يكفرون الجهمية ، لكن لم يكونوا يكفرون أعيانهم، فهؤلاء ك الروافض.

وهذا لا يمنع أن يكون الروافض كفارًا، بل يختلف تكفير الطائفة عن تكفير الأعيان، كما أن أهل السنة لا يتورعون عن تكفير الجهمية، لكن كانوا لا يكفرون أعيانهم، ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يكفر الجهمية وهذا واضح فى كل كتبه، ولكن لم يكن يكفر أعيانهم حتى تقوم عليهم الحجة وتنتفى عنهم الشبهة، وفى نفس الوقت حين ناظر علماءهم والدعاة منهم والخطباء، قال -رحمه الله تعالى- لهم:" أنا لو قلت بقولكم لكفرت ولكنكم لا تكفرون عندى" لماذا؟ لأنهم جهال عنده ومتأولون ولم تقم عليهم الحجة، ابن تيمية ماذا كان يصنع معهم؟ كان يناظرهم ويزيل الشبهة عنهم ولكنه يرى -رحمه الله- أن الشبهة بعد ما ز الت فيهم، ويرى أن هؤلاء لهم شبهة قوية تحتاج إلى إزالة ، وأنهم يبحثون عن الحق، فلذلك امتنع عن تكفيرهم لأنه يرى أنهم يبحثون عن الحق، ما كانوا عن عناد وما كانوا عن خبث ؛ فلذلك يرى أن الشبهة ما زالت عنهم، فلذلك لا أتصور أنه قد يوجد

أحد يقيم الحجة ويزيل الشبهة أقوى من شيخ الإ
سلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى.

وفى نفس الوقت لا يبعث هذا على الامتناع عن تكفير من قامت عليه الحجة وزالت عنه الشبهة، فبعض الناس يتورع عن تكفير من ادعى النبوة، وآخر يتورع عن تكفير من قال أن الله و الشيطان وجهان لعملة واحدة، هذا ماذا أبقى ؟ ، وفى نفس الوقت نوظر وقامت عليه الحجة وزالت عنه الشبهة ، ويتبجح فيما بعد ويخرج مقالاً يقول أنا بطل مروياتى، مثل هذا (..) لا ورع فى تكفيره والعامة يقلدون العلماء، هذا واضح قامت عليه الحجة وزالت عنه الشبهة وفى نفس الوقت يعاند، يختلف عن الرجل الذى هو من منطلق دينى، فلذلك أيضاً شيخ الإسلام فصل بين من كان منطلقه دينياً ويتأول ، وبين من كان ليس له منطلق ،وليس له أصلًا عقيدة يتمسك بها ، يقول ما يهوى ، ويكتب ما يريد ، ويتحدث بما يحب دون ا لارتباط بدليل لا من الكتاب ولا من السنة .

وهذا يعنى الفصل بين امتناعنا نحن عن تكفير المأمون ونحو ذلك ؛ لأنهم كانت لهم شبهة ، وكانوا ينطلقون من منطلق دينى، فإذا عرفنا أنه ليس له منطلق دينى أصلاً ؛ هو كما يريد ، يقول ما يُكفِّر

ويكفّر ولا يبالى، فهو عبد لهواه ، فمثل هذا لا يصح له التأويل، بخلاف من كان له شبهة أو عنده تأويل أو كان من المنتسبين للعلم والدين وغير ذلك، بخلا ف من لا ينتسبون لا لعلم ولا لدين، كما قال عنهم ابن حزم:" والله لو كان فى عبادة الصلبان تمشية لأ مورهم لبادروا إليها مهطعين" .

سؤال: ما الفرق بين البغاة والخوارج؟

الإجابة: هناك فرق بين البغاة والخوارج، وهذا فى الحقيقة من الأشياء التى وجدت فى هذا العصر ووجد خلط فيها، فالخوارج هم الذين يكفرون بمطلق الذنوب كما تقدم الحديث عنهم ، أما البغاة فليسوا بخوارج؛ البغاة هم من يخرجون على الإمام بالسلاح، هؤلاء لا يسمون خوارج، يسمون بغاة ، لذلك أجمع العلماء على أنه ينظر فى شبههم وينظر فى مطالبهم وتحقق إن كانت شرعية، الآن وجد فى هذا العصر خلط للجهل أو للهوى، يسمون هؤلاء خوارج وهذا ليس بصحيح؛ ليس له أصل.

سؤال : أئمة الروافض يُكفرون؟

الإجابة: نعم، هؤلاء قامت عليهم الحجة وانتفت عنهم الشبهة ولا إشكال فيهم.

سؤال: المسلم الذى لا يكفر إلا المرتد ، هل يسمى خارجيًا؟

الإجابة: لا ليس بخارجى، لكنه جاهل، وأنا دائماً أنصح الأخوة أن ما علم عنده لا يتكلم فى هذه القضايا، هذه قضايا كبيرة، العجيب أن بعض الناس ما يتجاسر يفتى فى الحيض؛ لو سئل عن امرأة تجاوزت أيام عادتها والدم نفس الدم ، قال ما أدرى، سئل عن مسألة فى الصلاة ما درى، سئل عن مسألة فى الطلاق ما درى، طيب كيف تفتى فى الأ مور الكبيرة التى هى إخراج العبد عن الإسلام، فإذا كان لا يدرى عن أمور الصلاة والطلاق ويدرى عن أمور التكفير، هذا ضلال وجرأة عظيمة وهذا فى الحقيقة موجود فى واقعنا الآن؛ شباب يتجرؤون على التكفير وهم بعد ما يحسنون فتوى فى الصلا ة والصيام ونحو ذلك.

سؤال: هل يصح عن الإمام أحمد أنه مر على قبر المأمون فقال :هذا قبر الكافر ؟

الإجابة: نعم، مر بقبر المأمون فقال هذا قبر كافر، نعم هذا موجود فى كتاب السنة للخلال، نعم إسناده صحيح، لعل الإمام أحمد ما كفره فى حياته لكيلا تقوم فتنة يحمل السلاح ، وتراق فيها الدماء ، فلما توفى ،وزالت الفتنة ، كفره الإمام أحمد.

سؤال: من المقصود بمرجئة الفقهاء؟

هذا مصطلح أول من عرّف به شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- من يقول بأن الإيمان قول واعتقاد ، وينبعث عن الاعتقاد عمل الجوارح، لكن لا يقولون إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يقولون بأن الإيمان قول واعتقاد ، وينبعث عن الا عتقاد عمل الجوارح، فهؤلاء هم مرجئة الفقهاء.

سؤال: لماذا كان السلف يتحاشون الحديث عن القدر؟

الإجابة: صحيح، طبعاً الحديث عن القدر، كان السلف يتحاشون الحديث عنه بكثرة؛ لأنه فى الحقيقة مزلة أقدام ومظنة أفهام، والحديث عنه يحتاج إلى علم واسع وفقه وإيمان قوى، ولذلك ما كتب عنه من الأوائل إلى قلة ونوادر ، بل يعد كتاب ابن القيم هو الوحيد فى باب القدر التفصيلى، بخلاف الكتب الأخرى ،فهى مجرد سرد أحاديث وآيات، لكن الإمام الوحيد الذى فصل فيه من الأوائل هو ابن القيم -رحمه الله تعالى- وبيّن علو الباب ، وأنه باب كبير وخطير يحتاج إلى فهم وإلى علم وإلى اطلاع ؛ لذلك كان الأوائل يحجمون عنه وقد تكلم فيه ابن القيم ، ووضح بعض الأشياء التى أحجم عنها الأوائل ، وفى نفس الوقت هناك

من تكلم عنه وضل فيه ، ما أحسن فى هذا الباب ، ويوجد فى عصرنا هذا من ضل - حتى من أهل السنة - فى باب القدر ، كمن يحتجون بالقدر على فعل المعصية، وهذا من الضلال فى باب القدر.

وعند مراد الله تفنى وعند مراد الناس

وعند خلاف الأ ظهيراً على الرحمن بـ

سؤال: ما مدى صحة الإسناد فى قصة خالد القسرى ؟

الإجابة: لا تحتاج ، فقصة خالد القسرى ذكرها ا لإمام الدارمى؛ والدارمى لم يكن بينه وبين الحادث سوى ثلاثين عاماً ، فقد اشتهرت فى عصره ، واستفاضت وذكرها ، فلا حاجة إلى إسناد، ثم إن الإمام مالك يفتى بأن الداعى إلى بدعة يجوز لولى الأمر قتله إذا دعا إلى بدعته؛ هذا مذهب مالك - رحمه الله تعالى- فى هذا الباب، لا يحتاج الأمر إلى كبير استدلال، وقصة خالد القسرى ليست وحياً ولا كتاباً ولا سنة ولا تذكر على سبيل الاحتجاج، تذكر على سبيل القصة وكحكاية، ونحن فى غنى عن ذلك بأدلة الكتاب وأدلة السنة.

سؤال: هل يعد أبو الزوج من الرضاعة من محارم الزوجة ؛ فتنكشف أمامه؟

الجواب : الإنسان إذا كان له أب من الرضاعة ، فلا يمكّن زوجته من الكشف له ؛ لأن النبى   قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»، وهذا صهر وليس بنسب ، وهذا الذى أفتى به ابن تيمية وابن القيم وجماعة من المحققين، فيختلف النسب عن الصهر.

السؤال: كيف نوفق بين الإيمان بالقدر، وفعل ا لأسباب ؟

الجواب : لابد من فعل الأسباب، وفعل الأ سباب هو من التوكل على الله، ومن الإيمان بالقدر، أعظم الناس إيماناً بالقدر هو النبى   ، وفى نفس الوقت كان يسارع إلى فعل الأسباب، وكان يلبس ال لأمة فى الحروب ، وليس من الإيمان بالقدر أن يدع الإنسان الأسباب لأن هذا قدح فى التوحيد، كما قال ابن تيمية: "الاعتماد على الأسباب شرك فى التوحيد، وترك الأسباب قدح فى التوحيد".

سؤال الطالب : قال المؤلف -رحمه الله تعالى- روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله : «إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوءًا» رواه مسلم ، زاد الحاكم « فإنه أنشط للعودة».

الشيخ : حديث أبى سعيد الخدرى « إذا أتى أحدكم أهله » يعنى جامع أحدكم أهله « ثم أراد أن يعود » أى جامع ثم انصرف ، وأراد أن يعود مرة أخرى للجماع ، يقول النبى « فليتوضأ بينهما وضوءًا » هذا الوضوء للاستحباب وليس للإ يجاب ، وهذا الخبر فى صحيح الإمام مسلم، زاد الحاكم -وهذه رواية شاذة فإنه أنشط - ضبط بوجهين- للعُود أى للذكر أى عضو الجماع، وأنشط للعَود؛ للمعاودة مرة أخرى ليشبع غريزته وغريزة زوجته، وهذه رواية شاذة.

الطالب : روى الأربعة عن عائشة -رضى الله عنها- قال: «كان رسول الله ينام جنباً من غير أن يمس ماء ً» وهو معلول.

الشيخ : نعم حديث عائشة قالت «كان رسول الله ينام وهو جنباً ولا يمس ماءً» هذا الخبر معلول باتفاق المحدثين، وقد حكى ابن عبد الهادى -رحمه الله تعالى- فى المحرر الاتفاق على ضعف هذا الخبر.

الطالب : وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «كان رسول الله إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ، ثم ينثر بيمينه على شماله فيغسل فرجه ، ثم يتوضأ ثم يأخذ ماءً فيدخل أصابعه

فى أصول الشعر، ثم حفن على رأسه ثلاث حفنات ثم أفاض على سائر رأسه ثم غسل رجليه» متفق عليه واللفظ لمسلم ، ولهما من حديث ميمونة « ونفض على فرجه وغسله بشماله وضرب به الأرض وفى رواية ومسحها بالتراب»، وفيه: «ثم أتيته بـ المنديل فرده»، وفيه: « وجعل ينفض الماء بيده».

الشيخ : حديث عائشة «كان النبى إذا اغتسل من جنابة يبدأ بغسل يده » على وجه الاستحباب، غسل الجنابة نوعان؛ النوع الأول: غسل مجز وهو أن يفيض الماء على بدنه فيطهر، وغسل كامل وهو أن يتوضأ قبل الغسل؛ فيتوضأ ويغسل رأسه ثلاثاً ، ثم يفيض الماء على جسده، تقول عائشة « فيغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله ويغسل فرجه ثم يتوضأ ثم يدخل أصابعه فى أصول الشعر ثم حفن على رأسه ثلاث حفنات » وهذا للذكر والأنثى إلا المرأة إذا كان شعرها منثوراً يجب أن ترويه بالماء، إذا كان شعرها معقوصًا يعنى ملفوفاً ، فإنه يكفى أن تغسل ظاهره ولا يلزم أن تنقضه، ثم أفاض على سائر جسده الماء، لم يذكر عدداً فيكفى بذلك مرة واحدة بقدر ما يوصل الماء إلى كل بدنه « ثم غسل رجليه ثم نفض على فرجه وغسله بشماله

وضرب بها الأرض » أى لإزالة ما علق بها من القاذورات، وفى رواية أخرى« ومسحها بالتراب، ثم أتيته بالمنديل فرده أى لم يقبله وجعل ينفض الماء بيده».

سؤال: يا شيخ هل يشترط فى الغسل التوالى؟

الإجابة: الغسل، لا يشترط فيه التوالى.

الطالب : قال -رحمه الله تعالى-: إلى أمثال هذه الأحاديث التى يخبرها عن النبى الصادق فيما يخبر به فإن الفرقة الناجية من أهل السنة و الجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه من غير تحريف ولا تعطيل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى فى حديثه عن إثبات الأسماء والصفات وتوضيح بعض المعانى الواردة فى هذا الباب وبيانه أنه لا تناقض بين علوه وفوقيته وبين معيته لخلقه فقال رحمه تعالى:

(فصل): الفصل هو الحاجز بين الشيئين يؤتى به للانتقال من أسلوب إلى أسلوب أخر وقد يؤتى به ويكون الثانى بمعنى الأول لأن الكلام إذا طال

سرده بدون فصل أورث الملل والسآمة فكان هذا الفصل لشحذ الهمم وصرف الأنظار وقد يؤتى بفصل ليكون الثانى تفسيرا للأول.

قوله: (وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان ب الله).

الإيمان فى اللغة يطلق على التصديق لقول الله جل وعلا : وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا [يوسف: 17] أى بمصدق لنا.

وفى الشرع: هو قول وعمل قول القلب و اللسان وعمل القلب واللسان والجوارح والمشهور فى كتب المتأخرين فى تعريف الإيمان أنه: قول ب اللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وهذا التعريف صحيح لكنه ينقصه عمل القلب يقول الإ مام البخارى رحمه الله تعالى: أدركت ألف شيخ وهم يقولون إن الإيمان قول وعمل.

ولذلك لم يذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى فى العقيدة إلا القول المجمع عليه (قول وعمل) قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح وهو الذى ذكره فى كتابه الإيمان بخلاف القول الآ خر لأنه أولا ً:لم يتفق عليه ثانيًا : فيه نقص.

قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: الإيمان

قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد دون الآخر .. المقصود بذلك الجنس ولا يجزئ جنس القول عن جنس العمل ولا جنس العمل عن جنس الاعتقاد ولذلك اتفق أهل السنة وأجمعوا على أن تارك جنس القول أو تارك جنس العمل كافر. لا يختلفون فى ذلك قد حكى إجماعهم الإمام الآجرى رحمه الله فى كتابه الشريعة.

قوله: (الإيمان) هنا فاعل ذكر: فعل ماض والإ يمان فاعل.

(ثم أخبر الله جل وعلا به فى كتابه وتواتر عن رسوله)

المتواتر: هو ما صح إسناده إلى رسول الله وتلقاه العلماء بالقبول هذا الصواب فى معنى المتواتر وقال بعض العلماء: المتواتر ما رواه بضعة عشر وقال آخرون ما رواه ما لا يقل عن أربعين وقال آخرون ما رواه ما لا يقل عن ثلاثمائة وبضعة عشر كعدد أصحاب طالوت.

وقال بعض العلماء: المتواتر ما توافر فيه أربعة شروط:

الشرط الأول: أن يرويه عدد كثير.

الشرط الثانى: أن تكون الكثرة فى جميع

طبقات السند.

الشرط الثالث: أن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب.

الشرط الرابع: أن يكون مستند قولهم الحس كقولهم: سمعنا ولبسنا وشممنا.

تقدم الحديث عن ذلك وهذه الشروط معروفة عن المتكلمين وليست بمعروفة عن أئمة السلف الماضين.

والصواب فى المتواتر: ما ثبت إسناده إلى رسول الله وتلقاه العلماء بالقبول.

ولهذا لم يمتنع الحافظ الذهبى رحمه الله تعالى فى كتابه(العلو) عن وصف حديث معاوية بن الحكم السلمى الوارد فى صحيح مسلم ولم يرو عن غيره من الصحابة حين قال النبى للجارية: «أين الله؟» قالت: فى السماء قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال عنه هذا حديث متواتر.أى فى معنى اصطلاح أئمة السلف.

وإن كان الرائج الآن فى كلام المتأخرين الشروط المتقدمة وينبغى التنبيه-وأكرر- بأن ذلك ليس له أصل.

ولذلك إذا أردنا ألا نقول بتعريف قط نقول: ما

جاء من غير وجه واتفق العلماء على تصحيحه ولا يقيد هذا بعدد معين.

وأهل السنة يؤمنون بكل ما أخبر الله عنه فى كتابه من الإيمان بـالله وملائكته وكتبه والرسول والنبيين ومن الإيمان بالدابة: أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ [النمل: 82] ومن الإيمان بنزول عيسى بن مريم كما أخبر الله جل وعلا عن نزوله وتواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله وجاء فى صحيح مسلم: «والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء».

ومن ذلك ما أخبر به النبى من تسبيح الحصى وحنين الجذع وتسبيح الطعام فى يده ونبع الماء بين يديه وانشقاق القمر فلقتين وغير ذلك مما أخبر الله عنه فى كتابه أو تواتر فى الأثر عن النبى فأهل السنة يؤمنون بذلك ويصدقون .

وكان من أعظم الناس تصديقًا هو أبو بكر الصديق ولذلك سمى بالصديق وحين أتى إليه كفار قريش يريدون التشويش على إيمانه فقال له أحدهم: يا أبا بكر صاحبك يزعم بأنه أسرى به فى ليلة وصلى الأمس فى بيت المقدس وذهب إلى السموات السبع فى ليلة واحدة أتصدق؟ قال: إن كان قد قال فنعم أصدق فسمى بعد ذلك أبو بكر الصديق كما جاء فى قول الله تعالى: وَالَّذِى جَاءَ

بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ [الزمر: 33] الذى جاء بالصدق هو محمد وصدق به هو أبو بكر الصديق وقال بعض العلماء: الذى جاء بالصدق هو جبريل وصدق به هو محمد : وقد أثنى اللّه جل وعلا على أبى بكر فى قوله: إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة: 40] هذه معية خاصة للنبى وأبى بكر الصديق.

قوله: وأجمع عليه سلف الأمة الأصل الأول الكتاب قال : «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله» رواه مسلم.

الأصل الثانى: السنة وهذا لا يختلف فيه العلماء ولا يمارى فيه العقلاء قال :«إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور».

وفى صحيح مسلم من حديث جابر قال : «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى رسول الله ».

الأصل الثالث: الإجماع ويأتى إن شاء الله تعالى فى كلام شيخ الإسلام قوله: (والإجماع الذى

ينضبط ما كان عليه السلف الصالح) إذ بعدهم كثر الخلاف وانتشرت الأمة

والإجماع نوعان إجماع قطعى يكفر المخالف فيه ويكفر منكره ومن ذلك الإجماع بأن الصلوات خمس فلو أن شخصا كابر وقال بأن الصلوات أربعة فهذا يحكم بكفره لأن الإجماع قطعى بأن الصلوات خمس قال : «خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد» ومن الإجماعات القطعية أن عدد ركعات صلاة الظهر أربعة وعدد ركعات صلاة العصر أربعة وعدد ركعات صلاة المغرب ثلاثة وعدد ركعات صلاة العشاء أربعة وعدد ركعات صلاة الفجر اثنتان .

ومن الإجماعات القطعية تحريم الزنا وتحريم نكاح الأم ونكاح الأخت ومن الإجماعات القطعية تحريم شرب الخمر ومن الإجماعات القطعية تحريم ربا النسيئة ومن الإجماعات القطعية تحريم النميمة وهى السعى بين الاثنين بغرض الإفساد بخ لاف ما كان بيقصد النصح هذه إجماعات قطعية لا يختلف فيها العلماء يؤمنون بذلك ويؤمنون بهذا ا لإجماع.

النوع الثانى: إجماع ظنى وليس بقطعى وهذا ما يعبر عنه بعض الفقهاء كابن قدامة فى المغنى

رحمه الله يقول: لا أعلم فى ذلك خلافًا ولا أحفظ عن أحد من العلماء خالف وغير ذلك من الألفاظ المشعرة بالبعد عن القطعى ويعبر عنه بعض العلماء بقوله: أجمع العلماء واتفق العلماء وفى بعض هذه ا لإجماعات نظر فمن ذلك إجماعات ابن المنذر رحمه الله فهو لا يبالى بمخالفة الواحد والاثنين وهذا فيه نظر ومن ذلك إجماعات ابن جرير فهو لا يبالى بمخالفة الواحد والاثنين وهذا فيه نظر ومن ذلك إجماعات النووى وبعض إجماعات شيخ الإسلام ابن تيمية وإجماعات ابن عبد البر وغير ذلك هذه لا تكون صحيحة من كل وجه وهى من الإجماعات الظنية لكن الإجماعات القطعية التى لا يختلف فيها العلماء.

هذه الإجماعات لا يكفر المخالف فيها وبعض العلماء يرى التعبير بقول ابن قدامة: لا أعلم فيه خ لافًا وتحاشى لفظة الإجماع ومنهم قول الإمام أحمد من ادعى الإجماع فقد كذب وما يدريه لعلهم اختلفوا وليس معنى هذا أنه لا يحكى الإجماع فى مثل هذه الأبواب لأنه قد يتواطأ العلماء على قول فيحصل بذلك الإجماع ولذلك قال الشيخ: يجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

قوله: (لأنه سبحانه فوق سماواته على عرشه) هذا من الإجماعات القطعية دل على ذلك الكتاب و السنة وأجمع العلماء كما قال ذلك ابن عبد البر وقبله ابن خزيمة وغير هؤلاء يحكون الإجماع على أن الله فوق سماواته مستو على عرشه وهذا نص القرآن.

إذا قيل هذا نص كذا وكذا فما معنى النص؟

إذا قيل هذا نص القرآن هذا نص السنة إذا قيل هذا نص كذا وكذا فمعناه الذى لا يحتمل معنيين لا يحتمل إلا معنى واحدًا. قوله جل وعلا: الرّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى [طه: 5] هذه الآية لا تحتمل معنيين تحتمل معنى واحدًا تقدم الحديث عن خبر الاستواء عند أهل السنة وحكم منكر العلو وحكم منكر الاستواء والحديث هنا عن بيان دلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وما فطر الله عليه عباده؛ من أنه فوق سماواته.

قوله رحمه الله: (عالى على خلقه).

قال الله جل وعلا: وَهُوَ العَلِىُّ العَظِيمُ [البقرة: 255] أأمِنْتُمْ مَنْ فِى السّمَاءِ [الملك: 16] ولذلك موسى كان يدعو فرعون إلى ربه الذى فى السماء فلذلك قال فرعون: وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِى

صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا [غافر: 36-37]
ولذلك قال العلماء: من أثبت العلو فهو موسوى محمدى ومن أنكر العلو فهو فرعونى لأن فرعون هو الذى كابر فى العلو يقول: وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا [غافر: 37] فرعون يقول: وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا .

قول الله سبحانه: مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا [المجادلة: 7] أى: أن علو الله على خلقه واستواءه على عرشه لا ينافى معيته فالله جل وعلا مع الخلق بعلمه الذى هو موصوف به أزلا ً وأبدًا أينما كانوا وحيثما حلوا والمعية نوعان: معية علمية فالله جل وعلا مع كل الخلق مؤمنهم وكافرهم يعلمه الذى هو موصوف به أزلا ً وأبدًا النوع الثانى معية خاصة تقتضى النصر والحفظ و الكلائة والتأييد كما فى قول الله جل وعلا: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ [النحل: 128].

وكما فى قول الله جل وعلا: إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى [طه: 46] وكما فى قول الله جل وعلا: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة: 40].

قوله: (يعلم ما هم عاملون) فى وصف الله جل وعلا بالعلم فالله جل وعلا لا يخفى عليه شىء

فى الأرض ولا فى السماء ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: 12] وأن الله قد أحاط بكل شيء علما.

وهو العليم أحاط علما		في الكون من سر ومن
وبكل شيء علمه		فهو العليم وليس ذا

كما جمع بين ذلك فى قوله: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ [الحديد: 4] فى إثبات صفة الخلق لله جل وعلا قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] قدم ذكر السموات على الأرض لأن السموات أفضل من الأرض وقد اتفق العلماء على تقديم خلق الأرض على خلق السماء ولكن الدحى كان بعد خلق السموات ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: 30].

قوله: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54] أى: من أيام الله لقوله جل وعلا: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47].

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54] وهذا لا يختلف فيه العلماء فى إثبات الاستواء؛ وتخصيص الاستواء على العرش فيه دلالة قوية على أن الاستواء غير الاستيلاء لأن الله مستول على كل شىء على الأرض وعلى غيرها فلماذا يخص العرش بالذكر فعلم أن المقصود بالاستواء

هو العلو والصعود والارتفاع كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فلهم عبارات عليها قد حصلت للفارس
وهي استقر وقد علا ارتفع الذي ما فيه من
وكذاك صعد الذي هو وأبو عبيدة صاحب
يختار هذا القول في أدري من الجهمي بـ

ويؤخذ منه أيضًا أن الاستواء ذات العلو لله جل وعلا ويؤخذ من ذلك أيضًا إثبات صفة القدرة ويؤخذ من ذلك أيضًا إثبات الأفعال الاختيارية لله ويؤخذ من ذلك أنه لا تنافى بين علمه ومعيته وبين علوه على خلقه لأن الله سبحانه وتعالى قال: وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ [آل عمران: 29] لما ذكر العلو قال يعلم لذلك لا تنافى بين هذا وذاك فى إثبات صفة العلم لله جل وعلا ولذلك قال جل وعلا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ [الحديد: 4] أى معكم بعلمه.

وقد ذكر الآجرى رحمه الله تعالى فى الشريعة الإجماع على إثبات المعية العلمية لله جل وعلا ووافقه على ذلك ابن عبد البر وغيره من أهل السنة ونص على هذا الإمام أحمد رحمه الله تعالى قبلهما وقال: افتتح الله الآية بالعلم وختمها بالعلم لقوله: أَلَمْ تَرَ أَنّ اللهَ يَعْلَمُ ... إِنّ اللهَ بِكُلّ شَىْءٍ

عَلِيمٌ [المجادلة: 7].

قوله: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة: 265] كقوله تعالى: وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: 11] فالسمع اسمه وصفته والبصر اسمه وصفته والبصير اسمه فى إثبات صفة الرؤية والبصر لله جل وعلا وهذا لا يختلف فيه العلماء رحمهم اله تقدم الحديث عن كل هذا مفصلا ً.

والأشاعرة ومن قبل المعتزلة ومن قبل الجهمية يشككون فى هذه الأسماء والصفات لله جل وعلا فلا يثبتون علو الله على خلقه يثبتون علو القدر وعلو الشرف ولا يثبتون علو الذات وهو الأصل.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وليس معنى قوله: وَهُوَ مَعَكُمْ [الحديد: 4] أنه مختلط بالخلق عندما يفهمه بعض أغبياء العالم الذين لا يفهمون المعية إلا الاختلاط فهؤلاء لا يعون شرعا ولا يفقهون لغة.

اتفق العقلاء وأهل البيان وأهل اللغة أن قول العبد: (زوجتى معى) لا يعنى أنها مختلطة به ولا يقول ذلك أحد حتى المجنون لا يقوله إنما يقول ذلك من طبع اللّه على قلبه وأعمى بصيرته واجتالته الشياطين عن فطرته, العرب تقول فى

لغتها (زوجتى معى) وليس معنى هذا أنها حالة فى ذاته أو أنه حال فى ذاتها هذا لا يتأتى لا عقلا ً ولا شرعًا فقوله: وَهُوَ مَعَكُمْ [الحديد: 4] أى بعلمه لأنه قال أيضا ثُمّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الأعراف: 54] و يَعْلَمُ وقال وَهُوَ مَعَكُمْ [الحديد: 4] فالآية صريحة فى دلالتها وسياقها وبيانها أن علوه واستواءه على عرشه لا ينافى علمه واطلاعه على أحوال عباده ولا ينافى معيته لهم.

ومما يدل على بطلان هذا أن موسى حين قال: رَبِّ أرِنِى أنْظُرْ إلَيْكَ [الأعراف: 143] قدرات البشر لا تطيق رؤية الله جل وعلا فى الحياة الدنيا قال الله جل وعلا لَنْ تَرَانِى وَلَكِنِ انْظُرْ إلَى الْجَبَلِ فَإنِ اسْتَقَرّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى [الأعراف: 143] الحصى أقوى قدرات ممن خلق من ماء وطين ومن لحم ودم قال انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوق ترانى فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرّ مُوسَى صَعِقًا [الأعراف: 143] أصبح رمادًا فعلم موسى أنه لا يطيق رؤية الرب ولكن المؤمنين يرون الله فى عرصات القيامة ويرونه بعد دخول الجنة لأن اللّه جل وعلا يخلق فيهم من القدرات ما يجعلهم يقدرون على ذلك فكيف حينئذ يقال: إذا لم يطق موسى والجبل لما تجلى اللّه إليه فخر موسى

صعقا والجبل كان دكًا- كيف يقول هؤلاء المفترون على اللّه بأن اللّه مختلط بالخلق تعالى اللّه جل وعلا عن قولهم علوا كبيرا لذلك قال الشيخ رحمه اللّه تعالى:فإن هذا لا توجبه اللغة لأن اللغة تنفى أن يكون معنى قول العبد زوجتى معى أو أخى معى أو أنا معكم أن يكون مختلطًا أو حالاً أو ممتزجاً فى ذواتهم.

ثم قال الشيخ رحمه اللّه تعالى مثل عقلى يوضح ذلك ويُرى الطريق لمن ضل عنه والذين يبحثون عن الحقيقة ويسترشدون بدلالات القرآن والسنة وفيهم ذرة من العقل يعون بهذه الذرة الصواب قال الشيخ بأن القمر آية من أصغر مخلوقاته لم يقل أصغر وهو موضوع فى السماء وليس معنى هذا أنه موضوع فى السماء كالمسمار فى الخشبة هذا باطل

قال تعالى: تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا [الفرقان: 61] أى جعل فى السماء والعلماء لا يختلفون فى أن ليس كوضع المسمار فى الخشبة ولذلك قال بعض العلماء بأن القمر فى السماء الدنيا.

وتقدم الحديث عن أبواب السماء وأن لكل سماء أبوابًا لا يدخل أحد إلا بإذن فلم يدخل

جبريل ومعه محمد   إلا بإذن حين فتح له كما فى حديث الإسراء والخبر متفق على صحته.

قوله: وهو مع مسافر و غير مسافر أينما كان.

تقول سرنا والقمر هل يعنى أن القمر حال فيك أو مختلط بك أو محاب لك حتى المحاباة لا تلزم تقول سرنا والقمر أى مع القمر ولا يلزم أن يكون حـ الا فيك أو ممتزجا بك

علو الله على خلقه وعدم منافاة ذلك لمعيته، وأن الله جل وعلا فوق سماواته مستو على عرشه هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كانُوا ، وتقدم ضرب المثل بالقمر الذى هو آية من آيات الله ، من أصغر مخلوقاته, وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهذا لا يعنى اختلاطًا ولا امتزاجًا ولا حلولا، وأن العرب تقول فى لغتها: (زوجتى معى)، ولا يعنى هذا امتزاجًا ولا اتحادًا ولا اختلاط الزوجة بزوجها، وهذا لا يكابر فيه عاقل، وهو ما أجمعت عليه الرسل واتفق عليه العلماء, وتتجاوب معه الفطر السليمة، وأما من أضله الله وأعمى قلبه واغتالته الشياطين عن فطرته، فقال بالحلول، وقال بالاتحاد وقال بالاختلاط وغير ذلك من الضلالات.

قول الشيخ رحمه الله تعالى: (وهو سبحانه فوق عرشه).

والأدلة على هذا كثيرة من الكتاب ومن السنة، ولا يختلف العلماء فى هذا, فتعتبر هذه المسألة من المسائل القطعية، والذين لا يؤمنون بعلو الله على خلقه ولا باستوائه على عرشه هم الجهمية وأشباههم، قال ابن القيم عنهم:

ولقد تقلد كفرهم عشر من العلماء فى
واللالكائى الإمام حكاه بل قد حكاه قبله

قوله: (رقيب على خلقه).

الرقيب: هو الشاهد المهيمن المطلع على كل شىء وهذا لا يتأتى إلا لله جل وعلا، فإن الله جل وعلا رقيب على خلقه بمعنى المهيمن.

فالرقيب والمهيمن اسمان مترادفان، وإن كان الرقيب أعم من المهيمن، الله جل وعلا رقيب على خلقه مهيمن عليهم، بمعنى سامع لأقوالهم، راءٍ لأفعالهم قادر عليهم، فالرقيب يقتضى ثلاثة أمور، الرقيب فى وصف الله هو بمعنى المهيمن، و المهيمن يقتضى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن يكون سميعًا لأقوال العباد

وأفعالهم وحركاتهم.

الأمر الثانى: أن يرى أفعالهم وحركاتهم وسكناتهم, ولا يغيب عن رؤيته شىء أبدًا، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا.

الأمر الثالث: أن يقتضى القدرة عليهم.

قوله: (مطلع عليهم).

لا يخفى عليه شىء، وهذا يبعث على الخوف منه وعلى اتقاء سخطه وتجنب عذابه، فإن العبد حين يهم بالمعصية يتذكر عظمة الله واطلاعه وهيمنته، فيتجنب ذلك وهذا هو المذكور فى سورة يوسف فيما ذكره الله جل وعلا عن يوسف: رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ، برهان الرب هو الوازع الإيمانى فى القلب, فلم بجعل الله أهون الناظرين إليه، وكلما قوى إيمان العبد كلما استحضر هذه المعانى، كلما كان أسرع إلى الطاعة وأبعد عن المعصية.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى الفتاوى أن المعصية تقع من العبد لضعف إيمانه بالغيب، ومن قوى إيمانه بالغيب لم يكد يعصى الله، ومن عصاه سرعان ما ينيب إليه ويستغفره، وإذا ضعف إيمانه بالغيب تلطخ بـ الذنوب والمعاصى والآثام والناس يتفاوتون فى

هذا أعظم من تفاوتهم فى خَلقهم وأشكالهم.

قوله: (إلى غير ذلك من معانى ربوبيته).

أى: من أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التوحيد ثلاثة أقسام – وهذا قول الجمهور – الربوبية والإلهية والأسماء و الصفات.

وذهب ابن تيمية وابن القيم إلى أن التوحيد نوعان، ما هما؟

ابن تيمية يقول:

الأول: (توحيد فى المعرفة والإثبات)؛ فى المعرفة: الربوبية، الإثبات: الأسماء والصفات؛ ولهذا قال: (إلى غير ذلك من معانى ربوبيته)، وهو بتحدث عن إثبات الأسماء والصفات، وعظمة الله وقدرته ونحو ذلك.

الثانى: يقول ابن تيمية: (توحيد فى القصد و الطلب)، توحيد فى القصد بحيث لا يقصد العبد غير الله جل وعلا، وهذا معنى قوله جل وعلا: اللَّهُ الصَّمَدُ ؛ أى: الذى تصمد إليه الخلائق فى الحوائج، وقيل: هو السيد الذى قد كمل فى سؤدده.

فهم هذه الأسماء ضرورى، بعض الناس يقولها

دائمًا لكن لا يفهمها وهذه مصيبة، اللّٰه جل وعلا خاطب العباد بالقرآن وتكلم بالقرآن وأمرهم أن يتفهموا، وإلا كيف يعملون؟!، فإذا لم يتجاوبوا مع المعانى كيف ترق قلوبهم؟! كيف تدمع عيونهم؟!، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا .

فتدبر القرآن إن رمت فالعلم تحت تدبر

قوله: (وكل هذا الكلام الذى ذكره اللّٰه).

الذى ذكره اللّٰه: من أنه فوق العرش وأنه معنا وذلك فى آية الحديد.

يقول الشيخ: (حق على حقيقته).

فلا مجاز فى هذا الباب؛ فإن المجاز هو ما يمكن نفيه أو ما لا تقصد حقيقته وكلاهما داخل فى هذا المعنى، ولا يختلف العلماء فى أن الأصل فى الكلام حمله على الحقيقة.

وقد حكى ابن عبد البر فى المجلد السابع من التمهيد الإجماع على هذا.

وذكر أبو عمر الطلمنكى - رحمه اللّٰه - بأن العلماء أجمعوا على أن اللّٰه مستو على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

وقد سمى ابن القيم رحمه الله فى كتابه (الصواعق) هذا المجاز بالطاغوت الأكبر وعنون له: كسر الطاغوت الأكبر، وذكر وجوهًا كثيرة فى هدم هذا الطاغوت والرد عليه، وبيان ضلال القائلين به؛ لماذا؟ لأن هذا يعنى ألا يكون لله اسم ولا صفة تحت مسميات المجاز وعدم الحقيقة، ويعنى أيضًا أن الناس لا يكاد يفهم بعضهم بعضًا، فإذا تحدث معك شخص تدعى المجاز فى هذا الكلام وأنك لا تقصد حقيقته، ويعنى أيضًا أن الله خاطب العباد بما لا يعرفون، ولا يفهمون، ولا يعون، ويعنى أيضًا أن القرآن ليس تبيانًا لكل شىء، ويعنى أيضًا أنه لا يَفهم القرآن إلا أهل المجاز فقط، وحتى أهل المجاز قد لا يفهمون، لأنهم قد يفهمون الآية على الحقيقة وهى على المجاز، ويعنى أيضًا تخطئة النبى حين حث الأمة كلها على حفظ آية الكرسى وقراءتها دبر كل صلاة، ومعروف أن العامة لا يفهمون إلا الحقيقة، لا يفهمون المجاز، وقال : «من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»، ويعنى هذا أن النبى قصر فى بيان المجاز للعامة، فحين يسمعون هذه ا لآيات يسمعون الأسماء والصفات لا بد أن يعوا أن الكلام ليس على الحقيقة, وإنما هو على المجاز،

وغير ذلك من المعانى الفاسدة.

قوله: (لا يحتاج إلى تحريف).

أى: أن الله فوق سماواته مستوٍ على عرشه وهو معنا، حق على حقيقته.

تقدم أن المعية نوعان: معية علمية، ومعية خاصة؛ وهى تقتضى الإحاطة والنصر والتأييد، فتقول لأخيك: اذهب وأنا معك، لا يفهم أحد من اللفظ, أى: أنا مختلط فى ذاتك، أو أنا ممتزج فيك، هذا لا يفهمه أحد, حتى المجانين لا يقولون بذلك الذى تنادى به الحلولية والاتحادية، يقصدون بذلك: أنا معك، أى أنصرك وأؤيدك وأعينك وأذب عنك، ونحو ذلك من المعانى المعقولة، فحين قال الله جل وعلا: وَهُوَ مَعَكُمْ ، أى بعلمه لكل الخلق المسلمين والكافرين، وحين قال الله جل وعلا فيما ذكره عنه النبى محمد لأبى بكر: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا أى: بالحفظ، أى: يحفظنا من كفار قريش والنصر والتأييد على المشركين، وحين قال الله جل وعلا لموسى: إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ، فسر الله جل وعلا ذلك، وهذا واضح فى كل آيات القرآن أَسْمَعُ وَأَرَى ، فالذين يقولون بأن عين المخلوق هو عين وجود الله، هؤلاء ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين كالحلولية والاتحادية،

وأمثال هؤلاء الذين يكابرون فى المنقول ويناقضون العقول.

قوله: (ولكن يصان عن الظنون الكاذبة).

وذلك مثل دعاوى الحلوليين والاتحاديين، ومثل دعاوى أهل البدع والضلال الذين يمتنعون عن وصف الله بالعلو؛ لأن هذا يعنى أن السماء تحويه، كالهواء الضام للوعاء، وهذا باطل دل الكتاب والسنة على بطلانه؛ لذلك قال الشيخ رحمه الله:

(مثل أن يظن).

مثل خبر لمبتدأ محذوف تقديره، وذلك مثله أن يظن أن ظاهر قوله: (فى السماء) أن السماء تقله أن تظله، الله جل وعلا قال: وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا أى لا يكرثه ولا يثقله، فلا تقوم السماء ولا الأرض إ لا بإذنه، وهو الذى يمسك السماوات والأرض أن تزولا، وهو الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض، وذكر الله جل وعلا أنه: وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، الأعلى وهو فوق سماواته مستو على عرشه العظيم الذى لا يحتاج إلى أحد، تأمل ختم الآيات بمثل هذه الأسماء، كرد على الذين يعتقدون ويتصورون أن السماء تقله أو تظله أو أنه

بحاجة إلى خلقه؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، غنى عن كل خلقه.

قال الشيخ رحمه الله تعالى – فيمن اعتقد بأن السماء تقله وتظله – يقول: (هذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان).

وهذا لا ينازع فيه أحد، وهذا من الإجماعات القطعية، وتقدم -بالأمس- شرح الإجماع القطعى وا لإجماع الظنى، وشروط كل منهما.

قوله: (فإن الله قد وسع كرسيه).

قال ابن عباس فى الكرسى: موضع القدمين, الكرسى الذى وسع السماوات والأرض، قال ابن عباس عنه: موضع القدمين، روى ذلك عنه الدارمى – رحمه الله تعالى - فى الرد على الجهمية وصححه الإمام الدارمى – رحمه الله تعالى-.

قوله: (وهو يمسك السماوات والأرض أن تزولا).

وجاء فى حديث ابن عمر فى الصحيحين أن الله يضع السماوات على إصبع والأراضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع...الحديث، «ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟»، قال جل وعلا: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ،

والقراءة الأخرى وهى السبعية ملك يوم الدين ، قال الله جل وعلا:

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ، له الأمر كله، قال تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ، وقوله: وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ الكونى والشرعى.

ويؤخذ من ذلك إثبات قدرة الله جل وعلا.

ويؤخذ من ذلك إثبات الأسماء والصفات.

ويؤخذ من ذلك إثبات الأفعال الاختيارية لله.

ويؤخذ من ذلك إثبات كلام الله جل وعلا.

ويؤخذ من ذلك بيان عظمة الله وعظيم مخلوقاته.

ويؤخذ من ذلك أن الله هو العلى الأعلى، قال تعالى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، وقد قال النبى للجارية: «أين الله؟» قالت: فى السماء. وحين خطب النبى فى عرفات فى أعظم مجمع حضره الناس قال النبى : «اللهم اشهد»، يستشهد

ربه وكان يرفع إصبعه إلى السماء، وينكتها إلى الأ
رض، يقول: «**اللّٰهم اشهد، اللّٰهم اشهد، اللّٰهم اشهد**»
، فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكتها إلى الأرض،
يستشهد اللّٰه جل وعلا الذى فى السماء، ويؤخذ
من ذلك مشروعية تدبر القرآن، وفهم المعانى، وأن
اللّٰه جل وعلا خاطب العباد بما تتجاوب معه
فطرهم وعقولهم. ويؤخذ من ذلك أن العقل السليم
الذى ليس بمبرسم لا يخالف النقل الصحيح:

وإذا تعارض نصٌ لفظ والعقل حتى ليس
فالعقل إما فاسد ائى صحيحًا وهو بالبط
أو أن ذاك النص ليس بثابت ما قاله المعصوم

ويؤخذ من ذلك ضلال المتكلمين والمعارضين
لما جاءت به الرسل، وأن هؤلاء الذين ينادون بـ
العقل هم أقل الناس عقلا، وأصغرهم قدرًا، وأقلهم
فهمًا؛ ولذلك حين تاب أحدهم ندم على ما قال،
وقال: يا ليتنى أموت على عقيدة امرأة من إحدى
عجائز نيسابور، وقال آخر وهو الشهرستانى:

لعمرى لقد طفت وسيرت طرفى بين تلك
فلم أرَ إلا واضعًا كف على ذقن أو قارعاً فى

وقال الرازى – وهو من أكابرهم وأعلمهم فى
هذا الباب -:

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعى العالمين ضلا
وأرواحنا فى وحشة من
وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من تحثنا
سوى أن جمعنا فى قيل

وهذا ليس بالعلم، لقد تأملت الطرق الكلامية و المناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ فى الإثبات الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، واقرأ فى النفى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ، ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى.

سؤال: هل يجوز الاعتماد على رحمة الله والإسراف فى المعاصى؟

الجواب: لا يجوز الاعتماد على سعة رحمة الله والإسراف على النفس بالمعاصى اعتمادًا على سعة رحمة الله، هذا نوع من الإرجاء ولكن الإنسان إذا وقع فى الذنب وتاب إلى الله بلا شك, فإنه يعتقد بأن الله جل وعلا غفور رحيم، فتاب إليه وفى نفس الوقت يبحث عن سعة رحمة الله حتى لا يصاب باليأس والقنوط، فالرجاء قليل اليأس و

القنوط فى الذنب فالذين يتكلون على سعة رحمة الله ويسرفون على أنفسهم من الذنوب والمعاصى نظير الذين يقنطون من رحمة اللّه، وأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، فإذا عمل أحدهم ذنبًا استغفر الله وتاب منه وخاف من عذاب وبطشه وعقابه، ولكن لا يبعث ذلك على اليأس والقنوط، و الخوف هنا من الله جل وعلا لا يبعث على اليأس والقنوط، وكذلك سعة رحمة الله لا يبعث على الإ سراف على النفس والوقوع فى الذنوب والمعاصى ومواقعة الموبقات، هذا كله ضلال وانحراف؛ ف المسلم يعيش بين جناحى طائر إذا مال إلى أحدهما هلك، على خلاف بين أهل العلم؛ أيهما يرجح عند الوفاة، إذا قربت علاماتها؛ هل نغلب جانب الرجاء أم لا نغلب جانب الرجاء ؟ اللّه جل وعلا يقول فى الحديث القدسى: «أنا عند ظن عبدى بى، فليظن ما شاء».

سؤال: ما معنى الغلول؟

الجواب: الغلول يطلق فى الجملة على الا حتفاظ وأخذ الشىء بغير حق, وقد يطلق الغلول فى كلام بعض العلماء على الاحتفاظ بالشىء، حتى ابن مسعود حين دعا عثمان إلى إحراق المصاحف، كان يأمر الصحابة بحفظ مصاحفهم

ويقول: (ليغلل أحدهم فيما غل)، فيفسر الغلول بالا حتفاظ بالشىء، وفى كلام الفقهاء يطلق الغلول على الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها، كان الفقهاء يقولون: يطلق الغلول على الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها وهو ضرب من السرقة، ولكن يختلف عن السرقة أن الغال لا تقطع يده؛ لأنه أخذ مما له حق فيه، فهذا يكون مانعًا من قطع يده، بخلاف السارق ؛ ولذلك الإنسان قد يؤتمن على دكان، فيختلس منه، يسجنونه؛ لأنه سارق ومختلس وخائن، ولكن لا تقطع يده؛ لأنه أخذ من مال مؤتمن عليه. كذلك إذا مر فى طريق ووجد متاعًا ملقى فى السوق وهو ثمين فأخذه, هذا لا تقطع يده؛ لأنه ليس بحرز ، والمانع للقطع أن هذا ليس بحرز فلا تقطع يده، لكنه عاص وآثم وقد فعل كبيرة من كبائر الذنوب، فبالتالى يختلف الغلول عن السرقة؛ الغلول يطلق فى كلام الفقهاء على الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها.

سؤال: قد يقول: المعية معية ذاتية، ولا يقصد بها الحلول؟

الجواب: حتى لو كان، هذا ضلال؛ لم يرد اللفظ لا فى الكتاب ولا فى السنة.

سؤال: هل الشيخ أبو الحسن الأشعرى هو

مؤسس المعتقد الأشعرى؟ وهل عاد عن هذه العقيدة؟

الجواب: الإمام أبو الحسن الأشعرى عليه رحمة اللّه مر بمراحل، كان على المذهب القديم الذى هو مذهب المعتزلة، وكان عنده غلو فى هذا الباب، ولكنه بمناصحة من أهل السنة وتمعن وقراءة فى كلام اللّه وكلام الرسول وكلام الأئمة،رجع عن هذا المذهب، مذهب الغلو، وانتقل إلى مذهب أهل السنة فى الجملة، بقيت عنده بقية من تحريف بعض الأسماء والصفات والخلط فى بعض الأفعال الاختيارية لله جل وعلا.

أصحابه فى ذلك انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: من تمسك بمذهبه القديم، وهؤلاء الغلاة.

القسم الثانى: من أخذ بمذهبه الجديد، وبقى على مذهب الأشاعرة، وهؤلاء يقسمون قسمين؛ قسم غلاة، وقسم غير غلاة، وكلهم على ضلال، هؤ لاء وهؤلاء، لكن هؤلاء غلاة فى مذهبهم.

الحقيقة أن المتأخرين من الأشاعرة الذين لا يأخذون بمذهب الغلاة ليسوا على مذهب أبى الحسن الأشعرى الذى رجع واستقر أمره عليه،

وحين سئل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – فى الفتاوى عن رجل يريد الانتساب إلى مذهب أبى الحسن الأشعرى دون أن يأخذ بأصول ا لأشاعرة، فذمه ابن تيمية وقال:

لا ينتسب إلا إلى الكتاب والسنة، وفى الحقيقة الأشاعرة يمرون بمراحل وعلى كل حال هم أهل بدع وأهل ضلال، ولا شك فى ذلك، سواء المتقدمون منهم والمتأخرون، ويحسب لأبى الحسن الأشعرى أنه بحث عن الصواب، واستقر أمره على مذهب أهل السنة والجماعة، وعنده بقية ، وأنا أعتقد بأنه لو أمد الله فى عمره لرجع عن هذه البقية إلى أصول أهل السنة والجماعة.

سؤال: يا شيخ -الله يحفظك- لا شك أن أشرف البقاع مكة، لكن هل تفضل المدينة فقط فى السكنى ؛ لأن الله لم يختر للنبى إلا الأفضل، وأيضاً لأن النبى دعا لها ببركتين كبركة مكة؟

الإجابة: لا هذا ليس بصحيح، مكة أفضل من المدينة فى كل شىء حتى فى السكنى، وأما قولك بأن الله اختار للنبى الأفضل، فهو ما اختار له الأ فضل فى الموضع، إنما انتقل من بلد استعصى

عليه قومه وبدؤوه بالعداوة، فانتقل من بلد لا يستطيع أن يقيم فيه شرع الله إلى بلد يقيم فيه شرع الله، فما كان بالخيار بين بلدين حتى يقيم فى هذا أو ذاك حتى نقول إنه ما اختار الله لنبيه إ لا الأفضل، ولكن كان هذا البلد أفضل من غيره فى إقامة الدين، وقد كادت بلاد نجد أن تكون مهاجرًا للنبى كما فى صحيح الإمام البخارى، فقد كان النبى أُرىَ مهاجره إلى أرض ذات نخل« **فذهب وهلى** – كما يقول - **إلى أنها اليمامة أو هجر**».

ولذلك يقول النبى حين ذهب إلى المدينة: «**كما أخرجونا من أحب البقاع إليك**» والخبر فى الصحيحين وهذا دليل على أن مكة أحب البقاع إلى الله -جل وعلا- ويؤخذ من هذا أن من عجز عن إقامة الدعوة فى مكان، أو إقامة دين الله فى مكان ينتقل من هذا المكان إلى مكان آخر لعل سجايا الآخر تكون أكثر قابلية، فلذلك كانت سجايا أهل المدينة أكثر قابلية من سجايا أهل مكة، ثم سرعان فيما بعد ما قاتل هؤلاء ودخل الناس فى دين الله أفواجاً.

سؤال: هل أنكر الأشاعرة علو الله على خلقه؟

الإجابة: لا، لكن هم يؤول أمرهم إلى هذا، وهم

يقولون –أى الأشاعرة- ونحن نقول حين نثبت العلو فهذا يعنى أن السماء تحويه، ولم يكن أهل السنة يؤمنون بذلك فهم أساؤوا فهم كلام أهل السنة، وضلوا سواء السبيل فى هذا الباب.

سؤال: هل يمكن أن نستخدم عبارة :"استقر الإ جماع على ذلك" ؟

الإجابة: ممكن يفصل؛ يقال قد استقر الإجماع لكن لا يعتبر إجماعاً ملزماً لكل أحد لكن لا حرج من هذا التعبير، تعبير جيد، حيث تقول كان فى المسألة خلاف واستقر الإجماع، ومن ذلك ما قاله النووى وغيره مثلا فيمن جلس بين شعبها الأربع، ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم ينزل، أى أنه كان فى خلاف ثم استقر الإجماع بعد ذلك على أنه إذا جلس بين شعبها الأربع، ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم ينزل، وغير ذلك من النظائر.

سؤال: ذكر ابن تيمية وغيره من العلماء أن الرسول سكت عما شجر بين الصحابة، بينما يتكلم بعض العلماء فى المسألة، ويرون عليا مبغيًا عليه.

الإجابة: الأخ يقول: ذكر ابن تيمية وغيره من

العلماء أن الرسول سكت عما ما شجر بين الصحابة، نقول إننا نجد فى كتب العلماء التفصيل فى الحديث عن هذه القضية ولا إشكال أن يتحدث أهل العلم ، ولكن يتحدثون بعلم، يفصلون بما لا يوغر الصدور مع حفظ مكانتهم وسلامة ألسنتهم مع أصحاب رسول الله ، والحديث عن ذلك بعلم لا إشكال فيه، وكون الصواب مع علىّ هذا مجمع عليه، كما حكاه ابن تيمية -رحمه الله تعالى- فى هذا الباب، والأدلة متواترة فى كون الصواب مع على ، ولكن يبقى أن نعبر عن الآخرين، ونلتمس لهم المعاذير، ونترضى عنهم، ونقول بأن المصيب له أجران، والمخطئ له أجر واحد، وهذا الاعتبار لا ينكره أحد، ولكن ينهون عن التوغل والتعمق فى التفصيل، وتخطئة المجتهدين، ومحاولة تضليلهم أو تجهيلهم أو الاعتماد فى ذلك على بعض الآثار المنقولة بالكذب كمرويات أبى مخنف لوط بن يحيى الرافضى الخبيث، فلا يجوز أن نعتمد على مروياته فى هذه الأصول، وأبو مخنف رافضى خبيث لا يعتمد عليه زيادة على ضعفه وكذبه ودجله، فهو رافضى لا يجوز الاعتماد عليه فى شىء من ذلك، أو الاعتماد فى ذات الوقت على سيف بن عمر التميمى الناصبى، فلا

نعتمد لا على هذا ولا على هذا، يقتصر هذا الباب على الآثار والأحاديث الصحاح، ومحاولة التقريب ومحاولة تأليف القلوب والتماس المعاذير أما الحديث عن ذلك فى محاولة الإيغار، النقل المحض لكلام المؤرخين، فنعم هذا غلط وهذا الذى ينادى به أهل السنة ويقولون السكوت عما شجر.

سؤال: ما صحة حديث النبى: «من أدرك تكبيرة الإحرام أربعين يوماً كتبت له براءتان؛ براءة من النفاق وبراءة من النار»؟

الإجابة: الأخ يسأل عن حديث أنس الذى رواه الترمذى وغيره عن النبى : «من أدرك تكبيرة الإ حرام أربعين يوماً كتبت له براءتان؛ براءة من النفاق وبراءة من النار» وهذا خبر معلول باتفاق المحدثين، وقد أعله الإمام أبو عيسى وغيره، ورجح أبوعيسى وقفه، ومال ابن الجوزى إلى تضعيفه مطلقاً؛ مرفوعاً وموقوفاً، وإذا ثبت موقوفاً فإن له حكم الرفع.

سؤال:أيهما أقوى فى التخريج، أن نقول رواه أحمد وأبوداود، أم رواه أحمد وابن ماجة؟

الإجابة: لا يقال قوة فى التخريج، كلاهما سواء ، القوة فى الصحيح، تقول رواه أحمد وأبو داود،

أو رواه أحمد وابن ماجة، لكن بلا ريب أن منزلة سنن أبى داود عند العلماء أكبر من منزلة سنن ابن ماجة، لكن لا يلزم أن كل حديث لأبى داود صحيح ، و أن كل حديث لابن ماجة يكون ضعيفاً، قد يكون حديث ابن ماجة هو الصحيح، وقد يكون حديث أبو داود هو الضعيف، وإن كان سنن أبى داود هو أجلّ عند العلماء من سنن ابن ماجة.

سؤال: ما صحة حديث تشبيك اليدين ؟

الإجابة: الأحاديث الواردة فى النهى عن تشبيك الأصابع كلها معلولة، ولكن ثبت عن ابن عمر النهى عن ذلك فى الصلاة، أما ما روى من قوله : «فلا يشبكن أصابعه » كحديث أبى هريرة وعبد الله بن عجرة فكلها معلولة .

وقد جاء فى الصحيحين أنه قام إلى خشبة معروفة فى المسجد وشبك بين أصابعه.

سؤال:ما رأيك فى تصحيحات الشيخ أحمد شاكر ؟

الإجابة: الأخ يسأل عن تصحيحات الشيخ أحمد شاكر؛ أحمد شاكر معروف من أهل السنة له قدره ومكانته وباعه فى العلم والإطلاع، ومحاربة

أيضًا المنحرفين فى عصره من العلمانيين و العصرانيين والمنحرفين الذين يحاولون العبث بتراث وأصول أهل السنة كما وضح ذلك، ورد عليهم رداً جميلا ً قوياً فى مقدمة جامع أبى عيسى، كما أنصح كل طالب علم أن يقرأ مقدمته على جامع أبى عيسى الترمذى.

ولكنه -رحمه الله تعالى- هو كغيره من الناس بشر؛ يصيب ويخطأ، يعلم ويجهل، وهو فى أصوله فى التصحيح والتضعيف فى الغالب على أصول المتأخرين، لم تكن استفادته من الإمام أحمد وصحيح البخارى وأصول السلف كبيرة، بل كان استفادته من
ابن الصلاح فى منهجه والحافظ ابن حجر أكبر من استفادته من الإمام أحمد وكلام غيره وإن كان -رحمه الله تعالى- يرى نفسه مجتهدًا فى هذا الباب وتصحيح الرواة، وترى له اجتهادات فردية فى تصحيح الرواة والتفرد على الأئمة فى ذلك، ولكن يستفاد من كلامه ما وافق فيه الأئمة، وما خالف فيه الأئمة يترك مع الترضى عنه والترحم عليه -رحمه الله تعالى.

سؤال: شخص اشترك مع مجموعة فى سرقة مال، وتقاسم معهم المال المسروق، ثم تاب هذا

الشخص إلى الله، فكيف يعيد المال إلى أصحابه ؟

الإجابة: الأخ يقول: هناك مجموعة اشتركت فى سرقة مال، فتاب واحد من هذه المجموعة، فكيف يعيد هذا المال المسروق ؟ ينظر ما كان من حصته وما أخذه فيرجعه وجوباً إلى صاحب الشأن ، ويوصله إليه بأى طريقة، ولا يلزم أن يعلم الطرف الأخر أنه أخذ منه شيئاً حين يرجعه سواء يضعه فى حسابه أو يرده إليه أو يبعث مندوباً عنه ليرد هذا المال أو بغير ذلك، إذا قدر على ذلك خير، إذا عجز عن ذلك فإنه يتصدق بهذا المال بنية التخلص وبنية الأجر لصاحبه، ويناصح أصحابه برد المال وضرورة ذلك ويعظهم ويذكرهم بالله فإنه على اليد ما أخذت حتى تؤديه.

سؤال: ما الدليل على منع الحاج من الزعفران؟

الإجابة: هم يحتجون بقوله صلى الله عليه وسلم: «ولا يلبس ثوباً مسه ورس أو زعفران» هذا دليل على النهى عن التطيب بالزعفران ؛ لأن الأوائل كانوا يستعملون الزعفران كطيب، أما فى الشرب ما فى دليل على ذلك، كوصفه فى القهوة،

ومنع المحادة من شرب القهوة بالزعفران، هذا لا دليل عليه، بل لا حرج من ذلك.

سؤال: إذا مشط المحرم لحيته، فسقط بعض شعره

الإجابة: نعم يعنى إذا مشط لحيته، وسقط شعر، هذا غير مقصود بذاته، الإنسان إذا سقط شىء من لحيته بدون قصد لا حرج عليه فى ذلك.

سؤال: الله يحفظك، هل ثبتت توبة الأشعرى فى غير مقدمة الإبانة؟

الإجابة: سؤال جيد الأخ يقول هل ثبتت توبة ا لأشعرى فى غير مقدمة الإبانة، تواتر النقل عنه بأنه صعد المنبر وحكى ذلك الأوائل من العلماء، هذا هو الأمر الأول، الأمر الثانى هذا معروف من كتبه كالإبانة، وكرسالاته إلى أهل الثغر، وككتاب اختلاف المصلين، فالذى يقرأ هذه الكتب الثلاثة يعرف ذلك، وأنه قد تراجع عن كثير من أصوله.

سؤال: الدعاء عند الملتزم

الإجابة: الدعاء عند الملتزم لا يثبت فيه شىء عن النبى إلا ما جاء عن ابن عباس .

سؤال:ما حكم القاتل بالإكراه؟ وهل يسقط عنه التكليف فى هذه الحالة؟

الإجابة: التكليف لا يسقط عنه ما دام يستطيع أن يتصرف فى أدواته، ولا يسقط عنه التكليف إلا إذا عجز عن التصرف فى أدواته كشخص قُبض على يده ووُضع فى يده مسدس ثم قُتل به فلان، هنا يعتبر مكرهاً ومعذوراً عند الله ؛ لأنه لا يستطيع أن يتصرف فى يده، وأما شخص يؤمر ومعه شعوره ونفسه بقتل فلان، ثم يذهب إلى قتله فإن هذا لا يسمى إكراهاً بالإجماع، وقد حكى ابن تيمية -رحمه الله تعالى- الإجماع على أنه لا يكره أحد على قتل أحد، السبب فى ذلك أنه ليس دمه بأغلى من دم الآخر، وليس دم فلان بأرخص من دم القاتل، فلذلك لا يحل له قتله بإجماع المسلمين، ف الذين يكرون فى دماء الآخرين تحت مسميات الإ كراه، هذا ضلال وانحراف وليس له أصل فى الشرع، وقد حكى ابن تيمية الإجماع على خلافه.

سؤال: ما وجه الجمع بين إرادة الإمامة فى الدين، وإرادة العلو فى الأرض ؟

الإجابة: الله -جل وعلا- يقول: وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ، وأتى الرجل النبى يقول: (اجعلنى إمام قومى)، والبحث عن الإمامة بقصد

النفع وبقصد النصح لله وللرسول وأداء الرسالة - هذا أمر لا حرج منه، وقد يكون واجباً فى وقت دون وقت، وقد يكون مستحباً فى وقت دون وقت. وقد يكون غير مشروع، كشخص يضعف عن القيام بحق ذلك، ولذلك من طلب ذلك وكل إلى نفسه، ولم يكن له إعانة، ولذلك قال النبى : «**إنا لا نولى أمرنا من يطلبه**» فإن الذين يسارعون إلى ذلك قد يكونون أقل كفاءة من الذين يمتنعون عن ذلك، وأما العلو فى الأرض فيتمثل فى أمرين؛ يتمثل فى القصد بالقلب حيث يريد من وراء ذلك ا لاستعلاء على العباد والتعاظم والرياء والسمعة، ف الذين يريدون هذا، النار مأواهم، وقال صلى الله عليه وسلم: «**حق على الله ألا يرتفع شىء من أمر الدنيا إلا وضعه الله**»، والله يقول: **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ، فيرجع هذا إلى القصد وإلى النية، والبعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير.

سؤال:ما صحة حديث أن النبى كان يدعو فى ختام المجلس : «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما

يحول بيننا وبين معاصيك ....»

الإجابة: الحديث الوارد عن النبى فى أنه كان يختم مجلسه بالدعاء: «اللّهم اقسم لنا من خشيتك ...»، جاء فى رواية عبيد الله بن زحر، وعبيد اللّه بن زحر سيئ الحفظ، وقد تفرد بهذا الخبر، ولذلك استغرب أبو عيسى هذا الحديث فى جامعه.

سؤال:ما صحة قصة أنس مع الحجاج ؟ وروايته حديث العرنيين ؟

الإجابة : هى قصة مشهورة، والحديث فى الصحيحين، الحجاج، الحجاج جاء أنس وقال أخبرنى بأشد عقوبة فعلها النبى ، فأخبره بقصة العرنيين حين سمل النبى أعينهم، وقطع أيديهم وأرجلهم، وألقاهم فى الحرة يستسقون ولا يُسقون ، فحينئذ الحجاج خطب على المنبر، واستشهد بهذا الحديث، وقال: أتلوموننى على قتل فلان وفلان وقد فعل النبى كذا وكذا، وذكر الحديث. لا أعلم إسناداً صحيحاً لهذه القصة ولكنها مشهورة، ولذلك جاء فى بعض الروايات عن الحسن البصرى أنه لام

أنس بن مالك، وجاء فى رواية أن أنس بن مالك ندم على ذلك، لكن الأسانيد لا يعتمد عليها فى هذا الباب من كل وجه، لكن لا شك أن أنساً كان يحدث بهذا الحديث، هذا لا إشكال فيه.

سؤال: عندما يلهج الإنسان دائماً بذكر اللّه وتعظيمه، والثناء عليه ومدحه فهل يسمى هذا غلواً؟

الإجابة: لا، هذا يسمى تعظيماً، وهذا أمر محمود بخلاف الغلو بالنبى ، فإنه تجاوز المشروع ، فهذا غلو.

سؤال: ما أصح الأقوال فى ساعة الإجابة يوم الجمعة؟

الإجابة: أصح الأقوال فى ساعة يوم الجمعة أنها ما بعد العصر إلى غروب الشمس.

سؤال: هل ثبت ارتضاع الحسن البصرى من أم سلمة رضى اللّه عنها ؟

الإجابة: لم يثبت ارتضاع الحسن البصرى من

أم سلمة، لم يثبت ذلك.

سؤال: (كما تكونوا يولى عليكم) هل هو حديث؟

الإجابة: هو أثر (كما تكونوا يولى عليكم) أثر، ولكنه باطل

سؤال: (إلا رقمًا فى ثوب) ما المراد بالرقم فى الحديث ؟

الإجابة: الصواب فى حديث (إلا رقمًا فى ثوب) أنه مما لا روح فيه، وفيه عدة أقوال: القول الأول: أنه منسوخ، القول الثانى، أنه مما لا روح فيه، القول الثالث: الجواز المطلق بلا مشكلة ف لا تعارض به الأحاديث الصحيحة المحكمة.

سؤال: قيل إن من أراد الصحيح ففى البخارى، ومن أراد الترتيب فى مسلم

الإجابة: البخارى -رحمه الله تعالى- حاز الترتيب وحاز الصحة، مسلم لا يتقدم على البخارى فى شىء أبداً، لا فى الترتيب ولا فى التبويب ولا فى الفقه ولا القدرة على التعليل ولا غير ذلك، نعم، حتى الصناعة، مسلم لم يتفوق على البخارى فى شىء أبداً، والذى ينادون به الآن من أن ترتيب

مسلم يتفوق على ترتيب البخارى، وأن مسلم يروى باللفظ، والبخارى يروى بالمعنى، هذا كلام ليس له أصل.

سؤال: (كما تكونون يولى عليكم) باطل إسنادًا أو معنى؟

الإجابة: ليس له إسناد هذا، إنما ذكر فى الكتب الوعظية وغير ذلك.نقف عند هذا الحد .

الحمد لله رب العالمين: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى فى الحديث عن الإيمان بقرب اللّه جل وعلا من خلقه، وأن ذلك "لا ينافى علوّه وفوقيته" فالمسلمون يؤمنون بكل ما جاء عن الله على مراد الله، وبكل ما جاء عن رسول اللّه على مراد رسول ، ويعتقدون بأن كلام اللّه حق لا يناقض بعضه بعضا، وأن التناقض يأتى لسوء الأ فهام، ونقص العلم، وعدم ضم الأدلة بعضها إلى بعض، فكلام الله حق يصدِّق بعضه بعضًا، ويفسِّر بعضه بعضًا.

ولذلك لا يوجد أحد من الصحابة، ولا أحد من أئمة التابعين يستشكل شيئا من ذلك، ولم يقل أحد من الصحابة للنبى : كيف يكون اللّه فوق السماء ويسمع كلامنا، ويجيب دعاءنا، أو كيف الجمع بين علو الله وقربه؟ فكانوا يفهمون ذلك ويتجاوبون مع هذه الحقائق، ومن سلمت فطرته من الشوائب لا يشكل عليه شىء من هذه المعانى.

تقدم الحديث عن الإيمان وأنه قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان و الجوارح، قول القلب وعمله، وهو حبه وخوفه ورجاؤه وولاؤه وبراؤه، الإيمان قول وعمل: قول

القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

وقد قال الإمام الشافعى (رحمه الله تعالى): "ا لإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد دون الآ خر" فمن كان مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبكل ما جاء عن الله وما جاء عن الرسول - يؤمن بأن الله قريب مجيب، كما جمع الله جل وع لا بين ذلك فى قوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ، والقرب نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، والثانى قربه من عابديه بالإثابة.

وقد قال الله جل وعلا: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ فسّر النبى ذلك بقوله: «أنت ا لأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن-أى القريب- فليس دونك شىء».

قوله: (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) وهذا اللفظ صريح بأن القرب هو قرب إجابة (فليستجيبوا لى) أى فليستجيبوا إلى أوامرى، ولينتهوا عما نهيتهم عنه، (وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) وقد قال هرقل لقومه: «هل لكم فى الف لاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبى» والخبر فى الصحيحين، فلا فلاح ولا رشد بدون طاعة الله وطاعة رسوله ، (فلله العزة جميعا) أى

إنسان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وطاعة رسوله .

وقوله : «إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

هذا الخبر فى الصحيحين تقدم الحديث عنه فى قوله حين رأى الصحابة يرفعون أصواتهم بـ الذكر: «أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنما تدعون سميعاً - أى يسمع كلامكم مما تسرون ومما تعلنون- بصيرا-يرى أماكنكم فى الليل والنهار وفوق الأرض وتحتها لا يغيب عن نظره شىء صغير ولا كبير- قريبا- أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»، هذا قرب إجابة وقرب إثابة، قرب إجابة لأنهم يدعونه، وقرب إثابة لأنهم يعبدونه.

وقد ذهب الحلولية والاتحادية إلى أن هذا القرب بذاته، وهؤلاء لما قل علمهم وضعف إيمانهم، ظنوا الاختلاف بين الأدلة وضربوا بعضها ببعض، وهذا من الجهل.

ويدل على بطلان كلامهم قوله «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا» هذا دليل على أنه فوق السماوات مستوٍ على عرشه وإذا بقى ثلث الليل الآ

آخر نزل، وفيه رد على دعواهم أنه مختلط بالخلق إذ لو كان مختلطاً لم يحتج إلى نزول أو اتحاد أو أنه عين وجود المخلوقات كما يدعى ابن سينا وغيره، هذا كله ضلال وكفر بالله جل وعلا.

يؤخذ من هذا باب توحيد الإلهية والربوبية والأ سماء والصفات، الحديث هذا يؤخذ منه توحيد الإ لهية والربوبية والأسماء والصفات كلها فى حديث واحد.

قال الشيخ (رحمه الله تعالى): "وما ذكر فى الكتاب والسنة من قربه ومعيته".

أى وما جاءت أدلته فى الكتاب والسنة من القرب والمعية لا ينافى ما ذكر من العلو والفوقية، لأن كلام الله حق لا يناقض بعضه بعضا، وهذا أمر لا يختلف فيه أهل الإسلام وقد فطر الله على ذلك عباده، وتقدم الحديث عن المعية العامة والمعية الخاصة، فالأدلة الواردة فى قربه لا تنافى الأدلة الواردة فى علوه، فهو عَلِيٌّ دنوّه، قريب فى علوّه، قال الشيخ رحمة الله إن الله تعالى ليس كمثله شىء فى جميع نعوته، يعنى فى أسمائه وصفاته وأفعاله، هذا معنى قوله فى جميع نعوته أى فى أسمائه وصفاته وأفعاله.

الاسم يعبر عن الذات والصفة تعبر عن المعنى، والصفات نوعان، تقدم الحديث عن ذلك، صفات ذاتية وصفات فعلية.

العقل الصحيح يؤيد النقل ويوافقه، إلا إذا كان العقل فاسداً، المعتزلة والأشاعرة والجهمية و الكرامية والماتريدية يقدمون العقل على النقل وهذا من أعظم أسباب ضلالهم، ويا ليت العقول صحيحة إذن لدل ذلك على النقل الصحيح، لكن هذه العقول مارجة لا تعى حقا ولا تعرف حقيقة، ولذلك ندم كثير من هؤلاء على تحكيم عقولهم ك الشهرستانى وهو من أئمة علم الكلام حين قال :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر
على ذقن أو قارعا سن نادم

قال إمام الحرمين: " يا ليتنى أموت على عقيدة عجوز من عجائز نيسابور".

وهذا الرازى يقول:

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من
وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

"فقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عليلا ً، ولا تروى غليلا، ورأيت أقرب الطرق: طريقة القرآن، أقرأ فى الإثبات الرّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطّيِّبُ

وأقرأ فى النفى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا

ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى".

قوله : " وهو عَلِىٌ فى دنوه ".

الحديث هنا عن علو الذات الذى أجمع عليه أهل السنة، فهو جل وعلا فوق سماواته مستوٍ على عرشه وهذا لا ينافى قربه، فإنه فى علوه قريب، يجيب دعوة الداع يسمع يبصر ويرى، ولذلك تقول

عائشة حين جاءت المجادلة تشتكى زوجها إلى رسول الله ، تقول: (الحمد لله الذى وسع سمعه الأ صوات، والله لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله وأنا قريبة منها ما أسمع صوتها وسمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، وأنزل الله قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا).

قوله: "قريب فى علوه".

أى هو قريب فى إجابته وإثابته، لا ينافى علوه واستواءه على عرشه .

وقوله جل وعلا: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ذهب شيخ الإسلام وتلميذه العلامة ابن القيم إلى أن المقصود ونحن، أى بملائكتنا، من سياق الآية، يقول: والأنا المعظم يقول نحن نفعل كذا ونقول كذا، إذا كان له أتباع، وأكد شيخ الإسلا م قوله بالآية بعدها: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ فالحديث إذن عن الملائكة، سياق الآية الثانية وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ أى أن المقصود الملائكة وأنكر شيخ الإسلا م ابن تيمية رحمه الله تعالى قول من قال: ونحن أقرب إليه بالعلم من حبل الوريد، أنكر هذا. . ورد

هو وغيره على من قال ونحن أقرب إليه أى بالذات من حبل الوريد وادعوا بأن الله فى كل مكان، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وتقدم قوله جل وعلا ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ أى قريب الإجابة وأن الذى تدعونه سميع بصير قريب، أى بإجابتكم وإثابتكم، وهو فوق سماواته مستوٍ على عرشه.

قال أبو عمر الطلمنكى رحمه الله: "**أجمع العلماء** على أن الله مستوٍ على عرشه على الحقيقة لا على المجاز " فهو يحكى إجماع العلماء، والأصل فى الكلام هو الحقيقة دون المجاز ومن المجاز ما يمكن نفيه، أو إيهام السامع خلاف ما يريده، وهذا باطل، وحتى الأصوليون يقررون بأن الأصل فى الشىء الحقيقة كما قال ابن المراقى:

واللفظ محمول على الشرع إن لم يكن فمطلق العرف

ولا يختلف العلماء فى هذه الأصول، وأنه يجب حمل الكلام على حقيقته، وأن الله جل وعلا فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، ودلت الأدلة على أن قربه قرب إجابة وقرب إثابة، وبدليل الأدلة الأخرى: « ينزل ربنا » لو كان كما يقولون مختلطا بـ

الخلق أو ممتزجا أو حالا فيهم، أو هو فى كل مكان لم يكن للنزول معنى، ولم يكن لتخصيص العرش معنى، ولذلك قال الله جل وعلا: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّ مَاءِ (ثم استوى إلى السماء) لو كان الله فى كل مكان، لم يحتج أن يستوى إلى السماء، ولم يحتج ليستوى على عرشه ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى .

ثم إن موسى لما طلب من الله أن يراه، مجرد رؤية، القوى البشرية فى الحياة لا تطيق رؤية الله، الله يرى فى عرصات القيامة لأن الله يخلق فيهم قوة وقدرة أقوى من قدرتهم فى الحياة، يرونه بعد دخول الجنة لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ قال الله جل وعلا لموسى: لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا تجلى مجرد تجل، فعلم موسى أنه لا يطيق رؤية الله جل وعلا، وليس معناه أن رؤية الله محالة، لو كانت محالة ما علقها الله على الجبل، ولكنها ممتنعة فى الحياة الدنيا، خلافا لما تدعى الصوفية من أنهم يرون الله فى الحياة الدنيا، هذه ضلال وانحراف، الله جل وعلا يرى فى عرصات القيامة، ويرى بعد دخول الجنة، قال «أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته،

فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» قبل غروب الشمس وهى العصر، وقبل طلوع الشمس وهى الفجر.

ثم شرع الشيخ رحمه الله تعالى يتحدث عن إثبات صفة الكلام لله جل وعلا.

قال: "ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان ".

الإيمان: مبتدأ مؤخر، وتقدم تعريف الإيمان: قول وعمل: قول القلب واللسان وعمل القلب و اللسان والجوارح، الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد دون الآخر ، بمعنى لا يجزئ جنس القول عن جنس العمل ولا جنس العمل عن جنس ا لاعتقاد، بمعنى أنه لو فصل جنس العمل لكان مرتدا لأنه ما أتى بالإيمان، وعجيب هذا الذى يقول إن الإ يمان قول وعمل، يقول ما يكفر تارك العمل وأنه ضعيف الإيمان، ولا يسمى هذا إيماناً، إذ لابد أن نأخذ من التعريف أن تارك جنس القول وتارك جنس العمل يعتبر كافراً.

ولو أن الكافر قال: (أشهد أن لا إله إلا الله)، ولا يعمل أبدا لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ولا يحج، هل نعتبر هذا مسلما (لا) لأنه ما أتى بالإيمان، الإ يمان قول وعمل، وأين العمل، فلابد أن يأتى

بجنس العمل ولكن الشارح يقول ولا يجزئ واحد دون الآخر.

فمن الإيمان بالله الإيمان بأن القرآن كلام الله بمعنى أن الله تكلم، والله يتكلم متى شاء إذا شاء، وكلام الله حقيقة ليس مجازا لأن العرب فى لغتها لا تعرف تأكيد الأفعال بالمصادر إلا إذا تحققت فقوله: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا كلم فعل ماض، ا لاسم الشريف فاعل، موسى مفعول به، تكليماً مصدر يسمى مفعولا مطلقا، العرب فى لغتها لا تؤكد الأفعال بمصادر إلا إذا كان الشىء حقيقة وليس مجازاً.

ونفى الكلام عن الله يقتضى عدة أمور:

الأمر الأول: أن هذا وصف لله جل وعلا بـ النقائص.

الأمر الثانى: إنكار الرسالات والنبوات.

الأمر الثالث: إنكار الأوامر والنواهى.

لقول جل وعلا: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وقوله جل وعلا وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ وقال : «من يؤوينى، من يحملنى لأ

أبلغ كلام ربى» وغير ذلك من الأدلة الدالة على إثبات صفة الكلام لله جل وعلا.

والكلام صفة كمال وقال تعالى وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ وأهل السنة لا يختلفون فى ذلك، والذين يقولون بأن كلام اللّه مخلوق، ويقولون بأن القرآن مخلوق، يعنى هذا أن شيئا من اللّه مخلوق، ومن قال بأن شيئا من اللّه مخلوق فإنه كافر بالإجماع، وهذا لازم القول بأن القرآن مخلوق، من لازم القول بأن القرآن مخلوق أن يكون شىء من اللّه مخلوقاً وهذا كفر بـاللّه جل وعلا كما قال مالك وغيره من العلماء.

قوله: "كلام الله منزل غير مخلوق".

لفظة (غير مخلوق) لم تكن متداولة فى عصر الصحابة رضى اللّه عنهم، وقد قال ذلك أئمة التابعين حين كان هذا يقتضى الحديث عن هذه المسألة، ولا حرج من إطلاق ذلك مناظرة لأهل البدع والضلال ، لأن هذا حق والمسلم يلتزم الحق، ولا يمتنع عن ذكره، إن قال قائل : لم يرد هذا القول، بل ورد أنه منزل وأنه كلام اللّه، نقول: نحن نقول إنه غير مخلوق كبراءة من الجهمية و المعتزلة والأشاعرة، لأنهم هم يقولون إنه منزل، لكنهم يقولون هو مخلوق، خلقه اللّه ثم أنزله، فأنت تقول غير مخلوق كبراءة من هؤلاء لأنهم

يلبسون على الناس ولذلك زر بن حبيش وجماعة من الأكابر يقولون بأنه منزل وغير مخلوق وأجمع على هذا العلماء.

قوله: "منه بدأ وإليه يعود".

أي تكلم الله به.

قوله: (وأن الله تكلم به حقيقة)

هذا لفظ القرآن: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وهذا لإنكار دعوى المجاز، وللرد على الأشاعرة والكلابية والمعتزلة وغيرهم.

فالأشاعرة يقولون بأنه عبارة عن كلام الله، والكلابية يقولون بأنه حكاية عن كلام الله، وقول كل من الكلابية والأشاعرة هو بمعنى واحد.

فالكلابية والأشاعرة متفقون على أن القرآن مخلوق، فنفس أصول الأشاعرة هى أصول الجهمية، إلا أن السلف يكفرون الجهمية، ولا يكفرون الأشاعرة؛ لأن أسلوب الأشاعرة أقوى، وهم أخف شرا من الجهمية، وللأشاعرة نصرة للدين؛ ك

الردود على الرافضة ومحاربتهم ومواجهتهم، وفى نفس الوقت هم يضطربون فى هذا الباب فيثبتون بعضا وينكرون بعضا.

ولكن الأصول التى ينطلق منها الأشاعرة هى نفس أصول المعتزلة، وأصول الجهمية، فهم يتفقون فى قضايا كثيرة كالقول بخلق القرآن، وإنكار العلو، وإنكار بعض الأسماء والصفات، هم يتفقون فى هذا الأصول، فالذين ينادون الآن بأن ا لأشاعرة لا يختلفون عن أهل السنة أو هم من أهل السنة – هذا ضلال وتلبيس؛ أولا: يقولون بأن الأ شاعرة من أهل السنة إلا فى الأسماء والصفات، وهذا غلط أيضا، فهذا غير صحيح؛ الأشاعرة ليسوا من أهل السنة فى أبواب كثيرة، حتى فى الإيمان، الأشاعرة فى الإيمان جهمية.

فالأشاعرة يقولون فى باب الإيمان كما هو موجود فى جوهرة التوحيد، فالذين يقرؤون جوهرة التوحيد الآن هم على عقيدة الجهمية فى باب الإيمان، يقولون عن الإيمان بأنه مجرد تصديق ، هذا قول الجهمية الذين يقولون بالمعرفة ،وهم أقبح من المرجئة؛ المرجئة يقولون: قول واعتقاد، ا لأشاعرة ما يقولون: قول، ترجع الصورة إلى مجرد

الاعتقاد، فيقولون الإيمان مجرد تصديق، فمن صدق فقد آمن، وعلى هذا القول الضال يكون فرعون مؤمنا؛ لأنه صدق وآمن حين لا ينفعه الإ يمان، وأبو طالب يكون مؤمنا؛ لأنه يقول:

ولقد علمت بأن دين من خير أديان البرية

لولا الملامة أو حذار لوجدتني سمحا بذاك

ويقول:

والله لن يصلوا إليك حتى أوسد في التراب

فهم مصدقون، حتى صريح القرآن عن الآية التى نزلت فى أبى طالب: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ، وهم ينهون عن أذيته، ويناون عن اتباعه، ويقول أبو طالب: لولا أن تعيرنى قريش لأقررت بها عينك، يعنى: لا إله إلا الله، هذا هو التصديق، ولكن لم ينفعه تصديق ما دام أنه لم يعمل، فالذين يقولون بأننا لا نختلف مع أهل السنة إلا فى باب الأ سماء والصفات هذا غلط، وليس له أصل فأهل السنة يختلفون مع الأشاعرة فى أبواب كثيرة، يختلفون مع الأشاعرة فى الإيمان (فالأشاعرة فى ا لإيمان على عقيدة الجهمية)، يختلفون مع الأ شاعرة فى مصادر التلقى.

هذا محور الفوارق بين أهل السنة والأشاعرة، فـ

الأشاعرة حين تنظر فى مصادر تلقى تجد العقل قبل الكتاب والسنة، وأعظِم ذلك من قول! وأقبح به من ضلال! فهؤلاء يجعلون أصول التلقى العقل، أما أهل السنة فالكتاب والسنة، ويقولون: النقل الصحيح لا يعارض العقل الصحيح:

فإذا تعارض نص لفظ		والعقل حتى ليس
فالعقل إما فاسد ويظنه		ئي صحيحا وهو ذو بط
أو أن ذاك النص ليس		ما قاله المعصوم بِ

ومما يخالفون فيه أهل السنة والجماعة أيضا الأسماء والصفات، يختلفون فى الأسماء والصفات.

ومما يختلف فيه أهل السنة والجماعة أيضا تنزيل الأحكام على المعينين، وأصول متعددة يفارق فيها أهل السنة الأشاعرة.

وكثير من متأخرى الأشاعرة على أصول الجهمية، والذى يدرس الآن فى الجامعات فى العالم العربى والإسلامى على مذاهب الماتريدية وعلى مذاهب الأشاعرة الغلاة، باستثناء ما يوجد الآن فى بلادنا، تتلقون العقيدة الطحاوية وهى على أصول أئمة أهل السنة والجماعة، باستثناء مسائل يسيرة أخطأ فيها الطحاوى رحمه الله تعالى.

فكتاب جوهرة التوحيد يدرس الآن فى كثير من الجامعات العربية والإسلامية وهو يمثل مذاهب الأشاعرة والماتريدية من المتأخرين وهم يحفظون هذا الكتاب، ويستظهرونه عن ظهر قلب، ويحتجون به كما يحتجون بالقرآن والسنة أو أعظم؛ ويقولون دائما فى كتبهم: قال فى جوهرة التوحيد، حكى صاحب جوهرة التوحيد.

* * *

قوله: (وأن هذا القرآن الذى أنزله على محمد هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره).

وهذا لا يختلف فيه العلماء؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لأبلغ كلام ربى». والله عز وجل تكلم بالتوراة، وتكلم بالإنجيل، وتكلم بالزبور، وتكلم بالفرقان – القرآن -، هذه كتب كلها منزّلة من عند الله جل وعلا، وهى كلام الله حقيقة لا كلا م غيره، فإن الكلام إنما يضاف فى الحقيقة إلى من قاله مبتدئا؛ لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، وسيأتى إن شاء الله توضيح هذه المسألة، والله أعلم.

س:هل يلزم من القول بخلق القرآن أن يكون

شىء من الله مخلوق؟

ج: يلزم نعم؛ لأنه إذا قال: القرآن مخلوق ف القرآن من الله، يلزم أن يكون شىء من الله مخلوقا، وهذا القول بأصله كفر لا بلوازمه، لأنه إذا قال القرآن مخلوق فهو بذاته كفر بدون اللوازم؛ لأ نه إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة، وتكذيب لكلام الله وكلام رسوله .

س:ما معنى قول شيخ الإسلام :"وهو عَلِىٌ فى دنوّه ،قريب فى عُلُوّه" ؟

ج: هو للتنويع، لئلا يظن ظان أنه قريب فى علوه،لكن ليس عليًا فى دنوه، فللتنويع، وبيان العكس، وأن هذا هو ذا، فإذا قال الشخص: قريب فى علوّه قد يظن أحد أنه إذا كان عاليا ليس بقريب، فشيخ الإسلام يؤكد قال: وهو علىٌ فى دنوّه، قريب فى علوّه، وهذا إشارة إلى الحقيقة سواء قيل بقربه فهو عال، أو إذا قيل بعلوه فهو قريب.

س:ما المراد من قوله تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؟

ج: ليس الحديث فى الآية عن قرب الله

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ كيف نفسر القرب هنا ،سياق الآية، ما تدلل عليه الآية وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ هذا حين الاحتضار. يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ من هم المتلقيان؟ الملكان .إذًا الحديث فى السياق عن قرب الملائكة من العبد، وليس الحديث عن قرب الله جل وعلا.

س :هل يكون المقصود من الآية قرب المعية ؟

ج:المعية العامة صحيح –ليس هناك مانع – لكن أنكر ابن تيمية أن القرب بالعلم، لأن الله عليم بكل شىء، إذن فلا وجه للتخصيص، فالله مع الكفار ومع المؤمنين بعلمه،والنوع الثانى من المعية: المعية الخاصة التى تقتضى النصر والحب والتأييد، وهى ليست بمرادة هنا، فإذا فسرنا ذلك بـ العلم فأين وجه التخصيص؟ ما فيه مزية، لأنه لا يختلف المؤمن عن الكافر فى علم الله جل وعلا، وأن الله مع كل الخلق بعلمه، مع الإنس ومع الجن وغيرهم، بخلاف المعية الخاصة؛ فإنها لا تكون إلا للمخلصين الموحدين الأتقياء، فبقى القول بالملا ئكة لسياق الآية، قرب إجابة، قرب إثابة، ونحو ذلك.

س: فهل نضيف إلى ذلك قرب العلم؟

ج: معية العلم، ما فى مانع، ولا إشكال فى ذلك، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ لا إشكال فى ذلك، هذا من الأ صل مثبت لأنه ما فى جديد الآن، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ الله أقدر عليه وعلى إجابته، وعلى إثابته وعلى عقوبته أيضا، مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، فالآية تفسر بعضها بعضا، هناك من العلماء من يفسر بذلك، مع مراعاة ما يقوله الشرع، والصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين، أما أن يأتى شخص فيقول: الله فى كل مكان من هذه الآية، نقول: أين الله؟ ما يقول فى السماء، هذا ضلال وانحراف، الله فى السماء، هذا تفسير للآيات والأحاديث يفسر بعضها بعضا؛ فالآن الحلولية والاتحادية و الوجودية حين يسألون يقولون: الله فى كل مكان، الدليل: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .

النبى حين قال للجارية: «أين الله؟» قالت: فى السماء، ما قالت: فى كل مكان ،ولو كان فى كل مكان بزعمهم بمعنى الله فى كل مكان بذاته، ما كان لنزوله معنى؛ «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل» فهو الآن بزعمهم فى كل مكان فكيف ينزل؟ هذا ضلال وانحراف، وبالتالى

هذا باطل شرعا وفاسد عقلا.

أما قوله جل وعلا: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ هذا قرب إجابة، إنكم لتدعون من هو أقرب لأحدكم من عنق راحلته، هذا قرب إجابة وقرب إثابة، هذا واضح من دلالات الكتاب والسنة، فالآيات والأحاديث يفسر بعضها بعضا، يكفينا يا أولى الألباب لإبطال قول الحلولية والاتحادية قول النبى للجارية: «**أين اللّٰه؟**» ما قالت: فى كل مكان؛ قالت: فى السماء، قال: «**فمن أنا؟**» قالت: أنت رسول اللّٰه، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»، استدل على إيمانها بإثباتها العلو، والنبى حين خطب الناس فى عرفات فى أعظم مجمع حضره الناس، وفى أعظم مجمع يجتمع فيه النبى مع الناس، قال: فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: «**اللّٰهم اشهد**» والنبى أسرى به فلو كان اللّٰه فى كل مكان لما أسرى به إلى السماوات السبع، وسمع صريف الأقلام، وخاطبه اللّٰه بالصلوات الخمس؛ كيف يكون فى كل مكان جل وعلا، بل هذا ضلال، الأدلة واضحة وصريحة فى هذا، ولا عذر لأحد بأن يقول: اللّٰه فى كل مكان، أو أن اللّٰه موجود فى المخلوقات كما يقول ابن سيناء والفارابى وجماعة من

المنحلين والخارجين عن دين الإسلام.

هذه أدلة واضحة ونصوص صريحة، فمن خ الف فى ذلك من شىء فلا شك أنه ليس من الإسلا م فى شىء.

س :ماذا يقول الكلابية عن القرآن ؟

ج: نعم، الكلابية يقولون هذا القرآن حكاية عن كلام اللّٰه، والأشاعرة يقولون عبارة عن كلام اللّٰه، وهذان القولان نتيجتهما واحدة أن القرآن مخلوق. وهناك من يقول بأنه معنى قائم بالنفس أنه خلقه فى العقل الفعال الذى هو جبريل ثم بدأ ينزل القرآن بأمره تعالى، يسمون جبريل :العقل الفعال، وهذا يستلزم أن يكون شىء من اللّٰه مخلوقًا، هذا من بدع تناقض الأشاعرة والكلابية، فهم يقولون ما لا يفهمون، هم ينادون بالعقل ولا يفهمون العقل، فهم يقولون بأشياء تناقض العقل.

س: ما هو إرجاء الفقهاء؟

ج: الإرجاء الفقهى الذى حكاه ابن تيمية عن بعض الفقهاء أنهم لا يقولون عن الإيمان أنه قول واعتقاد، ويقولون: إن الاعتقاد ينبعث منه العمل، وهذا ما اعتذر به صاحب الطحاوية عن أبى حنيفة

رحمه الله تعالى، بأنه قال: أنه قول واعتقاد ... وهذا الاعتقاد هو الذى تنبعث منه أعمال الجوارح، فهذا ما يسمونه إرجاء الفقهاء، ومن العلماء من قال بإرجاء الفقهاء الذى نتيجته هى أقوال أهل السنة فى النتيجة، بخلاف المقدمة، هم يقولون: من سجد لصنم كافر، ولكن ليس لذات السجود للصنم، ولكن لدلالة أخرى، فهم يوافقون أهل السنة أنه كافر، لكن سبب كفره يخالفون أهل السنة، هذا إرجاء الفقهاء.

أما إرجاء الغلاة كالجهمية، الذين يربطون نواقض الإسلام بالاستحلال أو بالجحود، أو الذين يخرجون العمل عن التكفير – هذا قول غلاة الجهمية وغلاة المرجئة.

فالإرجاء الفقهى هو الذى محصلته قول أهل السنة فى النتيجة، ولكن يختلفون فى استخلاص النتيجة.

س: ما حكم تكفير المسلم عند أهل السنة ؟

ج: هو طبعا يختلف، والمسائل الأخرى فيها تفصيل، العلماء مجمعون مثلا أن من أكل الربا أو سرق أو زنا أو شرب الخمر أنه لا يكفر؛ لأن هذه الأ

أمور لا تنافى أصل الإيمان، هى كبائر من كبائر الذنوب، لكن هناك أشياء من تركها كفر، مثلا: من جحد وجوب الصلاة، قال: الصلاة غير واجبة، أو غير مشروعة، أو قال: لا تجب على الصلاة، لا أصليها فى البيت ولا فى المسجد.

العلماء يقولون: من أنكر وجوبها أو أنكر مشروعيتها فإنه يكفر.

الحالة الثانية: أن يتركها كسلا، ويتركها بالكلية، لا يصلى أبدا، لا فى البيت ولا فى المسجد، نعم هذا فيه خلاف، لكن الذى أجمع عليه الصحابة أنه كافر؛ لأن الأدلة على ذلك صريحة، حكى ذلك إسحاق بن راهويه، وعبد الله بن سقيف العقيلى، وابن حزم، كل هؤلاء يحكون الإجماع على كفر من ترك الصلاة بالكلية؛ لقول الله جل وعلا: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، ولقوله : «بين الرجل وبين الشرك والكفر: ترك الصلاة» رواه مسلم فى صحيحه، ، ولقوله : «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» رواه الترمذى، وقال عنه: حديث حسن صحيح، ولقوله حين ذكر الصلاة يوما: «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها

لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبى بن خلف»، ولا يحشر مع هؤلاء إلا الكافر، ولقوله حين سئل: ألا نقاتل أئمة الجور؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**» ما دام أئمة الجور يصلون فلا يجوز مقاتلتهم، ثم قال النبى : «**إلا أن ترى كفرا بواحا**»، لا يجوز مقاتلتهم إلا أن ترى كفرا بواحا، ولا يجوز الخروج عليهم أبدا، إلا أن ترى كفرا بواحا، قال : «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»، فَعُلِم أن ترك الصلاة من الكفر البواح، والأدلة على هذا كثيرة، نعم يوجد خلاف فى مذاهب الأئمة الأ ربعة لكن الصحابة أجمعوا على ذلك؛ فلا يحق لأ حد أن يخالف إجماع الصحابة.

أما من صلى تارة، وترك تارة، يصلى الظهر ويترك العصر، يصلى المغرب ويترك العشاء، هذا يعد فاسقا ومنافقا، ولا يعد كافرا.

س : مامعنى القرب فى قول النبى «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»

ج: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» هذا قرب إجابة.

س: هل يوصف الله بالفعل ؟

ج: الله موصوف بذلك، بـ (الفعل)، لكن لا يكون شيء من الله جل وعلا مخلوقًا، إلا إذا كان يقصد آثار الخلق، فمن صفة الله الخالق معنى ذلك أنه يفعل، الله يفعل، لكن لو قال: هذه الأشياء التي صارت موجودة الآن من العمران وغيرها، هذه من آثار خلق الله، هذه مخلوقة، لكن صفة الخلق ليست مخلوقة؛ الله موصوف بالخلق، قال الله عز وجل: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ فرق بين الخلق وبين المخلوق، الله موصوف بصفة الخلق، ومن أسمائه الخالق البارئ المصور، فالخالق صفة لله جل وعلا، وهي مقتضية لوجود الفعل، أما الفعل الذي خلق بـ الخلق هذا شيء آخر.

صفة الكلام صفة ذاتية وليست فعلية، فهي صفة لله جل وعلا، فمن قال بأن القرآن مخلوق فلا شك أنه كافر؛ لأنه جعل شيئا من الله مخلوقا، لأن هذا كلام الله.

س: هل يعامل تارك الصلاة معاملة المشرك؟

ج: لا، يعامل معاملة المنافق، إلا من علم منه

مثل الزوجة، حين تعلم أن زوجها لا يصلى فى المسجد، ولكن ما تدرى هل يصلى فى البيت أم لا، تعامله معاملة المنافقين، فبالتالى لا يلزم أن تكون طالقا، لأننا لا نعامله معاملة المشرك، هو بخلاف المشرك الذى يعبد وثنا أو يعبد صنما فهذا يعتبر مرتدا.

تارك الصلاة يعامل معاملة المنافقين، والمنافق لا يلزم مفارقة زوجته له؛ لأنهم يظهرون الإسلام كعبد الله بن أبى مثلا لم يأمر النبى زوجته أن تفارقه، كذلك طوائف المنافقين، لم يأمر زوجاتهم بأن تفارقهم، فالرجل إذا كان لا يصلى فله حالتان:

1-إذا كانت المرأة لا تدرى إن كان لا يصلى أو لا هذا لا يلزم المرأة أن تفارقه.

2-الحالة الأخرى أما إن علمت بيقين أنه لا يصلى فى المسجد ولا فى البيت هذه يلزمها أن تفارقه، لأنها عندها يقين حصل لها لكن لا يلزم أن تلزم الآخرين بذلك، مثال ذلك شخص لا يصلى أنا أعلم أنه لا يصلى لا فى البيت ولا فى المسجد فهذا لا يحق لى أن أصلى عليه أبدا، لكن ليس من حقى أن أنهى الناس عن الصلاة عليه؛ لأن الناس لا يعرفون ذلك؛ يرونه فى ديار المسلمين يشهد أن لا

إله إلا الله وأن محمدا رسول الله - ينطق بـ الشهادتين -، ولذلك حذيفة حين أخبره بأسماء المنافقين كان يمتنع عن الصلاة عليهم، ولكن لم يكن يمنع أحدا أبدا من الصلاة عليهم؛ لأنه يترتب عليه منكرات كثيرة جدا. فهذا إن كنت أعرف الأمر ، أما إن كنت لا أعرف لعله كان يصلى فى بيته أو فى عمله فمثل هذا إذا قدم فى ديار المسلمين ليصلى عليه فلا يدخل شخص ويقول هذا الرجل لا يصلى فلا تصلوا عليه، هذا غير صحيح ولا يجوز هذا الفعل؛ لأنه وجد هذا فى عصر الصحابة، كالمنافقين الذين كان يعلمهم حذيفة، وهم مجمع عليهم أيضا؛ النفاق الأكبر الذى لا يختلف عليه العلماء لا المتقدمون ولا المتأخرون رغم ذلك ما كان يأتى المسجد ويقول هذا منافق لا تصلوا عليه، لكن البعض كان يتحرى طريقة حذيفة، فإن صلى حذيفة صلى وإن لم يصل لم يصل، ولم يكونوا يمنعون أحدا من ذلك.

أن القرآن هو كلام الله أنزله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة، قال : "و لا يجوز إطلاق القول- لا يجوز بمعنى : ويمتنع - ويمتنع شرعاً إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله"

ويسأل كثير من الناس فى فتاواهم عن الفرق بين ما لا يجوز وبين ما يحرم، وهذا فيه تفصيل ، فالذى يجرى على ألسنة الفقهاء أنه لا تختلف لفظة (لا يجوز) عن لفظة يحرم، والذى يجرى على ألسنة النحاة من قولهم (لا يجوز كذا) لا يعنون بذلك

التحريم؛ يعنون لا يجوز لغة، فلا يجوز فى اللغة أن ترفع المفعول ليس بمعنى أنه حرام أى يثاب فاعله ويعاقب تاركه.

ولفظة (لا يجوز) أعم من لفظة التحريم ، فكل محرم لا يجوز وليس كل ما لا يجوز يكون محرماً، فقوله "لا يطلق القول " أى يمتنع إطلاق القول بأنه "حكاية "كقول الكلابية أو" عبارة" كقول الأشاعرة؛ فإن الأشاعرة يزعمون أن القرآن عبارة عن كلام الله، والكلابية يقولون حكاية عن كلام الله، ويؤول القولان معاً إلى القول بخلق القرآن، وأنه قام على العقل الفعال وعبر عما فى نفس الله -جل وعلا.

وقد اتفق العلماء على أن الذى قرؤوه أو كتبوه فى المصاحف لم يخرج بذلك على أن يكون كلام الله على الحقيقة فإن الله -جل وعلا- موصوف بصفة الكلام؛ الذى هو صفته، فيتكلم متى شاء إذا شاء، وصفة الكلام من الصفات الذاتية والفعلية الا ختيارية وهى صفة كمال لله، فعطاؤه كلام وعذابه كلام، قال تعالى: **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** وقال تعالى: **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** فقد فرق الله -جل وعلا- بين الخلق وبين الأمر وقد احتج بهذه الآية سفيان وأحمد وغيرهما من ا لأئمة على اثبات صفة الكلام لله -جل وعلا- وإلا لم

يكن للمغايرة معنى ، فقال: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ فرق الله -جل وعلا- بين الخلق وبين الأمر ، فالأمر هو قوله وكلامه، قال تعالى: فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ

فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، فقوله -جل وعلا-: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ هذه إضافة تبليغ، فحين يحكى لك زيد عن عبد الله تقول: حدثنى زيد مبلغاً عن عبد الله، فالكلام كلام زيد لكن الأصل لمن؟ لعبد الله ؛ لأنه هو الذى قاله مبتدئًا ، وزيد مبلغ مؤدٍ ، وليس له سوى النقل، فقوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ هذا مضاف إضافة تبليغ بدليل أن الله جل وعلا كفر من قال عن القرآن الكريم بأنه قول البشر إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ قُتل بمعنى لعن؛ لعنه الله ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ هذا لعنه الله وبين الله كفره لأنه نسب كلام الله إلى قول البشر ، فعلم أن القرآن ليس من كلام محمد ، وليس من كلام جبريل ، وأن الله تكلم بذلك حقيقة.

وتقدم بالأمس اتفاق أهل اللغة و البيان على أن الأفعال إذا أكدت بمصادر لا تحتمل إلا الحقيقة؛ فحين قال الله: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا الكلام

فى هذه الآية باتفاق أهل اللغة والبيان وأهل المعرفة حقيقى وليس فيه شىء من المجاز، وحين ناظر أحدُ أهل السنة أحد علماء الكلام فى إثبات صفة الكلام لله -جل وعلا- احتج عليه السنى بهذه الآية : وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا فنصب الجهمى لفظ الجلالة ؛ فجعل موسى هو الذى يتكلم، قال له السنى: هب أننا قلنا كما تقول، فما أصنع فى قول الله -جل وعلا- وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ فبهت هذا الجهمى.

قوله: "وهو كلام اللّه" أى الموجود بين الدفتين ، والموجود فى الصدور - هو كلام اللّه، حروفه ومعانيه، الحرف من اللّه؛ هو الذى تكلم اللّه به، قال النبى : « فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُد كما يسمعه من قرب» ومعانيه؛ فلا يعبر جبريل عما فى نفس اللّه كما يقول أهل البدع، أو أن اللّه موصوف بِ الكلام فى الجملة،وجبريل يعبر عما يريده اللّه مثلما يخلقه فى نفسه ، هذا كلام باطل.

ولهذا قال أهل السنة ليس كلام اللّه الحروف دون المعانى ولا المعانى دون الحروف كما يقول ا لأشاعرة والكلابية، فهؤلاء يقولون بأن كلام اللّه حروف دون معانٍ ، وهؤلاء يقولون أن كلام اللّه المعانى دون الحروف، فهؤلاء وأولئك ليس لهم إلا

أن نأتى بنصوص وأدلة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ، تدل على بطلان هذا القول ومخالفته للمنقول والمعقول.

تقدم بالأمس أن هذا القول يؤول إلى القول بخلق القرآن وإلى وصف الله بالخرس تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وإلى إنكار الرسالات و النبوات وغير ذلك، فكلام الله الحرف والمعنى، فقوله -جل وعلا- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ هذه الحروف تكلم الله بها بنحو ما تقرؤون فى القرآن، والمعنى من الله لم يعبر أحد عما يريده الله بكلامه، قال تعالى: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ، وقال تعالى: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ، ولم يكن أحدٌ من الصحابة ينازع فى شىء من هذا؛ بل كانوا متفقين على الإقرار بأن القرآن هو كلام الله؛ حروفه ومعانيه، وليس كلام الله حروفًا دون معانٍ كقول ا لأشاعرة، ولا معانى دون حروف كقول الكلابية، ق ال الله -جل وعلا-: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ولم يقل خلق الله، فعلم أن القرآن هو كلام الله، والله -جل وعلا- تكلم بالتوراة، تكلم بالإنجيل، تكلم بالزبور، تكلم بالفرقان، وهذه الكتب كلها منزلة من الله.

والله -جل وعلا- يتكلم بصوت كما أجمع أهل

السنة على هذا؛ فقد قال النبى : «**بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب**» وقال والحديث فى الصحيحين «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**» ، وفيه إثبات صفة الكلا م لله، حكيت لكم الإجماع عن ابن عبد البر وعن الطلمنكى وغيرهما أن الأصل فى الكلام حمله على الحقيقة، وهذه قاعدة من قواعد أهل السنة فى باب الأسماء والصفات وغير ذلك؛ أن الأصل فى الكلام حمله على الحقيقة، فلا تجوز دعوى المجاز فى شىء من ذلك.

قوله: وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به، أى من آمن بالله وملائكته ورسله، آمن بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة، وقد قال الإمام مالك وأحمد وغيرهما: من لم يؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم فليس بمسلم، لأنه مكذب لكلام الله ومنكر وجاحد لكلام رسول الله ومخالف للإجماعات القطعية فى هذا الباب، قال الله -جل وعلا-: **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** قال الشافعى -رحمه الله تعالى-: حين حجب الله أعداءه كان هذا دليلاً على أن أولياءه بخلاف ذلك، وقال صلى الله عليه وسلم: «**إنكم سترون ربكم**» السين هنا للتنفيس، (سترون ربكم)

وهى تفيد الاستقبال وتفيد بيان الحقيقة، قد أكد النبى ذلك بقوله «**كما ترون القمر ليلة البدر**» هذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى، كما قال النبى : «**إن أول زمرة تدخل الجنة وجوههم على وجوه القمر**» وهذا لتقريب الأفهام ولبيان الحقيقة، فالمؤمنون يرون الله -جل وعلا- فى عرصات القيامة ويرونه بعد دخول الجنة وتكون لذة الرؤية بقدر الإيمان، وذلك من دعاء النبى «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك**»، وقال تعالى: **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** الحسنى أى الجنة ، والزيادة: النظر إلى وجه الرب.

ويشترك فى الرؤية الرجال والنساء، وقد جاء فى بعض الآثار بأن العميان يرونه قبل المبصرين جزاءً لهم على صبرهم واحتسابهم، وقال بذلك غير واحد من أئمة السلف ولكن لا يثبت فى الباب شىء عن النبى عن النبى ،هناك آثار عن بعض السلف ولكن لا دليل على شىء من ذلك، وفى الوقت الذى أجمع فيه أهل السنة على أن المؤمنين يرون ربهم فى العرصات ويرونه بعد دخول الجنة، وأجمعوا على أن المشركين لا يرونه؛ لا فى العرصات، ولا عند دخول الجنة، اختلف العلماء فى المنافقين فى العرصات، انعقد الإجماع على أن

المؤمنين يرونه فى العرصات وبعد دخول الجنة، وانعقد الإجماع على أن الكفار لا يرونه فى العرصات ولا يرونه فى الجنة لأنه حرم الجنة على الكافرين ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، واختلف الفقهاء والعلماء فى رؤية المنافقين لربهم فى العرصات، وهذه الرؤية عند الذين يقولون بإثباتها هى رؤية تحسر كرجل يرى الذى خسره ويتحسر عليه،نظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم « ما من ميت يموت ويوضع فى قبره،فإن كان من أهل الجنة فُتح له باب من النار وقيل هذا مقعدك لو لم تؤمن بالله، وإن كان من أهل النار فُتح له مقعده من الجنة وقيل هذا مقعدك لو آمنت بالله» فهذا على وجه التحسر والندم فهم يرون الله ويتحسرون ويندمون على ما فرطوا فى جنب الله، الذين يرون ذلك على هذا الوجه، لا يكادون يخرجون عن هذا المعنى، وقال بعض العلماء بالعموم، ولكن يبدو أن هؤلاء لم يروا حديث أبى سعيد فى الصحيحين .فحين يرونه يسجدون باستثناء المنافقين، لأنه إذا أراد أن يسجد فلا يقدر، وبعد هذا الكلام لا يكلمهم الله؛ أى لا يكلمهم الله كلاماً يسرهم ويفرحهم، فهم يعذبون

ويتحسرون على تفريطهم فى طاعة الله وطاعة رسوله .

قوله: "وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون " أى لا يلحقهم ضيم ولا زحام فى رؤية الرب -جل وعلا-، فهم يتنعمون برؤيته ويتشوقون لذلك ، وأعظم نعيم أهل الجنة هو رؤية الرب -جل وعلا-، قال تعالى: وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ النظر إلى وجه الرب وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ فسر هذه الآية أبو بكر الصديق وأكابر الصحابة بأن الحسنى هى الجنة، و الزيادة: النظر إلى وجه الرب -جل وعلا-، وأهل السنة يؤمنون بذلك، ويؤمنون بكل ما جاء عن الله على مراد الله، وبكل ما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله لا يشبهون ولا يكيفون ولا يمثلون لأنه سبحانه لا شبيه له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه، وفارق فى هذه المسألة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة فلا يثبتون لله -جل وعلا- الرؤية ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون عن ذلك بأن معناه النعيم؛ إشارة إلى النعيم، إشارة إلى الرضا، إشارة إلى المحبة، إشارة إلى العطاء، وهذا باطل لأن النبى قال«كما ترون القمر ليلة البدر»

هذا تشبيه للرؤية بالرؤية وأنها حقيقة وليست مجازية، وليست بمعنى الإثابة والعطاء أو كناية عن المحبة أوغير ذلك.

وأما قوله -جل وعلا- **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** فقد قال أهل العلم إن المعنى فى هذه الآية على معنيين؛ المعنى الأول: **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** بمعنى لا تحيط به، فالإنسان يرى السماء، هل يحيط بها؟ يرى القمر، هل يحيط به؟ أنا أرى أمامى الآن ما هنا ، هل أحيط به؟ لا أحيط به، لا أستطيع أن أعرى عما وراءه وعما يكون عن جنبه، إذا القول الأول **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** يعنى لا تحيط به .

القول الثانى: **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** بمعنى لا تراه فى الدنيا ، والأكثرون على القول الأول؛ وهو أنهم يرونه ولا يحيطون به.

وأما قوله -جل وعلا- لموسى **لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ** فإن موسى طلب رؤية الله؛ فهو مستقر فى علمه أن الله يُرى لذلك طلب الرؤية ، و الله -جل وعلا- ما نهاه عن ذلك ، ولا قال له لا يحق لك أن تسأل ما ليس لك به علم، علق الرؤية على ممكن، قال: **وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** وتعليق الشىء على

ممكن يكون ممكنًا عند العلماء، ولكن القوة البشرية فى الحياة الدنيا لا تطيق رؤية الرب ، وقد بين الله ذلك بما يفهمه العباد فقال: وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا التجلى فى اللغة هو الظهور، جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا

وأهل البدع يقولون بأن (لن) تفيد النفى المؤبد لَنْ تَرَانِى وهذا باطل من حيث المعنى لأن الله قال: وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ وموسى أعرف بربه من الجهمية وأهل البدع بحيث لا يطلب ما لا يحق له، وفى نفس الوقت هؤلاء يخالفون فى كلام أهل اللغة؛ فإن أهل اللغة لا يرون (لن) تفيد النفى التأبيدى كما سرد ذلك ابن مالك -رحمه الله تعالى- فى الشافية وليس فى الألفية.
ومن رأى النفي بلن فقوله انبذ وخلافه

وقوله:" يرونه سبحانه وهم فى عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى"، لم يرد بعد دخول الجنة هل يرونه فى اليوم مرة، مرتين، هل يرونه مرة فى الأسبوع؟ هل يرونه مرة فى الشهر؟ هل يرونه مرة واحدة ؟ لم يرد شىء من ذلك، ولا تفصيل ذلك، والأدلة

الواردة والآثار المذكورة في بعض كتب العلماء من أنهم يرونه يوم الجمعة، هذه أحاديث معلولة منكرة، أعلمنا الله أنهم يرونه بعد دخول الجنة ، ولم يرد شيء يثبت أنهم يرونه في كل جمعة وفي كل ساعة وفي كل لحظة وفي كل يوم، لم يرد هذا ، لا تماروا أنهم يرونه ، وأن رؤيته من أعلى أنواع النعيم لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ الزيادة هي النظر إلى وجه الرب -جل وعلا- فحرى بـ المسلم الذي يسمع لمثل هذا أن يجتهد في الأعمال الصالحات ليصل إلى هذه المرتبة ، ولذلك يؤخذ من هذا أن هذه الأعمال سبب لدخول الجنة، قال تعالى: جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ويؤخذ من هذا إثبات الجزاء والحساب والبعث بعد الموت ، ويؤخذ من هذا إثبات القدرة لله -جل وعلا- ويؤخذ من هذا إثبات الأسماء والصفات لله -جل وعلا- ويؤخذ من هذا إثبات العظمة لله -جل وعلا- حيث يدير الكون كله؛ علويه وسفليه، ولا تختلط عليه أصوات العباد على اختلاف لغاتهم وكثرة عددهم، وهو مطلع على أعمالهم وراءٍ لأفعالهم، وأهل السنة يؤمنون بكل هذا ويثبتون لله ما أثبته لنفسه ، أو أثبته له رسوله بما ثبت عنه من الأحاديث

الصحاح التى تلقاها أهل المعرفة بالقبول ، ويثبتون ذلك على فَهْم الصحابة، فَهْم الأئمة المتبوعين. والله أعلم.

سؤال: القول بأسبقية العميان فى الرؤية على المبصرين، هل ثبت فى هذا شىء عن أحد من الصحابة؟

الإجابة: لا، لم يثبت عن النبى ولا عن أحد من الصحابة.

سؤال: هل (لا يجوز) أعم من التحريم؟

الإجابة: نعم، (لا يجوز) أعم من التحريم، فأنت تقول لا يجوز رفع المفعول، هل معنى ذلك أنه يحرم؟ لا يدل هذا على التحريم، فيحرم الاستماع للأغانى، يحرم الإسبال، يحرم حلق اللحية، تحرم الغيبة، تحرم النميمة، فالتحريم أخص من عدم التجويز، لكن فى اصطلاح الفقهاء المعنى واحد ، و لا يعنى ذلك أن (لا يجوز)هى ذاتها يحرم ، بل هناك تفصيل ، (لا يجوز) أعم، وفى اصطلاح النحويين وأهل اللغة تعنى : لا يجوز لغة لا يجوز اصطلاحاً.

سؤال: هل يثبت أن لله أنامل ؟

الإجابة: أى نعم، لأن له أصابع فقد جاء فى الصحيحين من حديث ابن عمر «**أن الله يضع السماوات على ذه والأراضين على ذه**»، يثبت ذلك لأن الحديث جيد ، فقد رواه الأربعة وغيرهم،وهو كما قلت عند أهل البدع منام، ولكن رؤيا الأنبياء وحى كما قال **إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ** فرؤيا الأنبياء وحى بخلاف رؤيا غيرهم.

سؤال: هل ورد أن الله –جل وعلا - تجلى بإصبعه ؟

الإجابة: جاء ذلك فى بعض الآثار ، روى ذلك الإ مام أبو إسماعيل الهروى فى الأربعين أنه تجلى بإصبعه، وفى روية بخنصره، لكن هذه الرواية شاذة،لم تثبت من وجه يعتمد عليه من حيث الصناعة الحديثية.

سؤال:ما أصول الأشاعرة ؟

الإجابة: نعم، تحدثت عن ذلك فيما مضى؛ قلت إن أصول الأشاعرة ترجع إلى المعتزلة، ومستمدة من أصولها ،وقد يختلفون فى بعض الأمور ،ولكن يرجعون إلى تشابه كلى، فيختلف الأشاعرة مع

الجهمية بالنسبة للأسماء ، ولكن لا يختلفون بـ
النسبة للصفات سوى فى سبع صفات، هم
يضطربون ويقتربون فيها، فالكلابية والكرامية
وأمثالهم هم فروع فى الحقيقة عن الأشاعرة، ثم
قامت الجهمية فتشبعت مذاهبهم، ثم قامت
المعتزلة فتشعبت مذاهبهم، فمن هؤلاء قامت الكلا
بية والكرامية والماتريدية وأمثال هؤلاء هم فى
الحقيقة يرجعون إلى هذه الأصول؛ يقدمون العقل
على النقل، ويتفقون فى حقيقة الإيمان ويتفقون
فى أن القرآن مخلوق ، وإن اختلفوا فى بعض
التفاصيل الجزئية لكن يرجعون فى النهاية إلى الأ
صول الكلية.

سؤال: متى يجوز استخدام التورية و
المعاريض ؟

الإجابة: أما التورية واستعمال المعاريض فهذا
أمر لا حرج منه بشرط ألا يؤول هذا الأمر إلى
اتخاذ هذه التورية وهذه المعاريض عادة للرجل
بحيث لا يتحدث إلا بالمعاريض ولا يتحدث إلا بـ
التورية، بحيث لا يعرف صدقه من كذبه، وبذلك
يؤول الأمر إلى تكذيبه وإلى اتهامه بالكذب، ولذلك
كان بعض السلف يقولون: عجباً لمن يعرف
المعاريض كيف يكذب؟ فلو طرق شخص عليك

الباب وأنت فى شغل؛ جالس فى مصلاك ولا تريد أن تخرج عليه ولا تحب أن تخرج له ، تقول لهم قولوا له فى المسجد، هو يتبادر إلى ذهنه المسجد الذى تقام فيه الصلوات الخمس، وهذا الموضع يسمى مسجداً لقوله صلى الله عليه وسلم: «وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً» فهذا ليس بكذب لكنه توارد إلى ذهنه شىء آخر ولم تترتب منه مضرة على أحد ، فهذا يستعمل للحاجة ، كقول إبراهيم حين سأل من هذه؟ قال : هذه أختى، يقصد أنها أخته فى الإسلام، فمثل هذا لا حرج فى استعمال المعاريض فيه ، كما قال إبراهيم: بل فعله كبيرهم يقصد من وراء ذلك التهكم على الفعل، فهم يزعمون أن هذا يخلق ويرزق ويدبر ونحوه، يقول فاسألوهم إن كانوا ينطقون، فهذا الجنس من المعاريض لا حرج فيه ما لم يترتب عليه كذب أو زيادة فى هذا الأمر أو توسع فيه.

سؤال: هل تجوز التورية فى اليمين ؟

الإجابة: لا يجوز التورية فى اليمين، قال صلى الله عليه وسلم: «يمينك على ما يصدقك به صاحبك» ولا يجوز التورية عند القاضى بالإجماع،

كشخص جاء إلى القاضى فقال له القاضى أعطنى يمينك، فجعل يورى: أقسم بالله أن هذه الأرض ملكى وقد اشتريتها بكذا، وهو يقصد فى نيته أن ا لأرض ملكه أى التى هو ساكن فيها الآن ولا يقصد المتنازع عليها، هذا لا يجوز، التورية والحلف على غير المراد عند القاضى هذا لا يجوز بالإجماع، الحديث فى المسند «**يمينك على ما يصدقك به صاحبك**».

سؤال: ما حكم من قال: لفظى بالقرآن مخلوق ؟

الإجابة: لا، أهل السنة يبدعون هذا الأمر، إذا ق ال لفظى بالقرآن مخلوق فإن أهل السنة يبدعون هذا ؛ لأنه يؤول بالأمر إلى خلق القرآن ، وإن كان يقصد : لفظى أى الهواء والصوت هذا مخلوق لله - جل وعلا- لكن أهل السنة لا يرون هذا، ولذلك قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- : من قال إن لفظى ب القرآن مخلوق فهو جهمى، وكان شيخ الإسلام يفصل فى هذه القضية -كما حدث فى امتحان البخارى الذى لم يكن يقصد ما قصد إليه الجهمية وأهل البدع ، وكان يقول أفعالنا من ألفاظنا وأفعالنا مخلوقة، كان يقصد الهواء وهو مخلوق ، لكن القرآن غير مخلوق - وكان أهل البدع يلبسون بمثل هذه القضايا على الناس فصاح بهم أهل السنة

وبدّعوهم ، وحين استقر الأمر جلس أهل السنة يفصلون كما فصل ذلك شيخ الإسلام ابن القيم وغيره من المحققين ،قالوا : إن كان القائل يقصد الهواء والنبرات فهذه مخلوقة، وإن كان يقصد كلا مه -جل وعلا- فهو جهمى بلا ريب ، ومع ذلك لا يرى السلف الحديث عن هذه القضايا لأنه تلبيس على الناس، وكان أهل البدع يتكلمون فى المتشابه يلبسون على الناس، فكلام الله غير مخلوق بإجماع أهل السنة والجماعة.

سؤال:هل توجد أدلة تفيد أن النساء يرين الله فى العرصات ، أو أن ذلك مقصور على الرجال ؟

الإجابة: لا، ربما الرجال فى وقت والنساء فى وقت آخر، ما أدرى فيه تخصيصًا، الأخ يقول هل هناك أدلة تفيد أن النساء يرين الله فى العرصات؟ لا توجد أدلة على التخصيص حتى الحديث الوارد عن قول الزوجات لأزواجهن : « لقد ازددتم حسنًا » لم يرد دليل فيه على تخصيص الرؤية للرجال دون النساء، والصواب أنهم يشتركون فى ذلك استبقاءً على عموم الأدلة والنصوص وأن النساء شقائق الرجال ، وأن النساء مخاطبات بما يخاطب به الرجال ، ولم يرد تخصيص فى هذا الباب.

سؤال: معنى العرصات؟

الإجابة: العرصة فى اللغة الساحة، يقال عرصة المسجد الساحة، هذه يسمونها العامة الحوش، هذا يسمى عرصة يسمى ساحة، فالعرصات هى الأماكن الخالية الواسعة هذه هى العرصة، وتسمى صرحًا أيضاً، تسمى حوشًا، تسمى فضاء، تسمى خلاء.

سؤال: ما حكم حفظ منظومة السلم فى المنطق ؟

الإجابة: حفظ منظومة فى المنطق وتعلم علم المنطق فيه تفصيل، أما إذا تعلمه طائفة من الناس الذين رزقهم الله حفظاً وعلماً ومعرفةً للرد على أهل البدع ونقض أصولهم وإبطال كلامهم، لأن أهل البدع يعتبرون أهل السنة لا يفهمون فى اللغة و البيان والمنطق، فى حين أن من أهل السنة من يفهمون ويدركون منها أكثر من أهل البدع، كما قال ابن القيم: ابن تيمية يعلم عن علم الكلام أكثر من أهل الكلام أنفسهم ولذلك يخضعون لعلمه ويخضعون لفهمه،إذا تعلمه أحد نهذا الاعتبار فلا حرج ،أما أن يُعلم هذه العلم – كبقية العلوم- لعامة الناس الذين يؤهلون لمناظرة أهل البدع و الذين لا يؤهلون فهذا غلط، وكان السلف يدركون هذا كما قال الشافعى وأحمد: من تعلم علم الكلام

لم يفلح ، وتقدم كلام إمام الحرمين والشهرستانى والرازى فى ذم هذا العلم وأنهم لم يحصلوا منه شىء أبداً.

سؤال: ما حكم الخروج من المسجد بعد الأذان ؟

الإجابة: الخروج من المسجد بعد الأذان على ث لاث مراتب؛ المرتبة الأولى: أن يخرج ليتوضأ، هذا لا حرج منه؛ أحدث فى المسجد أو أنه دخل المسجد ولم بكن على وضوء ، أو أنه نسىَ أن يتوضأ ، أو أنه مؤذن أذن على غير وضوء ،دهمه الوقت ووجد نفسه على غير وضوء فأذن ثم جلس ، ثم خرج ليتوضأ فهذا لا حرج منه، النوع الثانى: أن يكون قد ذهب للمسجد للسلام على أخ أو مريض أو لحضور درس أو محاضرة فأذن المؤذن ، وهو فى المسجد وهو إمام أو مؤذن ، فإذن هو يخرج ليصلى بجماعته فهذا لا حرج منه لأنه خرج من المسجد لأداء الصلاة فى جماعة، الأمر الثالث: أن يخرج من المسجد من دون حاجة؛ إما أنه يريد أن يصلى فى الطريق فى مسجد آخر دون حاجة، ما له حاجة ضرورية إذا فاتته لحقه ضرر ، فهذا حرام ، و هو ينزل عليه كلام أبى هريرة حينما رأى رجلا ً خرج من المسجد بعد الأذان ، فقال إن هذا قد عصى أبا القاسم .

سؤال: حديث أن أهل الجنة يدخلون على طول آدم وعلى جمال يوسف؟

الإجابة: ما ورد فى جمال يوسف شىء، لكن بلا شك أنهم يرجعون على طول آدم فأحاديثه صحيحة ثابتة.

سؤال: ما حكم اللوحات الموجودة فى بعض المساجد ،والتى تصور الميزان ؟

الإجابة: أسوأ اللوحات الموجودة فى بعض المساجد بكل أسف فى مساجد الصوفية وغيرها ، هى التى يعرضون فيها الميزان، على أنه ميزان الله يوم القيامة ، وهذا غلط ، لأن ميزان يوم القيامة ليس كما يتصورون ؛ ما جاء نص فى هذا، الله أعلم بذلك ،ما هى صفة الميزان ؟ فهم يخيلون للرائى للوحة أن هذا هو ميزان الله ، أو أن هذا هو شكله ، حديدة قائمة ولسان من فوق ، ثم أقراص هنا وهنا ، وهذا يرشح على هذا ، هل هذا هو شكل الميزان الذى ورد النص به ؟ الله أعلم لم يرد شىء فى ذلك، فهذا من القول على الله بلا علم ، ونهينا عن القول فى الغيبيات بدون حق.

سؤال: هل أهل الجنة ينجبون؟

الإجابة: الأخ يقول هل أهل الجنة ينجبون؟ ذكر ابن القيم فى هذه المسألة أحاديث لكن لا تصح فى هذا الباب، وبحث ابن القيم -رحمه الله تعالى- هذه المسألة فى حادى الأرواح وقال : لهم ما يشتهون؛ الذى يريد الولد يأتيه الولد، لماذا؟ لأن الله قال فى الصحيحين فى الحديث القدسى: «أعددتُ لعبادى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

بعض الداخلين إلى الدرس لا يصلون تحية المسجد قبل الجلوس، وهى كما تعلمون سنة مؤكدة، تقدم على كلمة أو كلمتين، أو جملة أو جملتين من الدرس، وبإمكان الإنسان أن يتقدم؛ وعلى كلٍ إذا كان الرسول أمر الداخل يوم الجمعة والخطيب يخطب أن يصلى ركعتين، فهما أولى من حضور الدرس؛ لأنه لا يفوت؛ يعنى الخطبة قد تفوت، ومع ذلك فالداخل عليه أن يؤدى ركعتين؛ فهذا أولى؛ إن دخل المسجد، أن يسارع إلى أداء ركعتين، ولا حرج أن يخففهما كما قال لسليك: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين، وليتجوز فيهما» كذا فى مسلم، وأصله فى الصحيحين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- فى الحديث عن أصول أهل السنة والجماعة وما يدينون به من الكتاب والسنة؛ قال:

(ومن الإيمان الإيمان بالله واليوم الآخر).

"من الإيمان": جار ومجرور: خبر مقدم، الإيمان: مبتدأ مؤخر؛ فهذا شروع فى الحديث عن الإيمان بـ اليوم الآخر؛ وهذا يعنى الإيمان بالغيب، والإيمان بأشراط الساعة، والإيمان بالمغيبات التى لا يعلم كُنْهها إلى الله -جل وعلا؛ فأهل الحق يؤمنون بكل ما جاء عن رسول الله أو أخبر به عن ربه، ويصدقون بذلك، ويسارعون إلى هذا الأمر.

والناس يتفاوتون فى هذا؛ فأقواهم إيمانا وأصدقهم وأعظمهم حبا للرسول هو أكثرهم تصديقا وأسرعهم إجابة؛ فأهل الإسلام يُصدقون الرسول فى كل ما أخبر به، يؤمنون بتسبيح الطعام بين يديه، وبحنين الجذع، وبانشقاق القمر، وبما لم يأت بعد من خروج الدابة ونزول عيسى بن مريم وخروج الدجال وبأشراط الساعة المذكورة فى الأحاديث الصحاح.

قوله: (ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل

ما أخبر به النبى   مما يكون بعد الموت).

مما أخبر به النبى   ؛ أى: فى الأحاديث الصحاح ؛ وتقدمت شروط الأحاديث الصحاح؛ ما هى شروط الأحاديث الصحاح؟

- السائل: اتصال السند.

- الشيخ: اتصال السند.

- السائل: عدالة الرواة، وثقتهم.

- الشيخ: عدالة الرواة، وثقتهم. هناك شروط للصحيح، لكى نقول عنه أنه صحيح؛ لكى نقول عن الحديث أنه صحيح، أو كيف ندافع عن الحديث الصحيح ونحن لا نعلم شروط الصحيح، ما هو الصحيح؟ العامىّ يقول ما هو الصحيح؟ أنتم ترددون دائما فى هذا الدرس؛ الأحاديث الصحيحة، طيب ما هو شرط الصحيح حتى أفهم؟

- السائل: ما كان بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ.

- الشيخ: إذًا بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ، وتحت هذه الشروط الخمسة أقسام وتفاصيل متعددة. ما شروط الحسن؟

- السائل: ما قلت رتبته عن رتبة الصحيح ولم يبلغ مرتبة الضعف.

- الشيخ يعنى ما قلت رتبته عن رتبة الصحيح ولم يبلغ مرتبة الضعيف.

هل يجزئ ذكر الضعيف فى الحديث عن عذاب القبر، وما يكون بعد الموت، يصح ذكر الحديث الضعيف؟

- السائل: لا يصح

- الشيخ: لماذا لا يصح ؟

نعم. العلماء يقولون -أو أكثر العلماء يقولون: لا حرج من ذكر الحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ، هل هذا منهم؟

- السائل: هذا فى العقيدة

- الشيخ: أى نعم فى العقيدة، ومتعلق بالغيبيات ؛ إذًا لا يُجزئ فى هذا الباب إلا الحديث الصحيح، أو الحسن؛ الحديث الصحيح بمعنى ضد الضعيف.

تقدم فى دروسنا الحديث عن المتواتر؛ ما هو المتواتر فى كلام السلف؟

- السائل: ما صح إسناده إلى رسول اللّٰه وتلقاه العلماء بالقبول.

- الشيخ: نعم؛ هذا المتواتر فى كلام أئمة السلف وأهل الاعتقاد؛ وهو ما صح إسناده إلى رسول اللّٰه وتلقاه العلماء بالقبول؛ ذكر المتكلمون أربعة شروط للحديث المتواتر، ما هى؟

- السائل: هى...

- الشيخ اذكرها كلها.

- طالب علم: أن يستحيل تواطؤهم على الكذب

- الشيخ: يستحيل تواطؤهم على الكذب. أن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، أربعة ما هى ؟

- السائل: أن يرويه عدد كثير.

- الشيخ: أن يرويه عدد كثير.

- السائل: أن تكون الكثرة فى كل طبقات السند.

- السيخ: أن تكون الكثرة فى كل طبقات السند.

- السائل: أن يكون مستند الخبر بألفاظ الحس كقولهم: سمعنا، ورأينا، ولمسنا وشممنا.

-الشيخ: إلى كم تنقسم أخبار الآحاد؟

-السائل: إلى ثلاثة: غريب، وعزيز، ومشهور.

- الشيخ: غريب، وعزيز، ومشهور. ما حكم قبول خبر الآحاد فى العقائد؟

- السائل: يجب قبوله.

- الشيخ: يجب قبوله. ما هو الدليل على وجوب قبول خبر الآحاد فى العقائد؟

أريد دليلا من الكتاب ومن السنة.

- السائل: فى القرآن: أن الله أرسل الرسل.

- الشيخ: نعم؛ من الأدلة فى القرآن أن الله أرسل الرسل؛ والرسل فرادى آحاد، وبالتالى هذه من الأدلة على قبول خبر الآحاد.

طيب قد يقول قائل أن الرسل معهم معجزات وبينات ما يستدعى من الناس أن يؤمنوا على أيدهم.

هناك دليل آخر من الكتاب، من الأدب أن نؤكد على أدلة الكتاب والسنة؛ لأن اهل السنة يحتجون على أهل البدع بأنهم يستمسكون بالأصول من الكتاب والسنة ولا يحتجون بالرأى، لا؛ يحتجون

بأدلة من الكتاب والسنة على ضرورة قبول خبر الآحاد، والقرآن ملىء والحمد لله بالأدلة.

- السائل: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ

- الشيخ: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ؛ ما وجه الدلالة من هذا؟

- السائل: أن الله -جل وعلا- أمر بالتبين.

- الشيخ: أمر الله -جل وعلا- بالتبين.

- السائل: فكان التبين من الفاسق دليلا.

- الشيخ: أوضح من هذا فى الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ؛ التبين فى الفاسق؛ لكن إن جاء الخبر من العدل، فإننا نُسارع إلى القبول؛ لأن الله أمر بالتبين من الفاسق.

ومن أدلة السنة

- السائل: أن النبى أرسل عليّا يوم خيبر.

- الشيخ: أن النبى أرسل عليّا يوم خيبر؛ و الحديث أين يوجد؟ عند الطبرانى أم عبد الرزاق أم فى الصحيحين؟

- السائل: فى الصحيحين.

- الشيخ: والدليل الثانى أن الرسول أرسل معاذًا إلى اليمن؛ أين يوجد الحديث؟

- الشيخ: فى الصحيحين أيضا؛ هذا ضمن أخبار الآحاد؛ كانوا يبلغون أصل الدين؛ لا يبلغون الصلوات أو الأسماء والصفات أو مسألة عقدية؛ بل كانوا يبلغون الدين كله؛ فعلم من ذلك أن خبر الآحاد مقبول بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وغيرهم. طيب قد يحتج بعض أهل البدع؟ بأن عمرما قبل خبر الآحاد؛ حين أبو موسى ضرب الباب واستأذن ثلاثا، فسأل عنه، فقالوا: استأذن ثلاثًا ثم ذهب؛ قال: ائتنى على ذلك ببينة، لماذا لم يقبل خبر أبى موسى...

- السائل: أراد أن يتثبت.

- الشيخ: يعنى إذًا عمر ما رفض خبر الآحاد، ولا كذبه؛ وإنما أراد من وراء ذلك أن يتثبت لقوله فى رواية مسلم: « أحببت أن أتثبت». لأن الناس قد يتساهلون فأراد أن يعلمهم التثبت والتحرى و الضبط؛ هو لم يُرد تكذيب ذلك الخبر؛ ولكن خشى أنه غلط فى النقل، وإلا فإنه ما رد الخبر، ولا اتهم

أبا موسى، بدليل أنه لما شهد له بعض الصحابة، من الذى شهد له؟

- السائل: أبو سعيد.

- الشيخ: أبو سعيد، شهد له أبو سعيد. لم يقل إن هذا خبر آحاد، وما رواه اثنان فى تعريف أهل الكلام: يسمى خبر آحاد، إذا لا يزالون فى خبر الآحاد؛ فعمر الآن قبله؛ فى حين أنه لا يصدق على الواحد فقط عند هؤلاء؛ يصدق حتى على الاثنين وعلى الثلاثة مالم يَبْلُغْ حد التواتر.

قوله: (مما يكون بعد الموت).

أى: من القبر، وما بعد القبر، ومن عرصات القيامة، ومما يكون فى الجنة والنار؛ فيؤمن -أى أهل الحق يؤمنون- بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه.

والمقصود بفتنة القبر: أن يُسأل الرجل فى قبره فيقال: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهذا السؤال موجه لكل ميت؛ مُسلما أو منافقاً أو كافرا؛ لا يتخلف عن السؤال أحد؛ وقد قال بعض العلماء كابن عبد البر وغيره: يُسأل فى ذلك المؤمن و المنافق، أما الكافر فلا يُسأل وهذا ضعيف؛ الأدلة

الصحيحة الصريحة تفيد سؤال المؤمن كما تفيد سؤال الكافر؛ فقد جاء عند أبى عيسى الترمذى: عن أبى هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ : «إذا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أو قال: أحدكم - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ: لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: ما كُنْتَ تَقُولُ فى هذا الرَّجُلِ...» الحديث. وقد صحح هذا الحديث الإمام أحمد وغيره من العلماء، وحسن إسناده التسترى-رحمه اللّه تعالى- فى شرح الحائية لابن أبى داود.

وقيل للإمام أحمد -رحمه اللّه تعالى- تقول بـ "منكر" و"نكير"؟ فقال: هكذا جاء الخبر؛ فأهل السنة يؤمنون بذلك، ويؤمنون بأن الملكين يقعدانه ، وإن لم يتسع القبر؛ فهو يسأل جالسا ويسألان ولا نسمع شيئا؛ فأهل السنة يؤمنون بذلك؛ لأن هذا من عالم الغيب؛ وسمى غيبا لماذا؟ لأنه تغيب عن العباد حقيقته؛ ولكن يؤمنون به ويعلمون أنه حق وإن كانوا لا يشاهدون؛ فهم يؤمنون بذلك، وأهل ا لإسلام يتميزون بالإيمان بهذا الأمر.

فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هذه هى الأصول الثلاثة.

قوله: "وبعذاب القبر". أى أن الكفار يعذبون فى

قبورهم، وإلا لم يكن للاستعاذة من عذاب القبر معنى؛ لولم يكن هناك عذاب فى القبر. من دعاء النبى «**وأعوذ بك من عذاب القبر**». ولذلك فى حديث سعد فى صحيح البخارى: كان النبى يدعو فى دبر كل صلاة: «**اللهم إنى أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمل، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ومن عذاب القبر**»، ولو لم يكن فى القبر عذاب لم يكن للتعوذ منه معنى، وهذا متواتر عن النبى .

فأهل السنة يؤمنون بذلك، وأن العذاب يكون على الجسد والروح؛ سواء دفن أو لم يدفن؛ سواء غرق، سواء أُحرق، سواء وضع فى ثلاجة؛ إذا توفى أتاه ملكان فسألاه سواء دفن أو لم يدفن؛ ولكن ذُكر القبر وخرج مخرج الغالب؛ لأنه أصلا يدفن فى ملة الإسلام وملل الكفر؛ **ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ** ، **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا** . وكذلك العذاب قد يكون على أهل القبلة فى القبر؛ إلا أن أهل القبلة لا يُخلَدون فى العذاب؛ يُعذّبون على قدر شرهم، وإلى وقت يعلمه الله -جل وعلا- ثم بعد ذلك يُخْرجون؛ قد يكون بعض الناس يُعذب فى نفس القبر، وهو يُعذّب فى النار، وقد يكون عذابه فى القبر - والعياذ بالله -

إلى أنْ تقوم الساعة، وقد يكون عذابهُ لحظات، وقد يأخذ عذابه فى القبر ويأخذ عذابه فى يوم القيامة، ثم يُخرجون، كالحديث الوارد الثابت المتواتر عنه - صلى اللّه عليه وسلم - حممًا.

قوله: " ونعيمه"، فإن المؤمنين يُنَعمون، وأعظم الناس نعيماً فى القبر بعد الرُسل هم المجاهدون فى سبيل اللّه كما تواترت بذلك الأدلة، ولذلك المرابط والمجاهد هو يُؤَمّنُ الفتان، إنْ مات مرابطاً فى سبيل اللّه أمِن الفتان كما جاء فى صحيح مُسْلم، وهذا فَضْلٌ لم يَحْظَ به أحدٌ غير المرابط فى سبيل اللّه - جل وعلا.

وَيُنَعّمُ المؤمنون فى قبورهم إلى أنْ تقوم الساعة.

قَوْله: " فأما الفتنة". فإنّ الناسَ يُفْتنون فى قبورهم فَيُقال للرجل: مَنْ رَبُّك ؟ وما دينك ؟ لماذا لم يقل ومَنْ دينُك؟

- السائل: لأنّ «من» للعاقل.

- الشيخ: لأن «مَنْ» هنا للعالم، ما قال للعاقل، للعالم، وهنا لغير العالم، فَيُقال: مَنْ رَبُّك ؟ وما دينُك ؟ ومَنْ نبيُك ؟ فلا يصِحُ لغة، أن تقول:

ماربُك. ولا يَصِحُ لغةً أن تقول: مَنْ دينك. هذا غَلَطٌ ، فَيُقال: مَنْ ربُك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيُك.

السؤال "مَنْ" هذا أيضاً: هل منْ لم يؤمِنْ بمحّمدٍ - صلى اللّه عليه وسلم -هو مَنْ أصحاب السعير ؟ قال - صَلى اللّه عليه وسلم: «لا يَسْمَعُ بى أحدٌ مَنْ هذه الأمة لا يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بما أُرْسِلَتُ به إلا كان مَنْ أصحاب النار». وهذا الخبر رواه مُسْلمٌ فى صحيحه، وقد أجمع العلماء على أنّ مَنْ بلغه الإسلام ولم يُؤْمِنْ بمحمدٍ صلى اللّه عليه وسلم، أنه كافرٌ وَمُخَلَدٌ فى الجحيم.

والذين يمتنعون عن تسمية اليهود والنصارى كُفّاراً هؤلاء ضالون مُنْحرفون، لأنّ مَنْ قامت عليه الحُجّة فى هذا كفَرَ هو أيضاً، لأنّ اللّه سَمّاهم كُفّاراً ، قال: لَقدْ كفَر الذين قالوا إنّ اللّه ثالثُ ثلاثة ، وقال لَمْ يَكُنِ الّذِينَ كفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتَابِ سَمّاهم اللّه كُفّاراً، حَكمَ عليهم - صلى اللّه عليه وسلم - بالجحيم - «لا يسمع بى أحَدٌ مَنْ الأمّة لا يهودى ولا نصرانى ثمّ يُؤْمِنْ فإنه بذلك هو مَنْ أصحاب النار» لأن بعض الضالين وَالمُنْحَرفين عقدياً، يتحدثون عن اليهود والنصارى ويقولون:

الغير، أو الغير مُسْلمين، أو اليهود والنصارى، ويمتنعون عن تسميتهم كُفّاراً، ومن امتنع عن تسمية اليهود والنصارى كُفّاراً فهو كافرٌ، وكُفْرُه أيضاً بإجماع المسلمين، لا يختلف أحدٌ مَنْ العلماء فى كُفْره.

وجاء فى عقائد أهل الإسلام أن من لم يكفر الكافر أوشكّ فى كُفْره أو صَحّحَ مَذْهَبَهُم، وحَكى أبو الحسن الأشعرى الإجماع على هذا، والقرآن صريحٌ فى هذا، لا يختلف فى هذا اثنان مَنْ المسلمين.

قوله: "فيثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت فى الآخرة". هذا صريحٌ فى القرآن: **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** ، القول الثابت ما هو؟ كلمة الإخلاص «لا إله إلا اللّه» فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، لأنّ مَنْ عاش على شىء مات عليه، ومَنْ مات على شىء بُعِثَ عليه، فعياذاً باللّه مِنْ خلاف ذلك.

قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** وقال تعالى: **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

اتقوا اللهَ حَقّ تقاتِهِ ، يَا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتقوا اللهَ وَقولوا قوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لكمْ أعْمَالكمْ وَيَغفِرْ لكمْ ذنوبَكمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولهُ فقدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وقال تعالى: وَالكافِرُونَ هُمُ الظالِمُونَ وقال تعالى: وَاشْهَدْ بِأنا مُسْلِمُونَ وقال تعالى: قلْ يَا أهْلَ الكِتَابِ تعَالوْا إلى كلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكمْ قلْ يَا أهْلَ الكِتَابِ مَنْ هم ؟ اليهود والنصارى. تعَالوْا : أى هلمّوا وأقبلوا إلى كلِمَةٍ : ما هى هذه الكلمة؟ لا إله إلا اللّه سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكمْ ، أى فاصلة بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا اللّه، ولا نُشرّك باللّه، ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً مَنْ دون اللّه، فإنْ تولوا فقولوا اشهدوا بأناّ مُسْلمون، أى: وأنكم كافرون، قال تعالى: اتخَذُوا أحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا إلهًا وَاحِدًا لا إلهَ إلا هُوَ سُبْحَانهُ عَمّا يُشْرِكونَ ، سَمّاهم اللّه جل وعلا - مُشْركين، فالمؤمنون حين يوحّدون اللّه - جَلّ وعلا - ويُطيعون رسوله - صلى اللّه عليه وسلم - ويستقيمون على ذلك، لهم البُشْرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

ومن وصية النبىّ صلى الله عليه وسلم لسفيان بن عبد اللّه الثقفى - والخبر فى صحيح مسلم - ق

ال: «قلْ آمنتُ بالله ثم استقم». ما معنى الا ستقامة فى هذا الموقف؟ أى: الثبات على الإيمان بالله. والإيمان هو قولٌ وعملٌ: أى يُقال باللسان و الجوارح، والإسلام - الإسلام العاقل الذى جاءت به الرسل كلّه - هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة مَنْ الشرك وأهله.

قوله: " فيقول المؤمن: ربى الله والإسلام دينى ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيىّ". هذا مَنْ ثبته الله - جل وعلا - على ذلك، وقد يُفْتَنُ فى قبْرِه لسوء أعماله وفساد طويته وضلال سلوكه وانحرافه.

إمّا لموالاة الكافرين أو لوجود الرياء عنده و السمعة: أنّه غير مُخْلص لله - جل وعلا - فى قوله ولا عمله ولا اعتقاده، أو لوجود ناقض من نواقض الإسلام، لا يصلى ولا يعرف المساجد، ولا يهتدى إلى طرُقِنا، أو لدلالات أُخْرى تستوجب سوء الخاتمة، نسأل الله السلامة والعافية، المؤمن يقول: ربى الله، والإسلام دينى ومحمد - صلى الله عليه وسلم - نبيّى - وفى نفس الوقت: المؤمنون يخافون مَنْ يوم تتقلّب فيه القلوبُ والأبصار، ويخافون مَنْ قول الله جَلّ وعلا: وَبَدَا لَهُمْ مِنَ

اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ، فحين قرأ عمر بن عبد العزيز هذه الآية ظَلّ ليلةً كاملةً يبكى، وهو يُرَدِّدُ هذه الآية ويقول: ويلٌ لأهل الرياء مَنْ هذه ا لآية، ويلٌ لأهل الرياء مَنْ هذه الآية، ويلٌ الأهل الرياء مَنْ هذه الآية.

وأما المرتاب كالمنافق والكافر والمشرك والسّابّ لدين اللّه - جل وعلا - هؤلاء كلهم يقولون: ها ها، ويَسْتعصى عليهم قول ذلك، لأن الذى لا يذكر اللّه ولا اليومَ الأخرَ فى أعماله، ويُوَقّى المهلة، فيدخل ا لاختبار والامتحان، ليَبْلُوَكم أيُكم أحسنُ عملا ً، يقول: لا أدْرى، سَمِعْتُ الناس يقولون الكلام فَقلتُه، لأنه لا يثبت التكاليف والعقائد، وفيه ضرورة الإ يمان بذلك فإن هذا حاصلٌ لامحالة، قال تعالى إنْ هُوَ إلَا وَحْىٌ يُوحَى فالنبىُ - صلى اللّه عليه وسلم - يُخْبِرُ عن ربه، فَنَحْنُ نؤمن بذلك، ونؤمن بكل ما جاء عن الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - فى الأحاديث الصِّحاح.

قوله: فيضرب بالمرزبة. المرزبة بالتخفيف، ويجوز التسكين، والتخفيف أصحُ وأشهر لغةً.

قوله: والحديث يقول «أنت فى العذاب و النّكال، فيصيح صيحةً ويَصْرخُ صَرْخَةً يسمعها

كُلُّ شىءٍ» وجاء فى الصحيحين: إلا الثّقَلَيْن. وهذا صريحٌ فى أنّ البهائم تسمع ذلك، وأنّه لم يُسْتثن مَنْ السّماع إلا الثّقلان، والخبرُ متواترٌ عن النبىّ صلى اللّه عليه وسلم، ولو سَمِعَ الثقلان ذلك لَصُعِقوا.

كما قال بعض العلماء بأنّ الحكمة مَنْ كون الثقلين لا يَسْمعون أنّه قد يؤدى بهم ذلك إلى اليأس وإلى القُنوط حين يعصون اللّه - جَلّ وعلا، أو إلى الهَمّ والغمّ والبُعْدِ عَنْ عِمَارة الكون. وغير ذلك من الحِكم التى لا يَعْلَمُها إلا اللّه جَلّ وعلا، وقد يَعْلَم بعضَها الراسخون فى العلم.

قوله: " ثم بعد هذه الفتنة إمّا نعيم وإما عذاب "، ثم قوله: النار يُعْرَضون عليها. تقدّم قبل قليل الحديث عن العذاب، وأنه مراتب وأن المسلمين يؤمنون بعذاب القبر، وأنه يقع على الروح وعلى الجسد، سواءً دُفِنَ فى القبر أم لم يُدْفن، سواءً تمَزّق بحريقٍ أو غرق أو حادثٍ أو فُقِدَ أو غير ذلك، لا يَتَخَلّف عن السؤال أحدٌ.

تقدّمَ أنّ السؤال يقع على المؤمنين وعلى الكافرين والمنافقين، وأنّ بعد ذلك إما نعيم وإما عذاب، وقد جاء فى الصحيحين أنّ الرّجُلَ«يُفْتَح

له بابٌ مَنْ النار، فيُقال: هذا مقامُك لو لم تؤمن ب الله، كما يُفْتح له بابٌ إلى الجنة فيقال: هذا مقامُك إلى يوم يُبْعَثون».

تقدّم أنّ أرواح الشهداء تسْرَحُ فى الجنة، وتقدّم أنه لا يؤمّن عذاب القبر إلا المرابطون والمجاهدون فى سبيل الله. تواترت الأحاديث التى جاءت فى صحيح مُسْلم وغيرها مَنْ الأحاديث.

وأمّا الأحاديث الواردة بأنّ مَنْ مات يوم الجمعة أو ليلتها أُمِّن مَنْ عذاب القبر فالأحاديث ضعيفة غير صحيحة، ولم يثبت فى فضل الوفاة يوم الجمعة أو فى ليلتها أحاديث صحيحة، كلها معلولة ، أما المرابطُ فقد قال رسول الله - صَلىّ الله عليه وسلم: «مَنْ مات مرابطاً فى سبيل الله أُجْرِى عليه عَمَلُهُ، وأُمِنَ الفتان » هذا جاء فى صحيح مسلم.

وأمّا العذاب فإنّ الكفارَ يُعَذّبون إلى أنْ تقوم قيامتُهم الكبرى، وقد يُعَذّب المؤمن فى القبر بقدر، وعذابهُ مراحل، فقد يُعَذّب فترةً، وقد يُعَذّبُ إلى يوم يُبْعَثون، ثمّ يُعَذّب أيضاً فى النار، وقد يُبْتلَى بعذابٍ فى القبر دون العذاب يوم القيامة.

ويُؤْخَذُ مَنْ هذا الردّ على الخوارج والرّدّ على

المرجئة، أما وَجْهُ الرّدِ على الخوارج فهم يقولون بتخليد أصحاب الكبائر، والأحاديث متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم «فيخرجون حمماً »: فهذا رَدٌ على الخوارج الذين يَدّعون تخليد أصحاب الكبائر، أمّا الرّدُ على المُرْجئة الذين يقولون لا يَضرُّ مع الإيمان ذنب، فإن بعضهم قد يُعَذّبُ، ويُرَدّ وعليهم بالآية: إِنّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ فقوله: وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ هذا رَدٌ على الخوارج، وقوله: لِمَنْ يَشَاءُ رَدٌ على المُرْجئة.

وأما مَنْ حبسه القرآن فلا يَخْرج مَنْ النار أبداً: كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا .

وعذابُ النّارِ نوعان: عذابٌ بالنار، وعذابٌ بالزمهرير، وهو البرد الشديد، ويشدّد لهم العذاب، قال الله - جل وعلا: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ . لأن المعدن خبيث ولو رُدّوا إلى الدنيا بعد هذا العذاب لكفروا بالله أيضاً، وعادوا لما نهوا عنه مَنْ تكذيب الرسل ومُخالفة القرآن والشرك بالله.

قوله: فَتُعادُ الأرواح إلى الأجساد. أهل السُنّة يقولون بذلك، بأنّ الله - جل وعلا - يُعيد أرواحهم إلى أجسادهم، وهذا مَحَلٌ إجماع، وتقوم القيامة

التى أخبر الله ُ بها فى كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم.

لذلك قال العلماء أنّ النّفخات ثلاث: نفخة الفزع ، ونفخة الصّعْق، ونفخة إعادة الأرواح: فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وظاهر آية الزّمَر أنه ليس هناك أكثر مَنْ نَفْخَتَيْن، ولكن مجموع الأدلة مَنْ الكتاب ومن السُنّة يفيد أن المجموع ثلاثة.

قوله "فيقوم الناس مَنْ قبورهم لربِّ العالمين حُفاةً عُراةً غُرْلا ً" غُرْلا ً: أى غير مختونين. حين قالت عائشة للنبىّ - صلى الله عليه وسلم: أيَنْظُر الناس بعضهم لبعض؟ قال: «الأمْرُ أكبَرُ مَنْ ذلك»، ولا يَهُمُهم هذا الأمر، لأنهم فى شغل عن هذا بتذكر خطاياهم وذنوبهم، ويتمنون العودة إلى الدنيا يعبدون الله - عز وجل - ويحسنون العمل، وأهْلُ السنّة يؤمنون بذلك.

ومع أنّ هذه المسائل جاءت فيها أحاديث متواترة إلا أن هناك بعض الطوائف يُنْكرون هذا، و لا يؤمنون تحت مُسَمّيات خبر الآحاد أو غير ذلك، أو تحريفات أُخْرى. تقدّمَ الحديث قبل قليل عن خبر الآحاد وضرورة الإيمان به، وأدِلّة ذلك مَنْ الكتاب ومن السُنّة.

نقف على قول المؤلف رحمه الله تعالى: "وتدنو منهم الشمس". والله أعلم.

-السائل: هل يُسألُ فى القبر المجنون؟

-الشيخ: لا، هذا غيرُ مكلف، إنما يُسألُ المكلف فقط، لا يُسأل فى القبر إلا المكلف كذلك ذهب ابن تيمية وبعضٌ مَنْ العلماء إلى أنّ المجانين يُمْتحنون يوم القيامة، لأنهم ما بلغَتْهم دعوة الرُسُل، لأنّ الله جل وعلا يقول: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا . وحديث الأصم أن نبى الله قال «**أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة. ..** » والحديث مشهور، وإن كان فيه خلاف فى الصّحة.

-السائل: ما حُكم مَنْ ينكر عذاب القبر؟ هل يكفَرُ بذلك؟

-الشيخ: أى نعم، الإمام ابن حَزْم وتبعه على هذا ابن القيم، أن من أنكر خبر الآحاد بَعْدَ أن قامت عليه الحجة كعذاب القبر، فابنُ حَزْم يرى أنه يَكْفر بذلك، لأنه أنْكرَ ما تواترت به الأدلة، سواءً تحْتَ مُسَمّى خبر الآحاد، أو غير ذلك، فعذابُ القبر جاءت

فيه الأدلة متواترةً، وإن كان من خبر الآحاد، وكذلك كان النبىُ - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ مَنْ عذاب القبر ويُعلِم الأمّة الاستعاذة مَنْ عذاب القبر.

ولذلك تواترت الأحاديث فى حديث سعد، وفى حديث ابن عباس، وفى غيره مَن الأحاديث الثابتة عن النبىّ - صلى الله عليه وسلم: «**أعوذ بالله مَنْ عذاب جهنم ومن عذاب القبر**». فكيف يُنكر ما كان النبىُ - صلى الله عليه وسلم - يستعيذُ منه ويُعَلِّمُ أمتَه ذلك؟ ! فيستعيذ مَنْ عذاب القبر، والخبر فى الصحيحين، حديثُ ابن عباس فى البخارى، وحديث سَعْد، وفى الصحيحين مَنْ حديث عائشة، وهذا صريح القرآن: **النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ، هذا صريحُ القرآن، وصريحُ السُنّة، فَمَنْ يُنْكرُ عذاب القبر هو فى الحقيقة مُنْكِرٌ لكلام الله، ومُنكر لكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم، لكن هناك طوائف من أهل البدع يُنْكرون أن يكون العذاب على البدَنْ ويقولون إنّ العذاب على الروح، هؤلاء هم المبتدعة وأهل الضلال، فإنّ مَنْ أنْكرَ عذاب القبر فى الجملة، هذا يُعَدُ مُكذّباً لكلام الله ولكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم.

-السائل: كيف يُوَفّق فى التفسير بين قوله صلى الله عليه وسلم «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، وقوله عز وجل وَلَا تزرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ».

-الشيخ: لا تنافى بين قوله - صلى الله عليه وسلم: «إنّ الميت ليُعذّب ببكاء أهله عليه» وبين قوله - جَلّ وعلا: وَلَا تزرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى لأنّ الله جَلّ وعلا فى هذه الآية نفى العقاب، والعذاب غير العقاب، لأنه قال: يُعّذّب، ما قال: يُعاقب. كقوله صلى الله عليه وسلم: « السّفَرُ قطعةٌ مَنْ العذاب». ولم يَقُل: العقاب، بمعنى أنه يتألم، لأنّ العذاب أعمّ مَنْ العقاب: فالعقابُ أمْرٌ شرعىٌّ، و العذاب قد يكون أمراً كونياً وقد يكون أمراً شرعياً، فالنبىُ - صلى الله عليه وسلم - قال: «إ ن الميت ليُعَذّبُ ببكاء أهله عليه» بمعنى يتألم حين يَبْكى آله عليه وينسون الدعاء له والترحُم عليه، و الصدقة عنه، وبذل القرب عنه، فإنه يتألم ببكاء أهله عليه، وله فى أمر كهذا الأمر أن يُعَذّبُ.

وأما قوله جل وعلا: وَلَا تزرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى بمعنى أنه لا يمكن أن يُحَمّلَ زَيْدٌ آثام عمرو مالم يكن يكن سبباً فى إضْلاله أو فساده، لأنّ النبى

- صلى الله عليه وسلم - قال - والحديث فى مسلم عن أبى هريرة: قال صلى الله عليه وسلم: «**ومَنْ دعا إلى ضلالة كان له مَنْ الوزر مثلها آثام مَنْ تبعَه لا ينقص ذلك مَنْ آثامهم شيئاً** » أما مَنْ لم يكن سبباً فى إضلال فلان أو كفر فلان، أوفسق فلا ن، أو بدعة فلان فـ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** .

- السائل: هل يُعَدُّ حَرق أوجر الميت سببا فى عدم سؤاله فى قبره، وعدم شعوره بالذنب؟

- الشيخ: قلنا هذا بالدرس من قبل، والأرجح أن الحريق إذا دُفن يسأل كالذين يُدفنون، أرأيت إن لم يُدْفن الرجل أبداً، تفرق لحمه، ما يشعر بذنب ؟ هذا لا يعقله عاقلٌ ولا يَعْقلهُ مسلم أصلا ً، كلٌ يُسْأل، لا يَتَخَلَفُ السؤال عن أحد، سواءً أُحْرق، جُرِّ، فُحِّمَ، تفَرّقَ لَحْمُه، هذا لا يَتَخَلَف عن السؤال، ما هناك أحدٌ يتخلف، الذى يُدْفَنُ يُسْألُ فى قبره، والذى لا يُدفَنُ، كحريقٍ أو غريقٍ أو غير ذلك فهذا سوف يُسألُ، وَلَنْ يَتَخَلَف عن السؤال أحدٌ إلا مَنْ كان غَيْرَ مُكلفٍ.

- السائل: ماذا عن ضمة القبْرِ؟

-الشيخ: ضمة القبْرِ نوعان: **النوع الأول**: ضمة

القبر للمؤمنين، وهذا ثابت مَنْ الأحاديث الصحاح، وقد صحح ذلك الذهبى وغيرُه مَن العلماء، فتكون هذه الضمة بمنزلة ضمة الأم لولدها، لا يُتأثر مَنْ هذه الضمة، هى ضمة رحمة، ضمة استبشار وفرح بقدوم المؤمن.

النوع الثانى: ضمة تختلف منها الأضلاع، ضمة ضغط، ضمة عذاب، وذلك كضمة القبر للكافر، تختلف أضلاعه مَنْ هذه الضمة، لأنها ضمة عذاب: إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا فهذه الضمة جزء من تعذيبه وضمته، كما تفعل جهنم حين ترى الكفار إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا .

- طالب علم: قيل إن ضمة القبر لو سلم منها أحد لسلم منها سعد بن معاذ

- الشيخ: نعم: لو سلم منها أحد باعتبار أنه لا يسلم منها أحد، لكن هذه ضمة رحمة، وهذه ضمة عذاب.

-السائل: قيل إن الميت يبلى عظمه قبل البعث إ لا عجب الذنب، فكيف يقع العذاب على الجسد ؟

-الشيخ: حيثما حل الجسد، وحيثما تفرق، اللّه

جل وعلا – يجمعه ويعيده، ما يتخلف أحد، وما عداه مَن الجسد يبلى، بدليل قوله – صلى الله عليه وسلم – فى الصحيحين: **«يهلك مَنْ ابن آدم كل شىء إلا عجب الذنب»**. لا يبقى إلا عجب الذنب، منه يُكوّن الخلق يوم القيامة، والحديث جاء فى الصحيحين، ويبقى العذاب على الروح وعلى الجسد.

-السائل: الاستدلال بضمه الرحمة للمؤمنين ب النسبة للقبر، والاستدلال بأن يضم الأب ابنه، والا بن يبكى مَن الألم، والأب لا يبالى، فهل هذا استدلا ل صحيح؟.

الشيخ: ما يكون هذا، هذا غير صحيح.

-السائل: أحياناً.

-الشيخ: حسب الأحيان.

الأب حين يضم ابنه هل يضمه ليبكى؟ ! مايقول أحد بهذا، ما يضمه ليبكى، يضمه كرحمة، و عطف، حنان، وشفقة، كضمة الأم لابنها الغائب، تضمه حناناً ورحمةً وشفقةً، ما يقول أحدٌ أنه يضمه لتختلف أضلاعه مَنْ ذلك.

- السائل: لكن قد يوجد هذا ...

-الشيخ: حتى لو وجد، مع أنه لا يوجد، لكن لو وجد، فالأرض بخلاف ذلك.

-السائل: هل يعد جعل النفخات اثنتين فقط أمرًا صحيحاً؟

-الشيخ: هذا قول يقول به بعضُ العلماء، لكن القليل الذى قال به، ربما لا نحفظه عن أحد مَنْ السلف، إنما قال بعه بعض المعاصرين، أما الأوائل فيكادون يتفقون على أن النفخات ثلاث استدلالًا بآية الزمر، وائتناسًا بالأحاديث، النفخة الأولى أن الناس يفزعون، ثم بعد ذلك يصعقون، التى وردت فى أن النبى – صلى اللّٰه عليه وسلم – قال: «الناس يَصْعَقُونَ يوم الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ من يُفِيقُ فإذا أنا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ من قَوَائِمِ الْعَرْشِ فلا أَدْرِى أَفَاقَ قَبْلِى أَمْ جُوزِىَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ» الثالثة: حين يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين.

السائل: لا يموتون إلا مع الصعق ؟ وماذا عن ا لاختلاف فى كون عدد النفخات اثنتين أو ثلاثاً؟

-الشيخ: نعم، الفزع غير الصعق، هذا الظاهر من

الأحاديث، وإن كان بعض العلماء قال: إنهما اثنتان، والخلاف سارٍ في هذا، لكن نكتفى بكلام علماء السلف، وإن كنا لا نعلم خلافًا بين المتقدمين فى كون النفخات ثلاثًا، وإن كان الخلاف لا يؤثر.

-السائل: هل يعد منع التقليد مطلقاً سلوكاً مجدياً؟

-الشيخ: التقليد لا يمنع مطلقاً، فالذين يحاربون التقليد مَنْ كل وجه هؤلاء غير منصفين: التقليد لا يمنع منه مَنْ كل وجه، لأننا نعلم أن اللّه – جل وعلا – قال: **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ** ماذا يصنع من قرأ هذا؟ !

اختلف عالمان: قال أحدهما أن مس الذكر ينقض الوضوء، قال الآخر أن مس الذكر لا ينقض الوضوء، العامى حاضر، فالعامى سوف يقلد أحدهما، فلنفترض أن العامى سوف يسأل العالم: ما دليلك ؟ ثم أعطاه الدليل، وهذا يقول: هذا هو الراجح. والآخر يقول: هذا مرجوح. فضرورى.. أنه سوف يقلد فى هذه الحالة، واللّه قال: **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ، فهذا التقليد غير

ممنوع مطلقا، العامى يقلد مَنْ يراه أعلم الناس أو أعلم الموجودين فى نظره وأورعهم، وتبرأ ذمته بذلك.

إذا تبين له أن العالم يأخذ بدليل أخذ بالدليل، وإذا اعتقد أن العالم محل ثقة فلا بأس بذلك، حتى فى مسائل العقيدة الإنسان قد يقلد، نحن نرى ابن القيم، على جليل قدره وعظيم منزلته فى بعض الأحيان يسأله السائل فيقول: أنا أميل إلى قول الشيخ أو أن قول شيخنا كذا، هذا فى الحقيقة يسمى اتباعاً فى بعض الأحيان، ولكنه نوع مَن التقليد أيضا، إذا ما ظهر للإنسان رجحان دليل قد يقلد ابن تيمية، قد يقلد ابن القيم، قد يقلد غيرهما من العلماء فى بعض المسائل، لكن الأصول العامة هذه ما يعذر فيها أحد بحجة التقليد، يعنى واحد يقول: أنا أقلد العالم الفلانى فى أن الله موجود، هذا لا يعذر فيه أحد، آخر يقول: أنا أقلد العالم القائل بوجود محمد، أو برسالة محمد. هذا لا يعذر فيه أحد، أما تفاصيل الرسالة، فقد يوجد شىء مَنْ التقليد، فالذى يحاول التقليد مَنْ كل وجه حتى فى المسائل الفقهية - هذا غلط، نحن نحارب التعصب، أما التقليد فلا يحارب، لأن هناك تقليدًا محمودًا، ما لا يجعل الناس فى بلبلة، أو ما

لا يجعلهم يغرقون فى استقصاء الأحكام، فيقعون فى البدع والضلالات، هذا غير صحيح، فقد يقلدون فى بعض الصور والمسائل، وهذا لا حرج منه، سواء فى المسائل الفقهية، أو حتى بعض المسائل العقدية باستثناء الأصول: لا تقليد فيها.

-السائل: هل يدخل الجنة صبيان اليهود والكفار ؟

- الشيخ: بعد بلوغهم؟

-طالب العلم: نعم.

-الشيخ: صبيان اليهود إذا لم يبلغوا فهم غير مكلفين، وقد اختلف العلماء فيهم، منهم مَنْ قال بأنهم فى الجحيم، لقوله – صلى اللّه عليه وسلم – « **هم تبع لآبائهم**» ومنهم مَنْ قال: اللّه أعلم بما كانوا عاملين، للحديث الثابت عن النبى صلى اللّه عليه وسلم بمعنى أنهم يمتحنون يوم القيامة، و القول الثالث أنهم فى الجنة، للحديث الذى ورد فى البخارى فى كتاب الجنائز أنهم فى حضانة إبراهيم، وهذا الذى مال إليه البخارى وغيره مَنْ العلماء، وهو قول قوى. هذا القول: بأنهم غير مكلفين، ولكن لا يعاملون فى الدنيا معاملة

المسلمين، بل أصلا ً لا يجوز الصلاة عليهم، فلا يجوز الصلاة على أطفال المشركين، لأنهم يعاملون فى الدنيا معاملة الكفار.

والسر فى هذا أنهم غير مكلفين، والدليل قوله – صلى الله عليه وسلم – « **أن كل مولود يولد على الفطرة**» وبالتالى نأتى على سؤال الآخ حين يسأل عن أطفال المشركين: هل هم مع آبائهم، هو ما دام غير مكلف، ما خوطب بذلك، فحينئذ يعد فى حضانة ابراهيم، أما لو بلغ ولو بيوم واحد، وامتنع عن الإيمان، فإنه يعامل معاملة الكافرين فى الدنيا والآخرة، لقوله – صلى الله عليه وسلم - «**لا يسمع بى أحد مَنْ الكفار لا يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بما أرسلت به إلا كان مَنْ أصحاب النار**». وأما الكافر الذى لم تبلغه الدعوة، ولم يبلغه الإسلام فنعامله فى الدنيا معاملة الكفار، وأما فى ا لآخرة فإنهم يمتحنون يوم القيامة، لأن الحديث ق ال «لا يسمع» طيب، ما سمع نعامله فى الدنيا معاملة الكفار، ويمتحنون يوم القيامة.

-السائل: ما حكم من أصابه الجنون؟

-الشيخ: سئل شيخ الإسلام فى هذه المسألة فأجاب بأن الرجل إذا جن بعد التكليف، فهناك

تفصيل فى هذا، إن كان مسلماً، فيحاسب على ما مضى قبل الجنون، وبعد التكليف، وإن كان كافراً فحينئذ يكون كافراً، لأنه لم بسلم بعد التكليف، فحينئذ يعامل معاملة الكفار فى الدنيا والآخرة.

السائل: الأحاديث الواردة فى اهتزاز عرش الرحمن.

-الشيخ: الأحاديث الواردة فى هذا معروفة فى موت سعد، هى قوية بشواهدها، ولم يثبت حديث عن النبى – صلى الله عليه وسلم سوى حديث موت سعد، هذا قد يقوى بالشواهد، أما الأحاديث الواردة بأنه « إذا ركب الدثر اهتز عرش الرحمن »– هذا الحديث رواه الطبرانى وغيره، وهى أحاديث منكرة.

-السائل: ما حكم من امتنع عن تسمية اليهود و النصارى بالكفار؟

-الشيخ: مَنْ امتنع عن تسمية اليهود والنصارى بكافر فهو كافر بإجماع أهل السنة، لم يتخلف عن ذلك أحد، وحكى الإجماع عن أبى الحسن الأشعرى، وعن غيره مَن العلماء: وفى صريح القرآن: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وصريح

القرآن: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ فقول القرآن: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ سماهم الله كفارا، والقرآن صريح فى تسمية اليهود والنصارى كفارا، فمن امتنع عن تسمية اليهود و النصارى بالكفار، فهذا كافر بالإجماع، وقال العلماء فى نواقض الإسلام: مَنْ لم يكفر اليهود والنصارى أو المشركين أو شك فى كفرهم فهذا كافر بإجماع المسلمين، وهذا ثابت مَنْ قولنا حين نسميه فى الآخرة مَنْ أهل النار، ونسميه فى الدنيا مَنْ أهل الكفر ، قال الله – جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ لعنهم الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وتواترت الأحاديث عن النبى – صلى الله عليه وسلم – فى تسميتهم كفّاراً، والأحاديث فى ذلك بالمئات عن النبى – صلى الله عليه وسلم.

-السائل: كيف يرد المقترض القرض إذا اختلفت قيمته وقت السداد؟

-الشيخ: الأخ يقول: إذا أقرض زيد عمراً مثلا مائة دولار إلى شهر رمضان، فحين جاء شهر رمضان قيمة الدولار ارتفعت، فسوف يرده فى

الوقت الحاضر بقيمته، اقترضت مثلا ً ألف ناقة، ثم ارتفعت النوق، فى الحقيقة يردها بما اقترض منه، سواء فى النقص أو الزيادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى- فى الحديث عن الإيمان بالله واليوم الآخر:

(والإيمان بكل ما أخبر به النبى مما يكون بعد الموت، كقوله: «ستدنو منهم الشمس»).

فإن المؤمنين يؤمنون بذلك؛ يؤمنون بخبر النبى بأن الشمس تدنو من العباد يوم القيامة

على قدر ميل؛ قيل: ميل: المكحلة، وقيل: الميل: المعروف، والمقصود من ذلك الإشارة إلى قربها؛ ولذلك يلجمهم العرق، فالناس يتفاوتون فى غرقهم بالعرق؛ فمنهم من يغرقه، ومنهم من يَبْلُغُ ثدييه، ومنهم من يَبْلُغُ حقوَيْه، ومنهم مَنْ يَبْلُغُ فُخْذَيه، ومنهم مَنْ يَبْلُغُ ساقيه، ومنهم مَنْ لا يَنَالهُ العَرَقُ أصلا ً؛ كالأنبياء والمرسلون ونحوهم؛ فالناس يتفاوتون فى هذا الموقف على حَسَب تفَاوتِ إيمانهم وصِدْقِهم مع اللّه، وتحقيق مقام التوحيد، والتأى بأنفسهم عن مراتب الشِّرك والبدع والضلالات والانحرافات.

ولهذا اليوم فليعمل العاملون؛ فإنّ العملَ سببٌ لدخول الجنة، وسببٌ لرفعة الدرجات وتكفير السّيّئات، وفى نحو ستين موضعًا من كتاب اللّه **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** فالعمل سبب، وقد جاء فى البخارى عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن على عن عطاء عن أبى هريرة -رضى اللّه عنه- أنّ النبىّ قال: «**كلُّ أمتى يدخلون الجنّة إلا من أبى**». قالوا: يا رسول اللّه، ومن يأبى؟ قال: «**مَنْ أطاعنى دخل الجنة، ومَنْ عصانى فقد أبى**».

ويُؤْخَذُ من هذا الحديث أنّ الامتناع عن طاعة

اللّه موجِبٌ لعذاب اللّه؛ سواءً كان الامتناع بالجحد أو بالاستكبار أو بالاعتقاد، أو بترك العمل، وهذا الحديث من أقوى الأدلة لأهل السنة فى هذا الباب، ولذلك لا يختلف أهل السُنّة على أنّ تارك جنس العمل كافر؛ ذكر ذلك الإمام الآجُرىّ -رحمه اللّه تعالى- فى الشريعة، وقد ذكر الإمام ابن تيمية -رحمه اللّه تعالى- فى الفتاوى وغير ذلك من المواضع أنّه لا يُتَصَوّر وجود رجلٍ يشهد أن لا إله إ لا اللّه وأنّ محمد رسول اللّه صِدْقًا وحقّا ولا يُسارِعُ إلى العمل؛ فحين لا يعمل فهذا دليلٌ على نِفاقٍ فى قلبه، وعلى تكذيبٍ أو جَحْدٍ أو استكبارٍ؛ لا يُتصوّرُ النطق بالشهادتين مع التَخلفِ عن العمل.

والناس فى هذا المقام العظيم فى عرَصات القيامة تكون منازلهم ويكونُ أمنهم على حسب أعمالهم.

قوله: «فَتُنصَبُ الموازين»: ولا يختلف أهلُ السُنّة فى إثبات الميزان الذى توزَنُ به أعمال العباد؛ قال تعالى: **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ؛ ولم يُخالفْ فى ذلك إلا المعتزلة؛ فيقولون عن الأدلة الواردة فى إثبات الميزان كقوله تعالى: **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ، و: **وتضعُ**

الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ : المقصود من ذلك وضعُ ميزان العدل، وليس هذا الميزان حقيقيا. ورُدّ عليهم بقوله «فتوضعُ السجلات فى كِفّة، والبطاقةُ فى كِفّة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثْقلُ مع اسم الله شىء».

رواه الترمذىُّ وغيره وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وقد اختلف أهل السُّنّة فى تحديد الموزون؛ فقال بعضهم: توزَنُ أعمالُ العباد. وقال بعضهم تُشَخّصُ وتُشكّلُ أعمالهم على شكل الأجسام وتوزن. وقال آخرون: توزن أجسامهم بأعمالهم؛ يأتى الرجل وما يحمل من الإيمان فيوزَنُ.

والعمل على بهذا القول هو أقرب الأقوال إلى الصواب؛ لأنّ الذين يقولون: تشكّلَ الأعمال على شكل الأجسام؛ لا دليل عليه، والذين يقولون: يوزن الثواب، هذا لا دليل عليه، والذين يقولون: يوزن الرجل ومعه عمله كقوله : « يؤتى بالرجل السمين» وغير ذلك من الأدلة؛ فهذا يوزن ومعه عمله.

والذين يقولون: توزن أعمالهم معهم أدلةٌ قوية؛

لكن ليست بصريحة فى أقصاء البدن؛ كقوله «فتوضع السجلات فى كِفةٍ، والبطاقة فى كِفةٍ»، وهذا صريحٌ فى وزن السجلات؛ ولكن لا يلزم من ذلك أن لا يكون معها صاحبُها، ومعنى هذه الأقوال كما قلت أنها فى دائرة أقاويل أهل السُنّة والجماعة فى هذا الباب.

مما يَدُلُ على وزن الرجل مع عمله قوله : «وضِعْتُ فى كِفّة ووضع سائر الناس فى كِفّة فرجحتُ بهم، ووُضِع أبو بكرٍ فى كِفةٍ، ووضع سائر الناس فى كِفّة فرجح بهم أبو بكر، ووضع عمر فى كفة وضع سائر الناس فى كفة فرجح بهم عُمَر، ووضع عثمان فى كفة ووضع سائر الناس فى كفة فرجح بهم عثمان، ثم رُفِعَ الميزان» رواه الإمام أحمد بسند صحيح.

يدل على ذلك الأدلة الواردة، وهى كثيرةٌ جدًا على وزن الرجل، ومما يَدُلُ على وزن الرجل، وأن الذى يخففه عمله، والذى يُثَقِلهُ عمله؛ قوله تعالى: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ؛ ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة من حُسْنِ الاعتقاد وسلامة العمل فى شوائب الشرك والبدع و المحدثات، والتقرب إلى الله جَلّ وعلا بما يمكن

من صلاةٍ وصيامٍ وصدقةٍ وبرٍّ للوالدين وصلةٍ للأ رحام، و تخلٍ عن الرذائل؛ كالغيبة والنميمة، و الحسد والبغى والعدوان، و الافتئات على الآخرين؛ أو قطيعة رحم أو عقوق للوالدين أو إسبال أو حلق لحىً، أو غير ذلك مِمّا حَرّم الله.

ومَنْ خَفّتْ موازينه بخلو الميزان من الأعمال الصالحة فقد قَدِمَ على الله وليس عنده عَمَلٌ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ؛ أخذ بعض العلماء من هذه الآية أن الكفارَ توزَنُ أعمالهم؛ لأن هذه الآية فى الكفار، وليست فى عُصاة الموحِّدين؛ فأخذ بعض العلماء م هذه الآية أن الكفارَ توزنُ أعمالهُم لبيان أنّه لا ظُلْمَ اليوم؛ وأنّ الناس يوزنون، وأنّ الميزان هو الحكم العدل، وليكونوا شهداء على أنفسهم؛ قال تعالى: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، وقال تعالى: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ، ولقوله فى حديث أبى ذر: قال فيما يرى عن ربّه: « يا عبادى إنى حرمتُ الظلم على نفسى، وجعلته بينكم مُحَرّمًا فلا تظالموا». والخبر فى صحيح مسلم، وقال عنه الإمام أحمد: هوأفضل حديث لأ هل الشام.

قوله: وتُنْشَرُ الدواوين. وهى صحائف الأعمال، والأدلة على هذا كثيرة فى كتاب الله وسُنّة رسوله . قال تعالى فى كتابه: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ، وقال تعالى: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ .

طَائِرَهُ قيل: أى ما يَعْلَقُ به من خير ومن شرٍّ.

وكلمة: أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَه أى من أعمال الدنيا ومهنها وما يتعَلَق بذلك.

وقول الشيخ -رحمه الله تعالى-" فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره". الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم هم المؤمنون و الموحِّدون - والذين يأخذون كتبهم بشمائلهم هم الكفار، ولا تنافى الآيات الواردة فى أخذ الكتاب بـ الشمال وأخذ الكتاب من وراء الظهر؛ لأن الذى سيتلقى من وراء الظهر سيأخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره فى آنٍ واحدٍ؛ فتكون يده اليسرى وراء ظهره ويأخذ كتابه بشماله.

السِّرُّ فى هذا تحقيره وبيان عصيانه، وأن ما وعده الله فى الدنيا يتحققُ يوم القيامة ويعاينه

ببصره. وتقدم بالأمس الحديث على قول الله تعالى: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ؛ فهؤلاء يبحثون عن الرجعة وهو يخبر عنهم، وهو أعلمُ ببواطنهم وظواهرهم؛ أن هؤلاء الكفار الذين يتمنون الرجعة ليعملوا صالحاً؛ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ، والله أعلم بهم، وهذا معنى اسم الله -جل وعلا-: "الحكيم الخبير": الحكيم: هو الذي يضع الأشياء مواضعها، والخبير: هو المحيط ببواطن الأشياء وظواهرها.

قول الله -جل وعلا: وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا . وظاهر الآية أنهم يُعانون هذا ليعلم أنه لا ظُلْم اليوم، وأنه يُستشهد بذلك على نفسه، ولذلك يَسْتَحْضِرُ كُلّ ما عمل مُنْذُ تكليفه إلى أن لَقِيَ الله جل وعلا؛ لا يغيب عن باله شيء.

قوله: "سيحاسبُ الله الخلائق". فيؤخذ من ذلك إثبات البعث والجزاء والحساب، وقد أخبر الله عن الكفار: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي : أمر الله جل وعلا نبيه في القرآن أن

يُقسِم فى ثلاثة مواطن. قوله تعالى: وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ [سورة يونس: 53].

وقوله جل وعلا: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ [سورة سبأ: 3].

وقوله: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [التغابن 64]؛ يجمع الخلق كلهم أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم فى مقامٍ واحدٍ وفى صعيدٍ واحدٍ، ويحاسبُ الله جل وعلا الخلائق يكون هذا الوقت الذى مقداره خمسون ألف سنة على المؤمن كما بين صلاة الظهر والعصر، ويكون على الكافر يومًا عسيرًا مقداره يكون خمسين ألف سنة.

قوله: (ويخلو بعبده المؤمن).

هكذا جاء الحديث فى الصحيحين مقيّدًا بـ المؤمن، «فيُقرّره بذنوبه». وظاهر الأحاديث أنه ليس بينه وبينه واسطة.

قال «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»؛ ففيه إثباتُ صفة الكلام لله جل وعلا، وأفاد هذا القول الذى جاء فى الحديث: «فيُقرّره بذنوبه». وقد ثبت وصف ذلك فى الكتاب والسنة؛ أى السنة المتواترة.

أخذنا بالأمس تعريف المتواتر.. ما هو؟

نعم؛ هو الحديث الصحيح الذى ثبت إسناده عن النبى وتلقاه العلماء بالقبول.

قوله: " فأما الكفار من اليهود والنصارى و المرتدين فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته".

تقدّمَ قبل قليل أنّ الآية تفيدُ أنهم يوزنون؛ ولكن لبيان أنه لا ظُلم اليوم، وليكون الإنسان على نفسه بصيرة.

الشيخ -رحمه الله تعالى- يقول: (لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته)، لم يَنْفِ الميزان؛ لكن لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ لأنه لا حسنات لهم؛ قال الله -جل وعلا-: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ؛ ولكن يوضع في الميزان، فلا يكون له شيء؛ قال الله -جل وعلا-: وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ؛ فهذه الآية في المُرتد، والآية الأولى في اليهود والنصارى والمشركين.

قوله: " لكن تُعَدُّ أعمالُهم فتُحْصى": الكفار يُجْزَون في أعمالهم في الدنيا؛ كما جاء في صحيح مسلم؛ فإذا عَمِلَ الكافرُ حسنةً في الدنيا جزاه الله عليها في الدنيا، ويلقى الله مُفْلِسًا من الأعمال

الصالحة؛ لأن الله يقول: وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ فمن كفر بالله ورسوله فلن يُقبل عمله؛ قال تعالى: عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ : معنى هذه الآية على قول بعض المفسرين أنها فى اليهود والنصارى والمرائين ؛ فاليهود والنصارى قد يعبدون الله فى الدنيا، ويَصْلَوْن نار جهنم يوم القيامة، و المراؤن يعبدون الله فى الدنيا ويصلون نار جهنم يوم القيامة؛ فقوله: عَامِلَةٌ : أى فى الدنيا، نَاصِبَةٌ : أى تصلى نار جهنم فى الآخرة؛ لأن العمل غيرُ مقبول بدون الأصل وهو التوحيد.

قال والخبر فى صحيح مسلم: «لا يسمع بى أحدٌ من هذه الأ مّة لا يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بما أُرْسِلتُ به إلا كان من أصحاب النار»، وقال تعالى: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، وقال تعالى: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وقال : «يُؤْتى بالموت بين الجنة والنار فَيُذْبح فَيُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت». والخَبَرُ مُتّفقٌ على صحته؛ فيُؤْتى فى صورة كبْشٍ وَيُذْبح بين الجنة والنار؛ هذا كلّه يؤكِّد

أن الكفار أصحاب السعير كما قالوا عن أنفسهم، ويقولون يومَ القيامة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾، والأ دلة صريحة فى أن هؤلاء حَصَبُ جهنم، وأنهم يُسَمَّوْن كافرين، وأنهم يوزَنون ولكن لبيان أنه لا ظُلْم اليوم، وليس لزامًا أن توزن حسناته وسيئاته؛ لأنه قول الله جل وعلا صريحٌ فى القرآن: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ فإنه لا حسنات لهم، ولكن سَتُعَدُّ أعمالهم؛ فَتُحْصى، فيطلعون عليها، ويُقَرّرون بها؛ كما قال تعالى: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، نسأل الله أن يسقينا فى عرصات يوم القيامة من الحوض المورود للنبىّ ﷺ.

- السائل: متى يرى المؤمنون ربهم؟

- الشيخ: المؤمنون يرون ربهم فى موضعين: فى عرصات القيامة، وبعد دخول الجنة؛ فى العرصات؛ يقول الرسول ﷺ «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه». هذا الكلام فى الصحيحين؛ «فَيَضَعُ عليه كنفه »؛ أى: سِتْره.

- السائل: ما مدى صحة القول أو استحالته بأن

الأعمال تُشَكل أجسامًا؟

- الشيخ: هى ليست مستحيلة يعنى؛ لكن نحن نتحدث عن ورود النص والخبر؛ يعنى تشكيل الأ عمال أجسامًا ليس مستحيلا ً وليست هذه هى القضية؛ وليس ممتنعًا إن جاء بالنص؛ ولكن هذا ما جاء بالنص؛ ولا النصوص ترَدّه؛ فَنَحْنُ فى أحد خيارين من النصوص؛ وهى قوية: إما أن توضع الأ عمالُ فى سِجِلٍّ؛ وهذا الذى دلّ عليه حديثُ صاحب البطاقة؛ توضع السجلات فى كِفة ولا إله إ لا اللّه فى كِفة، والسجلات فيها أعماله، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة؛ وإما أن نقول أن الرجلَ يوزَنُ ومعه عمله؛ كحديث: «يؤتى بالرجل السمين»، وكحديث الرسول «وضِعْتُ فى كفة ووضع سائر الناس فى كفة»؛ على أحد هذين القولين؛ هما أقوى الأقوال؛ أما القول بأن الأعمال تُشكلُ أجسامًا ثم توزن، هذا لم يَرِدْ به نصٌّ؛ لكنه ليس ممتنعا، كما أخبرت بأن الموت معنى، ومع ذلك يؤتى به يوم القيامة على شكل كبش؛ هذا ورد به النص، ولا إشكال فيه، فما جاء به نص نؤمن به، وما لم يرد به نص نلتمس الصواب من الأ دلة الأخرى.

- السائل: هل يحمل هذا الأمر من الأهمية ما يجعله محل خلاف بين طوائف الأمة؟

- الشيخ: هو مقارنةً بالمسائل الأخرى ما يقتضى عملا ً؛ ولكن كبحثٍ علمى أمام طلبة العلم، والذين يبحثون عن الفائدة أنا أعتبره مهما؛ بدليل أن أئمة السلف من عصر التدوين إلى عصرنا هذا وهم يبحثون هذه المسائل؛ ومعاذ اللّٰه أن يكون بحثهم بدون طائل.

الأمر الثانى: أننى لا أتصور أن يذكر الرسول شيئاً بدون فائدة؛ فقد أوتى جوامع الكلِم؛ فحين يقول «يؤتى بالرجل السمين»: ماذا يفيد ذلك؟ يفيد أنه يوزن ومعه عمله؛ حين قال الرسول : «توضع السجلات فى كفة، والبطاقة فى كفة؛ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»، هذا يُفيد معنى، وحين قال الله جل وعلا: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ، وحين قال الله جل وعلا: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ؛ هل نقول أن هذه الأمور نؤمن بظاهرها فقط بدون التماس المعنى، والأدلة واردة فى التماس المعانى فى هذا الباب؟!

- السائل: ماذا عن صحة الأحاديث بأن« الذكر يكفر سبعين ذنبًا»، وأن « من قال لا حول ولا قوة

إلا بالله مائة مرة كفر الله عنه تسعةً وتسعين داءً أيسرها مثل الهم»، وخبر: «السلطان ظل الله فى ا لأرض»

- أما الحديث الوارد بأن «الذكر يُكفرُ سبعين ذنباً» فهذا خبرٌ منكر، ومثله الحديث الآخر بأن « من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة كفّر الله عنه تسعةً وتسعين داءً أيسرها مثل الهم » وهذا ضعيفٌ أيضاً.

ولكن بلا ريب أن الذكر يرفع الدرجات ويُكفرُ السيئات، وما من شيءٍ ينجى من عذاب الله كذكر الله كما قال معاذٌ وغيره، والترمذىُ وغيره، وكما ق ال الله جل وعلا فى الحديث القُدسىّ والخبر فى الصحيحين: «ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، ومن ذكرنى فى ملأ ٍ ذكرته فى ملأ ٍ خيرٍ منه». وكما قال «لأن أقول: سبحان الله و الحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر. أحبُ إلىّ مما طلعت عليه الشمس» [رواه مسلم]. وكما قال و الخبر فى الصحيحين: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». وكما جاء فى الصحيحين أيضاً « عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ عَنْ

جُوَيْرِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا قَالَتْ نَعَمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

أما الحديث الآخر: «السلطان ظل الله فى الأرض» فهو خبرٌ مُنكرٌ.

وأيضاً خبر آخر: «إن الله ليزع بالسلطان مالا يزعُ بالقرآن». هذا خبرٌ لا يُؤْخذُ به من طريق قتادة عن عثمان -رضى الله عنه- هو من قول عثمان؛ ليس من كلامه والذى رواه عن عثمان قتادة. متى قُتِلَ عثمان؟ وما السبب فى كون هذا الخبر غير مأخوذ به؟

- السائل: هو معروفٌ بأنه منقطع.

- الشيخ: طيب متى قتل عثمان؟ ومتى ولد قتادة؟ لا يمكن أن نحكم على حديث بأن الراوى لم يدركه، وبأن به انقطاعا إلا بمعرفة مواليده

ووفياته؛ فمتى قتل عثمان رضى الله عنه، ومتى ولد قتادة؛ حتى نعرف أدركه أو ما أدركه؟ هو معروف فى الجملة أنه منقطع، نعم، متى قُتِلَ عثمان؟

- السائل: سنة خمسٍ وثلاثين.

- الشيخ: سنة خمسٍ وثلاثين؛ متفقون على أنه مات سنة خمسٍ وثلاثين.

- السائل: وقيل سنة أربعٍ وثلاثين.

- الشيخ: نعم؛ وقيل سنة أربعٍ وثلاثين، وهناك قولٌ ثالث؛ قلنا: مات سنة خمسٍ وثلاثين. والأخ سلمان يقول: مات فى أواخر سنة أربع وثلاثين، وهناك قولٌ ثالث، وأيهما أصحُّ: الكثرة أم القلة؟

نعم؛ قول سلمان هو الصواب؛ مات أواخر أربع وثلاثين، وهناك من الفقهاء من يقول أنه مات سنة أربعٍ وثلاثين؛ باعتبار أنه مات فى أواخر السنة، ومن يقول أنه مات سنة خمسٍ وثلاثين يقول: لعله فى بدايتها. لكن الصواب أنه قتل سنة أربعٍ وثلا ثين.

طيب عثمان قتل سنة أربعٍ وثلاثين؛ فمتى ولد

قتادة حتى نعرف هل أدرك أم لا؟

- الطالب: سنة ستين.

- الشيخ: سنة ستين، نعم؛ قتادة ولد سنة 60؛ إذًا الإسناد منقطع؛ «إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن» إسناده منقطع، وهذا مكتوبٌ فى جامع الأصول للإمام ابن الأثير -رحمه الله-.

- ما حُكم صلاة ركعتين إذا دخل الفرد المسجد ؟

- الشيخ: أبو قتادة حين دخل المسجد ولم يُصلّ، قال له النبى : «قم فاركع ركعتين»؛ فَيُسْتحبُ لمن هو قدوة للناس إذا رأى أحدًا دخل المسجد ولم يصل أن يأمره بصلاة ركعتين، النبى حين كان يخطب ودخل "سُلَيْكٌ الغَطَفانى" المسجد ولم يصل ركعتين قال : «قم فصل ركعتين وتجوز فيهما ». فيما رواه مسلم، والخبر فى الصحيحين بدون نقل سُليْك؛ لأنه من أفراد مسلمٍ.

- السائل: هل يمثل العمل للإنسان مشكّلا ً بصورة ما يوم القيامة؟

- الشيخ: ورد حديثٌ يقول: "أنا عملك الصالح"،

ووردت أحاديث كثيرة فى هذا الباب تقول: "أنا عملك الصالح"؛ فهذا يحتمل أنه يأتى جنس العمل؛ ما شُكل له شىء؛ ولكن يأتى على شكل أسود أو على شكل أبيض، ويأتى هو نفسه- نفس الإنسان- يأتى نفسه بعملها السيئ؛ فيقول: أنا عملك السيئ.

- السائل: أليس هناك دليلٌ على التشكل فى الخبر؟

- الشيخ: لكن ليس صريحًا على أنه شُكِّلَ؛ لأنه ما ذُكِر هذا التشكيل بشكل صريح كالكبش كالموت مثلا أو نحو ذلك.

- السائل: هل يوضع الكفار أيضا فى الميزان لمحاسبتهم؟

- الشيخ: هو يبدو أن العرض لعصاة الموحدين؛ فمن نوقشَ الحساب عُذّب؛ كما جاء هذا فى الصحيحين؛ فإن الكفار -كما تقدم فى كلام الشيخ- يوقفون ويُقرّرون بأعمالهم، وكما فى ظاهر القرآن: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ؛ فظاهر هذا أنهم يوضعون فى الميزان؛ ليكون الواحدُ منهم شهيدًا على نفسه.

- السائل: ما عدد النفخات؟

- الشيخ عدد النفخات؟ كيف يعنى عدد النفخات؟

- طالب العلم: عدد النفخات قال عنها بعض العلماء أنها اثنان، والبعض أنها ثلاثة؟

- الشيخ تحدثنا بالأمس وقلنا أنه ورد فى سورة الزمر أنهما اثنتان، والجمهور يجعلون عدد النفخات ثلاثة؛ نفخة القَزْع؛ ونفخة الصّعْق، ونفخة أن الناس يُبعثون من قبورهم، وبعض العلماء يجعلونها نفخة الفزْع ونفخة الصعْق.

- السائل: ما مدى صحة الحديث: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»؟

- الشيخ حديث «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» حديثٌ مُنْكرٌ؛ فقد أعله يحيى بن معين وأبو حاتم، وغيرهما.

-الشيخ: الأخ يقول: ما حكم من يصلون فى الا ستراحة إذاكانوا مجموعة دعوية أو حلقة أو غير ذلك من المجمعات الخيرية؛ ويحتجون على مضايقة أهل المسجد وغير ذلك بتفكك البرنامج، ويبعد المسجد مائتين وخمسين مترًا تقريبًا.

من سمع النداء فليجب؛ سواءً كان المسجد بعيدًا أو قريباً؛ فالصلاة جماعة واجبة بلا إشكال، وفى المساجد واجبة بلا إشكال؛ الأدلة صريحة فى هذا، ولذلك الصحابة كانوا يتهمون الرجل الذى لا يؤدى الصلاة فى المسجد بأنه بالنفاق ويحتجون ويستدلون بها كعلامة نفاق؛ لأنه لا يصلى فى جماعة، والله أمر بالصلاة فى جماعةٍ حتى فى شدة الخوف وفى السفر؛ لأن آية الخوف باتفاق المفسرين نزلت فى المسافرين، وأمر الله بإقامة الجماعة: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ؛ فأمر بإقامتها جماعة حتى فى شدة الخوف.

والدليل على اعتبار ذلك علامة من علامات النفاق فيما يتعلق بعدم أداء الصلاة فى المساجد قوله : «لقد هممتُ بأن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم». فالنبى علق؛ قال: «لا يشهدون الصلاة». لم يقل: يعرفون بـ النفاق. فيكون نفاقه سابقا لتركه الصلاة؛ علل بأنهم لا يشهدون الصلاة؛ فعرف أن ترك الصلاة فى المسجد هو المؤدى للنفاق.

وهذا المعنى هو الذى أجمع عليه الصحابة،

ومن ذلك قول ابن مسعود -والخبر فى مسلم أيضا: (لقد رأيتنا- أى معشر الصحابة- وما يتخلف عنها إلى منافق معلوم النفاق) بل ذهب ابن عباس لأبعد من هذا وهو أن من صلى فى بيته فصلاته باطلة لاشك؛ لغوٌ، والإسناد إليه من أصح الأسانيد؛ قال ابن عباس: « من سمع النداء فليجب، ومن لم يُجب فلا صلاة له إلا مِن عذر»، وجاء مرفوعا عن النبى ، والراجح وقفُه على ابن عباس.

فهؤلاء الذين يسمعون النداء تجب عليهم المسارعة إلى أدائها فى المسجد؛ أما إذا كان المسجد يضيق بهم فيعذرون فى الصلاة فى الا ستراحة؛ لعدم وجود المكان المتسع لهم؛ أما الا حتجاج بأن البرامج هذه قد يكون فيها نوع من التفاوت أو التفكك كما تفضل فى صيغة السؤال. هذا غير مسوغ؛ لأنه حينما خاطب العباد أمر بذلك على وجه مشروع؛ وأداء الصلاة فى الوقت المشروع تؤدى إلى ضبط العبادات الأخرى، ولا تكون عبادة أخرى على حساب ركن من أركان الإس لام.

- السائل: هل يختلف الحكم باختلاف الحال بعد أن وجدت المكبرات فى ظل وجود المكيفات و

السيارات، ولم تكن موجودة من قبل؟

- الشيخ: أي نعم؛ تواجد المكبرات في ظل وجود المكيفات والسيارات ونحو ذلك؛ من قبل حينما لم يكن هناك مكيفات ولا سيارات؛ الناس كانوا يسمعون النداء بدون مُكبر؛ مسافة عشرة كيلو، وخمسة عشر كيلو، والآن حين وجد المكبر قد لا تسمعه من مسافة مائتى متر؛ لوجود المكيفات والسيارات والمكائن ونحو ذلك؛ هذا فى وجود هذا.

- السائل: هل حكم صلاة الجماعة للمسافر هو الوجوب؟

- الشيخ: أي نعم؛ أقول: نعم؛ صلاة الجماعة واجبة على المسافر؛ واجبة حضرا وسفرا، والأدلة صريحة بذلك؛ بخلاف المساجد لا تجب على المسافر، ولكن تجب عليه الجماعة.

- السائل: هل يجوز استغلال المساجد فى غير الصلاة كالمكتبة وغيرها؟

- طالب علم آخر: هل تعد كل أحاديث البخارى متواترة على أساس أنها ثابتة وتلقاها العلماء بـ القبول؟

- الشيخ: طيب؛ أما سؤال الأخ حول وجود المكتبة داخل المسجد، فهذا لا حرج منه فى المسجد، والناس يأتون ذلك، ما دامت غير مضيقة على المصلين، ولم تكن فى حيز؛ لأنها بين موقع الرجال وموقع النساء؛ فالناس يأتون هناك ويقرؤون ويطلعون، لا حرج من ذلك؛ لأن المساجد ليست خاصة بالصلاة فقط؛ كان الصحابة رضى الله عنهم يدخلون المساجد لإقامة الجيوش والا جتماع، كان النبى يجلس للحديث والناس حوله؛ ليست المساجد خاصة فقط بمجرد إقامة الصلاة؛ هى للدروس أيضا؛ لعقد المؤتمرات؛ ما لم يكن فيها لغو أو باطل أو شىء من المحرمات الأخرى، عائشة ضربت خيمة للأمة السوداء بالمسجد؛ النبى ضرب خيمة لأسعد بن زرارة فى المسجد حين جرح، النبى ربط ثمامة بن آثال المشرك فى المسجد؛ ليعوده من قريب ويدعوه إلى الإسلام،، والخبر فى الصحيحين؛ هذه الأدلة كلها تفيد هذا المعنى.

أما ما يتعلق بسؤال الأخ عن تعريف المتواتر الذى قاله به الإمام أحمد والسجزى وجماعة من الأ ئمة بأنه ما ثبت إسناده عن النبى وتلقاه العلماء ب القبول هل يعنى هذا أن نقول بأن كل أحاديث البخارى متواترة؟

هذا يعنى هذا من وجه دون وجه؛ فهناك بعض الأحاديث ما تلقاها العلماء بالقبول - وهى معدودة- انتقدها الدارقطنى، وانتقدها أحمد، الإمام أحمد عدّ خمسة أحاديث فى البخارى، ومثلا أبو حاتم انتقد أيضا، ومسلم انتقد بعض الأحاديث؛ وبالتالى لم يكن العلماء يتلقون ذلك بالقبول؛ هذا إن صح الإ سناد الأول؛ ثم التلقى بالقبول بعد أحاديث البخارى، ما يتوقع منه القبول كمعنى؛ بل كثير من أحاديث البخارى ما تلقاها العلماء بالقبول؛ والدليل على هذا الاختلافات المذهبية الموجودة؛ فنعم نقول: إذا وُجد فى الحديث ما صح إسناده؛ باعتبار أنه لم يخالف أحد فى صحته، وتلقاه العلماء بـ القبول؛ لم يختلف الأئمة فى فهمه ولا معناه، فنقول عنه بأنه متواتر؛ لكن توجد أحاديث كثيرة اختلف العلماء فى فهمها ومعناها ودلالتها، وهى قد تكون موجودة عند السبعة؛ خاصة فى البخارى؛ فنعم، إذا وُجد ما سبق ذكره يكون الخبر متواترًا.

- السائل: هل يقتص للحيوان من ابن آدم؟

- الشيخ: لا أحفظ نصا فى مقاصة الحيوان من بنى آدم؛ إنما يقتص للحيوانات بعضها من بعض، هذا خبر ثابت فى الصحيح؛ هذا لا إشكال فيه؛ أن

يقتص للحيوانات بعضها من بعض؛ أما أن يقتص للحيوان من بنى آدم فلا أحفظ نصًا فى ذلك، وإن كانت الأدلة العامة تفيد أن الإنسان يأثم إذا اعتدى على حيوان؛ فمعنى ذلك أنه سوف يحاسب على هذا الأمر، لذلك جاء فى صحيح مسلم: قال : «**إن الله قد كتب الإحسان على كل شىء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته**». وقد اتفق العلماء على أن الإنسان يأثم إذا حرّق حيوانًا، أو يأثم إذا كوى حيوانًا، ولذلك النبى صلى الله عليه وسلم حينما رأى حمارًا وفى وجهه وسم ماذا قال النبى ؟ مدح ذلك وأثنى عليه أم ماذا قال؟ ! قال: «**لعن الله من وسم هذا**» والخبر فى صحيح الإمام مسلم؛ فهذا يعنى أنه ملعون؛ إذًا سوف يحاسب يوم القيامة؛ وبالتالى فالأدلة صريحة فى هذا الباب، ومن الممكن أن تبحث الأدلة أكثر.

- السائل: ماذا عن الرواية القائلة بأن العمل الصالح يأتى يوم القيامة فى صورة شاب حسن الوجه؟

- الشيخ: رواية ضعيفة؛ حتى الرواية التى فيها: أنا عملك السيئ فيها ضعف؛ ليست بقوية.

- السائل: فى قول الشيخ: "لا حسنات"؛ كيف يكون إعراب هذا القول؟

- الشيخ: نعم؛ "لا حسنات"؛ "لا" نافية للجنس، وهذا جمع "حسنة"؛ فهو جمع مؤنث سالم؛ فحينئذ يكون نصبُه بالكسرة؛ "لا حسناتِ" اسم لا منصوب بـ الكسرة.

- السائل: هل على الواحد منا أن يصلى تحته المسجد إذا دخل مكتبه المسجد؟

- الشيخ: نعم؛ إذا دخل المسجد يصلى تحية المسجد، وطالما أن المكتبة فى المسجد فإذا دخل المكتبة يصلى أيضا تحية المسجد؛ أما إذا ظل واقفا فلا تحية عليه.

- السائل: ما مواصفات الحجرة المتصلة بـ المسجد التى تصلح للاعتكاف؟

- الشيخ: فالحجر الآن قسمان:

حجرة أبوابها داخل المسجد؛ حجرة داخل المسجد كهذه؛ أو كمصلى النساء عندنا أبوابه نافذة إلى مصلى الرجال؛ هذه تعتبر كالحجر الآن فى مسجدنا هنا، ومصلى النساء تابع للمسجد من كل

وجه؛ وأما إذا كانت الحجر أبوابها خارجية؛ يعنى لا يمكن الوصول إلى الحجرة إلا إذا كان عن طريق الخروج إلى السوق، فحينئذ لا يوجد اعتكاف داخل الحجرة؛ لأنها ليست داخل المسجد؛ فلا يُطّل عليها إلا من قبل الشارع؛ أما إذا كان لها باب داخلى فهى تابعة للمسجد.

- السائل: حديث: «من قتل عصفورًا»

- الشيخ: الحديث عند النسائى أصلا ورد « **مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجّ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ يَا رَبِّ إِنّ فُلَانًا قَتَلَنِى عَبَثًا وَلَمْ يَقْتُلْنِى لِمَنْفَعَةٍ**».

هذا يفيد كالأدلة العامة التى ذكرتها والواردة فى هذا الباب، كحديث إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وربما كانت الأدلة العامة هذه أبلغ فى الدلالة، والإ نسان سيحاسب بلا شك؛ هذا لا إشكال فيه، لكن ليس هناك نص واضح يفيد القصاص؛ يُقتص من الرجل للبهيمة، بهذا اللفظ.

- السائل: هل ستبقى الطاقة والمادة وما شابه ذلك يوم القيامة؟

- الشيخ: غير صحيح؛ من قال إن الطاقة و

المادة لاتفنى فهذا خلاف ما أجمع عليه المسلمون؛ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ إلا ما يمسكه الله جل وعلا؛ ك الجنة والنار ونحو ذلك، وأما الطاقة والمادة وغير ذلك فسوف تفنى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

- السائل: ما أفضل الكتب التى يمكن الاعتماد عليها فى الترجمة للصحابة؟

- الشيخ: ما يمكن الجزم بأنفع كتاب لكن يُكملُ بعضها بعضا؛ مثلا: حوار الصحابة للإمام أحمد بالأ سانيد؛ كتاب جيد ونافع؛ لكنه يعتمد على سرد الفضائل بالأسانيد، وفى ذلك الصحيح، ومنه الضعيف، وهو مطبوع بمجلدين، ومن ذلك "الإ صابة فى تمييز الصحابة" للحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- كتاب جيد ونافع ويعتمد فى الغالب على تمييز الصحابى من غيره؛ كان يسرد بكثرة الفضائل وما يتعلق بذلك، ومن ذلك "أسد الغابة" للحافظ ابن الأثير -رحمه الله تعالى- كتاب جيد ونافع.

أفضل من هذه الكتب ما يذكره الحافظ الذهبى -رحمه الله تعالى- فى كتابيه: "تاريخ الإسلام" و "سير أعلام النبلاء" فهو يتحدث عن الصحابة

بطرائق متعددة؛ بسرد وحديث وتعليق، وحديث عن علو قدرهم وعظيم منزلتهم، وهناك غير ذلك من الكتب النافعة فى هذا الباب، والله أعلم.

من أعلى مراتب الإيمان، الإيمان بالغيب، وقد أثنى الله -جل وعلا- على عباده المؤمنين فى صدر سورة البقرة فى قوله: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

والغيب نوعان:

النوع الأول: الغيب المطلق، ويختص بعلمه الرب -جل وعلا- ويُطْلِع على شىء من ذلك بعض رسله، قال تعالى: إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ .

النوع الثانى: الغيب المقيد، وهو ما غاب عنك فقد يكون غيباً عند عمرو، وحاضراً عند زيد، وهذا لا علاقة له بهذا الباب .

فالحديث عن الغيب المطلق، وعن بعض المغيبات التى أخبر النبى بها عن ربه، وأخبر عن وجودها فى أرض الواقع فيما يُستقبل من أمر الناس، فالإيمان بذلك إيمان بالله وإيمان بالرسول .

وقد أخبر النبى بأشياء كثيرة من أمور الغيب ؛ فقد جاء فى الصحيحين من حديث عبد الوارث بن سعيد عن أبى التياح الضبعى عن أنس أن النبى قال: «**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويكثر الزنا**» وأخبر

النبى عن عذاب القبر وعن فتنة القبر، وأخبر عن الدجال، وأخبر عن اليوم الآخر وما فيه من الأ هوال، وأخبر عن عرصات القيامة، وهو ما تحدث عنه الشيخ -رحمه الله تعالى- بقوله: "وفى عرصات القيامة" :

عرصات جمع عرصة؛ والعرصة المكان الواسع الذى لا يحيط به عمران أو شىء من ذلك.

وقوله: القيامة، القيامة نوعان؛ النوع الأول: من مات فقد قامت قيامته، النوع الثانى: القيامة الكبرى، وهى المقصودة فى أكثر الأحاديث، وأكثر مجىء الآيات، وأجمع على ذلك المسلمون، وذلك حين يقوم الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا ً.

يقول الشيخ -رحمه الله تعالى-" وفى عرصات القيامة الحوض المورود للنبى " وقد جزم غير واحد من العلماء بأنه الكوثر، قال تعالى: **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ، وهذا على اعتبار أنه يختص به النبى لا يَشْرَكه الأنبياء، وذهب بعض العلماء إلى المغايرة بين الكوثر والحوض، فيرون اختصاص النبى بالكوثر دون الحوض، على اعتبار أن لكل نبى حوضاً، ويستدلون على ذلك بالحديث الوارد فى جامع أبى عيسى، وهذا الحديث ضعيف جداً، ولم يثبت عن النبى أن لكل نبى حوضاً، وحينئذ

يصلح تخصيص هذا بالنبى والقول بأن الكوثر هو الحوض، ويصلح القول بأن الحوض جاء ذكره فى الكتاب باعتبار أنه هو الكوثر.

وقد أخبر النبى عن صفات هذا الكوثر فقال صلى الله عليه وسلم: «**ماؤه أشد بياضاً من اللبن وطعمه أحلى من العسل، آنيته (وهى أكوابه) عدد نجوم السماء**» ولا يعلم عدد ذلك إلا الله -جل وعلا - فلم يثبت عن النبى ولا عن أحد من الصحابة تحديد عدد نجوم السماء، فلا يعلم ذلك إلا الله، «**طوله شهر وعرضه شهر**» ولم يثبت أيضاً تحديد هذا الطول والعرض؛ هل هو باعتبار الماشى أو باعتبار الراكب، وقد يقال طوله شهر وعرضه شهر بما يتعارفه الناس، وقد يقال طوله شهر على أسرع ما يقدر عليه العبد، وعرضه شهر فى أسرع ما يقدر عليه العبد لبيان عظمته، وقد جاءت الأدلة الأخرى تفيد ترجيح القول الأول وذلك أنه من أيلة إلى عدن.

وأهل السنة يؤمنون بذلك، ويؤمنون بكل ما جاء عن النبى ، وهذا من واجبات الإيمان بالغيب، وقد تواترت الأدلة عن النبى فى الحوض، وجاءت من رواية ما لا يقل عن خمسين صحابياً، وجميع من ألف وصنف فى المتواتر يذكر أحاديث

الحوض، وتقدم بالأمس الحديث عن المتواتر وتعريفه عند أهل السنة وتعريفه عند المتكلمين.

قوله: "من يشربُ منه شربة" شرْبة بسكون الراء أى مرة، لا يظمأ بعدها أبداً، وذلك أن الناس حين يقومون من قبورهم حفاة عراة غرلا ً تواجههم الشمس ويلجمهم العرق، يكون فى أثناء هذا اليوم عطش، والصواب من كلام العلماء أن هذا الحوض قبل الصراط، وأن القنطرة بعد الصراط.

ويُذاد عن هذا الحوض عدد كبير من البشر الذين يتصورون أنهم على حق وهم على باطل، وحين يقول النبى :« **أمتى أمتى يقال: إنك لا تدرى ماذا أحدثوا بعدك**» ويؤخذ من هذا أن النبى لا يعلم الغيب المطلق، وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله تعالى- فى التمهيد على قوله : «**أمتى أمتى**» يقول يزاد عند حوضه أهل البدع من الخوارج والرافضة وأهل الكبائر المصرون على ذلك من أكلة الربا وغيرهم.

ولا يختلف أهل السنة أن من مات على بدعة أو على معصية لا تخرجه عن الإسلام؛ أنه تحت المشيئة، قال تعالى: **وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ**

الْقِيَامَةِ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ولكن هؤلاء لا يخلدون فى النار باتفاق أهل السنة، وهؤلاء معرضون للوعيد، تقدم الحديث أن الله لا يخلف وعده وهذا محل إجماع من أهل السنة، قال الله -جل وعلا- وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وقد يخلف وعيده لأن إخلاف الوعيد من صفات الكمال، وكما قال الشاعر:

إنى وإن واعدته أو لمخلفٌ إيعادى ومنجزٌ

قوله:" **لا يظمأ بعدها أبداً**" أى لا يصيبه عطش، وهو كمقدمة للبشرى؛ لأن من شرب من هذا النهر فإنه سوف يعبر الصراط، وهو الذى يتحدث عنه الشيخ -رحمه الله تعالى- بقوله: "**والصراط منصوب على متن جهنم**" والناس يمرون على هذا الصراط على قدر أعمالهم، وقد قال أبو سعيد الخدرى « بلغنى أنه أحدٌ من السيف وأدق من الشعرة» رواه الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- فى صحيحه.

قول الله -جل وعلا-: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا أى يرد على النار لأن الصراط منصوب على متن

جهنم، والناس يمرون على النار وتكون على المؤمنين برداً وسلاماً، وتكون على الكافرين ويلا ً وثبوراً، **إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا** .

الشيخ يعرف الصراط بأنه الجسر-ويجوز فتح الجيم- بين الجنة والنار بمعنى أن الجسر يتوسط جهنم، وتكون الجنة بعده، ولكن بعد الصراط تكون القنطرة، ولا يتجاوز الصراط إلا من كان فى علم الله أنه سيتجاوز عنه فى القنطرة ؛ لأنه قد يهوى فى جهنم حين يمر بالصراط من كان فى علم الله أنه لا يتجاوز عنه، أو عليه مظالم لا يعفى عنها فحينئذ القنطرة التى يقتص الناس بعضهم من بعض، هؤلاء حين يتجاوز الله عنهم ويهذبون وينقون يدخلون الجنة، أما الذين لا يهذبون، فإنهم يهذبون فى نار جهنم، فإذا هذبوا فى نار جهنم وصهرتهم نار جهنم، فإن هؤلاء يخرجون إلى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل، ثم بعد ذلك إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة، إذاً النار قبل الصراط، والصراط منصوب على متن جهنم، وبعد جهنم القنطرة، وبعد القنطرة الجنة.

وقد أخذ من هذا بعض العلماء أن جهنم فى السماء، ويحتجون بحديث الإسراء حين لقى النبى أباه آدم : وعن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، وذهب أكثر الأئمة إلى أن جهنم فى الأرض لقول الله -جل وعلا-: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ولقول الله -جل وعلا-: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ولغير ذلك من الأدلة، وليس هناك فى المسألة نص قطعى لا يجوز مخالفته، ولذلك اختلف العلماء فى ذلك على قولين.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-:" **والناس يمرون على قدر أعمالهم"** لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ فإن الناس يمرون على الصراط على قدر أعمالهم، وما دام الإنسان مات على الإسلام فإنه على خير، فالمصيبة والطامة الكبرى أن يموت على النفاق أو على الكفر أعاذنا الله وإياكم من ذلك، فإن هؤلاء يكبكبون فى نار جهنم فلا تنالهم شفاعة الشافعين ولا تغمرهم رحمة أرحم الراحمين؛ فهؤلاء يخلدون فى نار جهنم، ويستغيثون فلا يغاثون، وينادون فيقال: إنكم ماكثون، ويستنصرون فلا ينصرون، ويقال لهم اطلبوا النصر ممن كنتم تستنصرون بهم فى الدنيا، هل ينفعونكم أو ينجّون.

قوله:" **فمنهم من يمر كلمح البصر"** النبى فى

هذه الحالة واقف على الصراط ويقول:« **يا رب سلم سلم، يا رب سلم سلم**» فيه حرصه على أمته، فيكون معنى قول الله -جل وعلا- **حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ** أى فى الدنيا والآخرة، حريص على هدايتكم فى الدنيا، وحريص على دخولكم الجنة يوم القيامة، إذاً لا تختص الآية بأحكام الدنيا.

منهم من يمر كالبرق لقوة إيمانهم، وعظمة يقينهم وصدقهم فى الاستجابة لكلام الله وكلام رسوله ، والدعاوى فى هذا الباب لا تجدى؛ تذهب سبهللة، إنما ينفعك فى هذا الجد والاجتهاد ولا يغنى التسويف عن صاحبه شيئاً حيث يقول: أريد أن أصلى، أريد أن أصوم، أريد أن أتصدق، حين يسمع كلام الله وكلام الرسول حين يسمع موعظة فإذا خرج من الباب نسى كل شىء، الله -جل وعلا-: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** قال ابن عباس: إلا ليوحدون، وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: إلا لآمرهم وأنهاهم، وأعظم ما أمرهم الله به هو التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه هو الشرك؛ وهو دعوة غير الله معه، قال تعالى: **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** شيئاً نكرة فى سياق النهى تعم الأصغر والأكبر، الدقيق والجليل.

فمن الناس من يمر على الصراط كلمح البصر

لقوة إيمانه وعظيم يقينه وصدقه فى الاستجابة لأ
ن اللّه -جل وعلا- أمر العباد بأن يستجيبوا له
وللرسول : اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ
لِمَا يُحْيِيكُمْ أى لما فيه حياتكم فى الدنيا
ونعيمكم يوم القيامة؛ فالعمل هو السبب فى دخول
الجنة، كما قال النبى : «كل أمتى يدخلون الجنة
إلا من أبى، قالوا يا رسول اللّه: ومن يأبى قال:
من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»
رواه البخارى فى صحيحه، وهذا لا ينافى قوله :
«لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت
يا رسول اللّه، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى اللّه
برحمته» الباء فى لا يدخل الجنة أحد منكم بعمله
للعوض، أى لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة اللّه
وبسبب عمله، فإذا أتى بالعمل الصالح فإنه يحتاج
إلى شرطين؛ الشرط الأول: الإخلاص لله، الشرط
الثانى: اتباع النبى باطناً وظاهراً، فمن الأول قول
اللّه -جل وعلا-: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ ومن الثانى قوله : «من أحدث فى
أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فالأول معنى لا إله
إلا اللّه، والثانى هو معنى شهادة أن محمداً رسول
اللّه.

قوله: ومنهم من يمر كالبرق، لأن لمح البصر

أسرع من البرق، وهؤلاء يكونون فى المرتبة الثانية عقب الذين يمرون كلمح البصر، لأن الناس فى هذا الموطن يمرون على قدر أعمالهم، ومعنى الأعمال فى هذا الباب أى على قدر الإيمان، على قدر الإ يمان المتمثل بقول وعمل؛ قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، فإن الإنسان قد يكون أكثر عملا ً من الآخر، لكن الآخر أكثر تصديقاً وإيماناً به، وفى هذا الموطن لا يظلم أحد، اللّه -جل وعلا- يقول: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ولذلك قال النبى عن الخوارج: «تحقرون صلا تكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم» .

وقال أبو بكر المزنى -رحمه الله تعالى- عن أبى بكر الصديق "ما سبقهم بكثرة صوم ولا صلاة، سبقهم بشىء وقر فى قلبه" ما الذى وقر فى قلبه؟ هو بالإيمان بالله والإيمان بالرسول ، وحين أخبر النبى المشركين أنه أسرى به فى ليلة، طبعاً أسرى بروحه وجسده، فلو كان فى المنام لما كذبه المشركون، ولاعتبروا هذا أمراً عادياً، فحين أخبر النبى بأنه فى ليلة واحدة ذهب إلى بيت المقدس، والتقى بالأنبياء كلهم، وصلى بهم، ثم عُرج به إلى السموات السبع ثم سدرة المنتهى، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وذلك فى أصح

قولى العلماء أنه قبل الهجرة بثلاث سنين- كان المشركون يضحكون من ذلك، فأرادوا تكذيب النبى فجاؤوا إلى أبى بكر فقالوا له " إن صاحبك يزعم كيت وكيت " وذكروا له، قال: إن كان قد قال فقد صدق، فسمى من ذلك الوقت أبا بكر الصديق؛ لأنه يصدق النبى فى كل ما جاء به، وهذا الواجب على كل مسلم، وقد قيل فى قول الله -جل وعلا-: وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ الذى جاء بـ الصدق هو محمد ، وصدق به هو أبو بكر الصديق ، وقول آخر فى الآية والذى جاء بالصدق هو جبريل وصدق به هو محمد ، ولذلك الحديث الذى رواه أحمد بسند قوى حين قال: «وُضع أبو بكر فى كفة ووضعت سائر الأمة فى كفة فرجح بهم أبو بكر الصديق » هذا الخبر رواه الإمام أحمد وغيره وإسناده جيد.

قوله: "ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كـ الفرس الأجاويد ، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم يعدو عدواً، ومنهم من يمشى مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يُخطف خطفاً ويلقى فى جهنم " وهؤلاء الذين يلقون فى جهنم على مرتبتين؛ المرتبة الأولى: الكفار فهم يكبكبون فى نار جهنم من أول وهلة، يكبكبون فى نار جهنم لأ

أنهم لا حسنات لهم وهؤلاء يخلدون فى الجحيم أبد الآبدين، ودهر الداهرين لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون، ويشدد لهم العذاب. وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ، كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ، لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا كلما مضى حقب أتى حقب آخر، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وغير ذلك من الأدلة الواردة فى عذابهم وخلودهم فى الجحيم والله -جل وعلا- أخبر عنهم أنهم لو ردوا لعادوا وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ، فلذلك هؤلا ء لا يطهرون أبداً؛ كالكلب مهما غمس فى ماء البحار لا يطهر أبداً، وهؤلاء مهما عذبوا يبقون فى الجحيم ولا يطهرون أبداُ.

الذى يطهر المسلم الموحد الذى رجحت سيئاته على حسناته فهؤلاء حين يلقون فى نار جهنم وهم النوع الثانى ويمكثون ما شاء الله أن يمكثوا -يطهرون ويخرجون من نار جهنم حمماً فيلقون فى نهر الحياة على حميل السيل فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة.

قوله:"فإن الجِسر-ويجوز الجَسر- عليه كلا ليب" الكلاليب معلقة تخطف الناس لمن أراد الله عذابه، والناس فى هذا الموقف فى كرب عظيم، لا

يدرون ماذا يصنع بهم، ولا يدرون أيمرون على الصراط أم يلقون فى جهنم؟

ومن أول غمسة فى جهنم ينسى أنه مر به نعيم قط؛ من شدة العذاب؛ ولذلك النبى يقول للصحابة؛ يقرب لأفهامهم: «**أترون ناركم هذه، هى جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم**»

وحين كان النبى جالساً بين أصحابه وسمع وجبة؛ قال النبى : «**هذا حجر ألقى فى جهنم منذ سبعين خريفاً** »الآن وصل، يعنى لم يصل قعر جهنم إلا عقب سبعين عاماً، ولذلك أهون أهل النار عذاباً من الكفار أبو طالب؛ نعلان يغلى منهما دماغه ، نسأل الله -جل وعلا- السلامة والعافية، نسأل الله -جل وعلا- أن يقينا عذاب جهنم وأن يرحمنا فوق ا لأرض وتحت الأرض ويوم العرض.

قوله: "**فمن مر على الصراط دخل الجنة**" أى مصيره إلى الجنة فمن مر على الصراط فمصيره إلى الجنة، ولكن قبل أن يدخل الجنة يوقف على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض المظالم التى كانت فى علم الله أن الله يتجاوز عن أصحابها، فإذا هذبوا ونقوا، لماذا يهذبون؟ لأن الجنة طيبة ولا يدخلها إلا الطيب، فبعد ذلك أذن لهم بدخول الجنة كما جاء هذا فى صحيح الإمام

مسلم، نتحدث غداً عن شفاعة النبى فى هذا الموقف وموقف أهل السنة من ذلك، وشيخ الإسلا م أورد هذا ليبين أن أهل السنة يؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله، وبكل ما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، ويؤمنون ب الصراط المعنوى ويؤمنون بالصراط الحسى، فمن تجاوز الصراط المعنوى تجاوز الصراط الحسى، فمن هوى فى الصراط المعنوى، وضل عن سواء السبيل، فإنه سوف يهوى فى الصراط الحسى، و الله أعلم.

سؤال: ما حكم اللوحات التى تصور الجنة و النار ؟

الإجابة: والله غلط هذا، نرى بعض اللوحات الآ ن تتحدث عن أمور الآخرة، وأنا تحدثت من قبل ث لاثة أيام عن لوحات يرسمون فيها ميزانا، وأنهم يشبهون هذا الميزان بميزان الآخرة، وأنه على هذا الشكل، وهذا غير صحيح، وهذا ليس له أصل، ولا يجوز هذا الفعل، كذلك وضع الجنة، ثم تصوير الصراط، ثم تصوير القنطرة، ثم بعد ذلك الجنة وتحديد المسار بالصور، هذا غير صحيح، ولا يجوز تشبيه أمور الآخرة بمثل هذه الطريقة التى تهون من شأنها، وكذلك هذه اللوحات تعلق فى المساجد

وتقول: (اللهم قنا عذاب النار) ويرسمون ناراً على الخلفية، وهذا غلط،يجب تمزيق هذه اللوحات، وإبعادها عن المساجد.

سؤال: إذا كان الكفار يذهبون إلى النار مباشرة، والذى يحاسب هم المؤمنون والمنافقون، فإذا كان هذا صحيحاً فكيف يمر المنافق على الصراط؟

الإجابة: ماحكم المنافق ؟ المنافقون كالكفرة، وتقدم بالأمس فهؤلاء يوزنون، ولكن ليس لهم فى الميزان شىء، ولا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم كما قال الشيخ لا حسنات لهم، فاليهود والنصارى والمشركون والمنافقون الذين ينقضون الميثاق الأكبر، هؤلاء من أول وهلة يكبكبون فى نار جهنم.

سؤال: ما أصل القول بفناء النار ؟

الإجابة: ليس له أصل، لم يرد عن ابن تيمية ولا ابن القيم القول بفناء النار، والصواب الذى اتفق عليه أهل السنة، أن النار لا تفنى وقد أجمع عليه المسلمون، وشيخ الإسلام ليس له قول صريح المسألة إنما حكى قولاً فى المسألة، وابن القيم - رحمه الله تعالى- قال فيما قال :"فإن قيل لنا إنها قدمكم فهذه مسألة كبيرة، والله تعالى فعال لما

يريد" فحسب الإنسان أن يقف عند ظاهر كلام اللّه ، وكلام الرسول ، فإن اللّه -جل وعلا- قال: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا فلما قال هذا علم أنهم يخلدون فيها أبداً، وأن الرسول قال: «يؤتى بالموت على صورة كبش فيذبح فيقال يا أهل النار خلود بلا موت ويا أهل الجنة خلود بلا موت».

بسم الله الرحمن الرحيم

الطالب : قال المؤلف رحمه اللّه تعالى -غفر اللّه له ولشيخنا- عن أبى سعيد الخدرى أن الرسول قال: «أليس إذا حاضت لم تصلى ولم تصم» متفق عليه.

الشيخ : الأحسن يقال واللفظ للبخارى، لأن اللفظ ليس لمسلم، يقول صلى اللّه عليه وسلم فى الحائض: «أليس إذا حاضت لم تصلى ولم تصم» وقد أجمع العلماء على ذلك، وهذا جعله النبى دليلا على نقص دينها، وهذا معنى نقص الدين عند المرأة فإنها إذا حاضت لا تصلى ولا تصوم، ونقص العقل معناه شهادة امرأتين عن شهادة رجل أَنْ تَضِلّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى .

وقد أجمع العلماء -رحمهم الله تعالى- على أن الحائض لا تصلى ولا تصوم، وإذا تجاوز الدم أيام عددها، فيعد الدم استحاضة، فحينئذ تصلى وتصوم بعد أن تغتسل، أما فى وقت الحيض فلا تصلى ولا تصوم، واختلف العلماء هل تؤجر على ترك الصلاة والصيام؟ الجواب نعم تؤجر،والدليل أنها فعلت أثمت، والشىء الذى فعله الإنسان يأثم إذا تركه يؤجر.

الطالب: عن عائشة - رضى الله عنها - قالت :«لما جئنا بسرف حضت، فقال النبى **افعلى ما يفعل الحاج غير ألا تطوفى بالبيت حتى تطهرى**» متفق عليه فى حديث طويل.

الإجابة: نعم، قال أن عائشة - رضى الله عنها - كانت حائضا فقال لها لا تطوفى بالبيت، حتى تطهرى فعلم من هذا أن الحيض مانع من أداء الطواف ومن أداة الصلاة فقد اجمع العلماء على أن الطهارة من الحدث الأكبر شرط لصحة الصلاة، وذهب الجمهور إلى أن الطهارة شرط لصحة الطواف، ما عدا أبا حنيفة فإن قال بأنها تجبر بدم، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**ألاتطوفى بالبيت**» ليس معناه أنها لا تدخل البيت، فإنما المنع من

الطواف ثم قال:«**حتى تطهرى**» فالطهارة واجبة للطواف كما هى واجبة للصلاة،الطهارة الكبرى لا الصغرى، فالطهارة الصغرى غير واجبة لهذا الطواف .

سؤال: هل يجوز للحائض أن تسعى بين الصفا والمروة ؟

الإجابة: ممكن أن تسعى بين الصفا والمروة، وإن كانت الآن داخل ضمن المسجد، لأن الحائض لا ينبغى أن تدخل المسجد أبدا.

سؤال: هل يفسر نقص الدين عند الحائض بأنه نقص إيمان ؟

الإجابة: لا، نقص دينها ليس نقص إيمان، بدليل أن نقص دينها الذى يكون بترك الصوم أو الصلاة تؤجر عليه بالترك، والنبى يقول «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من الناس إلا ثلاثة**» فعلم أن المرأة قد تكمل بعلمها ودينها وخلقها، فعائشة تساوى مليارات من الرجال.

الطالب: عن معاذ أنه سأل النبى « ما يأتى الرجل من امرأته وهى حائض، فقال النبى **ما فوق الإزار**» رواه أبو داود .

الشيخ: هذا من الأحاديث المنكرة، تقدم بالأمس

أن الرجل يحل له كل شىء إلا الحيض لا يحل للإ
نسان أن يجامع فى الحيض أو فى الدبر فهذا حرام
شرعا، ومؤثر قد يضر الإنسان يسبب تخثر الدم.

سؤال: عن أم سلمة - رضى الله عنها - قال:
كانت النفساء تقعد فى عهد النبى بعد نفاسها
أربعين يوماً. رواه الخمسة إلا النسائى وهذا لفظ
أبى داوود وفى لفظ له: ولم يأمرها النبى بقضاء
صلاة النفاس.

الإجابة: حديث أم سلمة: كانت النفساء تقعد
بعد نفاسها أربعين يوماً، هذا الخبر فى إسناده
مسة الأزدية، وهى مختلف فيها، ولكن ثبت بنحوه
عن ابن عباس رواه الإمام ابن الجارود -رحمه الله
تعالى- فى المنتقى وإسناده صحيح، وقد ذهب
أكثر العلماء وحكى بعض العلماء إجماعًا عن
الصحابة - أن النفساء لا تتجاوز فى نفاسها أربعين
يوماً، ولو استمر معها الدم، وإذا استمر فوق الأ
ربعين تغتسل، وقد أجمع العلماء على أربعين يوماً،
إلا أن ترى طهراً قبل ذلك، واختلف العلماء فيمن
جاوزت الأربعين؛ بعض العلماء روى عن الصحابة
أن الدم يصير دم فساد، وأما المذاهب فاختلفوا
فمنهم من قال أنها تجلس ستين يوماً، ومنهم من ق
ال تجلس سبعين يوماً، ومنهم من قال اثنين
وسبعين يوماً، وهذا غير صواب، والصواب أن

المرأة تمكث أربعين يوماً، إذاً إذا تجاوز الدم أربعين يوماً تصوم وتصلى ويكون هذا الدم دم فساد.

ابن تيمية –رحمه اللّه تعالى– فى الحديث عن استفتاح النبى   باب الجنة ، وعن الشفاعة ومراتبها ، وهذه الأحكام متعلقة باليوم الآخر، و المسلمون يؤمنون بذلك، واتفقت الشرائع والأديان كلها على الإيمان باليوم الآخر، وخالف فى ذلك المشركون حيث زعموا أن الأرحام تدفع والأرض تبلع زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ، وأما اليهودية والنصرانية والمنتسبون للكتاب فيؤمنون بهذه الأصول على شطط فى اليهودية والنصرانية فى بعض المراتب ، لكن الأ صل فى دينهم هو الإيمان باليوم الآخر ، لا يختلفون فى ذلك، وهذا الإيمان لا ينفع فيمن أدرك

منهم محمداً - إذا لم يؤمن بالنبى ؛ لأن النبى قال: «لا يسمع بى أحد من هذه الأمة لا يهودى و لا نصرانى ثم لم يؤمن بما أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» وهذا الخبر فى صحيح مسلم.

قوله:" وأول من يستفتح باب الجنة محمد "وهذا الخبر جاء فى الصحيح، «آتى الجنة فأستفتح فيقال من، فأقول محمد، فيقول أمرت ألا أفتح لأحد قبلك» وهذا لا يعارض الحديث المتفق على صحته أن النبى قال: «يا بلال ما أرجى عمل عملته، ما استفتحت باباً من أبواب الجنة إلا وسمعت دُف نعليك أمامى» ظاهره أن بلالا ً يتقدم رسول الله فى الدخول، والخبر متفق على صحته، وهذه رؤيا ، لكن رؤيا الأنبياء وحى، فيجاب عنه بأحد جوابين:

الجواب الأول ذكره ابن القيم –رحمه الله تعالى– فى حادى الأرواح، قال: "إن بلالا ً يتقدم النبى لأن أهل الشام من الملوك والأكابر يتقدمهم من هو دونهم يمهد لهم الطريق ويفتح لهم الأبواب وليس لفضلهم، بمنزلة العبد عند سيده يتقدم ويفتح له الأبواب ونحو ذلك" وهذا الجواب صحيح حين نقول بأنه لا يدخل باب الجنة ابتداء، إنما فى الأبواب الأخرى.

الجواب الثانى: أن يُحمل على قوله لبلال: «ما استفتحت باباً من أبواب الجنة» أى حين الدخول للجنة ، وأما بداية الدخول فلا يسبق النبى أحد ؛ لأن الملك قال: أمرت ألا أفتح لأحد قبلك؛ فإذا دخل النبى الجنة دخل معه بلال ثم بعد ذلك الأبواب الأخرى يسبق بلال إلى فتحها.

يؤخذ من هذا فضيلة نبينا محمد على بقية ا لأنبياء –عليهم الصلاة والسلام-، ويؤخذ من هذا ا لإيمان بالجنة، ويؤخذ من هذا الإيمان باليوم الآخر، ويؤخذ من هذا أنه لا يلزم من التأخر أن يكون أقل قدراً من غيره فالنبى يقول: «نحن الآخرون الأ ولون» الآخرون فى ترتيب الأمم، الأولون فى دخول الجنة والفضل ، ولذلك جاء وورد عن النبى أنه قال: «أمتى كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره» هذا رواه خمسة من الصحابة -رضى الله عنهم- وفى صحته خلاف، والصواب أنه حسن بشواهده.

قوله:" وأول من يدخلها من الأمم أمته" وهذا لا يختلف فيه العلماء، فإن أول من يدخل الجنة من الأمم هم أمة محمد ، وفضل التابع لفضل المتبوع، فأتباع محمد أفضل من أتباع موسى وعيسى، والسبب فى ذلك أن الذى يتبعونه أفضل

من متبوعى الأمم السابقة، فشرف هذه الأمة لشرف نبيها، ومكانتها لمكانة نبيها، وعظمتها لعظمة نبيها، ومنزلتها لمنزلة نبيها وقد قال : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»

وقد حكى غير واحد من العلماء الإجماع على تقديم نبينا محمد على بقية الأنبياء فى الفضل و المنزلة والرفعة، فحين يدخل نبينا محمد الجنة تتبعه أمته، فإذا دخلوا الجنة بدأ دخول الأمم الأ خرى، والجنة مراتب ومنازل، والذى ورد فى صحيح مسلم أن الله –جل وعلا- أعد للمجاهدين فقط فى سبيل الله مائة منزلة ما بين كل منزلتين كما بين السماء والأرض، كما قال : «وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

قوله: "وله صلى الله عليه وسلم فى القيامة ثلا ث شفاعات" هذا على وجه الإجمال، وعلى وجه التفصيل الشفاعات أكثر، فإن النبى له شفاعة عامة وله شفاعة خاصة؛ له شفاعة عامة فى أهل الموقف؛ وهذه التى أشار إليه الشيخ –رحمه الله تعالى- فى قوله: حتى يقضى بينهم بأن يتراجع آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى حتى تنتهى إلى النبى فيقول: «أنا لها، أنا لها» فيأتى ربّه

ويسجد ويحمده ويبدأ بالشفاعة أولا ً، حتى يقال له: «**ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تُشفع**»، فيشفع النبى فى أهل الموقف أن يقضى بينهم، ودليل هذه المسألة جاء فى الصحيحين.

النوع الثانى من الشفاعة: الشفاعة الخاصة، وهى خاصة بشفاعته فى عمه أبى طالب، لأن أبا طالب كان يحمى النبى وينصره ويذب عنه وكان يقول فى شعره:

والله لن يصلوا إليك   حتى أوسّد في التراب

وكان يقول:

لولا الملامة أو حذار   لوجدتني سمحاً بذاك

وفيه قال الله تعالى على قول بعض المفسرين: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ينهون عن أذيته وينأون عن أتباعه، وحين أتى العباس للنبى فقال: «**يا رسول الله، إن عمك الضال كان ينصرك ويحميك فهل نفعته بشىء، فقال النبى : نعم، نعلان يغلى منها دماغه، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار**» وهذا متفق على صحته، وهذا يفيد عدة أمور:

الأمر الأول: مجازاة من صنع فيك معروفاً وإن كان كافراً ، ولذلك يقول الحافظ ابن كثير –رحمه

الله تعالى- فى تفسيره حين ذكر أشعار وأقاويل أبى طالب فى نصرة النبى يقول:" والله لو يجوز الاستغفار لأحد من المشركين لاستغفرت لأبى ط الب" ولكن الله نهى عن ذلك مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ولذلك قال الله –جل وعلا- عن إبراهيم: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ .

إذًا الشفاعة الثانية: الشفاعة الخاصة ؛ متعلقة بتخفيف العذاب عن أبى طالب، ولم يرد فى ذلك غير هذا الخبر فلم يشفع النبى فى تخفيف عذاب أحد إلا فى تخفيف عذاب أبى طالب، وقد جاء فى مراسيل عروة فى صحيح البخارى أنه يخفف العذاب عن أبى لهب حين أعتق ثويبة حين بشرته بولادة النبى ،وهذا لم يثبت مرفوعاً موصولاً إلى النبى ، فلا يعتمد عليه، وأيضاً دلالة الأثر تفيد أنه خفف عنه مرة ، وليس على وجه الدوام، وأيضاً هذا بفضل ومنّ الله دون شفاعة أحد، وعلى كل هذا لا يعتمد عليه.

يستفاد من الحديث أن عذاب أهل النار مراتب وقوله : «لولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار

له نعلان يغلى منهما دماغه» أى بالنسبة للكفار، أما من عذب من الموحدين فهم أحسن حالا ً من أبى طالب، هذا بالنسبة لأهل الكفر، فأبو طالب أخف الكفر عذاباً «نعلان يغلى منهما دماغه» يستفاد من الحديث أن الأصل فى الكفار واليهود و النصارى والمشركين أنهم حطب جهنم ، وأنهم يخلدون فى الجحيم ، والحديث صريح فى هذا، ويؤخذ من الحديث إثبات الجزاء والحساب وعذاب الآخرة.

الشفاعة الثالثة: شفاعة الرسول فى أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، والأدلة فى هذا متواترة، ولا يدخل الجنة أحد قبله ، فحين يأذن لهم يدخلون، وأسعد الناس بشفاعته من قال لا إله إ لا اللّٰه خالصاً من قلبه، فحين قال أبو هريرة للنبى : «يا رسول اللّٰه من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال النبى : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا أحد قبلك، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا اللّٰه خالصاً من قلبه» رواه البخارى وغيره.

ويؤخذ من هذا أن الشفاعة خاصة بأهل

التوحيد، أما الوثنيون والمشركون فلا شفاعة لهم؛ قال الله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ .

الشفاعة الرابعة: شفاعته في قوم دخلوا الجنة ترفع منازلهم، فقال النبى في أبى سلمة: «وارفع درجته فى المهديين » شفع له فى رفع درجته.

الشفاعة الخامسة: شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن استحق النار ألا يدخلها، وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله تعالى- فى تهذيب السنن أنه لم يقف على نص فى هذه المسألة وهذا حق؛ لم يرد نص صريح فى هذه المسألة ، هناك حديث ضعيف رواه أبو نعيم فى الحلية ، وجاءت الأدلة العامة فى هذا الباب.

الشفاعة السادسة: شفاعته فيمن دخل النار أن يخرج منها وهذه التى يكابر بها أهل البدع من المعتزلة والخوارج وغيرهم حيث يرون تخليد أصحاب الكبائر فى النار وأن من دخل النار لا يمكن أن يخرج منها، وقد جاءت الأحاديث عن النبى متواترة ، وجاء فى الباب ما لا يقل عن أربعين حديثاً ، ويقول الله –جل وعلا- يوم القيامة: «شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا شفاعة أرحم الراحمين، فيقبض قبضة

من النار فيخرجهم ويدخلهم الجنة» وهذا جاء فى الصحيح، وهو نص صريح فى خروج قومٍ من النار ، والنبى يشفع فى هؤلاء .

والشفاعة غير خاصة أيضاً بالنبى تقدم أن الرب يشفع والملائكة تشفع والنبى يشفع و المؤمنين يشفعون، هذا نص صريح، قال الله –جل وعلا-" شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون.

فالشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته ، فهذا ضرب من ضروب الشفاعة، أما الشفاعة العامة فخاصة بالنبى ، شفاعة النبى فى أبى طالب خاصة به، أما الشفاعة فى قوم استوجبوا النار ألا يدخلوها أو قوم دخلوها أن يخرجوا منها فهى عامة له ولأمته، فإنه أتى بأمر يستحق أن يكون شفيعاً، وهذا الأمر كما تقدم تنكره المعتزلة و الخوارج، للأصل الثابت الموجود فى مذاهبهم من دعوى تخليد أصحاب الكبائر فى النار ، وهذا خلا ف الإجماع ، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله ، وما أجمع عليه الصحابة والتابعون والأئمة المتبوعون.

والأدلة فى هذا الباب متواترة ليست من أخبار الآحاد كما يدعى أهل البدع بل هى أدلة متواترة،

ولو كانت من أخبار الآحاد لوجب العمل بها، فما ثبت إسناده إلى النبى وجب العمل به ، إلا أن الأ مر بخلاف ما يتوقعون أو يتصورون فالأدلة فى هذا الباب متواترة ولذلك قال النبى : «إن اللعانين لا يكونون شفعاء يوم القيامة» صحيح أن الشفاعة مثبتة وواقعة لا محالة.

قوله: "ويخرج اللّه من النار أقواماً بغير شفاعة ، بل بفضله ورحمته " أى بغير شفاعة أحد من البشر، يدل على ذلك الحديث المتقدم، ولكن تسمى شفاعة من رب العالمين، لأن اللّه سمى ذلك شفاعة؛ قال فى الحديث «شفاعة الملائكة وشفاعة النبيين وشفاعة المؤمنين ولم يبق إلا شفاعة أرحم الراحمين» وهو الحديث الصحيح، فسمى اللّه ذلك شفاعة، وقد يقصد الشيخ أيضاً الأمر الآ خر، أنه يبقى فى الجنة فضل عمن دخل النار من أهل الدنيا، فينشئ اللّه أقواماً فيدخلهم الجنة، أى يخلق اللّه أقواماً فيدخلهم الجنة.

والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرت على قلب بشر، والصواب أن الشيخ -رحمه اللّه تعالى- يقصد فى قوله يخرج اللّه من النار أقواماً بغير شفاعة، أى إشارة إلى ما تقدم، وهذا الذى تقدم يسمى شفاعة ويبقى فى الجنة فضل

عمن دخل من أهل الدنيا ، فينشئ الله أى : يخلق الله أقواماً فيدخلهم الجنة، فيؤخذ من ذلك :

الأمر الأول: الإيمان بالجنة والنار.

الأمر الثانى: أن الله -جل وعلا- يخلق أقواماً فيدخلهم الجنة ولم يكن لهم سابق حياة فى الدنيا.

الأمر الثالث: سعة رحمة الله فى هذا الموقف، يدل على ذلك أن الله -جل وعلا- أنزل مائة رحمة واحدة يتراحم بها أهل الأرض، واختبأ عنده تسعة وتسعين رحمة، ولذلك أيضاً يقول النبى : **«ما من نبى إلا تعجل دعوته لأمته قبل يوم القيامة، واختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»** وهذا فى الصحيح.

ومن فوائد هذا أيضاً، ذاك اليوم الآخر ، وأن هذا الأمر متحقق لا محالة، ما تسمعون عن قريب تعاينون، وفى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** فالذين يسمعون هذا لا يحصلونه إلا بـ الجد والاجتهاد والعمل وأداء الواجبات والانتهاء عن المحرمات فإن الجنة طيبة ولا يدخلها إلا

الطيب ، ولذلك اشتكت النار والجنة إلى ربها فقالت النار: يا رب مالى لا يدخلنى إلا المتكبرون و المتجبرون، وقالت الجنة: يا رب مالى لا يدخلنى إ لا الضعفاء والمساكين فقال الله -جل وعلا- للنار: أنت عذابى أضع فيك من أشاء، وقال الله -جل وع لا- للجنة: أنت رحمتى أضع فيك من أشاء ولكل ملؤها.

قوله: "وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة و الثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة فى الكتب المنزلة من السماء" قدم فى بداية الشرح أن هذا الأمر سبقت عليه اليهودية و النصرانية واتفق عليه أهل الإسلام، وأن هذا مما جاءت به الكتب المنزلة، والذين لا يؤمنون بذلك هؤلاء ممن نالتهم أيدى التحريف، وإنه فى الأصل فى الكتب المنزلة أن هذه الغيبيات موجودة فى كتبهم، فأصناف اليوم الآخر من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار، هذا موجود فى التوراة والإ نجيل والزبور والقرآن، والذين لا يؤمنون بذلك ك الدهرية المنتسبين لأمة محمد ، أنزل عليهم القرآن ولكن ضلوا الطريق واحتوتهم أسباب الشقاوة فلا يؤمنون باليوم الآخر ولا يختلف العلماء بأن هذا كفر بالإجماع المسلمين سواء كان

فى اليهودية أو النصرانية أو فى الإسلام،

قوله: "والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء " أى: وهذا جاء فى الآثار وفى الكتب وفى المأثور عن الأنبياء كما قاله عنهم أصحابهم فلا يختلفون فى الإيمان بالحساب والعقاب والجنة والنار.

قوله: "فالعلم الموروث عن محمد من ذاك ما يشفى ويكفى "فنحن نستغنى بالمنقول عن محمد عن المنقول عن غير الأنبياء ولكن لابد أن نبلغ الآ خرين أنه موجود فى كتبهم الإيمان بالجنة والنار و الحساب والعقاب وهذه الأمة مأمورة بتبليغ الحق وتبليغ الإسلام إلى اليهود والنصارى والمشركين و المجوس وغيرهم.

قال الله -جل وعلا-: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وقد كان النبى يبعث أصحابه إلى الهجر والقرى والأمصار يبلغون الحق ويعلمون الناس ويدعونهم إلى الإسلا م، فقد بعث معاذاً إلى اليمن، ويوم خيبر بعث علياً ، وأمره أن ينزل إلى ساحتهم ويدعوهم إلى الإس لام وقال: «فوالله لأن يهدى الله بك رجلا ً واحداً خير لك من حمر النعم» والخبر فى الصحيحين.

وقال تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ قال الحسن البصرى هذا ولى الله، هذا حبيب الله، هذا صفوة الله دعاه الله فأجابه، معنى الآية: لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله، وقد بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، وقال الله تعالى فى حق نبينا ونحن مأمورون باتباعه: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا .

قوله: "فمن ابتغاه وجده " أى فمن ابتغى الحق والمأثور عن النبى أو المأثور عن الأنبياء فى هذا الباب يجده فلا يعوزه ، والذى يعوز المعرضين وقد توعدهم الله بقوله: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا والآية الأخرى: فَأَعْرَضَ عَنْهَا وقد قال الله عن الكفار: وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ فالذين يعرضون عن الحقائق، يعرضون عما جاءت به الرسل، هؤلاء يعرضون عن الله أبداً.

وأهل السنة يؤمنون بكل ما جاء وبكل ما ذكر فى هذا المقطع ، وأن الأدلة متواترة فيه ، وليست

هذه المسألة ممالم يتفق عليه العلماء، بل هم متفقون على الحساب والعقاب والثواب والجنة و النار وغير ذلك والله أعلم.

ومراتب القدر، فإن هذه العقيدة الواسطية على اختصار كلماتها وقلة ألفاظها مشتملة على أصول عقائد أهل السنة والجماعة، فالشيخ -رحمه الله تعالى- يفصل فى موضع ثم يختصر فى موضع آخر ويأتى بالمقصود بعبارة واضحة جلية لا لبس فيها.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: فهم الفرقة الناجية وهم الطائفة المنصورة سماهم النبى بذلك لنجاتهم من أهل البدع، وسلامة عقائدهم

ومقاصدهم وحسن سيرهم، وهم وسط بين أهل البدع فى كل شىء؛ فى أسماء الله وصفاته، وفى القدر، وفى الوعد الوعيد، وفى أسماء الإيمان و الدين، ولقد تواتر النقل عن النبى أنه قال: «ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» هذا إشارة إلى قلتهم، وفى نفس الوقت هم فئة يلاقون ويعانون من الآخرين فيكون هذا معيناً على ثباتهم ومثبتاً لأ قدامهم، حتى يأتى أمر الله الريح التى تقبض روح كل مؤمن لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، حين لا يقال فى الأرض الله الله.

قوله: " من أهل السنة والجماعة" من أهل السنة أى المتبعين لسنة النبى ، المقتفين لآثار ذلك، فقد قال بعض السلف: السنة التى ليس لها اسم إلا السنة، والسنة تطلق على عدة معانٍ وقد جرت عادة الفقهاء على إطلاق السنة على ما أثيب فاعله ولم يعاقب تاركه، وهذا اصطلاح فقهى، و السنة أعم من هذا، السنة مشتملة على كل أفعال النبى وأقواله واعتقاده فمن ذلك الواجب و المندوب والمستحب وغير ذلك، ولا يجوز حمل لفظ السنة فى الوارد عن النبى على المعنى الفقهى الاصطلاحى، فحين نقول من السنة إعفاء

اللحية، لا يعنى هذا أن حلقها جائز ولا يأثم، لا يقول بذلك أحد من العلماء، المقصود من السنة إعفاء اللحية أنها سنة النبى بصرف النظر عن حكم ذلك.

حكى الإمام ابن حزم الإجماع فى مراتب الإ جماع على أن إعفاء اللحية فرض، ولا يزال العلماء يقولون فى سنة النبى كذا، وهذا الذى نقله عنه أهل الحديث، حين يسمون كتبهم كتب السنة؛ قال عبد الله ابن الإمام أحمد فى كتابه الاعتقاد يقول: كتاب السنة، والسنة للخلال، والسنن لأبى داود، سنن الترمذى، سنن النسائى، سنن ابن ماجة، كل هذا من هذا القبيل، إذًا السنة تطلق على عدة معانٍ ؛ تطلق على الفرض، تطلق على الركن، تطلق على الواجب، تطلق على المسنون، والمسنون مراتب، و السنة المؤكدة، التطوع، المستحب وغير ذلك.

قوله: " الجماعة"، أى اجتمعوا على كتاب الله، واجتمعوا على سنة رسول الله وعلى حب الصحابة وعلى موالاتهم ونصرتهم.

قوله: "فى القدر"، قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- فى تعريف القدر: هو قدرة الرحمن، ومعنى قدرة الرحمن: أى لا يمنع من قدر الله شىء، وقد

أشار إلى هذا الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- فى النونية فقال:

وحقيقة القدر الذي حار		في شأنه هو قدرة
واستحسن ابن عقيل ذا		لما حكاه عن الرضا
قال الإمام شفى القلوب		ذات إختصار وهي ذات

ولا يختلف العلماء على تحريم الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصى، بخلاف وقوع المصائب.

عند مراد الله تفنى		وعند مراد النفس تُسدي
وعند خلاف الأمر تحتج بـ		ظهيراً على الرحمن بـ

فالاحتجاج بالقدر على المعاصى نوعان؛ النوع ا لأول: أن يجعل هذا مبرراً ومسوغاً لفعل المعاصى وهذا لا يختلف العلماء فى تحريمه وتجريم فاعله ووصفه بالضلال والابتداع والانحراف.

النوع الثانى: أن يبذل جهده ويفعل بالأسباب ويترتب على ذلك فعل المعصية لخروج ذلك عن قدرته، فلا حرج أن يقول هذا قدّره الله علىّ، كما ق ال آدم لموسى: (تلومنى على أمر قد قدره الله علىّ) لأنه فعل الأسباب، فلم يجعل القدر مسوغاً لفعل المعصية، فهو قد جعل القدر حين وجدت الأ سباب مسوغاً للعذر، وليس مسوغاً للمعصية، ففرق بين الأمرين.

والذين يحتجون بالقدر على فعل المعاصى يناسبهم إلقاء أنفسهم مَنْ الجبال الشاهقة والعمائر المرتفعة، ويحتجون للناس بالقدر؟ ! لا يصنعون ذلك، أو بطعن أنفسهم بالسكاكين والخناجر ؟ ! لا يفعلون ذلك، فهم يحتجون بالقدر على فعل المعصية، ولا يتجاسرون على الاحتجاج بالقدر على إلقاء النفس فى التهلكة.

ولذلك ذكر العلماء – رحمهم الله تعالى – عن القدرية فى هذا الباب مَنْ الأدلة على ضلالهم وتجردهم مما أمر الله به الشىء الكثير، حتى إن بعضهم مَنْ ضلاله وحمقه حين رأى رجلا ً فوق امرأته، وأراد أن يعاقبه قال له الآخر: «قدر». قال: صدقت.

فهم بهذا الاعتقاد الفاسد والفهم الخبيث لكلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – و الواقع يقعون فى مثل هذه الجرائم، فى مثل هذه التجاوزات والمخالفات، حتى الإنسانية ولذلك يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – عن القدر: نظام التوحيد. لا ينتظم التوحيد إلا بالإيمان بالقدر ، ولذلك يقول النبى – صلى الله عليه وسلم – «و مَنْ لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بـ

النار». وحين جاء أناسٌ إلى ابن عمر يقولون: إن ا لأمر أنف، قال ابن عمر: أخبرهم، أنى برىء منهم، وأنهم برءاء منى، والذى يحلف به ابن عمر: لا يؤمن أحدهم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، قال تعالى: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ..

قوله: "خيره وشره". أى الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة – يؤمنون بالقدر خيره وشره، لا يؤمنون بالخير دون الشر، أو بالشر دون الخير، كما تقول القدرية حيث يقولون: إن الشر غير مخلوق لله. هذا ضلال وانحراف، الشر مخلوق لله كالخير، لا يخرج شىء عن خلق اللّه – جل وعلا – ولذلك هم بهذا الاعتقاد يجعلون مع اللّه إلهاً آخر، وهذا هو السر فى كون العلماء يسمون القدرية مجوس هذه الأمة، المجوس يجعلون للعالم خالقين، خالق النور وخالق الظلمة، وعند المجوس أن خالق النور أعظم مِن خالق الظلمة. وهذا بلا ريب كفر باللّه، لا يختلف فى ذلك العلماء. تروى أحاديث مرفوعة عن النبى صلى اللّه عليه وسلم أن «القدرية مجوس هذه الأمة» ولا تصح، والصواب وقفها على الصحابة – رضى اللّه عنهم – الذى تأخرت وفياتهم.

والقدرية يسمون مجوس هذه الأمة لأنهم يقولون إن اللّه – جل وعلا – خلق الخير ولم يخلق الشر، ففى هذه الحالة يشابهون المجوس فى جعل خالق مع اللّه.

قوله: (والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين).

وأهل السنة يؤمنون بكل ذلك، يؤمنون بالقدر إجمالا ً فى الإجمال وتفصيلا ً فى التفصيل.

وأقوى مَنْ كتب فى هذا الموضوع هو الإمام ابن القيم – رحمه اللّه تعالى – فى كتابه «شفاء العليل»، وجميع مَنْ كتب بعده استفاد منه، لأن الكتاب جامع فى هذا الباب، فتحدث عن هذا الموضوع بقوة، وتحدث عن أهمية هذا الباب، وأن طوائف مِنْ أهل البدع قد ضلت أفهامهم، وزلت أقدامهم فى هذا الباب العظيم الذى هو سر الإيمان ونظام التوحيد.

وتحدث عن هذا الموضوع أيضا بتوسع شيخ ا لإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه تعالى – فى كتابه القدر، وهو مطبوع وموجود فى الفتاوى، وفى صلب هذا الكتاب أسئلة وأجوبة للشيخ – رحمه

الله تعالى – عن هذا الموضوع.

قوله: " الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله – تعالى - عليم بالخلق" الله جل وعلا – موصوف بالعلم، و لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء، " وما هم عاملون" بعلمه القديم، أى عليم بالخلق وبما يعملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا ً وأبداً، وأن الله يعلم ما كان وما يكون، وما لو كان سوف يكون، هذا رد على القدرية الذين يقولون إن الله لا يعلم بالأشياء إلا حين وقوعها، وهذا وصف لله بالجهل وعدم القدرة وعدم العلم، تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً.

الدرجة الأولى أن أهل السنة يؤمنون بأن الله عليم بالخلق وبما كانوا يعملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا ً وأبداً.

وهو العليم أحاط علماً بالذي

في الكون من سر ومن إعلان

وبكل شيء عِلمُهُ سبحانه

فهو العليم وليس ذا نسيان

قال تعالى: لِتَعْلَمُوا أَنّ اللهَ عَلَى كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَىْءٍ عِلمًا .

قوله: (وعلم جميع أحوالهم).

حيث لا يخفى عليه شىء، يعلم الكليات، ويعلم الجزئيات. ويعلم ما كان، ويعلم ما يكون، ويعلم ما لو كان سوف يكون.

والإيمان بكل ذلك فرض، لا يعذر أحد بإنكار شىء من ذلك، والناس يتفاوتون فى قوة الإيمان و الصدق واليقين فى هذا الباب على حسب تفاوت إيمانهم، فإن الإيمان مراتب ودرجات.

قوله: (من الطاعات والمعاصى).

أى علم الله جل وعلا أحوال العباد مما سوف يفعلون، مما فعلوا ومما سوف يفعلون من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال، وقد جاء فى صحيح مسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**» إذًا "لو" لا تنفع فى هذا الباب فحين يمر بالطريق ويسقط عليه حجر ويؤلمه، فلا وجه لقوله: لو أننى لم أمر من هذا المكان ما أصابنى شىء، هذا اعتراض على القدر، النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: «**فإن أصابك شىء فلا تقل: لو أننى فعلت كذا وكذا. ولكن قل:**

قَدّرَ اللّه وما شاء فعل». وهناك قراءة فى هذا اللفظ: «ولكن قل: قدَرُ اللّه وما شاء فعل» يضبط بالوجهين، وكلاهما صحيحان عند أهل العلم، قَدّرَ اللّه وما شاء فعل، قَدَرُ اللّه: أى هذا قدر اللّه: خبر لمبتدأ محذوف، وما شاء فعل.

قال تعالى مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا أى نخلقها إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ »

قوله: (ثم كتب اللّه فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق).

قال اللّه جل وعلا: مَا يُبَدّلُ الْقَوْلُ لَدَىّ وَمَا أَنَا بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ ، إذا ما معنى قوله – صلى اللّه عليه وسلم «من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه». إذا كان هذا مكتوباً لا يتغير ولا يبتدل فما معنى قوله – صلى اللّه عليه وسلم: «من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه» مفهومه أن الذى لا يصل رحمه يختلف أجله عن أجل الذى يصل رحمه.

الجواب عن هذا أن الذى يتغير ويتبدل هو ما

كان فى علم الملائكة، وأن ما كان فى علم اللّٰه فإنه قد فُرغ منه، قال اللّٰه – جل وعلا: وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ، بمعنى أنه فى علم الملائكة وما كان فى صحفهم أن من يصل رحمه سوف يكون عمره ثمانين عاماً، ومن لم يصل رحمه سوف يكون عمره خمسين عاماً، وفى علم اللّٰه قد فرغ منه، سوف يصل أو لن يصل، لأن اللّٰه عليم أن الخلق عاملون، وموصوف -جل وعلا- بالعلم الذى هو صفة أزلية أبدية، لا يمكن أن تنفك عن اللّٰه فى يوم من الأيام أو ساعة من الساعات أو لحظة من اللحظات، فيوصف بأنه ليس بعالم، هذا لا يمكن أبداً.

وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة فى مثل هذا ، واللّٰه – جل وعلا – كتب ذلك فى اللوح المحفوظ، فيؤخذ من ذلك وصف اللّٰه – جل وعلا – فى كتابه، فتقدم قوله – صلى اللّٰه عليه وسلم – أن اللّٰه قدر مقادير الخلق، وجاء فى الحديث أن اللّٰه كتب مقادير الخلق، وقال عبد اللّٰه: إن اللّٰه كتب. وغير ذلك من الأدلة الواردة فى هذا الباب.

قوله: (فأول ما خلق اللّٰه القلم).

يحتمل هذا أحد معنيين: المعنى الأول: أن أول خلقٍ لله هو القلم، والمعنى الثانى: أن القلم ليس

بأول المخلوقات، ولكن معنى الحديث أنه حين خلق الله القلم قال: اكتب، فهذا هو معنى: إن أول ما خلق الله القلم، أي: حين خلقه، وقت خلقه قال له: اكتب. وهذا المعنى أفصح من القول بأن القلم هو أول المخلوقات. هذا فيه نظر، وقد أشار إلى هذا الخلاف ابن القيم فى النونية فقال:

والناس مختلفون في القلم
كتب القضاء به من الديانِ
هل كان قبل العرش أو هو بعده
قولان عند أبي العلا الهمذاني
والحق أن العرش قبلُ لأنه
وقت الكتابة كان ذا أركان

قوله: " قال له اكتب". قال: ما اكتب ؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. والأدلة فى هذا كثيرة، كحديث عبادة عند الإمام أحمد وغيره.

ولا يختلف العلماء أن الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، فحين قال جبريل صلى الله عليه وسلم: قولا يختلف العلماء أن الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، فحين قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم: «ما الإيمان ؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد

الموت، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره».

وحين خُلِقَ القلم أمره الله أن يكتب، قال القلم: وما أكتب؟ أنطقه الله الذى أنطق كل شىء هذا على حقيقته، أن القلم تكلم، نؤمن بذلك لأن الله أخبر عن ذلك، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. إشارة إلى علم الله، ففيه إثبات صفة العلم ، فيه إثبات صفة القدرة، وفيه إثبات صفة العظمة لله -جل وعلا – فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف، إشارة إلى كتابة كل شىء، فإن طى الصحف وجفاف الأقلام دليل على أن الأقدار قدرت، وفرغ منها.

كما قال تعالى أَلَمْ تعْلَمْ أَنّ اللَّهَ يَعْلَمُ فيه إثبات صفة العلم لله – جل وعلا – مَا فِى السّمَاءِ وَالْأَرْضِ فيه إثبات صفة الخلق، وذلك فى ذكر ما فى السماء والأرض، إِنّ ذَلِكَ فِى كِتَابٍ ، الكتاب هذا هو اللوح المحفوظ، إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ : أى لا يعجزه، ولا يكرثه، ولا يثقله، ولذلك جاء فى الصحيحين أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الله كتب كتاباً، فهو موضوع عنده فوق العرش، إن رحمتى سبقت – وفى

رواية: غلبت - غضبى»

وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ . أى من الأ مراض والفقر والشدائد والحوادث والفتن وغير ذلك ﴿فِى الْأَرْضِ﴾ : أى من قلة النبات ونحو ذلك ﴿وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ﴾ : أى من الفقر أو الأمراض، ﴿إِلَّا فِى كِتَابٍ﴾ أى هذا أمر مقدر قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، حين كان عرشه على الماء.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أى نخلقها، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أى: لا يعجزه. ففيه إثبات صفة القدرة لله – جل وعلا – وفيه بيان عظمة الله – جل وعلا – وفيه ضرورة الإيمان بالقدر خيره وشره وأنه خلق الخير وخلق الشر، فكلاهما مخلوقان لله – جل وعلا.

وهذا التقدير التابع لعلمه- الشيخ ذكر فى ذلك الباب درجة العلم المتضمنة لشيئين: الشىء الأول: أن الله عليم أن الخلق عاملون. النقطة الثانية مرحلة أو مرتبة الكتابة.

وهذا التقدير التابع لعلمه – سبحانه – يكون فى مواضع جملة وتفصيلا، فقد كتب فى اللوح

المحفوظ ماشاء، يقول- جل وعلا – كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، ما معنى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ؟ معنى ذلك أنه كل يوم هو فى شأن: يعز ذليلا ً، يذل عزيزاً، يخلق، يميت، يدبر، يبيد، ينفع، يضر، وغير ذلك كل يوم هو فى شأن.

وقوله: (إذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً). الصواب أن نفخ الروح يكون بعد مائة وعشرين يوماً، " بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له اكتب رزقه"، فيه إشارة إلى أن كتب الرزق والأجل تعلمه الملائكة بعد أمرهم بذلك، إذًا لا يختص به الرب – جل وعلا – إذًا ما معنى قول الله – جل وعلا: وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ .

اختلف العلماء فى معنى هذه الآية: وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ على مذاهب.

-المذهب الأول: المذهب الذى يظنه كثير من الناس: وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ أى لا يعلم ما فى بطن المرأة من الذكر أو الأنثى إلا الله، وهذا غلط، لأن الحديث صريح فى رده. ولذلك بعض الناس الآ ن يتأولون بمعرفة الأطباء بما فى بطن المرأة، ويعتبرون هذا من علم الغيب، ويلجأ البعض إلى

التبديع والتضليل وغير ذلك، فهذا ليس له أصل من الصحة ولا أثارة من العلم، وهذا جهل ممن يتكلم فى هذه القضايا بدون علم.

-المعنى الثانى: وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ : أى قبل أمر الملك. وهذا أيضا فيه نظر.

-والمعنى الثالث: وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ : أى يعلم ما يودع فى الرحم من ذكر أو أنثى. وهذا الصواب فى المسألة، وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ : أى يعلم ما يودع فى الأرحام من الذكر أو الأنثى، هذه النطفة التى تكون ذكراً أو تكون أنثى، وإن كان هذا لا يختص بعلمه الرب – جل وعلا.

قوله: "بعث إليه ملكاً". لا يختلف العلماء أن الملائكة مخلوقون من نور، فإن قال قائل: إذا كان الملائكة مخلوقين من نور، فكيف يكون إبليس مخلوقاً من نار وهو من الملائكة ؟ الجواب: أنه لم يثبت أن إبليس من الملائكة.

وأما قوله –جل وعلا: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ فهذا الاستثناء استثناء منقطع وليس بمتصل، كقول اللّٰه جل وعلا: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ

الأولى ، وكقول العرب: قام القوم إلا حماراً. الحمار ليس من جنس القوم، فهذا الاستثناء منقطع، فإبليس كان من المقربين، ولم يكن من الملائكة المخلوقين من نور، كان مخلوقا من نار، والدليل على هذا قوله – جل وعلا – فى سورة الكهف: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ نص صريح إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ فهذه الآية توضح كل آية فى القرآن، والآيات يفسر بعضها بعضاً، وهو نفسه يقول: خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ فهو مخلوق من نار، ما خلق من نور، و النور أشرف من النار.

فقوله "فيؤمر أى الملك – بأربع كلمات، يقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ونحو ذلك. يعنى أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك:

توكلت في رزقي على الله خالقي
وأيقت أن الله لاشك رازقي
ومايك من رزق فليس يفوتني
ولو كان في قاع البحار العوامق
سيأتي به الله العظيم بموضع
ولولم يكن مني لسان بناطق

وليس معنى هذا أن العبد لا يعمل بالأسباب هذا غلط، فالأمر كما قال شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – فى الفتاوى: " الاعتماد على الأسباب شرك فى التوحيد، وترك الأسباب خلل فى التوحيد "، فالذين لا يأتون بالأسباب هؤلاء يخالفون منهج الرسل، والذين يعتمدون على الأسباب دون الله هؤلاء المشركون بالله – جل وعلا – الموحد يسير فى هذه الحياة على فعل الأسباب، وعلى التوكل على خالق الأسباب: وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

إذا انقطعت أطماع عبد عن
تعلق بالرب الكريم رجاؤه
فأصبح حراً عزة وقناعة
على وجهه أنواره وضياؤه
وإن علقت بالخلق أطماع نفسه
تباعد ما يرجو وطال عناؤه
فلا ترج إلا الله في الخطب
ولو صح في خل الصفاء صفاؤه

قال الشيخ: (هذا التقدير كان ينكره غلاة القدرية قديما، ومنكروه اليوم قليل).

يعنى الشيخ بكلامه أن القدرية كانوا من قبل بقيادة الجعد بن درهم يقولون أن الله – جل وعلا – غير موصوف بالعلم القديم، وأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، وقد كان أئمة القدرية من قبل ينكرون هذا، وكان هذا بكثرة فى بداية ظهور أهل البدعة، ولكن يقول الشيخ: "ومنكروه اليوم قليل "، نعم، ولا يزالون ينقصون فى كل عصر، ولكن القسم الثانى هم الذين يتواجدون بكثرة، ونتحدث عنهم إن شاء الله تعالى غداً، والله أعلم.

-السائل: تأتى «السنة» على إطلاقها بأكثر من معنى، فما هذه المعانى؟

- الشيخ: هذا واضح: أن النبى – صلى الله عليه وسلم – فى إطلاق السنة أطلقت على عدة معان، فتارةً تأتى على معنى ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، وتارةً تأتى على معنى النفل، وتارةً تأتى على معنى الفرض، فقد تأتى السنة على إطلا قها على عدة معانٍ، والأصل فى إطلاق السنة أنها هى الطريقة والمنهج، وهذه الطريقة والمنهج منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب.

- السائل: طيب «عليكم بسنتى»؟

- الشيخ: «عليكم بسنتى» هنا: أى الطريقة و المنهج المحتوية لكل مراتب الإيمان من القول و العمل والاعتقاد.

- السائل: من راوى حديث «لا تقوم الساعة حتى لايقال فى الأرض الله الله»؟

- الشيخ: حديث «لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض: الله، الله»رواه مسلم، عن زهير بن حرب عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه.

- السائل: مالمقصود بقول النبى – صلى الله عليه وسلم: «حتى لا يقال فى الأرض الله الله»؟

-الشيخ: «حتى لا يقال فى الأرض الله الله»: ليس معنى هذا كما يفهم الصوفية والمنحرفون وأهل البدع والضلال أن الإنسان يقول: الله. الله. يعظم الله – جل وعلا – بذلك، لا، بل معنى «حتى لا يقال: الله، الله» أى حتى لا يوجد أحد يعرف الله، ولا يذكر الله، هذا المعنى فى الحديث.

- السائل: وَصْفُ الله بالكتابة، هناك من يقول أن القلم هو الذى كتب، وأن الله خلق القلم وأمره.

-الشيخ: والحديث الآخر: «إن الله كتب كتاباً» يوصف الله بالكتابة، إن الله يكتب.

-السائل: كيف نوفق بين الحديث القائل ببقاء الفرقة الناجية وبين حديث أن القيامة لا تقوم إلا على شرار الخلق؟

-الشيخ: نعم: لكن أنا أشرت إشارة فى الدرس قلت إن الفرقة الناجية تبقى إلى أن تأتى الريح فتأخذ روح كل مؤمن، وكما تقول إحدى الروايات: فلا يبقى أحدٌ فى الأرض يقول – أو يذكر- الله، وحينها تقوم الساعة على شرار الخلق، كما فى حديث ابن مسعود فى الصحيحين: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء».

- السائل: هناك مقولة تجعل الأشياء منقسمة إلى قسمين: خير محض، وشر محض، فهل هذه المقولة صحيحة ؟

-الشيخ: هناك شيئان، الأخ يقول يعنى: خلق من مخلوقات الله، خير محض أو شر محض، الخير المحض موجود نعم، الملائكة خير محض، الجنة خير محض، الرسل خير محض، أما الشر المحض ف لا يوجد، ولكن هناك بعض الأشياء قد يقال فيها

شر محض كالشرك، لكن آثار ذلك، الآثار المترتبة على وجوده ليست شرا محضا، لكن هو شر محض، ولكن المتكلمين - من أهل السنة – حينما يقولون أن لا خير محض أو شر محض، فهم يتكلمون عن المصائب، لا يتكلمون على كل شىء، يقول لا «خير محض» أو «شر محض»فى المصيبة.

-السائل: أى الفرقتين أكثر شراً، الجبرية أم القدرية؟

-الشيخ: هو فى كلٍ شر الجبرية والقدرية، ولكن الجبرية ليس لهم من النفوذ والشيوع، أما القدرية فلهم مذهب معروف، ولهم أتباع وأنصار، ولهم أصول، ويأتى فى هذا الإشارة إليهم، ولذلك العلماء كتبوا فى القدرية ولم يكتبوا فى الجبرية، لأن الجبرية فرع عن القدرية، فالقدرية من هذا الباب أشر، وأضل سبيلا ً، وأخطر على مذاهب أهل السنة من الجبرية، وفى كلٍ شر.

-السائل: لماذا يعد الإيمان بالقدر نظام التوحيد؟

-الشيخ: لأن التوحيد لا ينتظم إلا بالقدر، فالذى لا يؤمن بالقدر ما عنده نظام للتوحيد، لأن الأمور كلها مبنية على القدر، الطاعات على القدر فالذى لا

يؤمن بالقدر، إذًا ما عنده نظام للتوحيد، ولذلك النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: «**من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**» وهو أحد أركان الإسلام، ولذلك كل خلق مخلوق بالقدر: **إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** فمن ينكر القدر إذا أنكر نظام التوحيد، أنكر نظام الخلق ككل.

-السائل: القول بعدم الخوض فى القدر

-الشيخ: ليس على إطلاقه، يعنى هناك مقولة تقول أن الإنسان لا يخوض فى القدر، صحيح أنه كما قال ابن القيم فى مقدمة «شفاء العليل»: "قد ضلت أفهامهم، وزلت أقدامهم "، فهؤلاء الذين يخوضون بدون علم، ويتعمقون فى ذلك، فهذا نعم ينهى الإنسان عن التعمق، أما الإيمان بالقدر المذكور فى الكتاب والسنة فهذا شرط للإيمان لابد أن يأتى به العبد، أما التعمق فى ذلك للذين لا يفهمون نعم ينهى عن ذلك. هناك كتب-كما قلت قبل قليل – مؤلفة فى القدر، كتب جيدة، مثلا: «شفاء العليل» لابن القيم – رحمه الله تعالى – كتاب «القدر» لابن تيمية – رحمه الله تعالى، كتاب الشيخ حمدان حمد فى القدر جيد ومفيد، هذه كتب جيدة ونافعة فى القدر ننصح الإخوة بقراءتها

، لأن المؤلفين – ولله الحمد – من أهل السنة – فهم خير من كتب عن القدر.

-السائل: كيف يجمع بين حديث حذيفة الوارد بأن النطفة إذا بلغت أربعين يوماً كتب أجلها ورزقها وبين حديث..

-الشيخ: نعم، ابن مسعود، صحيح، الأخ يقول: ما هو الجامع بين حديث حذيفة الوارد فى مسلم بأن النطفة إذا بلغت أربعين – وفى رواية اثنين وأربعين يوماً – كتب أجلها ورزقها ونفخ فيها الروح، وبين الأحاديث الدالة – كحديث ابن مسعود وغيره من الأحاديث – على أن النفس لا يكتب أجلها ولا رزقها حتى تبلغ وتستوفى مائة وعشرين يوماً؟

بعض الأئمة – كابن القيم – ذهب إلى حديث حذيفة، وأنه يكتب رزقها وأجلها لكن دون كتابة الم لائكة، بمعنى التقدير، ثم بعد مائة وعشرين يوماً يأتى الدور على كتابة الملائكة، وبعض العلماء ذهب إلى الترجيح، فيرجحون حديث ابن مسعود – لأنه فى الصحيحين – على حديث حذيفة، ولذلك الجمهور لا يرون تعلق الأحكام بالأربعين ولا بالثمانين، معنى ذلك أن المرأة إذا توفى زوجها

وهى حامل، ثم أسقطت النطفة هل تخلو من العدة ؟ الجمهور يقولون: لا، لا تخلو من العدة حتى لو كانت حاملا ً فى الثمانين، لأنه ما نفخ فيها الروح، فلا تخلو من العدة إلا فى نفخ الروح، ولا ينفخ فيها الروح إلا بعد مائة وعشرين يوماً، فبالتالى المرأة لو بلغت مائة وعشرين يومًا حاملا ً، ثم توفى زوجها، ثم أسقطت من روعة بلوغ الوفاة، فحينئذ نقول: خرجت من العدة؛ لإنها أسقطت مولوداً كائنا حيا قد نفخت فيه الروح.

فلذلك قول الجمهور فى الحقيقة أنه أقوى، وهناك بحث جيد أنصح بقراءته للإمام ابن القيم فى أحكام المولود، وبحث للدكتور على البار من الأ بحاث الجيدة فى هذا الباب، لأن هذا من الإشكالا ت الواردة عند أهل السنة وعند أهل العلم فى كتبهم ومؤلفاتهم، كما حكى ابن حجر فى الفتح، و النووى فى شرح مسلم، ولكن أوسع من بَحَثَ فى هذا هو الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – فى «طريق الهجرتين»وفى أحكام المولود، والدكتور على البار.

-السائل: ما أعظم ثمار الإيمان بالقدر عند المؤمن؟

-الشيخ: ثمار الإيمان بالقدر ! الإيمان بالقدر له ثمار عظمية جداً، من هذا وأعظم ثمار الإيمان بـ القدر أمور.

-الأمر الأول: انتظام التوحيد عنده.

-الأمر الثانى: أن كل مصيبة تهون عليه، الذى لا يؤمن بالقدر عنده اضطراب فى حاله وفى قلبه وفى سكينته، لأن كل مصيبة تمر به تقلقه وتفزعه، يقول: لو ما فعلت كذا لما كان كذا، ثم يقول: لماذا فعلت؟ يقلق، فبالتالى هو لا يبحث عن الإيمان بـ القدر الذى يؤدى به إلى: «الحمد لله، قدره الله على» فينتهى أمره وتنتهى هذه المرحلة، لكن الذى ما عنده إيمان قلق قلبه.

لذلك ذكر الإمام ابن القيم هذه الفوائد المهمة فى كتابه «الفوائد» عن الإيمان بالقدر.

ومن ذلك: من ثمار الإيمان بالقدر أن الله يرضى عنه، وإذا رضى الله عنه أحبه، وإذا أحبه بارك للعبد فى قوله وفى فعله.

ومن ثمار الإيمان بالقدر أنه يتبع سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المقتضية للسعادة الدنيوية والأخروية.

ومن ثمار الإيمان بالقدر أنه لا يقلق على مستقبل، ولا يحزن على فائت: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ، حين يقول: امرأتى عقيمة، أو يتأخر زواجه، أو المرأة يتأخر زواجها، أو تكون عقيمة، أو يصاب بكذا من المصائب، أو الحوادث وما إلى ذلك، أو يقل رزقه، أو رُزق فضاع عمله واحترق. الذى ليس عنده إيمان بالقدر يتلمظ، يحدث نفسه: لماذا هذا غنى وأنا فقير؟ لماذا هذا تزوج وأنا لم أتزوج؟ لماذا كذا ؟ لماذا كذا ؟ تراه دائما على لسانه الاعتراض، لكن الذى عنده إيمان بالقدر استراح، بينما هذا قلق، فبالتالى لا هو بالذى آمن بالقدر فحصل له الثواب، ولا بالذى سلم من العقاب، هو فى قلق نفسى وفى عقاب من رب العالمين، وفيه أيضاً تذبذب فى الإ يمان بسر التوحيد.

بخلاف ما لو آمن بالقدر لا يحصل له شىء من ذلك، آمن ورضى بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد – صلى الله عليه سلم – نبياً، فارتاح قلبه، واطمأن فؤاده، وحصل له من جراء ذلك الأجر والثواب.

-السائل: هل ورد نص بأن أتباع محمد –صلى

الله عليه وسلم- يدخلون الجنة قبل الأنبياء؟

-الشيخ: ماورد فى ذلك نص، لكن ورد فى نص يرجى القطع به أن أمة محمد –صلى الله عليه وسلم- تدخل قبل أتباع الأنبياء، ولم يرد نص أن أتباع محمد يدخلون قبل الأنبياء، لكن بعض النصوص تفيد أن كل نبى ومعه أمته، فتكون الأمة تابعة للنبى، فظاهر هذا ان محمداً سيدخل مع أمته قبل أن يدخل الأنبياء، ثم يدخل الأنبياء الذين يلون أمة محمد ومعهم أمتهم، هذا ورد من النصوص.

-السائل: هل هناك أنواع للإعراض؟

-الشيخ: نعم، الإعراض نوعان، بل الإعراض مراتب، هناك إعراض عن الحق، بلغه الحق فأعرض عنه يحمله على ذلك منصب أو جاه أو كبر، ويقع فى نواقض الإسلام لأجل إعراضه، وإعراض عن البحث عن الحق.

-السائل: هل حديث: «من تشبه بقوم فهو منهم» صحيح ؟

-الشيخ: حديث «من تشبه بقوم فهو منهم» جاء برواية، أولا ً: روى الحديث الإمام أحمد

-رحمه الله تعالى- وجاء من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبى منيب الجرشى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم، وإسناده جيد، فعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان سيئ الحفظ، ولم يتفرد به، وقد حسن الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فى اقتضاء الصراط المستقيم.

وهذا أخ كتب ورقة يقول: ما صحة هذا الحديث، وهذه الورقة فيها: من دعا هذا الدعاء استجاب الله له، كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم: «لو دعى بهذا لدعاء على مجنون لأفاق، ولو دعى بهذا الدعاء على امرأة قد أصابها عسر ليسره الله عليها: اللهم أنت الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الأول الأخر الظاهر الباطن الحميد المجيد » فيه سرد لبقية أسماء الله الحسنى إلى آخره.

عموماً هذا الخبر موضوع، ليس له أصل عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد من الصحابة، وأيضاً اتفق العلماء على أن سرد الأسماء لم يأت فيه نص عن النبى - صلى الله عليه وسلم - كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى.

-السائل: هل هناك نص صريح فى إثبات العينين لله –جل وعلا؟

-الشيخ: تقدم الحديث عن إثبات العينين لله – جل وعلا – وجرى الحديث أنه لم يرد نص صحيح صريح، وإنما جاء مفهوماً وأجمع عليه العلماء، كقول – صلى اللّه عليه وسلم - «إن المسيح الدجال أعور، وإن ربكم ليس بأعور». مفهوم الخطاب أن لله عينين، وأجمع عليه العلماء.

-السائل: إذا قال التابعى قولاً، هل يأخذ حكم المرفوع إلى النبى صلى اللّه عليه وسلم ؟

-الشيخ: لا، ليس له حكم المرفوع، إذا قال التابعى قولاً يأخذ حكم المرسل، ولا يأخذ حكم المرفوع إلى النبى – صلى اللّه عليه وسلم.

-السائل: هل اختار اللّه المشفوع فيهم من قبل؟

-الشيخ: تقصد اختارهم للشفاعة ؟ كل شىء مقدر منفذ، وكل شىء مقدر بالنسبة للشفاعة، وهذا على حسب مراتبهم الذين يستحقون الشفاعة يشفع اللّه – جل وعلا – فيهم، الشفاعة لا تنال كل شخص، ولكن بلا ريب الذى أجمع عليه المسلمون أن من مات على كبيرة، ولم يأت يوم القيامة

بناقض من نواقض الإسلام، أن مآله إلى الجنة مهما كان عذابه، وقد يخرج بشفاعة، فالذى يموت على الزنا، على شرب الخمر، على قتل النفس بغير حق، أو على كبائر الذنوب، من الربا والنمص و النامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرة وغير ذلك من الكبائر – هؤلاء معرضون للوعيد، وهم فى خطر شديد، ولكن لا يختلف العلماء أن هؤلاء لا يخلدون فى النار، وأن هؤلاء تنالهم شفاعة الشافعين، وأما قوله –جلا وعلا: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ فهذه الآية بالإجماع هى فى الكفار، خلافًا للمعتزلة والخوارج الذين يجمعون على أن الآية فى عصاة الموحدين، وهذا ضلال وانحراف.

﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ هذه فى الكفار ، واستدلال المعتزلة بهذه الآية على عصاة الموحدين ضلال، للأحاديث المتواترة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – وتقدم شىء من ذلك.

- السائل: هل يحرم عمل شريط أو غيره عن أحد العلماء والمشايخ؟

- الشيخ: لا، ليس من المحرم حين يخرج شريطا أو نشرة أو كتاباً أو مؤلفاً فى فضائل عالم،

هذا جرى عليه أئمة السلف، يكتبون عن علمائهم وعن مشايخهم، وعن أئمة الهدى ومصابيح الدجى، وعن الذين أجمع المسلمين على هدايتهم ودرايتهم ، وعن الذين ينتصبون للذب عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينفون عنهما تحريف الغالين وتأويل المبطلين وتحريف الجاهلين، فالكتابة عن هؤلاء مطلب، وذكر مآثرهم، بشرط أن لا يكون ذلك فيه غلو، وأما الكتابة عن هؤلاء فليس فيها شىء، بل هذا مطلب، ويُحَث الناس على الكتابة عن هؤلاء، لأنهم يقتدون بـ المعاصرين أكثر من اقتدائهم بالمتقدمين من الأ موات.

- السائل: هل هناك دليل على تسمية أولى العزم بهذا المسمى؟

- الشيخ: عبد الرحمن يقول عن تسمية أولى العزم بذلك المسمى، هل هناك دليل على هذا ؟ طبعاً أولو العزم عند العلماء هم خمسة: نوح – بـ الترتيب الزمنى – وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد – صلى الله عليه وسلم.

لم يرد تسمية هؤلاء بأولى العزم إلا عن ابن عباس، روى ذلك عنه الحاكم وغيره، فقد سماهم

بأولى العزم، أخذًا من آية الأحزاب وغيرها ك الشورى، كان يسمون أولى العزم لهذا السبب.

- السائل: ما معنى الآية: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ؟

- الشيخ: معنى هذه الآية: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا أن المؤمنين يحشرون إلى الله – جل وعلا – جماعات وزرافات، ويدخلون الجنة على التفصيل السابق، كل أمة تتبع نبيها، وأن هذا من باب التشريف والتكريم لهم، بخلاف المجرمين والكافرين، لأن الله قال: وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ، وبالتالى فهؤلاء يساقون سوقاً، وهؤ لاء يقدمون كوفود، فكل أمة مع نبيها بمنزلة الوفد.

- السائل: هل يشفع الشهيد لأحد؟

- الشيخ: الشهيد لا يشفع فى كل أحد، يشفع فى أهل بيته.

- السائل: هل يشترط فيمن يشفع الشهيد لهم شىء ؟

-يشترط فيهم الإسلام، لا شك فيه، فهناك من

يرتضى وهناك من لا يرتضى، الله – جل وعلا – قال: مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ والله – جل وعلا – قال: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى .

- السائل: ماذا عن قبول مبلغ معين من المال فى الشفاعة، فى حين يوجد حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «من شفع لأخيه شفاعة فقبلها، فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا»؟

- الشيخ: هذا الحديث أولاً جاء من رواية القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة، أن النبى صلى الله عليه وسلم – قال: «من شفع لأخيه شفاعة فقبلها، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا منهم من أعله بالقاسم بن عبد الرحمن لأنه تفرد به، وخالف الأدلة الأخرى، كقوله – صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» وبعض العلماء يقول: ليس فى هذا الحديث مخالفة، فيقبلونه ويحملونه على الشفاعة الواجبة، وإن من وجبت عليه الشفاعة ثم قبل الهدية فى هذه الشفاعة، فإنه نعم أتى بابا عظيماً من أبواب الربا، لأنها شفاعة واجبة، ولهذا يقول بعض العلماء (بالا شتراط) كما قال الصنعانى، مثل شخص زيد أتى

لعمرو، وطلب منه شفاعة، وهذه الشفاعة يقدر عليها عمرو، وهى من الأمور الواجبة المتعينة التى يترتب على عدم الشفاعة فيها ظلم وعدوان فى حق زيد، فيجب على عمرو أن يشفع، ليس لعمرو أن يقول: والله ما أشفع إلا بمبلغ من المال، كشخص مثلا أخذت أرضه، سرقت أرضه، أو أخذ م اله، أو ظلم، سجن بغير حق أو غير ذلك، فذهب لرجل وقال: أريد حقى، أريد أن تشفع لى، أريد أرضى، أريد مالى، أنا ظلمت: قال الرجل هذا: أنا لا أشفع لك إلا بمبلغ من المال.

الرجل الذى أتى إليه قادر من أول وهلةٍ على تخليصه والشفاعة، هذا إذا أخذ عوضا عن شفاعته ، أتى بابا عظيما من أبواب الربا، أما الأخر فلا، يقول: أنا ما أستطيع، لكن أبذل جهدى، وأبذل جاهى، ولكن لا أريد أن أبذل جهدى إلا بمبلغ من المال. هذا لا حرج منه، لأن الشفاعة هنا غير واجبة ، لأنه ما يستطيع أصلا ً، لكن يريد أن يساعده كمساعدة، لأن الشفاعة هنا هو غير قادر عليها، أما لو كنت قادراً عليها وأخذت مالا فهذا هو الحرام، كمثلا الذى يقوم به بعض الناس والأشخاص الذين يتسابقون ليبقوا فى أماكن مثل الجوازات والأ حوال، ويفتحون المكاتب لتخليص المعاملات

ونحو ذلك، هؤلاء لا يدخلون فى الحديث، لماذا، لأ
ن الشفاعة غير واجبة عليهم، وأنت هذا الحق ليس واجبا على أحد أن يخلصه، لكنك قادر بنفسك ولكنك تريد أن يخلص لك المهمة لأنها أسهل طريق بالفعل، فحين يأخذون حقهم، هذا لا حرج منه.

- السائل: ما معنى (حمماً)؟

- الشيخ: (حمماً)، يخرجون من النار حمما يعنى فحم، قد اسودوا من طول ما لبثوا. و(حمما) جمع (فحمة)، (حمم) لا مفرد لها من لفظها، إنما لها مفرد من معناها.

- السائل: هل هناك تعارض بين قول النبى – صلى الله عليه وسلم: «**أسعد الناس بشفاعتى من قال لا إله إلا الله** » وبين شفاعته فى عمه أبى ط
الب؟

- الشيخ: لا، ما فيه تعارض، قوله – صلى الله عليه وسلم – لما قال: «**أسعد الناس بشفاعتى من قال: لا إله إلا الله**». هذه الشفاعة التى تقتضى دخول الجنة، وشفاعة النبى – صلى الله عليه وسلم – فى أبى طالب الذى لم يقل: لا إله إلا الله. هى مجرد تخفيف عذاب، فالشفاعة التى تكون

استخراجاً من النار إلى الجنة، هذه مختصة بأهل التوحيد، والشفاعة التى تكون تخفيف عذاب هذه تكون للنبى – صلى الله عليه وسلم – فى عمه أبى طالب لأنه نصره بما لم ينصره به غيره.

- السائل: على أساس الحديث النبوى: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة و الصلاة القامة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه اللهم مقاماً محمودا الذى وعدته. حلت له شفاعتى يوم القيامة»- هل لو قلتها مرة واحدة يلزم من هذا الشفاعة.

- الشيخ: والله هى المثابرة: إذا الإنسان يثابر على ذلك، «حلت له شفاعتى»: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلا ة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه الله م مقاماً محموداً الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة»، إذا داوم على ذلك كلما سمع، ويحتمل فضل الله واسع، أنه يكون هناك شخص يقول مرة واحدة يحصل له هذا الأجر، والأجر الثانى قد يفوته ولا يحصل عليه.

- السائل: ما مدى صحة الحديث الوارد فى سورة الواقعة بأن هذه السورة تدفع الفقر، وكذا

الحديث الوارد فى سورة تبارك عن ابن مسعود؟

-الشيخ: الحديث الوارد فى سورة الواقعة بأنها تدفع الفقر ضعيف، والحديث الوارد فى سورة تبارك عن ابن مسعود لا بأس به، وله حكم المرفوع.

- السائل: هل لو كان شخص غير معتد على الإ سلام له نصرة للإسلام هل يمكن أن نقول أنه ليس بمنزلة من عادى الإسلام؟

- الشيخ: نعم.. بلا شك، والعلماء متفقون على أن الكفر مراتب، لا يختلفون فى ذلك، والعلماء لا يختلفون أن عذاب الكفار يتفاوت، لأن هذا فى مقتضى عدل الله، ولا يجوز الظن بالله أنه يسوى بين الكافرين، هذا ضلال، وسوء ظن برب العالمين، هل يسوى كافر ليس له محاربة للإسلام ككافر يحارب الإسلام؟ هذا جور، والله – جل وعلا – منزه عن الظلم، الله – جل وعلا – يقول: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»فيختلف كافر عن كافر، ولذلك الله – جل وعلا – قال بنص القرآن: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ إذًا يفهم من هذا أن فوقهم أحدا، وأن المنافقين أشد عذاباً

من الكفار.

والناس مراتب فى العذاب، وبلا ريب الأخ يقول: هل يكون شخص لم يكن له اعتداء على الإ سلام، بل له نصر للإسلام، ولكنه ما آمن – هل نقول تلقائيا أنه ليس بمنزلة من عادى الإسلام ؟ نعم، نقول، وهذا مقتضى عدل الله وحكمته ورحمته، وهذا لا يختلف فيه العلماء أيضاً.

- السائل: وهل هذا الحال يكون سببا فى تخفيف عذابهم؟

- الشيخ: يعنى أنه يخفف عنه العذاب؟

- السائل: نعم.

- الشيخ: لا، هذا لا نقوله، لأنه ما هناك نص، لكن نقطع أمرا قطعياً أن الكفار مراتب، وأن الكافر الذى حارب الإسلام ليس بمنزلة الكافر الذى لم يحارب ا لإسلام، وأن هذا أشد عذاباً من هذا، ولا ينفى أن نقول بأن كليهما فى النار، ولذلك الصحابة مجمعون على أن أهل الكتاب أقرب من فارس: لأن فارس ليس لهم كتاب، أما أن نقول أن الروم وفارس بمنزلة واحدة فى النار فلا، هذه مراتب، أما أن نقصد أنهم فى منزلة واحدة بأنهم جميعاً فى

النار فهذا صحيح، أما فى منزلة العذاب لا.

- السائل: ماذا عن صحة الحديث الذى يقول: لا تقتلوا أبا البخترى بن هشام ؟

وما صحة الأثر عن عبد الله بن سلام الذى قال فيه: لا حيث أبى. فى رواية الإمام أحمد ؟

- الشيخ: الحقيقة الذى ذكره أولا لا أعرفه، يبحث عنه، وينظر إسناده، أما الأثر الثانى فهو قصة عبد الله بن سلام، وهى قصة عن عبد الله حينما قال: لا، حيث أبى. وهذا أثر ضعيف، لأن المدار على الزهرى، قال: نبئت عن أنس، كما فى رواية الإمام أحمد، ففيه انقطاع، ولكن جاءت أحاديث كثيرة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – كانت فى الصحابة، أنهم يبيتون وليس فى قلوبهم غل ولا غش لأحد، أما هذا الحديث بخصوصه فضعيف أيضاً، بخصوصه، لكن المعنى العام ثابت.

- السائل: هل صح عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال عن أهل القليب: «ما أنتم بأسمع لما هم أسمع»؟

- الشيخ: أى نعم، هذا ثابت عن النبى – صلى

الله عليه وسلم – وخاطبهم النبى – صلى الله عليه وسلم – قالوا: يا رسول الله، أتخاطب قوما قد جيّفوا؟ - يعنى: أنتنوا، فقال: «ما أنتم بأسمع لما هم أسمع».

- السائل: كيف يكون استنادنا فى إثبات الشفاعة، شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ؟

- الشيخ: النصوص العامة، الشفاعة العامة، هناك شفاعة.

- السائل: كيف تكون الشهادة للمؤمن منّا بأنه فى الجنة؟

- الشيخ: نحن نشهد للمؤمنين بالجنة فى الجملة، نقول أن كل مؤمن يموت مؤمناً هو فى الجنة، ولكن لا نحدد فلان وفلانا فى الجنة، لأن لا يعلمه أحد، وسيأتى إن شاء الله فى الواسطية، لا نشهد لأحد بالجنة ولا بالنار إلا من شهد له النبى – صلى الله عليه وسلم – فيه قول لبعض العلماء، أنه من اتفق العلماء أو المسلمون على نجاته فهو فى الجنة، هذا قول لبعض العلماء ولكن هذا يعنى ليس له ضابط، فتشهد كل طائفة لأتباعها بالجنة،

فهذا ليس له ضابط، التوقف أولى، ولا نشهد إلا لمن شهد له النبى – صلى اللّه عليه وسلم – ولكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين.

المرتبة الأولى من مراتب القدر المتضمنة لأ مرين: الأمر الأول: العلم، الأمر الثانى: الكتابة.

شرع – رحمه اللّه تعالى – يتحدث عن الدرجة الثانية المتعلقة بمشيئته وقدرته، فلا يختلف العلماء فى إثبات مشيئة اللّه وقدرته على كل شىء ، وأن هذه المشيئة نافذة لا يمنعها شىء، وأن هذه القدرة شاملة لا تختص بشىء دون شىء، كقول القدرية، فإن القدرية يقولون: إن اللّه شاء الإيمان،

لكن لم يشأ الكفر، إذًا ما أثبتوا المشيئة الشمولية، وهذا يعنى أن الله إذا شاء للكافر الإسلام لا يتأتى، لماذا ؟ لأن قدرة الله غير كاملة وغير شمولية، وهذا يعنى أن العباد يشاؤن مالا يشاء الله، ويريدون ما لا يريد الله، ويقدرون على ما لا يقدر عليه الله.

والقدرية يصرحون فى كتبهم ومؤلفاتهم بأن مشيئة الله غير شاملة للكفر، وقدرة الله غير شاملة. والسبب فى ذلك أن القدرية كانوا امتدادًا وبقية لأهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، وإن كانت هذه البدع متفاوتة فى الضلال، متفاوتة فى المنطلقات متفاوتة فى الأهداف و الغايات، إلا أن هؤلاء يحكمون العقل ويقدمونه على النقل، فكان هذا أعظم سبب فى ضلالهم، وأعظم انحراف فى فهومهم، وفى نفس الوقت لو كانت هذه العقول سليمة من الشوائب لكانت مدركة بأن قدرة الله كاملة، وقدرة الله شاملة، ومشيئة الله نافذة فى كل شىء، ولم يحصل بذلك تناقض فى فهومهم ولا عقولهم، قال الله – جل وعلا – لِتَعْلَمُوا أَنّ اللهَ عَلَى كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . «شىء»نكرة، والنكرة فى سياق النهى والنفى تفيد العموم باتفاق الأصوليين.

واختلف الأصوليون فى النكرة فى سياق الإثبات، والصواب أنها قد تفيد العموم، لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وقال تعالى: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ولا يكون قاهرًا حتى يكون قادرًا، وقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، وهذا لإثبات الأفعال الاختيارية، والقدرية مضطربون فى هذا الباب، شأنهم فى ذلك شأن الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فإن هؤلاء مضطربون فى باب إثبات الأفعال الاختيارية لله، ولذلك ينكرون الاستواء، ينكرون العلو، ينكرون النزول، تبعاً لإنكار الأفعال الاختيارية لله.

ولذلك من اللوازم التى يُلزم بها الأشاعرة باعتبارهم أقرب الطوائف إلى أهل السنة- إذا كانوا ينكرون الأفعال الاختيارية- يُلزمون بإنكار القدرة، والأشاعرة لا ينكرون القدرة، الأشاعرة يثبتون القدرة، والذى ينكر الأفعال الاختيارية يلزمه أن ينكر قدرة الله، لأن من أثبت أن الله على كل شىء قدير لزمه أن يكون الله فاعلا مشيئاً قادرًا باختياره على كل شىء، وهذا دليل واضح جلى على أن هؤلاء فى تحكيم عقولهم مضطربون، ولذلك يأتون بالأشياء فى موضع تناقض أشياء فى موضع آخر.

قوله فى التفسير: "الدرجة الثانية، فهى مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان".

أى ما شاءه الله لابد أن يكون، لابد أن يقع، لأن الله لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً، قال تعالى:
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

قوله: (وما لم يشأ لم يكن).

أى الذى لايريده الله لا يقع، ولا ينفذ، لأن الله - جل وعلا - ما أراد، وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس: «وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

قوله: "وأنه ما فى السماوات وما فى الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله - سبحانه" وهذا ينازع فيه القدرية، ولا يرون الشمولية فى قدرة الله ولا مشيئته، وهذا بلا ريب تكذيب لكلام الله، تكذيب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخرق للإجماعات القطعية فى هذا الباب، ومكابرة

فى المنقولات، ومنازعة فى المعقولات، ولذلك كان السلف يضللون هؤلاء ويبدعونهم، ويرونهم خارجين عن مذاهب أهل السنة والجماعة، واقعين فى البدع والضلالات.

وذهب بعض أئمة السلف إلى تكفير هؤلاء، كتكفير أصحاب الدرجة الأولى الذين ينكرون علم الله واطلاعه على الكليات والجزئيات، وينكرون أن الله يكون عالما بالسر قبل وقوعه. ولذلك يقول الشافعى – رحمه الله تعالى: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به قُصموا، لأن ما جحدوه حجة على ما أثبتوه، وإن جحدوا كفروا، والحديث فى هذا الباب - فى تكفير هؤلاء- حديث عن النوع، لأن هؤلاء مراتب، وهؤلاء لهم شُبَه فيما يتحدثون عنه، و الباعث لهم فى هذا هو التقرب لله، لم يكن عن بغض للإسلام، أو محاربة لما فى كتاب الله وفى سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم.

وأهل السنة متفقون على إثبات مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما من حركة ولا سكون فى الأ رض إلا بمشيئة الله – جل وعلا – فلا يكون فى ملكه ما لا يريد، وأنه – سبحانه – على كل شىء

قدير من الموجودات والمعدومات.

فمن الموجودات خلق السماء والأرض وما بينهما، خلق الإنسان وما فى جوفه، والبحار وما فى أعماقها وغير ذلك.

ومن المعدومات التى سوف تكون، أو أخبر الله عن وقوعها فى المستقبل، أو غير ذلك، لا يخرج شىء عن قدرة الله – جل وعلا.

وهذا من كمال عظمته وقدرته على كل شىء، فمن ظن أن الله يقدر على شىء دون شىء فهذا ضال منحرف، وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – فى الفتاوى فى المجلد الثالث على الحديث الوارد فى الصحيحين فى الرجل الذى قال: «إذا أنا مت فذرونى» قال شيخ ا لإسلام: "فهذا أنكر قدرة الله، وهذا قد يكون كفرًا بـ الإجماع"، يقول: وهذا كفر بالإجماع.

الشاهد أنه من أنكر قدرة الله فإنه كافر بالإ جماع، ولكن الله عذره، لأنه ظن أن الله – جل وع لا – لا يقدر على جمعه إذا تفرق، وإذا قدر على جمعه فسوف يعذبه.

كما قال عقب ذلك: "والحريص من أهل العلم وا

لاجتهاد أولى بالعذر من هذا الرجل ".

قوله: (فما من مخلوق فى الأرض ولا فى السماء إلا اللّه خالقه).

وهذا رد على القدرية، لأنهم ينازعون فى مسألة الخلق، وهم مضطربون فى هذا الباب، فلا يثبتون على قدم واضحة.

لا يختلف أهل السنة فى أن اللّه خلق العباد وخلق أفعالهم وخلق مشيئتهم وخلق قدراتهم وخلق كل شىء فيهم، وهذا نص القرآن، ونص السنة، وأن اللّه جل وعلا – خلق الخير وخلق الشر ، لا خالق غيره. ولا رب سواه، قال تعالى: اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ لا يخرج شىء عن خلق اللّه. ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، بمعنى أنهم فيهم إرادات، لا كما تقول طائفة من القدرية بأن العباد مجبورون، أو طائفة أخرى يقولون بأن العبد يخلق فعل نفسه، فانشق عن القدرية الجبرية، يقولون بأن العبد لا قدرة له بمنزلة الشجرة، تصرفها الرياح كما تشاء، لا قدرة له ولا مشيئة له و لا حركة له ولا سكون له، هو يُتَصَرّفُ فيه بدون اختيار.

طائفة أخرى يردون على هؤلاء يقولون: لا، العبد له كل شيء، حتى إنه يخلق فعل نفسه، وأهل السنة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يقولون بأن العبد له مشيئة وله إرادة وله قدرة، ولكن مشيئته تابعة لمشيئة الله، هذا نص القرآن: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وقال تعالى: وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ، قال غير واحد من المفسرين: أي بينا له طريق الخير وطريق الشر، فالله - جل وعلا - أتاه سمعاً وبصرا ووهبه عقلا يفكر، وهداه، بمعنى بيّن له طريق الخير وطريق الشر، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.

وهذا دليل أن له إرادة وله قدرة وله تصرفًا، فهو حين يبحث عن الضلال، وعن الشهوات، و الولوج فى المحرمات، هو فى نفس الوقت يبتعد عن الوقوع من الأماكن الشاهقة، وعن قتل النفس، وعن الجوع، ويتقى الجوع بالطعام، ويتقى الشتاء بالملابس، فهو الذى يؤدى هذه الأمور تحت غطاء القدرة والعقل والفهم، فهو بهذا حجة على فعله وممارسته للمعاصى تحت غطاء أن هذا بقدر، فلماذا لا يكون الأول بقدر ؟ ولماذا صار الثانى بقدر:

عند مراد الله تفنى		وعند مراد النفس تسدي

ظهيراً على الرحمن للجبر		وعند خلاف الأمر تحتج

قوله: (فقد أمر العباد بطاعته).

وفى هذا أمور:

- الأمر الأول: فيه إثبات صفة الكلام لله – جل وعلا، لأن الأمر دليل أنه هو المتكلم: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ .

- الأمر الثانى: فيه أن العمل سبب لدخول الجنة.

- الأمر الثالث: أن الأعمال داخلة فى مسمى الإيمان.

- الأمر الرابع: حينما أمرهم الله بالطاعات ونهاهم عن المعاصى دليل أن لهم إرادة ومشيئة، ففى هذا الرد على القدرية والرد على الجبرية.

وأهل السنة يكرهون القول بأن الله "أجبر" العباد، ويتحدثون ويقولون: " جبل". ولا يقولون: " جبر". أو: "لم يجبر". وحين تنازع اثنان عند الأوزاعى، الأول: سنى، والثانى: مبتدع، فحين قال المبتدع: إن الله جبر العباد، رد عليه السنى بأن الله لم يجبر العباد. فقال له الأوزاعى: ما أردت إلا أن

خرجت من بدعة ووقعت فى بدعة، وأقر ذلك الإ
مام أحمد – رحمه الله تعالى.

وقوله: (طاعة رسله).

فيه إثبات النبوات وإثبات الرسالات ذات الأمر، ذات النهى، ذات القدرة، ذات المشيئة، فيه الرد على القدرية والرد على الجبرية.

قوله: (ونهاهم عن معصيته).

لأنه لابد أن يؤدى الأوامر، وينتهى عن النواهى، وجاء فى صحيح البخارى حديث فليح عن هلال بن على عن عطاء عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى**». قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى ؟ قال: «**من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى**».

والعصيان نوعان: إما بفعل الحرام، أو بترك الواجبات، ولذلك الفعل عند أهل السنة يطلق على ا
لأداء ويطلق على الترك، فأهل السنة حينما يقولون على الإيمان بأنه قول وعمل: ليس معنى العمل أن تؤدى فقط، هو أيضا بمعنى أن تترك، ولذلك أهل السنة يقولون: إن الترك قد يكون كفرًا. كترك الصلا

اة بالكلية مثلا، إذًا العمل عند أهل السنة نوعان: أما تجاوب وإما ترك.

ومن الردود على القدرية فى هذا الباب أن العبد لو كان يخلق فعل نفسه لما كان عليه حساب ولا عقاب فى ذلك.

ومن ذلك أنهم فى هذه الحالة يثبتون خالقا مع الله، ومن ذلك أيضا الغلو فى المخلوق ورفعه فوق منزلته، ويأتى إن شاء الله غدا الحديث عن كون القدرية مجوس هذه الأمة، ووجه المشابهة، وإيراد الآثار الواردة فى هذا الباب، وبعض ذلك تقدم الإشارة إليه بالأمس، أن هذا لم يرد فيه شىء مرفوعاً عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ولكن ثبت ذلك عن جمع من الصحابة - رضى الله عنهم.

قوله: (وهو - سبحانه - يحب المتقين).

فيه إثبات صفة المحبة لله: قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ والله - جلا وعلا - حين يحب أهل الطاعات يبغض أهل المعاصى، ففيه إثبات الإرادة لله - جل وعلا - وفيه إثبات كمال القدرة لله - جل وعلا - وفيه إثبات شمول المشيئة لله - جلا وعلا.

قوله: (يحب المتقين).

أجمع ما قيل فى التقوى: فعل المأمور واجتناب المحظور.

قوله: (المحسنين).

والإحسان أخص من التقوى، فهو يشمل التقوى وزيادة، والمقصود بالإحسان فى هذا الموضع فى كل شيء: ولذلك قال اللّه –جل وعلا: وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ أى فى أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم.

وأما الإحسان فهو أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قوله: (المقسطين).

والمقسط غير القاسط، فالقاسط هو الجائر، قوله – جل وعلا: - وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا وأما المقسط فهو العادل، المقصود بـ المقسطين هى: (العادلين) فى أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم، فإن هؤلاء يحبهم اللّه – جل وعلا – ولذلك لا يختلف العلماء فى أن اللّه يحب العدل، وأنه اتفقت عليه الشرائع كلها، والناس كلهم مؤمنهم وكافرهم وإنسهم وجنهم يحبون العدل،

ويكرهون الظلم، ولذلك حرم الله – جل وعلا – الظلم على نفسه، قال: «وجعلته بينكم محرماً»، ولكن يجب أن نفهم الظلم بكل صورة وبكل معانيه ، من الغيبة والنميمة والبهت والتقصير فى حق الله – جل وعلا – والتقصير فى حق النفس وأذيه العباد، ومن ذلك التجاوز إلى فعل الحرام، هذا يعتبر ظلمًا، يظلم العبد نفسه بفعل الحرام، من حلق اللحى، وإسبال الأ ُزر، ومن النمص و النامصة، ومن أكل الربا، وغير ذلك مما حرم الله – جل وعلا – هذا كله من الظلم.

قوله: (ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

فيه إثبات صفة الرضا لله – جل وعلا – قال تعالى: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وقال تعالى: وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ وقال النبى – صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضى لكم» والأدلة فى هذا عن النبى – صلى الله عليه وسلم – متواترة، الأ شاعرة يتحدثون عن ذلك، ويقولون: إن الرضا علا مة للقبول. وهذا عند أهل السنة من لوازم الرضا، وليس هو معنى الرضا، وأهل السنة يثبتون الصفة، ثم يذكرون لوازمها.

ويؤخذ من قوله إن الله – جل وعلا – يحب المتقين ويرضى عن الذين آمنوا. إثبات القدرة وإثبات المشيئة الكاملة وإثبات العدل، لأن الله قال: ولا يحب الكافرين. وقال تعالى: أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وقال تعالى: وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ولكن ماذا قال: وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ فالذى يحب الطاعات يكره ويبغض المعاصى.

قوله: (ولا يرضى عن القوم الفاسقين).

الفسق نوعان: فسق مخرج من الملة، وفسق غير مخرج من الملة، كلاهما جاء فى القرآن، أما ما جاء فى القرآن من الفسق المخرج من الملة فكقوله – جل وعلا: أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ، الفسق هنا فيه اتفاق أنه مخرج من الملة، وأما الفسق الذى لا يخرج من الملة فكقول الله – جل وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ، الفسق هنا لا يخرج من الملة.

وقوله: (ولا يحب الفساد).

ولا يخرج ذلك عن كونه مخلوقاً لله، ليس

معنى ذلك أن الله إذا كان لا يحبه أن الله ما خلقه، الله خلق الخير وخلق الشر، وهذا هو اللبس عند القدرية، يقولون: إذا كان الله لا يحب الفساد فكيف يخلقه؟ إذا لم يكن الله – جل وعلا – خالقًا له فمن الخالق ؟ إذًا لابد أن يوجد خالق آخر و إثبات إله آخر: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ، سماه الله شركًا، فمن جعل مع الله إلها آخر فإنه قد أشرك ب الله، ولذلك قال الله – جل وعلا -: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، ونزيد إن شاء الله غدا الباب بيانًا على أن العباد فاعلون حقيقة، وأن الله خالقهم وخالق أفعالهم.

- السائل: كيف لنا أن نميز فى الأفعال بين أن تكون داخله فى حيز التشبه بالكفار، وبين أن تكون خارجة عنه ؟

- الشيخ: التشبه بالكفار مراتب، ومن أفضل من تحدث عن مراتب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه تعالى – فى كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» ومؤلف آخر لأحد الأشاعرة المعاصرين اسمه (الاستنفار لغزو التشبه بالكفار) كتاب جيد وعظيم، لكن المؤلف أشعرى ضال منحرف، فهناك عدة مؤلفات وعدة رسائل مختصرة ومطولة فى هذا الباب، إلا أن شيخ الإسلام فى كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم) جمع فأوعى وأصّل بصرف النظر عن الأمثلة بقدر ما هو يذكر قواعد، لأن ذكر القواعد هو منطلق من ضرب الأمثلة، لكن ضرب الأمثلة قد لا يؤصل القواعد فى هذا الباب.

والتشبه بالكفار مراتب، منه ما يصل إلى حد الكفر، ومنه ما يصل إلى الكفر الأصغر، ومنه ما يكون من الكبائر، ومنه ما يكون من الصغائر، ومنه ما يختلف فيه العلماء، فمنهم من يقول بأنه محرم، ومن العلماء من يقول بأنه مكروه، كقوله - صلى اللّه عليه وسلم - «**اليهود والنصارى لا يصلون فى نعالهم**». ذهب بعض العلماء إلى أن الصلاة فى النعال واجبة فى بعض الأحيان مخالفة لليهود و النصارى، وقال الجمهور بأنه مكروه وليس بمحرم

من لم يصل فى نعليه، دليلا على أنه مستحب أن يصلى، وإذا ترك يكون قد وقع فى المكروه ولم يقع فى الحرام.

ومن ذلك من كانت لحيته بيضاء، اختلف الفقهاء: هل يجب عليه صبغها بغير الأسود أو لا، قولان: منهم من قال بالوجوب، ومنهم من قال: لا يجب فى العمر غير مرة، ومنهم من قال بأن الصبغ مستحب، وترك ذلك مكروه وليس بحرام.

هذا أمور اختلف العلماء فيها مع أنها من التشبه ، النبى – صلى الله عليه وسلم – حذر من التشبه، وأخبر أن الأمة سوف تأخذ ما أخذت الأمم السابقة شبرا بشبر، ذراعا بذراع، وفى نفس الوقت بين أن من تشبه بقوم فهو منهم، كما فى مسند أحمد، وقال عنه ابن تيمية إسناده جيد، وأقل أحواله التحريم.

وأما مراتب التشبه فهى على النحو التالى:

- الأمر الأول: ما ثبت به نص عن النبى – صلى الله عليه وسلم – هذا لا يختلف فيه العلماء كلبس ثياب الكفار، النبى – صلى الله عليه وسلم – قال لعبد الله: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها». و

الخبر فى صحيح الإمام مسلم.

- الأمر الثانى: ما كان من خصائصهم وشعائرهم ، ويتميزون به عن غيرهم فى عباداتهم ونحو ذلك، فهذا أيضا لا يختلف العلماء فى تحريمه، وهذا مراتب: منه ما يصل إلى حد الكفر، كلبس الصليب، وهو كفر أكبر يخرج عن الملة، ومنه ما لا يصل إلى الكفر الأكبر.

- الحالة الثالثة: أن يتميز به الكفار عن المسلمين، ولم يرد فيه نص، وإنما مأخوذ ذلك من واقعنا، يتميزون به عن المسلمين، فهذا حرام أيضا، من ذلك لبس البرنيطة، فإن هذا من خصائص الكفار، ومن ذلك الملابس الوافدة النسائية، كاللبس العارى، وهؤلاء الذين يجلبون ملابس الكفار إلى بلا د المسلمين هم أبغض الناس إلى الله جل وعلا، كما جاء فى صحيح البخارى من حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: «أبغض الرجال إلى الله ثلاثة: ملحد فى الحرم، ومبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية – هذا الشاهد: ومبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية – ومطلب دم امرئ مسلم ليريقه بغير حق». هؤلاء أبغض الناس وأبغض الرجال إلى الله جل وعلا.

- القسم الرابع: ما فعله الكفار وفعله المسلمون. وهذا قسمان:

- الأول: ما تميز به الكفار وفعله فسقة المسلمين ولم يفعله خيارهم. فهذا حرام لا يجوز التشبه به، لأن الذى فعله من المسلمين هم الفسقة، وهؤلاء لا عبرة بهم.

- الثانى: ما فعله الكفار وفعله خيار من المسلمين. هذا يخرج عن حيز التشبه، كحفر الخنادق، ونحو ذلك مما كانوا يفعلونه وفعله النبى – صلى الله عليه وسلم – وغير ذلك من أسلحتهم ونحو ذلك.

بعض الناس يتصور أنه لا يقع التشبه إلا فى العبادات دون العادات، وهذا غلط، فإن عمر – رضى الله عنه – كتب لأصحابه – وهذا فى صحيح مسلم – قال: «إياكم وزىّ أهل الإشراك» وهذا فى صحيح مسلم، وهذا نص صريح فى أن التشبه يقع فى العادات كما يقع فى العبادات.

الأمر الذى يختص بالفطر وفعله المسلمون خرج عن حيز التشبه، والله أعلم.

- السائل: هل يدخل فى ذلك التشبه بأهل

الفسق؟

- الشيخ: الأخ يقول: هل يدخل فى ذلك التشبه بأهل الفسق ؟ ذكر الصنعانى - رحمه الله – فى سبل السلام شرح البلوغ على قوله – صلى الله عليه وسلم -: «من تشبه بقوم فهو منهم»، قال: "قد يدخل فى ذلك التشبه بأهل الفسق وأهل البدع" وذكر شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – فى الاقتضاء – وهذا الذى أفتى به الشيخ محمد بن إبراهيم– رحمه الله تعالى – فى فتاويه، أن التشبه منهى فيه عن التشبه بالكفار، والتشبه بالأعاجم المسلمين، حتى التشبه بالأعاجم المسلمين لا ينبغى، فلا أتشبه بالأعاجم وإن كانوا مسلمين، لأن هذا يقتضى تغيير الصبغة، فهؤلاء حين نتشبه بهم قد يكونون بعيدين عن الثوابت الشرعية، وبالتالى ابن تيمية ذكر أن التشبه بالأعاجم المسلمين لا يجوز.

- السائل: ما موقف أهل السنة والجماعة من إثبات صفات الله الفعلية والاختيارية ؟

- الشيخ: الفعلية والاختيارية الذاتية كله واحد، أهل السنة لا يختلفون فهذا مطرد عندهم يثبتون حقيقة الصفة، ولا يثبتون كنه الصفة، هذا مطرد

فى الصفات الذاتية والصفات الفعلية، نسبة حقيقة الصفة ليس مجازًا، لكن لا نثبت كيف ينزل مثل شخص ينزل الدرج كنزولى هذا، هذا قول ضال منحرف، وما نسبه ابن بطوطة عن ابن تيمية قال: حضرت له خطبة فقال: إن الله ينزل، ثم نزل وقال: كنزولى هذا - ابن بطوطة كذاب، فلا يعتبر بكلامه، كان كذاباً منحرفا أشعريا هالكا، ولم يكن صادقا فى ذلك، فإنه ذكر التاريخ من كذبه، وفى التاريخ نفسه الذى ذكره ذكر ابن كثير أن ابن تيمية كان فى السجن فى القلعة، قلعة دمشق، هذا دليل على كذبه وأن الله فضحه، زد على هذا أنه ليس من أهل السنة فلا يعتد بنقله، وكان ابن تيمية- رحمه الله تعالى- أبعد الناس عن التمثيل، بل كان يحاربه بكل قوة فى مؤلفاته ومصنفاته.

- السائل: ماذا نقول فى الاستواء ؟

- الشيخ: نثبت المعنى ونثبت الحقيقة، ولكن لا نثبت الكنه، لأن (الاستواء معلوم والكيف مجهول) مجهول بالنسبة لنا نحن، أما بالنسبة لله فهو معلوم.

- السائل: من أسلم من الكفار نأمره بتغيير زيه واسمه ؟

- الشيخ: حتى الكافر إذا أسلم نأمره بتغيير زيه إذا كان هذا الزى من خصائص الكفار، أما إذا لم يكن هذا الزى من خصائص الكفار فليبق على ما هو عليه، حتى اسمه، إذا كان اسمه لا يخالف أسماء المسلمين لا نغير اسمه، نبقيه على ما هو عليه، وما قيل من أن الإنسان إذا تاب يغير اسمه تبعا لتوبته، هذا ليس له أصل، لم يكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يغير أسماء الصحابة

- السائل: ما حكم اللبس الإفرنجى المنتشر عندنا؟

- الشيخ: يبقى التفريق بين اللباس، فما يسمى بـ البنطال والجنـز، وما يسمى بالكرافتة والبرنيطة، هذا لا ينفع عندنا كمسلمين، إنه فعلُ فسقة المسلمين، نعم يوجد البعض يلبسون السروال قليلا هذا صحيح، لكن لا يصل الأمر إلى صورة البرنيطة وصورة الكرافتة، هذا من شعار الفساق، ليس من شعار الصالحين منهم، وفى نفس الوقت هذا جاء من أثر الاستعمار الواقع على بلاد العرب و المسلمين فى الجزائر وفى آخر الدول الإفريقية ونحو ذلك لما جاء الاستعمار هو الذى غير معالم وشعائر وملابس المسلمين، وفى نفس الوقت جاء

حديث أبى أمامة فى المسند حين قيل للنبى – صلى الله عليه وسلم: اليهود والنصارى يتسرولون ولايأتزرون. قال: «تسرولوا وائتزروا خالفوا اليهود». تارة نفعل ذلك وتارة نترك ذلك فيكون أفضل، فالذين يداومون على ذلك هم مخالفون لهذا النص.

- السائل: لبس البنطال للمرأة عند محارمها أو عند النساء ؟

- الشيخ: الصحيح أن ملابس المرأة إذا كانت تبدى تقاطيع الجسم فإنها لا تجوز، للحديث الوارد فى مسند أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى أسامة وسأله عن القميص الذى أعطاه قال: أعطيته زوجتى. قال: «**مرها أن تجعل تحتها غلالة، فإنى أخاف أن تصف حجم عظامها**» دل هذا على أن المرأة لا تلبس ما يبدى تقاطيع جسمها، وكذلك فى قوله – صلى الله عليه وسلم - «**كاسيات عاريات**»، فسره الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – فى لباس المرأة المسلمة بعدة أمور: من ذلك ما ذكره – رحمه الله تعالى – بأنها تلبس الملابس التى لا تصف تقاطيع الجسم، وهذا نص عليه الفقهاء الحنابلة – رحمهم الله تعالى – فى هذا الباب، ف

المرأة سواء كانت لابسة للتنور أو البلوزة أو غير ذلك وتصف تقاطيع الجسم، فلا يحل لها هذا اللباس، لابد أن تلبس لباسا فضفاضاً لا يصف تقاطيع جسمها.

- السائل: هل يعد لعب الكرة من قبيل التشبه بـ الكفار وكذلك؟

- الشيخ: حتى الكورة إذا كانت بأنظمة الغرب حاليا هى من أعظم التشبه بالكفار على الطرق المعروفة، يعنى لو أن طائفة يلعبون الكرة بـ الشروط المعروفة مثلا من ستر العورة، ولا فيه سب ولا شتم ولا غير ذلك، ولكن يغيرون نظام الكرة، يعنى ما يكونون متقيدين بنظام اللعبة العالمية، من لمس الكرة بيده فهذا (فاول) ما يسمى بخط الستة وخط الثمانية عشرة، وما يسمى بالبلانتى والكورنر والفاول وغير ذلك، إذا وجدت هذه الأشياء لاشك أنه تشبه بالكفار، حين يلعبون الكرة على نفس النظام، النمط الغربى، كورنر وفاول وأحد عشر لاعبا وحارس، هذا بلا شك تشبه بالكفار، وهى أبعد، الكرة الآن تحاكم إلى الطاغوت، ليس تحاكما إلى شرع الله، فلو أن لاعبا الآن فى النظام الموجود العالمى، سواء فى الداخل

أو فى الخارج وكل لعبة عالمية خبيثة من خطط الماسونية، وإبعاد المسلمين عن دينهم وعن قائدهم ونحو ذلك، فهى أيضاً تحاكم إلى الطاغوت، فلو أن لاعباً الآن فى اللعبة العالمية تزحلق على اللاعب متعمداً أوكسر قدمه – يوجد هذا بكثرة حينما يكون اللاعب موهوبا فى هذه اللعبة، يحسدونه كما يُحسد فى غير ذلك أيضاً، فيحاولون مثلا ثنيه عن ذلك أو إيقافه عن اللعبة، والانطلاق لتسجيل هدف أو غير ذلك، فيحاول التزحلق عليه متعمدًا وكسر قدمه –هل يجوز هذا فى الشرع إذا كان فى بلاد المسلمين، هذا لا يجوز شرعا فى هذا الباب ؟ تتحاكم لنظام اللعبة، وطبعا هذا تحاكم إلى الطاغوت: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا** أمّ لو أن الفريقين يلعبان كرة بدون سب ولا شتم ولا قمار ويستران العورة ويغيران نظام اللعبة، مجرد أن هذا يقف وهذا يقف، فهذا لا يوجد دليل على المنع.

- السائل: بعض المسلمين الذين يعيشون فى بلا د الغرب إذا ارتدوا غير الزى الغربى يكونون هدفًا للغربيين، فهل لهم رخصة؟

- الشيخ: الذين يعيشون فى الغرب حين يلبسون لباسًا غير لباس الكفار، يحصل لهم تميز، وبذلك يكونون هدفًا للغربيين، فيراعى فى ذلك المصلحة.

- السائل: لما خرج عمر من الشام خرج الطلاب ليستقبلوه.

- الشيخ: طلاب؟! من الطلاب. هذه حكاية تاريخية ليس لها أصل، بالإضافة إلى أن من خرج إليه ليس هم الطلاب أو التلاميذ، ولكن المسلمون.

- السائل: ما حدود عورة المرأة أمام المرأة؟

- الشيخ: المرأة كلها عورة عند المرأة، ولا يستثنى إلا ما دل عليه الدليل، من كشف الرأس و الوجه والعنق واليدين والقدمين، وبعد ذلك كله عورة، لأن النص عام، أن المرأة عورة.

- السائل: كيف وقع فى البدعة من قال: إن اللّٰه لم يجبر؟

- الشيخ: أى نعم، لأنه أتى به، وأيضا وقع فى البدعة، يعنى أتى بشىء غلط محتاج إلى تفصيل، فحين قال أن اللّٰه لم يجبر وقع فى تفصيل،

المسألة فيها تفصيل كما فصل فيها شيخ الإسلام فى كتاب الإمامة فى المجلد الخامس والسادس من الفتاوى، فيه كلام جيد له حول مسألة الجبر وما يتعلق بذلك، وعلى حكاية الأوزاعى هذه، و التفصيل وشرحها وبيان معناها، أنصح الأخوة بقراءة المجلد الخامس والسادس من فتاوى ابن تيمية – رحمه الله تعالى فى هذا الباب.

- السائل: ماذا عن ضوابط الصلاة النافلة على الدابة؟

- الشيخ: صلاة النافلة على الدابة فى السفر، أما فى الحضر فلا تصلى، تصلى على الأرض.

- السائل: ما معنى قول النبى – صلى الله عليه وسلم -« أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ» ؟

- الشيخ: معنى قوله – صلى الله عليه وسلم: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ» هناك اختلاف بين العلماء حول معنى الإلحاد فى الحرم، الشنقيطى –

رحمه الله تعالى – فى أضواء البيان يرى أن التصفيق فى الحرم من الإلحاد، وبعض العلماء يفسر الإلحاد: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ أى يريد أهل الحرم بسوء، كقتال أو استيلاء على الحرم، أو منع المصلين ونحو ذلك، الصواب أن الإلحاد من هذه المعانى وما شابهها، أما وجود معصية فى الحرم، فـ الصواب أن هذا ليس من الإلحاد، والصواب أن الإلحاد هو منع المصلين أو إيجاد قتال أو معركة فى الحرم ونحو ذلك.

- السائل: أنكر الإمام أحمد على من أراد أن يصلى خلف مجروح، فما مدى صحة هذا الكلام؟

- الشيخ: ما أعرف هذا، لكن الذى أعلمه أنه جاء فى البخارى معلقا، قال الحسن: «ما زال المسلمون يصلون فى جراحاتهم ». الـصحابة وهم المرجعية فى هذا الباب، كانون يصلون فى الحروب فى دمائهم وجراحاتهم، ولم يكن أحد منهم ينكر على أحد، فهو شبه إجماع عن الصحابة – رضى الله عنهم، وهذا الذى أعلمه من البخارى، وما دمنا نستمسك بأثر الصحابة فلا علينا من مخالفة الأحناف والحنابلة وغير ذلك.

- السائل: هل تصح صلاة أربع الركعات قبل

العصر بسلام واحد ؟

- الشيخ: أى نعم: ظاهر الأثر الوارد بأربع ركعات قبل صلاة العصر، أن تكون بسلام واحد هذا ظاهر أثر على رضى الله عنه الذى رواه الترمذى وأبو داود وجماعة من طريق أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن على، إسناده جيد، يحتج بمثله.

- السائل: مع أى الفريقين كان الحق عندما وقع الخلاف والقتال فى الحرم مع عبد الله بن الزبير – رضى الله عنه – أم يزيد – رضى الله عنه و الحجاج ؟

- الشيخ: هذا كان بتأويل عن عبد الله بن الزبير لما وقع بينه وبين الحجاج من قتال فى الحرم، واحتمى عبد الله بن الزبير بالحرم، لأن ابن الزبير هو الحاكم الحقيقى فى ذلك الوقت، كما ذكره ابن كثير وحكى عنه الجمهور، وبالتالى كان الباغى عليه هو يزيد بن معاوية، والباغى عليه الحجاج وأمثاله من البغاة آنذاك، فاحتمى بالحرم لأنه كان الحاكم، وفى نفس الوقت نصح الصحابة ابن الزبير أن يخرج من الحرم، لكى لا يكون الحرم عرضة للضرب والسقوط ونحو ذلك، لكن بعض العلماء يرى أنه لا حرج من ذلك، وأن دم المسلم أعظم من

الكعبة كما روى ابن عمر. «والله للمؤمن أعظم حرمة منك» فابن الزبير كان متأولا ً، لأنه كان هو الحاكم، والباغى فى هذا الموضع هو يزيد وهو الحجاج، لماذا يقاتلان عبد الله بن الزبير؟، كان المقضى أن يتركاه على أقل تقدير إن كان يريدان الملك والسلطة، ولا يقاتلاه حتى يفرضا الرأى عليه فى وسط حرم الله، والصواب أن الحق كان مع عبد الله بن الزبير، وكان الظالم الباغى فى ذلك هو يزيد بن معاوية والحجاج.

عقائد هؤلاء، ومخالفة ذلك للمنقول والمعقول، وأن العقل السليم يوافق النقل الصحيح، وقد دل النقل الصحيح على أن الله – جل وعلا – خلق العباد وخلق أفعالهم وقدرتهم وإرادتهم، وأن للعبد مشيئة، وهذه المشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى.

قال - رحمه الله تعالى: (والعباد فاعلون حقيقة).

هذا رد على الجبرية، حيث ينفون عن العبد قدرته ومشيئته، ويقولون بأنه مجبور على كل شىء، وأن حركات العبد بمنزلة حركات الشجر و الجمادات وغيرها، وأنه لا قدرة له على دفع هذه التصرفات ولا هذه الأفعال، ولذلك يجعلون فعل العبد مراداً لمشيئة اللّه وقدرته، فما يقول به العبد من خير أو من شر هو محبوب لله، لأن هذا محض مشيئة اللّه. وهذا ضلال، وهو قول المشركين: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ .

قوله: (وخالق أفعالهم).

فالعباد لهم قدرة ولهم مشيئة، واللّه خالقهم وخالق أفعالهم، فهذا رد على القدرية الذين يقولون بأن العبد يخلق فعل نفسه، فالجبرية منشقون من القدرية، إلا أن القدرية لم يقولوا بجُرم الجبرية، فجُرم الجبرية أغلظ وأعظم من جُرم القدرية.

وتقدم أن القدرية نوعان:

- النوع الأول: الذين ينكرون علم اللّه، ويقولون

عن علم الله، أو عن الله – جل وعلا- أنه لا يعلم الأ شياء إلا حين وقوعها. وهؤلاء كفّرهم الإمام الشافعى وأحمد – عليهما رحمة الله – لأن هذا يقتضى وصف الله بالجهل، ويقتضى عدم إحاطة علم الله بكل شىء، ويقتضى عجز الله، ويقتضى عدم قدرة الله، وفيه من الضلالات والانحرافات الشىء الكثير.

النوع الثانى من القدرية وهم مراتب أيضاً: منهم من يقول أن العبد يخلق فعل نفسه، ومنهم من يقول بأن الخير من الله والشر من غيره. وهم مراتب متعددون؛ لأن البدعة لا تثبت على شىء، فيترقى صاحبها على حسب هواه. والاثنان طائفة من طوائف أهل البدع، سواء البدع المنتسبة للإسلا م أو البدع الأخرى، وليس لهم جميعًا أصول يرجعون إليها، ويتحاكمون إليها، فهم مضطربون ومتناقضون ولا يثبتون على شىء.

وما من بدعة إلا وتنقض الأخرى وتلعنها، فأوائل بدعهم تنقض أواخرها، وأواخر بدعهم تلعن أوائلها، قال الله – تعالى – عن هؤلاء القوم: **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** قال بعض السلف فى تفسير هذه الآية: ما يأتى صاحب بدعة بباطل إلا وفى القرآن ما ينقضه ويبطله، قال الله – جل وعلا: **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا**

تعْمَلُونَ .

اختلف المفسرون فى معنى قول الله – جل وعلا- وَمَا تعْمَلُونَ ، فقوله: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ فيه إثبات صفة الخلق لله – جل وعلا – وأن العباد مخلوقون لله – جل وعلا.

وَمَا تعْمَلُونَ قال أكثر المفسرين: إن «ما» بمعنى الذى، والعائد محذوف تقديره: والله خلقكم والذى تعملونه. وهذا الذى نصره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المحققين.

القول الثانى: قال الحافظ ابن كثير: إن الآية تحتمل أحد معنيين: أن تكن «ما»بمعنى الذى، أو تكون «ما» مصدرية فيكون معنى الآية: والله خلقكم وعملكم. والأول – المعنى الأول- أعم و الثانى ليس بباطل كناحية شرعية، هو معنى مستقيم، لكن الأول أعم، فهذه الآية رد على القدرية الذين يجعلون من العبد خالقاً، ومن المخلوق خالقاً، فإنهم يجعلون للخير خالقا وللشر خالقا، ومن هذا الباب كانوا ألصق وأشبه الناس بـ المجوس.

قوله: (والعبد هو المؤمن والكافر).

لقول الله – جل وعلا-: إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا وأطلقت العبودية فى القرآن على معنيين:

- الأول: المعنى العام المقتضى لدخول البر و الفاجر، المسلم والكافر، المطيع والعاصى. من ذلك قوله – جل وعلا - إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا .

- المعنى الثانى: إطلاق العبد على المطيع وعلى البر وعلى الخيّر وعلى الصالح وعلى المسلم، بمعنى العبودية لله، وصرف خالص حق الله له، لا يصرفه لغيره، ولذلك نادى الله – جل وعلا – نبيه بمقام العبودية، قال تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ والعبد هنا من العبودية بمعنى أنه عبدٌ الله، مطيع لله، منقاد لله.

ويطلق العبد فى القرآن على الرقيق المملوك الذى يباع ويشترى، ولا علاقة للون بذلك، من ذلك قوله – جل وعلا: وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ .

وأراد الشيخ – رحمه الله تعالى – بقوله والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم

-الرد على القدرية، لأن العبد لو كان يخلق فعل نفسه جعل من نفسه خيّرًا صالحاً تقيًا، والرد على الجبرية فى نفس الوقت الذين يقولون عن العبد بأنه مجبور على كل شىء، فبالتالى لا يحاسبه اللّه على شىء، لأنه لا قدرة له على العمل، فكيف يحاسبه اللّه على ما لا قدرة له فيه ؟ ! هذا رد عليهم.

قوله: (وللعباد قدرة على أعمالهم).

ولا يختلف فى ذلك أهل السنة، لقوله صلى اللّه عليه وسلم: «**اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**»فلو لم يكن للعبد قدرة على العمل لم يأمر اللّه بالعمل، ولم يأمر الرسول بالعمل، إذ هذا تكليف بما لا يطاق.

وأمر آخر: عزل الأعمال عن العباد يقتضى إبطال الرسالات كلها، ويقتضى إبطال الشرائع بـ الكلية، ويقتضى أنه لا ضرورة للكتاب ولا للسنة، إذ نحن تخلق فينا الطاعات والخير والشر، فلسنا بحاجة إلى أحد يدعونا لأنه لا قدرة لنا، إذًا فما الفائدة من خطابنا، كيف تخاطب أقوامًا لا حاجة لهم فى ذلك، هذا يعنى إبطال الرسالات بأسرها، وأنه لا ثمرة من دعوة الرسل ولا من الكتاب ولا من

السنة.

وهذا يفيد أيضا أن أهل البدع فى أمر مريج، ما عندهم حتى العقول، دائما ينادون بالعقول، دائما ينادى بالعقل والحكمة ونحو ذلك، وتجده أقل الناس عقلًا وحكمةً، ولكنه يجعل من المناداة بالعقل والحكمة غطاء لتعمية بدعته وضلاله وانحرافه، فهم يرون أنفسهم أصحاب العقل، وهم أصحاب الجهل، وهم المبرسمون، لأنه لو كان عندهم شىء من العقول ما قالوا هذه الأقوال السمجة المخالفة للكتاب وللسنة ولإجماع الرسل وللعقول الصحيحة.

أمر آخر الذى اتفق عليه الأنبياء والمرسلون وأتباعهم إلى يوم الدين، أن العقل السليم لا يخالف العقل الصحيح أبدا، لأن الفطر تتجاوب مع الحق تلقائيا، بدليل قوله – صلى اللّٰه عليه وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة**». ولذلك حكى ابن القيم وغيره الاتفاق على أن التوحيد معروف بالفطرة كما هو معروف بالشرع، وأن الناس لو تركوا وشأنهم بدون أناس يلبسون عليهم لعبدوا اللّٰه تلقائيا، بدليل قوله – صلى اللّٰه عليه وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» هنا يأتى دور علماء السوء

ودعاة الشر كما قال - صلى الله عليه وسلم: «دعاة على أبواب جهنم».

وأن الناس كما يقول ابن القيم: لو تركوا وشأنهم لما وجد عندهم شرك، لأنهم بالفطرة يدركون قبح الشرك، فالتوحيد تتجاوب معه الفطر، والشرك تتجاوب الفطر مع ذمة وتهجين فاعله، إذ كيف يعبد حجرا لا ينفع ولا يضر، كيف يعبد آدمياً لا يستطيع أن ينفع نفسه؟ !

وقال ابن القيم - رحمة الله تعالى: "كما أن التوحيد معروف بالفطرة، الشرك قبيح بالفطرة "، وبعثت الرسل فى هذا الباب مبشرين ومنذرين كما هو نص سورة الأحزاب: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا .

قوله: (ولهم إرادة).

وهذا تابع لأمرهم بالأعمال، فلو لم يكن لهم إرادة لم يكن لأمرهم معنى. ولذلك أثبت الله - جل وعلا - لهم المشيئة، كما قال تعالى: لِمَنْ شَاءَ

مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ أثبت الله لهم مشيئة، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ لكن جعل الله مشيئتهم تابعة لمشيئة الله، فهم ومشيئتهم مخلوقون لله، فهذه الآية فيها رد على الجبرية، ورد على القدرية، القدرية يقولون أن العبد يخلق فعل نفسه من القدرة والمشيئة والإرادة. وهذا ضلال، لو كان يخلق إرادة نفسه لم تكن مشيئته تابعة لمشيئة أحد، ولو كان العبد يستقل بالمشيئة لم يكن لأمره معنى، ولو كان العبد ليس له مشيئة أصلا ً، وكانت حركاته وسكناته وأفعاله وإرادته كحركة الأ شجار ونحو ذلك لم يكن لأمره ولا لنهيه معنى، ولكانت طاعته عصيانه سيّان.

قوله: وَمَا تَشَاءُونَ إثبات أيضا للمشيئة، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله: يؤخذ من هذه الآية إثبات توحيد الإ لهية والربوبية والأسماء والصفات، آية واحدة فيها توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات.

قوله: "وهذه الدرجة" من القدر يكذب بها عامة القدرية – أى المتأخرون منهم، لأن صفة العلم كما تقدم فى قول شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى –" ومنكروه اليوم قليل"، كما قال: " وهذا التقدير

التابع لعلمه قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروه اليوم قليل"، بخلاف هذا النوع من أنواع القدر فإن منكروه اليوم كثير.

قوله: (الذين سماهم النبى – صلى الله عليه وسلم – مجوس هذه الأمة).

ذكر – رحمه الله – فى رده على الرافضة فى المنهاج أنه لا يصح إنكار شىء مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم، معنى هذا أنه جزم بنسبة ذلك إلى النبى – صلى الله عليه وسلم، والصواب الذى عليه أكابر المحدثين أنه لم يثبت عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه سمى القدرية مجوس هذه الأمة، وأن هذا ثابت عن الصحابة، كجابر وحذيفة وابن عمر وآخرين – رضى الله عنهم، هؤلاء يقولون عن القدرية: مجوس هذه الأمة.

المجوس يقولون: إن للعالم خالقين: خالق نور، وخالق ظلمة، وهم يتفقون أن خالق النور أعظم من خالق الظلمة، القدرية يشبهون المجوس فى أنهم يقولون: إن الله خلق الخير، ولم يخلق الشر، فمن هذا الوجه يشابهون القدرية فى جعل خالق مع الله، **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى**

بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الغَيْبِ وَالشّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمّا يُشْرِكُونَ .

قوله "ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات ". الذين هم الجبرية، الذين هم فرع عن القدرية، إلا أن الجبرية فى هذا الباب أغلظ بدعة وأضل سبيلا من القدرية.

وهم متناقضون فى هذا الباب، حيث إنهم يسلبون العبد قدرته وإرادته ويجعلونه فى نفس الوقت مأمورا ومنهياً، إلا أنهم فى نفس الوقت يرون أن الله – جل وعلا – لا يجازيه على سيئاته، لأنه لا حركة له فى ذلك، فهم فى الحقيقة يقولون بإنكار الحساب والجزاء والبعث وهذا فى الحقيقة مطية إذًا لعذر الكفار، وهذا تكذيب للقرآن فى كون فرعون فى النار، فكيف يعذبه الله بالنار وليس له إرادة وليس له قدرة ؟ ! فكفى بهذا القول قبحاً أن يكون فرعون وأبو لهب وأبو جهل وأعداء الرسالات ، أن يكونوا معذورين، فلذلك هذا القول مكابرة للمنقول، ومخالفة للمعقول.

قوله: (ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه، حِكمَهَا ومصالحها).

كقول الجهمية، لأن الجبرية يلتقون فى النهاية مع الجهمية، لأن الجهمية ينكرون الحِكم والمصالح فى أفعال اللّه ويقولون أن اللّه يخلق لغير حكمة، ويفعل لغير حكمة، ولذلك ذكر عن جهم بن صفوان أنه كان يمرّ بالمجزومين وأمثالهم ويقول عنهم: أهذا فعل أرحم الراحمين ؟! والجهم بن صفوان هو الذى تنتسب إليه بدعة الجهمية، وسبقه إلى ذلك الجعد بن درهم، إلا أنه لم ينظِّر المذهب كتنظير الجهم، فنسبت البدعة إلى الجهم، لكن أصل البدعة عن الجعد بن درهم، والجعد أخذها من أبان بن سمعان، فالجهمية يخرجون عن أفعال اللّه وحكمه أحكامها ومصالحها، واللّه يقول: **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا** واللّه يقول **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** أى: لا يؤمر ولا ينهى ؟ ! فما من شىء من الخلق إلا وقد خلقه اللّه لحكمة ولغاية ولمصلحة، سواء علم العباد ذلك أم لم يعلموا، و المسلمون مطالبون بالإيمان باللّه والتسليم له، سواء ظهرت لهم الحكمة أم لم تظهر لهم الحكمة.

وليس بلازم أن يعلم المسلم حكمة كل خلق، وهوغير مطالب بذلك، ولكنه مطالب بأن يعلم بأن اللّه لم يخلق شيئا عبثا، وأنه ما من شىء إلا ومخلوق لحكمة ولمصلحة علم ذلك من علمه

وجهله من جهله.

نقف على هذا ونكمل إن شاء الله تعالى غدا أصول أهل السنة والجماعة فى الإيمان بأنه قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان و الجوارح. والله أعلم.

- السائل: روى عن الإمام أحمد روايات فى التبرك بالصالحين، فما مدى صحة هذا الروايات؟

- الشيخ: لم يرد عن الإمام أحمد شىء من هذا التبرك بآثار الصالحين، ولا يزال السلف ينهون عن ذلك التبرك بذواتهم وبعرقهم، أو ملابسهم أو مشالحهم أو غير ذلك، هذا يعد عند أهل العلم من البدع، فإن ذلك ليس له أصل، ما كان الصحابة – رضى الله عنهم – يتبركون بعرق أو بشعر أو بثياب أبى بكر، وهو هو فى العلم والمنزلة، إنما يسن عند العلماء التبرك بشعر النبى صلى الله عليه وسلم ونحوه لأن ذلك من الخصائص التى اتفق عليها العلماء، كما ذكر ذلك ابن تيمية وغيره، أما التبرك حتى فى الآثار، فهذا ليس له أصل، وكان السلف ينهون عن ذلك، وأما التبرك بغير النبى – صلى الله عليه وسلم، التبرك بعرقه أو بشعره أو بثيابه فهذا بدعة، لقوله – صلى الله عليه وسلم:

«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». ويجب علينا أن ننظر فى عمل الصحابة، الصحابة - رضى الله عنه متفقون على قول أبى بكر، متفقون على قول عمر، متفقون على قول عثمان، متفقون على قول على، ولم يكن أحد منهم يتبرك بعرق هؤلاء ولا بثيابهم ولا بملابسهم ولا بمواطئهم ولا بأحذيتهم ولا بجلوسهم ولا بغير ذلك، هذا من البدع المحدثة فى هذا الدين، وقال النبى - صلى الله عليه وسلم: «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله» وقال - صلى الله عليه وسلم: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا على ها بالنواجذ».

وقد جاء فى صحيح مسلم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان إذا صعد المنبر وخطب قال: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

- السائل: اشتراط البخارى للّقيا هل هو خاص بصحيحه أو هو منهج عام فى قبول الحديث ؟

- الشيخ: البخارى – رحمه الله – لم يرد عنه لفظ صريح أنه يشترط مع المعاصرة اللقيا و السماع، إنما يؤخذ هذا من منهجه فى الصحيح، فـ البخارى – رحمه الله – يجعل ذلك شرطا للصحة، سواء كان فى صحيحه أو فى غيره، ولو نظرة، وإذا لم يكن من ذلك شىء، ولم تثبت قرينة على عدم السماع- فالأصل قبول ذلك.

الحقيقة أن الخلاف بين البخارى ومسلم ليس بكبير حين يحقق هذا الباب.

- السائل: من ترك واجب متأولًا فى هذا الباب، ثم تبين له فيما بعد الخطأ أو الجهل فيه، هل يعيد ؟

- الشيخ: لا، الأخ يقول: من ترك واجبا متأولا فى هذا الباب، ثم تبين له فيما بعد الخطأ أو الجهل فى هذا الباب- لا يعيد، وهذا الذى نصره شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – فى مقدمة كتابه فتاوى المجلد العشرين حين تحدث عن ترك الواجبات، وأن الإنسان مثلا إذا لم يكن يتوضأ من أكل لحم الجزور متأولا ً أن لحم الجزور لا ينقض، أو أخذًا بمذهب أبى حنيفة ومالك والشافعى ثم تبين له فيما بعد أن لحم الجزور ينقض، الصواب أنه لا

يعيد ما مضى.

- السائل: هل يكفر القدرية بقسميهم ؟

- الشيخ: الحقيقة أن قول القدرية أيضا حتى ا لأمر الثانى كان فيه خلاف بين السلف، ومن أنكر العلم هذا لا إشكال فيه، ومن أنكر أيضا أن يكون الله خالقاً للخير وخالقاً للشر، فنهاية هذا القول تؤدى إلى الكفر والخروج عن الإسلام.

وحديث أهل العلم فى تفسير القدرية هو حديث عن النوع، وليس حديثا عن العينة، ولا يختلفون فى قيام الحجة وإزالة الشبهة، ولا يختلفون أيضا فى الشبه الموجودة عندهم، قد يتطرق البعض لأنواع من هذه البدع وهذه الضلالا ت، فأهل العلم يقررون من حيث النوع، أن هذا وذاك كلاهما كفر، لأن من جعل خالقًا مع الله فقد كفر.

- السائل: حديث ابن عمر الذى يفيد أن إحدى يدى الله – عز وجل – شمال، هل هذا الحديث صحيح؟

- الشيخ: شاذة هذه الرواية، الرواية وردت فى صحيح مسلم عن ابن عمر « ثمّ يَطْوِى الْأَرَضِينَ

بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ »من رواية عمر بن حمزة، عمر بن حمزة سيئ الحفظ، الحديث جاء فى صحيح مسلم: «كلتا يدى ربى يمين».

- السائل: إذا نزل مطر شديد ولم يستطع الناس الصلاة على الأرض هل يجوز أن يصلوا على رواحلهم.

- الشيخ: أى نعم، إذا نزل مطر شديد وكان الناس فى البر ولم يستطيعوا الصلاة على الأرض، فهل يصلون على دوابهم وعلى رواحلهم ؟ لا حرج من ذلك، وهذا ما قال به الإمام أحمد وغيره من أهل العلم.

- السائل: يقول البعض أن البخارى أفضل من مسلم، فى رواية الحديث، فهل هذا صحيح؟

- الشيخ: البخارى أفضل من مسلم فى كل شىء، لا يقارن به مسلم، لا فى حفظه، ولا فى علمه ولا فى سياق الأحاديث الصحيحة، ولا فى تراجمه، ولا فى فقهه، ولا فى أى شىء، البخارى لا يقارن بمسلم أبدا فى أى شىء، والمتأخرون المعاصرون هؤلاء الذين يقولون إن مسلما يسوق ا لأحاديث باللفظ، والبخارى يسوقها بالمعنى، هذا

ليس له أصل، ثم هذا تنقص فى البخارى أنه لا يحفظ، يأتيه الحديث ثم بعد ذلك يركبه بالمعنى ويذكره فى الصحيح، ولا يستطيع حفظه باللفظ، لكن البخارى يقطّع الحديث، فيورد الحديث مثلا كحديث عمر: «إنما الأعمال بالنيات»، أورده البخارى فى الصحيح فى سبعة مواضع، هذا لدقة علمه وقوة حفظه، بينما مسلم أورده فى موضع واحد، فالبخارى قطع الحديث، ليس معنى هذا أنه يروى بالمعنى. .، ثم إن الرواية بالمعنى ليست محرمة للعلماء الراسخين الضابطين كما هو قول الجمهور.

- السائل: بعض العلماء المغاربة يقولون إن الصناعة الحديثية لمسلم أفضل من البخارى، بسبب أن البخارى لا يفرق بين حدثنا وأخبرنا و العنعنة، فيقال إن مسلم أفضل فى هذا الباب، ولا ينقص هذا من قدر البخارى؟

- الشيخ: ليس التعليل من باب انتقاص البخارى ، لكن ما فيه مقارنة، هذا غلط أصلا ً، ولذلك تقول العلماء المغاربة، من هم العلماء المغاربة ؟ ! كان العلم كله فى العراق، بغداد عاصمة الدولة الإسلامية لستمائة سنة، العلم كان كله فى العراق، ولا

يعرف إلا فى العراق، حتى فى الحجاز قلّ العلم، وكانت الصناعة الحديثية الحقيقية فى العراق، عند وكيع فى الكوفة، وعند الأعمش فى الكوفة، وعند الإمام أحمد وأصحابه ببغداد، هكذا كان العلم ، وورثهم تلاميذهم وأتباعهم، وكانت الصناعة الحديثية موجودة عند الأكابر من المحدثين، وكانوا متفرقين فى العراق والحجاز بشقيه المكى والمدنى، وكان عند أهل اليمن عبد الرزاق، وكان فى مصر عند الليث بن سعد،، ولم يكن أحد منهم عنده هذه النظرة، كان هناك أهل المغرب، ومع ذلك ما كانوا يستطيعون أن يسموهم بأسمائهم إلا على ندرة، وكان هناك أبو على النيسابورى، وهذا نعم: حسبك به جلالة وقدرا وعلما، ولكن لا يمكن أن يفضل على أحد من أكابر علماء أهل العراق، أو علماء أهل الحجاز بشقيه، لا المدنى ولا المكى، ثم أيضا حين نناقش هذه القضية كناحية علمية: كناحية مجردة عن تفاصيل العلماء وأقوالهم، تقول إن البخارى لم يفرق بين حدثنا وأخبرنا والعنعنة، وأى عيب فى هذا ؟

هذا المنهج الحديثى الصحيح، لا فرق بين حدثنا وأخبرنا، هذا تصرف من الرواة، وهذا المنهج المعروف، ثم تقول أيضا إن مسلما يفرق بين ذلك،

حتى دقة مسلم فى العنعنة ونحو هذا مجرد نظر، والدليل على ذلك أنه يقال إن عنعنة وتصاريح مسلم أكثر من البخارى، فالأحاديث مثلا المعلولة فى كلام السلف فى صحيح الإمام مسلم كثيرة جداً، حتى إن الدارقطنى أعلّ ما لا يقل عن خمسين حديثا فى مسلم، بينما تجده عندما أراد أن يُعِلّ فى البخارى ما استطاع أن يُعِلّ هذا القدر، وهذا واضح جداً.

ولذلك الدارقطنى، وحسبك به – يعتبر – وهو من هو – الرمز الأول فى أئمة الحديث فى عصره، وغيره من علماء الحديث -كلهم متفقون على تفضيل البخارى على مسلم، هؤلاء أهل الصناعة الحديثية الحقيقية يعدون بأسمائهم، وليس ككلام، يعنى علماء كذا يفضلون، علماء كذا يفضلون، أمر آخر: الترتيب الذى يدعونه لمسلم أصلا:

أولا لابد أن نفهم أن مسلماً – رحمه الله تعالى – على قدر ما بوّب صحيحه تبويباته الموجودة الآ ن، من النووى وغيره، هذا الأمر الأول، فهذا نعم، الفضل للبخارى فى هذا التبويب.

الأمر الثانى: أن مسلمًا ما بيّن مع أنه ذكر فى المقدمة مقدمة طويلة، إلا أنه ما بيّن الأحاديث

وترتيبها، هذا الصحيح الأول يذكره أم الثانى.

هذا يؤخذ من كلام العلماء بالمنهج والاستقراء والتتبع.

الأمر الثالث: من حيث التفريق بين العنعنة وحدثنا، البخارى أدق فى ذلك من مسلم بكثير أيضا.

الأمر الرابع: أن الأحاديث المعلولة فى مسلم كثيرة، بخلاف الأحاديث المعلولة فى البخارى هى تعد بالأصابع، وفى نفس الوقت فيها خلاف قوى بين العلماء.

الأمر الخامس: أن الرواة المتهمين بالضعف فى مسلم أضعاف أضعاف الرواة المتهمين فى صحيح البخارى.

الأمر السادس: أن الأحاديث الشاذة فى مسلم كثيرة بخلاف الأحاديث الشاذة فى البخارى، نادرة، مثلا: مسلم أورد حديث «خلق الله التربة يوم السبت» وهو حديث منكر باتفاق المحدثين، ولم يخالف فى ذلك أحد من المحدثين، بينما لا يوجد هذا فى صحيح البخارى.

إذًا على أى أساس نقول أن الصناعة الحديثية لمسلم أفضل من البخارى، وأما القول بأن أهل المغرب يقولون هذا، فإنا نقول إن أهل العراق وأهل الحجاز أهل الصناعة الحديثية الحقيقية، يقدمون صحيح البخارى على مسلم، فإذا كانت المسألة مسألة أن فلانا يقول ذلك، فبلا ريب أن علماء العراق وعلماء الحجاز هم المعوّل عليهم فى هذا الباب.

ولم يكن علماء المغرب فى وقت من الأوقات أفضل من علماء الحجاز أو علماء أهل العراق، ب الذات أهل العراق، عليهم المعول، لأن العلم الحديثى خرج من العراق، وكان التدوين فى أهل العراق، وكان الحفظ فى أهل العراق، يعنى تأمل فى السفيانين تأمل على من يدور الحديث، تجد الأ حاديث كل الأحاديث، أحاديث الكتب الستة، تدور على أهل العراق وعلى أهل الحجاز، فهذه الأ حاديث تدور على الحجاز من قبل ال-زهرى وتدور على أهل العراق من قبل السفيانين والأعمش وأصحاب ابن مسعود وطبقة هؤلاء الأئمة، ثم من يلى هؤلاء ؟ العلم فى المدينة يدور على مالك وعلى تلاميذه، كالقعنبى وقتيبة وأمثال هؤلاء، ثم بعد هذه الطبقة يدور على أهل العراق، كطبقة الإ

إمام أحمد وطلبته، نعم هناك من نوازح المحدثين مَنْ خرجوا من خراسان، وخرجوا من اليمن مثل عبد الرزاق، وخرجوا من مناطق متعددة، علاوة على أنه لا يخلو بلد إلا خرج منه أئمة كثيرون، ولكن مدار الأحاديث في جملتها على أهل العراق وعلى أهل الحجاز بشقيه المدنى والمكى.

- السائل: ما معنى الآية: وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ؟

- الشيخ: الأخ يسأل عن قول الله جل وعلا: وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ، معنى هذه الآ ية أن هؤلاء المجرمين المنحرفين عن شرع الله المعرضين عن كتاب الله، وعما جاء به رسوله، لا يسألون عن الآخرين، وأن هؤلاء المؤمنين لا يسألون عن ضلال المجرمين بشرط عند العلماء: ما لم يكن أحدهما سببًا فى الآخر، إنما التوبة تجب ما قبلها، كشخص مثلا كأبى سفيان تسبب فى وفيات عدد كبير من المشركين على الشرك، ولكن حين تاب لا نقول بأنه تلحقه ذنوب هؤلاء، نقول بأن التوبة تجب ما قبلها، والحج يجب ما قبله، كما جاء هذا فى صحيح الإمام مسلم و «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» وغير ذلك

من الأحاديث، فهؤلاء لا يسألون عن ذنوبهم، فلا يسأل أحد عن أحد إلا من كان سببا فى إضلاله ونحو ذلك.

- السائل: هل هناك فرق بين الصلاة فى مسجد، وفى صلاة الجماعة؟

- الشيخ: أى نعم، هناك فرق كبير جداً، الأخ يسأل سؤالا يقول: هل هناك فرق بين الصلاة فى المسجد وصلاة الجماعة ؟

نعم، هناك فروق كثيرة، ومن حيث الناحية الفقهية التفصيل واسع، صلاة الجماعة آكد من صلا ة المساجد، ولذلك أمر الله – جل وعلا – بصلاة الجماعة فى شدة الخوف وإن كانوا مسافرين: **وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ** وقد اتفق المفسرون على أن الآية نزلت فى صلاة الخوف، واتفق المفسرون على أن صلاة الخوف نزلت فى السفر، وأمر الله بالجماعة فى ذلك.

ولذلك كثير من الفقهاء يقولون بأن صلاة الجماعة واجبة حضرا وسفرا، بخلاف المساجد، ذهب الجمهور إلى أن المساجد لا تجب فى السفر،

والواجب فى السفر الجماعة دون المسجد ما لم يكن وحده، إذا كان وحده فإن ما لم يتم الواجب إ لا به فهو واجب، إذا يجب عليه أن ينتقل إلى المسجد ليؤدى الجماعة، فبالتالى هناك فروق، أما فى الحضر فإن الجماعة واجبة والمسجد واجب، ولكن الذى يتخلف عن الجماعة أعظم جرما من الذى يتخلف عن المسجد.

ولذلك ابن مسعود – رضى الله عنه – يقول: «لقد رأيتنا وما يتخلف عنها – أى صلاة الجماعة – إلا منافق معلوم النفاق » ومن ثم ترتب على الأ مرين معا فى حديث أبى هريرة فى الصحيحين: « وَالذِى نَفْسِى بيده لقد هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ ثُمّ آمُرَ بِالصّلَاةِ فَيُؤَذّنَ لها ثُمّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمّ الناس ثُمّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ فَأُحَرّقَ عليهم بُيُوتَهُمْ » لماذا ؟ لأنهم لم يكونوا حاضرين للجماعة فى المساجد، لأنهم قد يكونون يؤدون الجماعة، ولكن فى غير المسجد، فلذلك استدل على نفاقهم بترك الصلاة فى المسجد، هذه علامة على أن ترك الصلاة فى المسجد علامة على نفاق الرجل، ولذلك ذكر ابن مسعود أن ابن عباس يقول: « من سمع النداء فليجب، ومن لم يجب فلا صلاة له إلا من عذر» يختلف الأمر فى السفر، فالسفر تجب فيه

الجماعة ولا تجب فيه المساجد.

- السائل: ما صحة قول القدرية بأن الناس إذا تركوا على ماهم عليه يكون ولى الأمر أو العلماء و الفقهاء غير مقصرين فى هدايتهم ؟

- الشيخ: قلنا بلا شك إن هذا فرع من فروع أهل البدع الذين يقولون مثلا بأن العبد يترك على ما هو عليه، فلا داعى مثلا لحجبه عن فعل الحرام، أو لا داعى أن تكون له حصانة، كما أنه لا داعى مثلا لوجود وعاظ أو مرشدين أو تكرار للكلام، لأن الناس لا ينتفعون، كما أن الناس لا يتأثرون.

هذا ناتج عن شىء من بدع القدرية وأهل الضلال، نحن نرى أن النبى صلى اللّه عليه وسلم يضع حصانة للصحابة، ووجه هذه الحصانة فى حديث عائشة فى الصحيحين: ماذا قال النبى – صلى اللّه عليه وسلم – عائشة: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذريهم، فأولئك الذين سمّى اللّه »فالنبى – صلى اللّه عليه وسلم – حجبها من بدعهم ومن ضلالهم ومن غيهم، قال «فاحذريهم».

عمر – رضى اللّه عنه – حين كان صبيغ يسأل عن المتشابه من القرآن، وحين صعد عمر المنبر تخطى رقاب الناس فسأل عمر عن وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ، عمر – رضى اللّه عنه – كان قادرا على

إجابته، ولم يكن يعجز عمر أن يجيبه عن
وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا .

صغار طلاب العلم يعلمون معنى هذه الآية، ولكن عمر – رضى الله عنه – لاحظ منه أنه يسأل دائما عن الأشياء التى تثير الشكوك فى واقع الناس، وهذا غير مراد، ولذلك فى المناظرات ولا سيما فى القنوات الفضائية يثيرون الشُبَهَ، بالذات المستقلة دائما، والناس يتصورون أن هذا محمود، لا، الذى يناظر يبحث عن الحق يناظر، ولا داعى لأ ن يعجز الخصم فى ذلك، لأن المقصود أن يأتى به هو، لا أن يضلل العباد.

ثم المناظر لابد أن يكون راسخا فى العلم فى كل شىء، لئلا يلحق به المبتدعة هزيمة فيكون عارا على أهل السنة، هناك شروط للمناظرة، أما إذا كان الرجل يناظر للتشويش على الناس، فهذا لا يستحق المناظرة أصلا، لأن النبى نهى عن ذلك.

فعمر – رضى الله عنه – لما لاحظ على الرجل أنه يثير الشبه نزل وضربه، ولم يجبه، وأدمى رأسه ، وحين أدمى رأسه نفاه إلى العراق، وكتب إلى عامله أبى موسى الأشعرى أن يكون تحت رؤيته، فإذا تاب بعث به، فلما مكث فى حدود ستة أشهر كتب أبو موسى الأشعرى إلى عمر، فبعث به إلى

عمر، فقال عمر: إن عُدْتَ عدنا.

فبعض الناس فى الحقيقة لا ينجون من ضلال الرأس إلا بدرة، كدرة عمر: فالقضية أن بعض الناس يتصور أن الناس يتركون على ما هم عليه، فلا داعى للوعظ ولا داعى للتعليم، هذا غير صحيح، بدليل قوله – صلى اللّه عليه وسلم: «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» لابد من وضع حصانة للناس، حصانة متنوعة، حصانة علمية بكثرة المحاضرات ودروس وكتب وتصانيف وبيانات وما يتعلق بذلك، وحصانة فى حجبهم عن الفساد وطرق الفساد والمغريات ونحو ذلك.

- السائل: هل يجوز لعن الكافرين على أساس ما ورد عن النبى – صلى اللّه عليه وسلم – أنه لعن الكافرين فى القنوت ؟ وماذا عن الدعاء عليهم؟

- الشيخ: نسخ اللعن، لأن النبى – صلى اللّه عليه وسلم – كان يلعن فى القنوت فأنزل اللّه – جل وعلا – عليه: **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** أما الدعاء على الكفار أحيانا فى القنوت فهذه سنة متبعة من سنن النبى – صلى اللّه عليه وسلم – وقد قال أبو هريرة – رضى اللّه عنه – والخبر فى الصحيحين

فى قنوت النبى – صلى الله عليه وسلم – كان يدعو للمستضعفين من المؤمنين ويلعن الكافرين، فلعن الكفار على العموم لا حرج منه فى القنوات، تقول: اللهم العن الكافرين، اللهم العن اليهود و النصارى. هذه سنة من سنن النبى – صلى الله عليه وسلم – وقد قال الله – جل وعلا – فى كتابه: إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، وأما لعن المعين فالصواب منعه، وهذا قول الجمهور، أما الدعاء على المعينين فى القنوت فهذا سنة، لأن الرسول –صلى الله عليه سلم – كان يدعو على معينين ويسميهم بأسمائهم.

هذا أخ يسأل: النبى – صلى الله عليه وسلم – سن السنة الانتباذية ما أدرى ماذا يقصد بالسنة النبذية أو السنة الانتباذية، لا أدرى ماذا يعنى بذلك لكنى لا أحفظ فى كلام النبى – صلى الله عليه وسلم – أو فى كلام أحد من الصحابة أو فى كلام أكثر المتبوعين كالأئمة الأربعة وغيرهم أنهم يسمون سنة بهذا الاسم، ورد عن النبى - صلى الله عليه وسلم – سنن كثيرة ومتواترة، لكن سنة تسمى بالسنة الانتباذية لا أحفظ الحقيقة شيئا من ذلك، لكن الأخ إن كان يقصد شيئا آخر فيمكن ان

يتفضل بإعادة صيغة سؤاله أو ماذا يقصد أو ما هو موطنها أو وقتها أو متى تفعل وغيره، لكن لينظر فى السؤال: ماذا يقصد بالسنة النبذية يقول أو الانتباذية لا أفهم ماذا يريد وعموما لا أحفظ شيئا فى ذلك، ولا أقول أن هناك شيئا واردًا عن النبى -صلى الله عليه وسلم – فى هذا المعنى.

- السائل: هناك إمام لا يجيد أن يوضح الحروف فى قراءة القرآن، فكيف يمكن التعامل مع هذا الأ مر؟

- الشيخ: يعنى هو إمام ولا يجيد أن يوضح الحروف؟

- السائل: نعم – الشيخ: هل يوجد غيره بديل أم هو أحسن الموجود؟

وهل هى لهجة لسانه أم هو لسرعته؟

- السائل: لا، للهجة لسانه.

- الشيخ: والله إن وجد غيره فهو أولى، قد يوجد إمام ما يكون أقرأ الناس، النبى - صلى الله عليه وسلم – قال: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله** » إن كان هذا الإمام راتبًا ينبغى أن يعتزل ويولى

غيره يصلى بالمسلمين عنه، أما إذا كان لا يأتى ب
القرآن على الوجه المطلوب لسرعته، هذه رخصة
فيُكلمُ ويُبَيّنُ له، ولكن إن كان يخلّ بالفاتحة، أو لا
يؤدى الغرض المطلوب من القراءة، فهذا ينبغى أن
يؤتى بغيره، أما إذا كان يؤدى الغرض المطلوب من
القراءة وهو أحسن القوم، فالصحيح أن يكلم.

السائل: ما معنى المباهلة ؟ وفى أى شىء تقام
المباهلة ؟

الشيخ: المباهلة بين المسلمين والكافرين كما ق
ال الله تعالى **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** وبعض العلماء
يجوّز المباهلة بين المسلمين بعضهم وبعض فى الأ
مور الضرورية، فى القطعيات السريعة، ورد عن ابن
عباس والأوزاعى عن ابن المبارك عن سفيان، وهذا
صنيع كثير من الأئمة فى الأمور القطعية، كما لو
أن شخصا مثلا أباح ما حرم الله، أو سب الله،
أوسب رسوله - صلى الله عليه وسلم – يرى أن
هذا ليس فيه شىء أو أن هذا ليس بكفر، ثم جاء
شخص ينتدب لمباهلته، هذا تحل مباهلته.

ابن حجر – رحمه الله تعالى – فى الدرر

الكامنة ذكر عن نفسه أنه باهل رجلا كان يقول عن ابن عربى بأنه ولى من أولياء الله، فقال ابن حجر: هذا ضال مضل منحرف من المنحلين، وليس من المسلمين فى شىء، وليس من الإسلام فى شىء.

فابن عربى ضال مضل معروف، ويجب أن نفرق، ابن عربى يختلف عن ابن العربى المالكى، الإمام المشهور صاحب العواصم، هذا ابن عربى صاحب مذهب وحدة الوجود.

- السائل: ورد الاستغفار سبعين مرة، ومائة مرة.

- الشيخ: سيّان، كلاهما صحيحان، الإنسان يتزود من ذلك، يتزود الإنسان من الاستغفار، وإذا زاد على العدد سبعين وأتى بالمائة يكون أزكى عند الله – جل وعلا – وأفضل، ويعتبر من الذكر المطلوب شرعًا.

والاستغفار طبعا له مواطن، فالاستغفار يكون فى مواطن أكثر من غيرها، إذا سلم من الصلاة يستغفر الله ثلاثًا، حين الاسحار كما قال الله جل وعلا: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وعند حدوث الذنب.

السائل: إذا كان الفقير المستحق للزكاة لا يحسن التصرف فى المال، هل يجوز عزل مال الزكاة عن مالى، ثم أعطيه على حسب حاجته من هذا المال؟

- الشيخ: سؤالك جيد، يقول يعنى إذا وجبت على الإنسان زكاة وأراد أن يعطيها فقيرا، ولكن هذا الفقير لا يحسن التصرف فى المال، كأن يكون أخرق، أو أنه حين يعطى يبذر المال، أو يضعه فيه غير موضعه ثم يحتاج إلى مال آخر – هل لى مثلا أن أعزلها عن مالى ثم أنفقها على الفقير على حسب حاجته أو أكثر، لإطعامه على حسب حاجته ، أو بالتعاون مع زوجة الفقير؟

الصواب أن لا حرج من ذلك، لأن الزكاة شرعت مواساة، فبالتالى لمصلحة الفقير، وليس لازما أن نملك الفقير، ما دام الفقير أخرق لا يحسن التصرف فى المال، وقد يلحق بالمال ضررًا.

والمقصود المصلحة، تحقيق مصالح للفقراء و المساكين، وإيجاد التكافل.

وهناك نقطة مهمة، أن بعض الناس يكسب المال ويضعه ضمن ما يتاجر بالمال ويربح بالمال، وهو

ضمن ماله، ويعطى الفقير على حسب حاجته، هذا لا يجوز، يجب أن تعزل المال، لان هذا مال زكاة، و لا يجوز المتاجرة فيه إلا بقصد الضمان، أو لمصلحة الفقير أيضا، فهذا باب آخر، أما بدون ضمان فيجب عزله وإنفاقة على الفقير على حسب حاجته، إما بطعام أو بشراء ما يحتاجه من مكيفات أو غسالات وغير ذلك، أو بالإنفاق عليه وعلى أولاده وعلى زوجته على حسب الحاجة، هذا جيد وهذا مطلوب للذين قد ينفقون المال فى غير وجهه ثم يحتاجون، لأن بعض الناس قد يُعطَى المال مثلا فى رمضان، ويبقى فى شوال ما عنده شىء، فى شهر الحج، ما عنده شىء، لأن معظم الناس فعلًا لا يخرجون الزكاة إلا فى رمضان ، فحين ننظر فى مصلحة الفقير وحاجته فهذا عمل جيد ومطلوب.

- السائل: هل ورد عن بعض أهل السنة أنهم ينفون الحكمة عن بعض أفعال الله؟

- الشيخ: الأخ يقول: هل ورد عن بعض أهل السنة أنهم ينفون الحكمة عن بعض أفعال الله؟

هذا لم يثبت عن أحد بعينه من أهل السنة، وأنا أقول: هذا معروف عن الجهمية وعن غلاتهم أيضا،

وعن القدرية وأمثال هؤلاء، فهم الذين يخرجون عن أفعال اللّه وأحكامها حِكمَها ومصالحها.

وجد عن بعض أهل السنة زلة فى بعض المسائل ليس فى الكليات فى هذا الباب، والعالم لا يخلو من الخطأ:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

لكن لا يعرف عن أحد من أهل السنة أنه جعل هذا أصلا ً، ولذلك أهل السنة يرون أن ما ظهرت حكمته نؤمن به، وما لم تظهر حكمته نؤمن به، ولا حرج من أن نلتمس الحكم، لكن لا نجعل ذلك مربوطًا بالإيمان، هذا ليس له أصل فى كلام أهل السنة.

شرع يتحدث عن أصول أهل السنة و الجماعة فى باب الإيمان ومسماه، لأن غالب أهل

البدع يضل فى هذا الباب، ويترتب على ذلك ضلال آخر، أول بدعة فى الإسلام وقعت هى بدعة الخوارج، ثم مضادة لهذه البدعة خرجت بدعة المرجئة، فحين ننظر لبدعة الخوارج ولبدعة المرجئة وللجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فيم كان الغلط والضلال؟ فى باب الإيمان، فبقدر ما يضل العبد فى هذا الباب بقدر ما يكثر خلطه وغلطه فى الأبواب الأخرى.

وليس الضلال خاصا بمن يعرّف مسمى الإ يمان، لأن المعتزلة يعرفون الإيمان بتعريف أهل السنة، والخوارج يعرفون الإيمان بتعريف أهل السنة، يقولون قول وعمل واعتقاد، فجاءهم الضلا ل، لأن الكلام على الضبط، تنزيل الكليات على الجزئيات، تنزيل الأصول على الفروع، القدرة على تنزيل الأدلة فى مواطن الاستدلال، فإن الخوارج حين كانوا يحتجون ويناظرون الصحابة لم يكونوا يحتجون لا بالتوراة ولا بالإنجيل، كانوا يناظرون ب القرآن، ويحتجون بالقرآن ولذلك كان السلف يقولون: إن القرآن حمّال للوجوه، فخذوهم بالسنة، فإن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتوضح ما أجمل فيه.

وحقيقة أخرى، أنه لا توجد بدعة فى الإسلام

إلا ويستدل أهلها بأدلة ويوردون حججًا، وهذا مذكور عن الأمم السابقة، كما قال الله – جل وعلا – عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وكمال بقال الله – جل وعلا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ .

والنجاة فى هذا الباب الاعتصام بثلاثة أمور:

الأمر الأول: الكتاب على فهم السلف، فلا يستقل العبد بفهمه فتزل بقدم بعد ثبوتها.

الأصل الثانى: السنة الصحيحة الثابتة عن النبى - صلى الله عليه وسلم –بفهم الصحابة وأئمة التابعين.

الأمر الثالث: الإجماع القطعى الحقيقى.

هناك مرحلة رابعة يحتاجها العلماء وطلبة العلم: مراحل التعامل، فلا يكفى للإنسان أن ينطلق من منطلق أدلة الكتاب أو السنة حتى ينظر مراحل تعامل السلف مع هذه الأدلة فى واقعهم، حتى ينظر مراحل تعامل الأئمة فى الكتاب والسنة فى واقعهم، وكيف يتعاملون مع الأحداث المشابهة لأ حداثكم.. وهلم جرا.

قال الشيخ – رحمه الله تعالى "ومن أصول

أهل السنة والجماعة".

الأصل هو ما يبنى عليه غيره، " أهل السنة " تقدم الحديث عن لفظ السنة، وأنه أعم مما يتحدث عنه الأصوليون بأنها ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، وهذا غير مراد طبعا فى هذا الباب.

المراد بالسنة الهدى العام للنبى - صلى الله عليه وسلم – وقد يطلق على الأمور الاعتقادية، ويطلق على المنهج العام الكلى

قوله: "والجماعة" أى المجتمعين على الحق المناصرين للحق، وليس بلازم أن تكون الكثرة على الصواب، فإن أهل الإسلام فى أهل الكفر كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود، فأهل السنة فى أهل البدع مثل ذلك.

وأهل السنة مراتب أيضا، ولذلك قال النبى - صلى الله عليه وسلم – عن الطائفة المنصورة: «**لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى**» إشارة إلى قلتهم وكثرة المناوئين لمذاهبهم والمخالفين لسلوكهم وطريقتهم.

والاحتجاج بالكثرة من صنيع أهل الجهل، ولذلك كانوا يقولون عن موسى وأصحابه: إنّ

هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ فكانوا يستدلون على ضلالهم بقلتهم، وهذا غير صحيح، يعرف الحق من الباطل بالكتاب والسنة على فهم الصحابة وأئمة التابعين.

لكن كيف تقنع صاحب الهوى، إن لم يكن معه أحد قال: هكذا الحق غريب فى كل عصر، ثم يأتى بالأدلة الدالة على غربة الحق وقلة أهله، وإن كان معه أتباع قال: الحق أبلج والباطل لجلج، والناس يعرفون الحق ويلتزمونه.

هؤلاء يستدلون بالكثرة لصالحهم، وبالقلة لصالحهم، هذا كيف تقنعه ؟ وبالتالى فنحن بحاجة إلى معرفة الكتاب والسنة والتمسك بهما.

ثم دائما أكرر وأشير إلى أنه ليس بلازم أن من وقع فى بدعة من بدع الخوارج أن يكون خارجيا، أو وقع فى بدعة من بدع المرجئة أن يكون مرجئا، أو وقع فى بدعة من بدع الجهمية أن يكون جهميا، أو وقع فى بدعة من بدع المعتزلة أن يكون معتزليا، هذا من الخطأ الذى يعذر به صاحبه إن كان من أهل التأويل والاجتهاد، فمن كانت أصوله أصول أهل السنة ثم ضل فى مسألة أو أخطأ فى قضية فلا ينسب إلى أهل البدع.

ومن ينسب إلى الخوارج أو ينسب إلى المعتزلة أو إلى المرجئة أو إلى الجهمية إذا كان يأخذ بأصولهم ويقدم العقل على النقل، أو يقدم النقل ولكن على فهومهم، ولا يأخذ بدلالة الكتاب والسنة على فهم الصحابة – رضى الله عنهم، لأن هؤلاء لو كانوا يأخذون فهوم الصحابة لما حصل لهم من الضلال ما وُجد فى واقعهم وفى مذاهبهم.

قوله: (أن الدين والإيمان قول وعمل).

الدين يطلق، أو يشمل الإسلام والإيمان والإحسان، لأن جبريل حين أتى إلى النبى - صلى الله عليه وسلم – وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فماذا قال النبى - صلى الله عليه وسلم – لعمر ؟ «أتاكم جبريل يعلمكم أمر دينكم» فكان الدين شاملا للإسلام والإيمان والإحسان، فإذا أُطلق الدين فإنه متضمن لكل هذه الأمور، وإن أُطلق الإسلام دخل فى الإيمان، وإن أُطلق الإيمان دخل فى الإسلام، لأنه لا يصلح الإيمان إلا بإسلام يصححه، وإذا قرنا معا فالإسلام له تعريفان:

الإسلام العام الذى جاءت به كل الرسل، يعنى لا تختلف الرسل فيه، وهو مشروع للناس، لأنه الإسلام العام، ليس هو الإسلام الخاص، هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من

الشرك وأهله. هذا هو الإسلام العام الذى اتفقت عليه الرسل.

الإسلام الخاص هو الأعمال الظاهرة المذكورة فى حديث ابن عمر: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

والخبر فى الصحيحين.

والإيمان يعرّف بأنه قول وعمل، الشيخ- رحمه الله تعالى – هنا عرف الإيمان بأنه قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان و الجوارح.

لماذا لم يقل الشيخ – رحمه الله تعالى – التعريف المشهور عن تعريف الإيمان: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان. مع أن هذا التعريف يذكره ابن تيمية فى كتب أخرى؟ لماذا لم يذكره فى هذا الموضوع؟ لماذا فى العقيدة الواسطية قال إن الإيمان قول وعمل، قول القلب و اللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، ولم يذكر التعريف الذى ذكره فى كتب أخرى، وهو مشهور الآ ن عند الناس وفى مؤلفاتهم ومصنفاتهم وغير ذلك،

أنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، لماذا ؟

لأنه مختلف فيه، نعم، ذكرت هذا فى بداية الشرح، فضيلة الشيخ ابن عثيمين لا يذكره فى العقيدة المجمع عليها، يعنى هناك تعريفات صحيحة، تعريف الإيمان، قول باللسان، واعتقاد بـ الجنان، وعمل بالأركان، هذه جملة صحيحة، لكنه ناقص، لأنه لم يذكره عمل القلب، لكن هنا ذكر التعريف المتفق عليه بين كل طوائف أهل السنة، قول وعمل الإيمان، الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، قول القلب هو تصديقه، أريد أن أفرق هنا بين قول القلب وعمل القلب، قول القلب هو تصديقه، وعمل القلب حبه وخوفه ورجاؤه وولاؤه وبراؤه ومحبته ، وغير ذلك، هذا عمل القلب.

وقد حكى الإمام البخارى - رحمه الله تعالى - بأنه التقى بألف شيخ، كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، وهذا الذى ذكره فى صحيحه، قول القلب و اللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

الشافعى - رحمه الله تعالى - يعرف الإيمان بأنه قول وعمل ونية، ثم ماذا قال؟ ولا يجزئ واحد دون الآخر.

أهل البدع مختلفون ومضطربون فى هذا الباب ، منهم من قال: الإيمان قول واعتقاد. ومنهم من قال: الإيمان قول وعمل واعتقاد، كالخوارج و المعتزلة، ولكنهم يجعلون الكل عملًا، لا فى جنس العمل، هذا الفرق بينهم وبين أهل السنة، وهذا هو السبب الخاص الآن فى أن المرجئة المعاصرين يخلطون بين مسمى تعريف الخوارج وبين تعريف أهل السنة، الخوارج يقولون، والمعتزلة يتابعونهم على هذا، أن كل عمل شر، بمعنى أنه مثلا لو زنى أو شرب الخمر أو أكل الربا – كفر وخرج عن الإسلام، أهل السنة يقولون إن جنس العمل ترك للإيمان ، بمعنى أنه إن قال أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمداً رسول اللّٰه، ولا يعرف ربه، هذه ما فيها كلام ، أهل السنة يقولون: يكفر. لماذا ؟ لأنه ترك جنس العمل، ما ترك المفردات، ترك الجنس، فهذا الفرق بين الجنس وبين المفردات.

هؤلاء الموجودون الآن فى عصرنا المنتسبون طبعا لأهل السنة فى الجملة – سبب وقوعهم فى البدع الآن والانحرافات أنهم يقولون عن الإيمان قول وعمل – مثل تعريف أهل السنة – ولكن يقولون الإنسان لا يكفر بالعمل دون الاعتقاد، الإيمان قول وعمل، فإذا لم يأت بالعمل صار مؤمنًا ؟

! فلماذا صار للإيمان هذا التعريف ؟ إذًا التعريف غلط، ولكن الشافعى يقول: ولا يجزئ واحد دون ا لآخر، أرأيت لو أتى بالعمل دون القول – هل يسلم ؟ لا يسمى مسلمًا أصلًا، لكن من لا ينكر فى يوم من الأيام: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه، أفتعامله بأنه مؤمن ؟ هناك فرق بين هذا وهذا.

فهذا كما قلت لكم أنه من أصول الضلال الموجودة فى هذا العصر، طوائف كثيرة ينتسبون إلى أهل السنة وهم جهمية طبعا فى باب الإيمان، وإن كانوا منتسبين لأهل السنة، لأنهم يقولون عن ا لإيمان بأنه قول وعمل، قول القلب باللسان وعمل القلب باللسان والجوارح، ولكن يقولون أن من ترك عملًا لا يكفر، ولا يخرج من الملة.

وذكر الإمام أحمد فى مسائل الخلا ّل: سئل عمن قال هذا القول فكفّره، كما فى مسائل الخلال، فإذًا الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، (أل) للجنس، ليس الفرد، لأنى لا أبغى الخلط بين الفرد وبين الجنس، أهل السنة متفقون على أن من زنا أو سرق أو شرب الخمر أو أكل الربا – أنه لا يكفّر، هذا محل إجماع، ما لم يستحل ذلك، ولكن إذا أتى بقول أو فعل

ينافى أصل الإيمان فهذا له حكم آخر.

فالذنوب مرتبتان:

ذنب ينافى كمال الإيمان، وذنب ينافى أصل الإ يمان، كالشرك وكسَبِّ اللّه أو سب رسول اللّه سباً صريحًا – عياذا باللّه من ذلك، هذه الذنوب تنافى أصل الإيمان، فالذى لا ينافى أصل الإيمان يبقى فى دائرة الإسلام.

قوله: «وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص با لمعصية» هذا لا يختلف فيه أهل السنة، أن الإ يمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، إذا ذكر اللّه زاد الإيمان، وإذا عصى اللّه نقص إيمانه.

الخلاف بين أهل السنة والخوارج، الخوارج يقولون: إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله. و المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب. أهل السنة وسط بين المرجئة وبين الخوارج، المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب. من زنى أو سرق لا يتأثر إيمانه، وإيمان أبسط الناس كإيمان جبريل وميكائيل، الخوارج بعكس هؤلاء، يقولون: إن ذهب بعض الإيمان ذهب الإيمان كله، من مات وهو يشرب الخمر – هذا يخلد فى النار، ولا يترحمون عليه، وهذا ضلال: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ فعرف أن ما دون الشرك يجوز الاستغفار له، وهذا محل إجماع، والأدلة على هذا قطعية واضحة البيان نمر عليها إن شاء اللّٰه تعالى بعد قليل.

وهذا الضلال تابع لضلالهم فى مسمى الإيمان، الجهمية يقولون عن الإيمان بأنه معرفة، هذا قول القدرية، الأشاعرة يقولون عن الإيمان بأنه تصديق، المرجئة مراتب فى هذا الباب، منهم غلاة وهم الجهمية، ومنهم من يقول: الإيمان قول واعتقاد، المعتزلة يقولون عن الإيمان: قول وعمل واعتقاد. و هذا قول الخوارج، ولكنهم يجعلون كل عمل شرطا للإيمان، أهل السنة يجعلون جنس العمل شرطا للإيمان.

بقى الحديث عمن يسمون بمرجئة الفقهاء، وهم أهل الرأى الذين يعرفون الإيمان بأنه قول واعتقاد، طبعا هذا القول مبتدع؛ لأنه لا يتفق مع تعريف أهل السنة المذكور فى الكتاب والسنة، لكن يعذر عمن قال بهذا القول كأبى حنيفة رحمه الله فى أنه يقصد بالاعتقاد الذى تنبعث منه أعمال الجوارح، إن قال قائل لم تعبرون بهذا التعبير؟

الجواب: لأن الثابت فى مذهب أبى حنيفة أنه يؤثم أصحاب الذنوب والمعاصى، إذًا لا يقول بأنه

لا يضر مع الإيمان ذنب، أبو حنيفة يصرح بأن شارب الخمر فاسق، لو كان لا يضر مع الإيمان ذنب ما فسق، فعلم أنه يقصد بالاعتقاد الذى تنبعث منه أعمال الجوارح، وفى نفس الوقت أهل السنة يخطئونه فى هذا التعريف، ولكن يعذرون له ما وجدوا إلى ذلك سبيلا ً.

حسن الظن بما عرف منهجه وطريقته وشهدت له الأمة بالخير، هذا مطلب من مطالب الشريعة، و لا يضر أن تعتذر عن العالم، لأنه لا يهم أن نوقع العالم أو طالب العلم بخطأ، أو أن نصعد على أكتاف بعض، بعض الناس يحب أن يخَطِئَ ليظهر نفسه، وهذا غلط، ويحب أن يضع كل شخص فريسة لبذاءات لسانه، أو سوء طويّته أو غير ذلك، هذا غلط، فما دام هناك سبيل للتعذير عن أهل السنة أو العلماء الذين أجمعت الأمة على هدايتهم ودرايتهم وصدقهم، فهذا هو المطلب، فحينئذ نعذر عن هؤلاء بأنهم يقولون: الإيمان قول وعمل، ولكن اللفظ مبتدع، ولكن نقول أنه لا يخرجون العمل عن مسمى الإيمان من كل وجه، بدليل أنهم يؤثمون من فعل ذنبا أو ارتكب كبيرة، فكان هذا دليلا أنهم يقصدون بقول القلب وعمل القلب الذى تنبعث منه أعمال الجوارح.

وهذا الذى قاله أيضا بعض من الأئمة والعلماء فى هذا الباب، ولذلك يسميهم ابن تيمية رحمه اللّٰه تعالى مرجئة الفقهاء، وإن كان بعض العلماء يختلف مع ابن تيمية فى هذه التسمية، ولكن قلت لكم: التعذير مطلب، فهذا منهج عام، سواء كان فى المتقدمين أو المتأخرين، من عُلم صدقة وعُلم مذهبه وكان من أهل السنة وأتى بعبارة موهمة، فمن سلمت طويته وحسن قصده وعُلم إخلاصه حمل العبارة على ما يتوافق مع مذاهب أهل السنة، ولا حرج أن يقول إن كان يعنى بهذا اللفظ كذا وكذا فالجواب كذا وكذا، وإن كان يعنى بهذا اللفظ كذا وكذا فالجواب كذا وكذا، يعنى هذا جيد، وإن كان يقول: لأنه يقصد كذا وكذا مباشرة لتوضيح أن الكلام الآخر يخل بما هو ظاهر من لفظة أو كلا مه.

ولذلك روى عن عمر – وهو قول ابن سيرين وجماعة: « لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شرا، وأنت تجد لها فى الخير محملا »، فإذا وُجد محمل للكلمة فهذا مطلوب، ما وُجد محمل يُبَيّنُ أيضا بأدب واحترام للآخرين، من ينتقد الآخرين لا يستطيع أن يفرق الآن فى كل شىء، فى كل أموره ، إذا هجر سوّى المسلم بالكافر، وإذا غضب سوى

السنى بالمبتدع، ينبغى أن نفرق بين هؤلاء وهؤلاء، إذا أردنا أن نعامل كل شخص بغلطه فنحن أول من يحاسب على أغلاطنا قبل أن يحاسب غيرنا، وبقدر ما يعذر الإنسان عن الآخرين، وبقدر ما يحمل كلا مه على أحسن محمل بقدر ما يتعامل معه الناس بهذا المنهج، لأن اللّٰه جل وعلا – يسخر له عباده.

فهذا هو توجيه لقول أبى حنيفة – رحمه اللّٰه تعالى – فى مسألة الإيمان، وأكرر أن هذا اللفظ غلط، الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، من قال أن الإيمان قول واعتقاد هذا غلط، هذا غلط، هذا قول أهل البدع بالجملة.

ومن قال به ممن ينسب إلى أبى حنيفة فنقول أنه يقصد الاعتقاد الذى تنبعث منه أعمال الجوارح، لكن نشير إلى مسألة مهمة: طوائف من أصحاب أبى حنيفة من المتأخرين لا يقولون بهذا التأويل، بل يقولون بأن الإيمان قول واعتقاد، يخرجون الأ عمال عن مسمى الإيمان، وهذا قول عامة الماتريدية.

والماتريدية المعاصرون هم على مذهب الأ شاعرة فى الإيمان، وعلى مذهب أهل البدع، ولذلك يقعون فى الشرك بسبب خللهم فى باب بالإيمان،

ولذلك ذهب المتأخرون من أتباع أبى حنفية إلى خ
لاف اعتقاد أبى حنيفة، فهم يقولون بمذهب أبى حنيفة الفقهى، ويأخذون المذهب العقدى عن الماتريدية، فهم يقلدون فى الفقهيات لأكابر العلماء، ويقلدون فى العقائد من هو غير معلوم هدايته ورشده.

ثم قال الشيخ – رحمه اللّه تعالى- مع أن أهل السنة يقولون هذا القول من أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالعصية- يقول: " لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصى والكبائر، وهم مجمعون على هذا لأنهم يفرقون بين من أتى بعمل ينافى أصل الإيمان، وبين من أتى بعمل ينافى كماله الوافى أو المستحق، فأهل السنة لا يكفرون بمطلق المعاصى ولا الكبائر، لأن اللّه فرق بين الذنوب فقال: وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ اللّه – جل وعلا- يقول: وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ فرق اللّه – جل وعلا – بين الكفر وبين الفسوق وبين العصيان، والكتاب صريح فى أن من أتى بكبيرة فإنه لا يكفر.

والسنة متواترة عن النبى - صلى اللّه عليه وسلم – فى هذا، ولذلك قال اللّه – جل وعلا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، والكفر داخل فى هذا با

لإجماع، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ : وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ هذا رد على الخوارج قول الله – جل وعلا لِمَنْ يَشَاءُ رد على المرجئة، آية واحدة تمثلت فيها حقيقة مذهب أهل السنة، وفى الرد على الخوارج والمرجئة، آية واحدة، فالقرآن كله إذا صريح فى هذا لمن تأمل وتدبر كلام الله جل وعلا فى هذا الباب.

يقول الشيخ – رحمه الله تعالى: (كما يفعل الخوارج).

أى من التكفير بمطلق الذنوب والكبائر، الخوارج يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، ويكفرون بمطلق الذنوب، يأتون إلى صاحب الكبيرة فيكفرونه، وقلت قبل قليل أن العبد قد يخطئ ويقول بقول من أقاويل الخوارج، ولا تجوز نسبته إلى الخوارج، وآخر يخطئ ويقول بقول من أقاويل المرجئة أو من أقاويل المعتزلة أو من أقاويل الجهمية ولا تجوز نسبته إلى هؤلاء، من يبن فى كلامه وأصوله على الكتاب والسنة، إن زل فى هذا المسألة فوافقهم لا يعنى أنه منهم.

فمن قال بمطلق التكفير، إذا أتى شخص مثلا ً فقال: من ارتكب كبيرة فهو كافر. هذا يسمى خارجى، من أول وهلة نحكم عليه بأنه خارجى،

أتى آخر لم يقل بهذا القول، ولكن وقعت عنده شبهة فى مسألة وقال: إن هذه ليست من الكبائر: هذه من نواقض الإسلام؛ فلا تجوز نسبته إلى الخوارج؛ حتى لو أخطأ فى المسألة؛ حين نضربُ مثلا بالحكم بغير ما أنزل اللّه؛ حكى الإمام ابن حزم فى الإحكام، وابن تيمية فى الفتاوى، وابن كثير فى البداية والنهاية: هؤلاء يحكون الإجماع على أن من غير دين الله وحكم بغير ما أنزل اللّه، فهو مرتد عن الدين؛ لنفترض أن هذا القول غلط، ف لا يُنْسَبُ من قال بهذا القول إلى الخوارج؛ العجيب فى هذا الواقع الآن أن من قال بظاهر الآية: **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ** ليسوا هم الخوارج؛ لم يقل بذلك الخوارج، ولم تكن بدعة الخوارج أنهم يكفرون من حكم بغير ما أنزل اللّه؛ ومن قال ذلك؟ ! ولكن كانوا يُكفِّرون الصحابة؛ يُكفِّرون عليّا، يكفرون عثمان، يكفرون كافة الصحابة –رضى اللّه عنهم-؛ هذه بدعة الخوارج، ويقولون لا حُكم إلا لله، مع أنه لم يُعرف عن أحد من الصحابة أنه حكم بغير ما أنزل اللّه؛ حتى يقال إن الخوارج يُنزّلون هذه الآية عليهم؛ فهم أخطؤوا فى الاستدلال بها، ولم يكونوا يُنزّلون الآية على وجهٍ مشروع ثم أجمع الصحابة على خ

لافه.

وأما ما أثر عن ابن عباس: (كفر دون كفر) فهذا أثر منكر جاء من رواية هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس؛ وإن كان ابن حجير ضعيف الحديث؛ ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين و العُقيلى وغير هؤلاء من الأكابر، وفى نفس الوقت جاء عن ابن عباس ما يخالفه؛ جاء عنه بسند ك الشمس: قال عبد الرزاق: حدثنا معمر، حدثنا عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال: «هى به كُفْرٌ»، هذا سند كالشمس، وروى ابن جرير بلفظ: « هى كفر».

بمعنى أن الآية على إطلاقها، وأن الكفر كما ق ال ابن تيمية عن أهل اللغة وعن العلماء: الكفر إذا عُرِّف بالألف واللام لا يَحتمِل إلا الأكبر، وفى نفس الوقت من قال بأن هذا كُفر دون كُفر ولم يظهر له مفسدة، وكان عن اجتهاد، وعن بحث، وعن اطلاع، ولم يكن عن خُبثِ طُوية ولا عن فساد ولا عن تأصيل فاسد، وكان يقول هذا ليتوصل إلى اجتهاد، فكيف نقول عنه أنه من علماء الإرجاء؛ لأنه بحث المسألة، واستفرغ وسعه، وضل فى هذه، وقد خرق إجماع أئمة السلف فى هذه القضية؛ لا نقول عنه بأنه مُرجىء؛ لكن يقال عنه أنه مُرجىء لو قال: إن

كل عمل لا يُكفّرُ به أحد، نقول: مرجئ؛ لكن لو قال: لا؛ أنا ما أقول بهذا القول؛ كما يقول به الجهمية، فأنا أقول بقول ابن عباس؛ الذى يذهب إلى صحته ، ليس من باب أنه عمل، بل بعض المعاصرين يقول أنه عمل؛ فبالتالى يكفر لأنه عمل؛ هذا مُرجئ؛ كبعض الفقهاء الذين يقولون: تارك الصلاة لا يَكَفّر لأن الصلاة عمل، ما يكفر بترك الصلاة، هذا مُرجىء ؛ لكن لو قال آخر: أنا لا أكفر تارك الصلاة ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ (29,43)، كما قاله أبو حنيفة وقاله مالك وقاله الشافعى؛ لا نقول عن هؤلاء أنهم مُرجئة؛ فرق بين من يقول بهذا القول لأنه عمل، وبين من يقول هذا القول لأنه صار له دليله، فيجب أن تُفرق بين من يقول بمقتضى الدليل ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟، (30,3)) وبين من يقول ويُنزل هذه المسائل على أنها أعمال، أهل السنة لا يُكفّرون بالعمل؛ لماذا لا يكفرون؟ لأن هذا محل إجماع عند أهل السنة؛ سواء كان العمل إيجابيًا بمعنى أنه يفعل، أو كان تركًا؛ كما قال الله –جل وعلا-لمن تاب مع وجود الكبائر والمعاصى ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾: ﴿عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ .. مع وجود الكبائر، سماه الله أخًا ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ

بِإِحْسَانٍ : الشاهد من الآية: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ : لم تنتف الأ ُخوة الإيمانية مع الإصرار على الكبيرة، وهذا لا يختلف فيه أهل السنة و الجماعة.

ويؤخذ من ذلك مسألة أخرى: أن من قتل مؤمنا متعمدا لا يكفر؛ وهذا لا يختلف فيه أهل السنة والجماعة أيضا؛ لأن قتل النفس ليس من نواقض الإسلام؛ قتل النفس بدون حق؛ أو قتل النفس المعصومة –هذا من الذنوب والمعاصى، وليس من الكفر بإجماع المسلمين؛ لأنه لا يكفر أحد إلا إذا أحل الحرام المُجمع عليه؛ يقول شيخ الإسلا م ابن تيمية –رحمه الله تعالى- فى الفتاوى –وهذا لفظه باللفظ- يقول: "من حلل الحرام المُجمع عليه أو حرم الحلال المُجمع عليه، أو بدّل الشرع المُجمع عليه فإنه كافر مرتد باتفاق الفقهاء".

المصيبة الآن فى هذا العصر أن من قتل يُكفّر، ومن بدّل لا يُكفر؛ فهم يعكسون الإجماع؛ شيخ الإ سلام يقول: من حلل الحرام المُجمع عليه، أو حرّم الحلال المُجمع عليه، أو بدّل الشرع المُجمع عليه فإنه كافر مُرتد باتفاق الفقهاء0

- السائل: هل يجوز تسمية النصارى والمشركين بالإخوة على اعتبار الأخوة الطينية، وليس على

اعتبار الأخوة الإيمانية؟

- الشيخ: مسألة الأخوة الطينية؛ لا يجوز لأحد أن يقول مثلا: الكافر أخى ويقصد الأخوة الطينية؛ هذا غلط، ولا يجوز أبدا، يقول جل وعلا: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ؛ ولكن لو قلنا بأن المقصود الأ خوة الطينية لم يكن فى الآية دلالة؛ ننعت بالأخوة شخصًا من الخوارج، ونقول أن هذه أخوة طينية؛ الحقيقة أن الإسلام يُفرق بين الأخوة الإسلامية وا لأخوة الطينية؛ القرآن كله فى هذه الشريعة المحمدية إذا أطلق الأخوة فهى الأخوة الإيمانية؛ أما الأخوة الطينية فلا علاقة لها؛ سواء فسروا الآ ية **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا** بالأخوة الطينية، أو أنه من نسبهم، أو أنه كان أخًا لهم؛ لا يهمنا؛ هذه أخوة خارجة عن نطاق الأخوة الموجودة فى شريعتنا؛ هذه أخوة لا تُطلق؛ ولذلك فلا يجوز ويحرم أن الأخ يُسمى اليهود والنصارى إخوانًا، ويقول: أنا أقصد الأخوة الطينية؛ هذا تلبيس؛ إذا قا ل قائلهم هذه أخوة طينية، فبالتالى لا يقبل تفسير **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** على أنها للحصر؛ "إنما" للحصر؛ تثبت الموجود وتحصره، المؤمنون إخوة يعنى غير المؤمن ليس بأخ لنا، وهذه الآية صريحة فى أن الخارجى ليس بأخ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ**

وَرَسُولَهُ قطع النبى العلائق بين المسلمين وبين الكافرين، لا يواد المسلم والكافر، ولا الكافر و المسلم؛ ولذلك أجمع المسلمون أن المسلم لا يتزوج لا يهودية ولا نصرانية ولا مُشركة.

السائل: ما تفسير قوله –جل وعلا-: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ؟

الشيخ: قوله –جل وعلا-: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا الخلود هنا هو المكث الطويل فيها الخلود،، ولم يرد فى القرآن ولا فى السنة تأكيد الخلود بـ: (أبدا) للمسلمين إلا حديثا واحدا، والرواية شاذة ذكرها أبو عيسى الترمذى: "ومن قتل نفسه فهو خالد مُخلد فى جهنم أبدا". والأدلة كلها صريحة؛ ولذلك جاء فى أكلة الربا: فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فى سورة البقرة، وجاء فيمن قتل المؤمن متعمدا: فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ولم يقل أبدًا ؛ فإن التعبير جاء فى ثلاثة مواضع أيضا فى القرآن فى حق الكفار، ولم يرد هذا اللفظ فى حق المسلمين؛ فالآية فى سياق الوعيد؟ ؟ ؟ ؟ ؟ (36,13)، جاء هذا فى الصحيح فى قصة الرؤية؛ هذا أيضا من الأدلة الدالة على هذا الباب، وإلا لو كان كافرا فالآية صريحة: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ

مِنْ أخِيهِ شَىْءٌ ، وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ؛ سماهم الله مؤمنين مع وجود الاقتتال[1].

(1) إلى هنا وقف شرح الشيخ للواسطية نسأل الله أن يفرج عنه ونعتذر عن بعض الأشرطة فقد كان الصوت فيها سيئاً أخوكم أبومهند النجدى .